الإعجاز البيانى فى ضوء النصوص القرآنية

بحث علمى لنيل شهادة دكتوراه فى اللغة العربية

الباحث

محبوب الله سيف الرحمن

الجامعة القومية للغات الحديثة اسلام آباد
جون 2008

الإعجاز البيانى فى ضوء النصوص القرآنية

الباحث

محبوب الله سيف الرحمن

ماجستير(اللغة العربية) الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد 1991م

هذاالبحث
يقدم كجزء إجبارى لاستحقاق شهادة
دكتوراه (اللغة العربية)

كلية الدراسات التكاملية والبحث

(اللغة العربية والأدب العربی)

الجامعة القومية للغات الحديثة اسلام آباد

اقرارنامه

میں محبوب اللہ سیف الرحمن حلفیہ بیان کرتا ہوں کہ اس مقا لے میں پیش کیا گیا کام میرا ذاتی ہے اور نیشنل یونیور سٹی آف ما ڈرن لینگویجز اسلام آباد کے پی ایچ – ڈی سکالر کی حیثیت سے ڈاکٹرضیاء الحق یوسفزی کی نگرانی میں پیش کیا گیا ہے. میں نے یہ کام کسی اور یونیور سٹی یاادارے میں ڈگری کے حصول کے لئے پیش نہیں کیا ہے اورنہ آیندہ کرونگا.

(محبوب اللہ)

مقالہ نکار

نیشنل یونیور سٹی آف ما ڈرن لینگویجز اسلام آباد

جون'2008

الإهداء

أهدي هذه المحاولة إلى من نزل عليه الكلام المعجز فأعجز قمم الفصاحة والبلاغة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم إلى من سهل لى الطريق إلى كتاب الهداية من الوالدين والأساتذة.

شكروعرفان

حمدا وشكرا لله الذى هدانى إلى كتاب الفصاحة والبلاغة وجعلنى أغوص فى بحر الكنوز والمعرفة فالناس يأتى بها بقدر عقولهم وهممهم فأنا جئت باللآلى اللامعة من هذاالبحرالمواج بقدرعلمى القليل وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم.

وأشكر النبى الخاتم الذى أنار الأركان المظلمة من قلوب الإنس والجن بنصحه النيرة وإرشاداته الموصلة إلى الهدف الأساسى من رضاالله تعالى والفوزبالدارين' فهو كشف الغطاء عن الأسرار القرآنية بأقواله وأعماله صلى الله عليه وسلم.

ثم أشكر والدىّ اللذين وضعا بذور العلم الدينى فى أعماق قلبى فأنبتت سنابل العربية والعلوم الإسلامية فتشعبتا إلى حبات البلاغة والفصاحة.وفقنى الله تعالى أن أستمر مع سلسلة الإنبات والتوليد.

ولن أنسى الشكر لفضيلة الدكتور ضياء الحق يوسفزى _أدام الله ظله على طلبة العلم_رئيس قسم الدراسات الإسلامية الذى حلانى بنصائحه الذهبية وأنار الركن المظلم من قلبى بإرشاداته وأزال عن قلبى اليأس وجعلنى أعمل فى الحالات العائقة من الاستمرار فى كتابة البحث'جزاه الله تعالى خير الجزاء.

وأشكر الدكتور السيدعلى أنور رئيس قسم اللغة العربية فى هذه الجامعة الذى درّسنى طرق البحث فاستفدت بإرشاداته الذهبية.

وأشكر الدكتور جميل قلندرفهو درسنى ونفث فى قلبى الفكرة والخيال من أفكاره الشاعرة الحساسة.واستفدت بها فى تذوق الفصاحة والبلاغة الكائنة فى النصوص القرآنية.

وأشكر الأستاذ محمد عزيز- مدير الجامعة- لجهده المضنئ فى سبيل تطور هذه الجامعة والإيصال إلى القمة. وأشكر كل أساتذة الجامعة وكل من يعمل لتنشئة الجامعة وتطويرها.

وأذكر بالشكر الجزيل لأسرتى التى شجعتنى لحصول العلم وكتابة هذالبحث فى لجة المصاعب التى كادت تصرفنى عن حصول مرامى. وخاصة شكرا لأخى الكبير الدكتور محمد حنيف_ مدير المشروعات فى وزارة التعليم

إسلام أباد_ أدام الله تعالى ظله الذى أرشدنى إلى علم الأديان وأعاننى فى كل وقت أحتاجه.

وفى الأخير أشكرالجامعة القومية للغات الحديثة أن أتاحت لى الفرصة أن أجنى الثمار من أنوار القرآن فقبلت التحاقى بها ثم رضيت بالموضوع الذى قدمته أمام اللجنة وشكرا لكل أصدقائى الذين أعانونى فى كتابة البحث فشكراللدكتور إكرام الحق الأستاذ المساعد فى كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد أن أرشدنى إلى الكتب غير المتوفرة لدى بوسيلة الشبكة بالحاسوب الآلى وسهل لى هذاالصعب بإذن الله تعالى وتوفيقه.وشكرا للدكتورفيضان الرحمان الأستاذ المساعد فى الجامعة الإسلامية العالمية أن أرشدنى إلى بعض الكتب المتعلقة ببحثى وشكراللدكتور فضل الله الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد فهو قد وفرلى بعض الكتب المتعلقة ببحثى.

ولن أنسى الشكر لتلميذى الخاص سبقت منصور ولصديقى الخاص أمان الله خان مدير الشئون الإكاديمية فى الجامعة القومية فاست فهما أعانانى فى طباعة البحث' وفى الأخيرأشكر كل من أعاننى فى هذاالمجال.

الباحث

محبوب الله سيف الرحمن

\

Abstract

There is no doubt that the Holy Qur'an is a great blessing from Almighty Allah. If this had been the only blessing bestowed on this final *Ummah*[1], we would still have surpassed all previous *ummahs* in blessings.

This book is the epitome of sweetness. Its beauty stretches from the tongue of the *qari*[2] and can be felt in the very depths of the heart of the listener. One can not tire of reading it, nor of listening to it; the more one delves into it, the richer its treasures reveal themselves to be.

This book appeals equally to a scholar and a layperson at the same time, and guides them both. It has the power to awaken nations from ignorant slumber, and to show them the path to success. One aspect of this brilliance is the fact that not only does it encompass vast treasures of wisdom and knowledge, but it is also a literary and linguistic miracle. This latter point is expounded further in this present research work.

The direct and implied meaning of the text of the Holy Book is indeed beautiful. The very vocabulary and its mesmerizing usage are so apt and balanced that there can be absolutely no comparison. Revealed at the time when Arabia was at the pinnacle of linguistic excellence, nothing could face up to its splendor, attempts by the disbelievers who put together all their resources to this futile end notwithstanding. This was one reason why the opponents of this message, having completely failed this way, resorted to violence and warfare. If they could have countered the linguistic beauty of the Holy Qur'an, the world would not have seen the battles of *Badr*, *Uhud* and *Khandaq*[3].

To illustrate this linguistic miracle of the Holy Qur'an, a few styles have been selected from its vast treasures of *Ilm-ul-Bayan*. These include, but are not limited to, the vocabulary, the usage of similes and metaphor etc that challenge human ability and leave it pale in comparison.

The Holy Qur'an chooses different styles beautifully based on specific contexts, catering beautifully to the addressee and the message. Where the circumstance calls for simplicity, the Holy Qur'an employs a simple yet brilliant style, and where the need is for eloquence, it engages a sparkling dignity. Thus it is a direct and correct conclusion that the Holy Qur'an's linguistic approach is a string of gems that embodies many different styles; each gem is magnificent on its own, and at the same time, the majesty of the string is revealed even more fully when considered as a whole. A miracle of the Holy Qur'an is that it showcases divine brilliance in a way that is comprehendible by efforts of human knowledge and imagination without compromising its full magnificence. This becomes evident in another way also. It is interesting to note that the best amongst human literature now employs the same vocabulary and similar linguistic techniques, and yet the distinction between the

[1] Arabic, for the larger Islamic concept of 'nation' that surpasses all geographic boundaries
[2] Arabic, for one who recites
[3] The three battles from the early age of Islam.

products of the human mind and this divine book has not been bridged at all. The Holy Qur'an stands to this day, and shall continue to do so for all time, with all its glory as a shining testament to the boundary less divine wisdom and magnificence, for which even the entire creative prowess in the world around us is no match.

This research has engaged several noted exegesis of the Holy Qur'an to identify, understand and classify a part of the linguistic magnificence of this divine book. The Glorious Qur'an's eloquent stylizations embody infinite beauty, and showcase the miracle of the brilliance of the divine wisdom. It presents a spectacular combination of eloquence that radiates beauty, and comprehensive conciseness. These are just two of the miracles that form the Holy Qur'an.

The characteristics outlined in these preceding lines, and subsequently in this research show the outline of a magnificent picture, and yet this only be labeled as being hardly a drop in the ocean in comparison to the full glory of the Holy Book. I pray to Almighty Allah to accept my endeavor to showcase some of this grandeur in this research, and to make it beneficial for me, and the whole Muslim *Ummah*.

Research Scholar

Mahboob Ullah.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
1. سرورق	1
2. مقاله كى منظورى كا فارم	11
3. تصديق نامه	111
4. الإهداء	1V
5. شكر وعرفان	V
6. ABSTRACT	V11
7. الفهرست	X
8. مقدمة البحث	X111
9. الباب الأول (ظاهرة التشبيه غير التمثيل فى ضوء النصوص القرآنية)	1
▪ المدخل إلى البحث	1
▪ (ظاهرة التشبيه غيرالتمثيل'الصورة الموجزة للتشبيه)	14
- معنى التشبيه لغة واصطلاحا.	
- أركان التشبيه.	
- أدوات التشبيه.	
- قوة التشبيه وضعفه.	
- بلاغة التشبيه.	
- جودة التشبيه وأبلغيته.	
- أغراض التشبيه.	
- أنواع التشبيه.	
1. التقسيم الأول.	
2. التقسيم الثانى.	
3. التقسيم الثالث.	
4. التقسيم الرابع.	
- الصورة غير المعروفة للتشبيه.	
▪ (دراسة التشبيه غير التمثيل فى ضوء النصوص القرآنية.)	29
▪ الفصل الأول. (التشبيه غير البليغ)	31
1. المبحث الأول التشبيه غير البليغ الحسى.	32
2. المبحث الثانى التشبيه غير البليغ العقلى.	60
3. المبحث الثالث التشبيه غير البليغ الحسى العقلى.	74
4. المبحث الرابع التشبيه غير البليغ العقلى الحسى.	75
▪ الفصل الثانى. (التشبيه البليغ)	76
1. المبحث الأول التشبيه البليغ الحسى.	77

2. المبحث الثانى التشبيه البليغ العقلى. 100
3. المبحث الثالث التشبيه البليغ الحسى العقلى. 105
4. المبحث الرابع التشبيه البليغ العقلى الحسى. 106
▪ الفصل الثالث. (الصورغير المعروفة للتشبيه) 112
▪ الحواشى: 115
10. الباب الثانى. 132
▪ (ظاهرة تشبيه التمثيل فى ضوء النصوص القرآنية) 132
▪ الفصل الأول. (التشبيه غير البليغ) 134
1. المبحث الأول التشبيه غير البليغ الحسى. 135
2. المبحث الثانى التشبيه غير البليغ العقلى. 155
3. المبحث الثالث التشبيه غير البليغ الحسى العقلى. 162
4. المبحث الرابع التشبيه غير البليغ العقلى الحسى. 163
▪ الفصل الثانى. (التشبيه البليغ) 191
1. المبحث الأول التشبيه البليغ الحسى. 192
2. المبحث الثانى التشبيه البليغ العقلى. 194
3. المبحث الثالث التشبيه الحسى العقلى. 195
4. المبحث الرابع التشبيه العقلى الحسى. 196
▪ الفصل الثالث. (الصورغير المعروفة للتشبيه) 199
(التشبيه المقلوب والتشبيه الضمنى)
▪ الحواشى: 208
11. الباب الثالث (ظاهرة الاستعارة غيرالتمثيلية) 215
▪ (الصورة الموجزة للاستعارة) 215
- الفرق بين التشبيه والاستعارة.
- أركان الاستعارة.
- الاستعارة بين المجاز اللغوى والمجازالعقلى.
- السرالبلاغى فى استخدام الاستعارة مكان الحقيقة.
- شروط حسن الاستعارة.
- أنواع الاستعارة.
-1 التقسيم الأول.
-2 التقسيم الثانى.
-3 التقسيم الثالث.
-4 التقسيم الرابع.
-5 التقسيم الخامس.
-6 التقسيم السادس.
-7 التقسيم السابع.
-8 التقسيم الثامن.
-9 التقسيم التاسع.
- الاستعارة التمثيلية.

- بعض القواعد المتعلقة بالاستعارة التمثيلية.
- أبلغ أنواع الاستعارة.
- الاستعارة غيرالتمثيلية فى ضوء النصوص القرآنية 232
1. الفصل الأول.الاستعارة المصرحة. 234
- المبحث الأول من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. 235
- المبحث الثانى من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى. 268
- المبحث الثالث من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى. 275
- المبحث الرابع من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى. 283
- القسم الخامس من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. 295
-2 الفصل الثانى. الاستعارة المكنية. 297
- المبحث الأول من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. 298
- المبحث الثانى من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى. 308
- المبحث الثالث من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. 312
- المبحث الرابع من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى. 318
- المبحث الخاس من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. 319
- الحواشى: 320
12. الباب الرابع (الاستعارة التمثيلية فى ضوء النصوص القرآنية) 330
1. الفصل الأول (الاستعارة المصرحة) 332
- المبحث الأول الاستعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. 333
- المبحث الثانى الاستعارة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى. 369
- المبحث الثالث الاستعارة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. 371
- المبحث الرابع الاستعارة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى. 375
- المبحث الخامس الاستعارة من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. 386
2. الفصل الثانى (الاستعارة المكنية) 388
- المبحث الأول الاستعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. 389
- المبحث الثانى الاستعارة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى. 405
- المبحث الثالث الاستعارة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. 408
- المبحث الرابع الاستعارة من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. 410
- الحواشى: 416
13. الباب الخامس (المجاز والكناية) 423
1. الفصل الأول (المجاز المرسل) 424
- الأسرار البلاغية الكامنة فى أسلوب المجاز المرسل. 425
- علاقات المجاز المرسل. 425
1. إطلاق اسم الكل على الجزء.
2. عكسه تماما.
3. ذكر السبب وإرادة المسبب.
4. ذكر المسبب وإرادة السبب.
5. ذكر الحال وإرادة المحل.

6. ذكر المحل وإرادة الحال.
7. ذكر الملزوم وإرادة اللازم.
8. ذكر اللازم وإرادة الملزوم.
9. ذكر الخاص وإرادة العام.
10. ذكر العام وإرادة الخاص.
11. تسمية الشيئ باسم ما كان عليه.
12. تسمية الشيئ باسم ما يؤل إليه.
13. تسمية الشيئ باسم آلته.
14. التعلق الاشتقاقى.

-2 الفصل الثانى (المجاز العقلى) 453
- صور المجاز العقلى. 457
- من بلاغة المجاز العقلى. 458
- القرآن الكريم والمجاز العقلى. 459
-3 الفصل الثالث (الكناية) 463

- مفهوم الكناية. 464
- الفرق بين المجاز والكناية.
- الكناية بين الحقيقة والمجاز.
- الفرق بين الكناية والتعريض.
- من أغراض التعريض.
- الفرق بين الكناية والإرداف.
- أنواع الكناية. 469
- بلاغة الكناية. 472
- أسباب الكناية. 473
- الحواشى: 485

14. الخاتمة (النتائج والاقتراحات) 492
15. الفهرست للآيات القرآنية. 499
16. المصادر والمراجع. 542-533

المقدمة

الحمد لمنزل الكتاب المعجز على أفصح الناطقين الضاد والصلوة والسلام على من بلّغ رسالات الله تعالى فأجاد وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه فى كل ما جاء به وكانوا قبل ذلك يهيمون فى كل واد.

وبعد فيقول العبد الفقير إلى الضوء الساطع لقضاء الحياة المستعارة بطريقة مهدية كى تكون وسيلة للحياة الحقيقية محبوب الله سيف الرحمن إن الجامعة القومية للغات الحديثة أتاحت لى الفرصة أن أغوص فى بحر معرفة الأسرار الكامنة فى الأساليب القرآنية كى آتى باللآلى الفريدة التى تحدى بها القرآن الكريم حينما كانت بيئة العرب مملوءة بقمة من الفصحاء والبلغاء فأطلقوا أخيلتهم فى مجال الفصاحة والبلاغة ولكنهم تعبوا وعجزوا من أن يأتوا بمثل هذاالقرآن حتى بسورة قصيرة من القرآن الكريم واضطروا إلى أن يعترفوا بـ" والله ما هذاقول البشر". وبعد أن أكملت الدراسة الإجبارية التمهيدية قبل كتابة بحث علمى للدكتوراه كان من المفروض أن أقدم الخطة للبحث فأرسلت عنان مخيلتى فى مجال الموضوعات الصالحة لبحث علمى فكنت أقف أمام كل موضوع لبعض الوقت ولكن سرعان ما اجد أن الموضوع إما قد عولج فلا داعى أن أعالجه مرة أخرى وإما غير سائر مع نزعتى فكنت أتركها لموضوع آخركى أختاره لبحثى وهكذا مضت الشهور حتى وصلت إلى موضوع مسائر مع نزعتى العلمية وهو " الإعجاز البيانى فى ضوء النصوص القرآنية" فاخترته لبحثى وقدمت الخطة أمام اللجنة فقبلت الموضوع وأجازتنى أن أتجول فى إطار هذاالموضوع فى مجال الأسرار البلاغية وآتى باللدرر المكنونة المتلأ لئة من هذاالبحر المواج فأرسلت فكرتى لالتقاط الدرر الكامنة فى قعر هذاالبحر وأطرافه كى تسلّم هذه اللدرر إلى القلم كى ينظمها فى سلك الكتابة وبالله التوفيق ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وأنا اخترت هذاالموضوع- مع اعترافى بقلة علمى وهوانى فى التقاط الأسرار البلاغية والمزايا المعجزة – للوجوه الآتية:

- لا شك أن الأسرار الكامنة فى أهداب محتويات علم البيان كثيرة لايستطيع أحد أن يستوعبها وهى تهدى قارئها وسامعها إلى الاعتراف بأن كلام الله تعالى لامثل له فى العالم وهو الذى أحاط العلوم والأسرار والمحاسن والمزايا فيه وما استطاع أحد أن يواجه التحدى الذى جاءت فى صورة الإتيان بمثل القرآن ثم بمثل عشر سورمن القرآن وأخيرا بمثل سورة واحدة.

- لاشك أن البلاغيين والمفسرين قد عالجواهذه الظاهرة فنلاحظ أن العلامة الجرجانى[1] رحمه الله تعالى وأبوا الهلال العسكرى[2] والجاحظ[3] وأمثالهم رحمهم الله تعالى قد كتبوا فى البلاغة بطريقة جيدة من كل الوجوه وقد منحواالمفاتيح للباحثين للوصول إلى الدقائق والأسراروأن الزمخشرى[4] وأبوالسعود[5] وابن عاشور[6] وأمثالهم رحمهم الله تعالى قد كشفوا عن الأسرار الكامنة فى الأساليب القرآنية المتعلقة بهذاالمجال. ولكن كتب البلاغة للبلاغيين والمفسرين المذكورين وغيرهم كانت مثل المفاتيح للأشياء المخزونة فلأصحاب الحاجات أن يستخدموا هذه المفاتيح لاستخراج ما احتاجو إليه ولكن أين للباحثين المبتدئين من هذاالاستخراج فاضطروا إلى تفاسير العلماء البارزين مثل ما ذكروا ولكن معظم هذه التفاسير كانت مختصرة بل كانت إشارات على أنها قد شرحت البعض وسكتت عن البعض الآخر وليس فى وسع من كان علمه مثلى أن يستخرج المحاسن الكامنة فى هذه البحور فى شبكته العلمية فأردت أن أكشف عن هذه الرموز والأسرار وأضعها أمام قارئ كى أسهل له الطريق إلى الوصول إلى هذه المحاسن.

- وكنت منذالبداية ولعا بالبلاغة وأسبابها لاسيما بالبلاغة القرآنية التى وقف النبى صلى الله عليه وسلم فى موقف التحدى أمام الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذاالقرآن أو بمثل جزء منه فعجزوا واكتفوا بمؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين وبالقتال معهم الذى تسبب لموقع بدر وأحد وأحزاب وغيرها من الغزوات والسرايا ولو كانوايستطعيون أن يأتوا بمثل القرآن لما اضطروا إلى مثل هذه الأمور.

- وكنت أودأن أقترب من النصوص القرآنية فأتفكر فيها الليل والنهار فأبحث عن وجوه الإعجاز القرآنى وأتعب فيها مخى وقلبى فأتجول فى مجا ل الفكرهنا وهناك فأزور التصاوير المرسومة فى صور التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز العقلى والمجازالمرسل فأريح قلبى وروحى بظلها وأزيل التعب بالتمتع بفرائدها ومزاياها.

- قد كتبت فى البلاغة والنقد حول "ما الاستفهامية فى القرآن الكريم" كبحث ماجستير اللغة العربية وكنت أود أن أتقدم فى هذاالمجال فيكون موضوع بحثى فى إطار البلاغة.

- فبدأت أن أكتب فى هذاالموضوع كى أجد كل ما أردت أو بعضه فلوجئت بشيئ واحد من المزايا الكامنة فى الأساليب القرآنية الذى لم يأت به القدماء فتسبب لهداية القارئ أوالسامع لكفى لنجاتى يوم القيامة وما ذلك على الله بعزيز. ولاسهل إلا ماجعله سهلا فاللهم اجعل الصعب

سهلا.وأقول ما قاله العلامة مصطفى صادق الرافعى:"ولسنا نزعم- حفظك الله- أن كتابنا هذا على ضعفه وقلة الحشد فيه قد أحاط بوجوه الإعجاز من كتاب الله لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأنا لم ندع من ذلك لغيرنا مايرفعه أويضعه ما ينقصه أو يتمه فإن من ادعى ذلك زعم باطلا" [7] ولكن مع ذلك أقول كما قاله الشاعر[8] ثقة منى على القوة الله المسهلة للأمور الصعبة:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم يستطعه الأوائل.

خطة البحث:

وخطة بحثى تتلخص فيما يأتى:

قسمت هذاالبحث إلى مقدمة وخمسة أبواب وإلى خاتمة خاصة بالاستنتاجات التى تتضمن مرئيات الباحث التى تم التوصل إليها من خلال دراسة موضوع الإعجاز البيانى فى ضوء النصوص القرآنية. وقد جاء توزيع المحتويات على النحو الآتى:

ففى المقدمة التى أمامك أيها القارئ بينت وجه اختيار البحث وبيان خطة البحث والمشاكل التى واجهتها أثناء بحثى.

وفى الباب الأول مهدت الطريق إلى البحث أولا فى المدخل إلى البحث فبينت معنى البلاغة ومواقعها ومعنى الإعجاز ووجوهه وتعريف علم البيان ومحتوياته ودوره فى الإعجاز القرآنى.

ثم ألقيت نظرة سريعة على التشبيه معناه وأركانه وبلاغة أساليب التشبيه وتقسيمات التشبيه من اعتبارات مختلفة. ثم عقدت الباب على التشبيهات التى تأتى تحت التشبيه غير التمثيلى بكل أقسامها من البليغ وغير البليغ والحسى والعقلى وغيرها وشرحتها فى ضوء النصوص القرآنية، فاستخرجت المزايا والأسرار البلاغية. وقد ناقشت أكثر من قسم تحت دراسة آية واحدة لأن الآيات القرآنية تضم أكثر من قسم واحد لأن هذه الأقسام نتيجة للتقسيمات المختلفة وهى تجتمع فى نص واحد فيمكن أن يكون التشبيه مفردا وفى نفس الوقت يكون حسيا و بليغا لأنى لوكررت الآيات باختلاف الأقسام لأتعبت القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض.

وفى الباب الثانى أتيت على التشبيهات التى تأتى تحت التشبيه التمثيلى بكل أقسامها من البليغ وغير البليغ والحسى والعقلى وغيرها فناقشتها بنفس الطريقة، وشرحتها فى ضوء النصوص القرآنية، فاستخرجت المزايا والأسرار

البلاغية وأشرت إلى التصاوير المرسومة فى ظل هذه التشبيهات فبينت مزاياها وبلاغتها.

وفى الباب الثالث ألقيت نظرة سريعة على تعريف الاستعارة معناها وأركانها والفرق بينها وبين التشبيه'وبلاغة أساليب الاستعارة وتقسيمات الاستعارة باعتبارات مختلفة ثم عقدت الباب على الاستعارات التى تأتى تحت الاستعارة غير التمثيلية بكل أقسامها من الحسية والعقلية والترشيحية والتجريدية والمطلقة وما إلى ذلك وشرحتها فى ضوء النصوص القرآنية' فاستخرجت المزايا والأسرار البلاغية. وقد ناقشت أكثر من قسم تحت دراسة آية واحدة لأن الآيات القرآنية تضم أكثر من قسم واحد لأن هذه الأقسام نتيجة للتقسيمات المختلفة وهى تجتمع فى نص واحد فيمكن أن تكون الاستعارة غير التمثيلية وفى نفس الوقت تكون حسية وترشيحية'لأنى لوكررت الآيات باختلاف الأقسام لأتعبت القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض.

وفى الباب الرابع ناقشت الاستعارات التى تأتى تحت الاستعارة التمثيلية بكل أقسامها من الحسية والعقلية والترشيحية والتجريدية والمطلقة وما إلى ذلك وشرحتها فى ضوء النصوص القرآنية' واستخرجت المزايا والأسرار البلاغية. وقد عالجتها بنفس الطريقة التى اخترتها فى الباب الثالث فناقشت أكثر من قسم تحت دراسة آية واحدة.

وفى الباب الخامس ناقشت المجاز والكناية فناقشت قسمى المجاز وهما المرسل والعقلى وأما المستعار فقد ناقشته فى البابين الثالث والرابع. فعرفت هذه الألوان البيانية فى ضوء النصوص القرآنية وحاولت أن أزنيها بالنصوص القرآنية.

وفى الخاتمة بينت روح البحث الذى ثبت فى ذهنى أثناء بحثى فى هذاالموضوع وأردت أن أثبتها فى ذهن القارئ فإن كان صحيحا فمن الله تعالى وإن كان خطأ فمنسوب إلى عجزى وقلة علمى وأرجوالله تعالى أن يغفرسيئاتى وزلتى أثناء بحثى فإليه المشتكى وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

ولايخفى أن القرآن الكريم بحر لايُعرف قعره ولايُدرك جوانبه فمن المستحيل أن يأتى الغواص بكل مايتمناه بطريقة مرضية بل ربما ينسى فيترك شيئا مفروض الإتيان به وربما يأتى بشيئ لايُطلب وربما يأتى بشيئ يزعم أنها لؤلؤة ولكن سرعان ما ينكشف له أن ما زعمها لؤلؤة كانت حجرا. فمن المشاكل والصعوبات التى واجهتها أثناء البحث هو قلة علمى أمام هذاالبحرالمواج وازداد تحيرى لما صادفت بأقوال العباقرة واختلافهم فى تعيين وجوه الإعجاز

فأين علم المبتدئ من علم الغواصين الذين جعلوا بحر معرفة علوم القرآن لهم مسكنا والمناقشات حول هذه المواضيع لهم شغلا فهم يعيشون بها ويناقشونها ليلا ونهارا.

والمشكلة الثانية هى مشكلة توفر الوقت مع أن البحث العلمى يقتضى كل الوقت إذا أراد أن يعطى بعضا من العلم والمعرفة' خاصة إذا كان الموضوع متعلقا بشيئ غير محدود مثل القرآن الكريم فأنا لما التحقت بالجامعة القومية باللغات الحديثة كطالب الدكتوراة فى اللغة العربية وطلبت من وزارة التعليم الفيدرالية أن يمنحوالى رخصة دراسية لمدة عامين فرفضت واشترطت استمرارى فى الدراسة بعدم الخلل فى أعمالى التدريسية' ولايخفى أن الوقت الذهبى للدراسة والالتحاق بالمكتبات هو الوقت الذى كنت أقضيه فى الكلية فبعد أن أرجع من الكلية عاد إلىّ الكسل والتعب الذان لا يتركاننى أن أستمر فى العمل فآتى إلى البيت لبعض الوقت. فإذا خرجت من العملين العائقين صادفت أن عملة المكتبة تستعد الخروج من المكتبة.

والمشكلة الثالثة هى عدم توفرالكتب عندى فهناك كتب لاتوجد فى باكستان وإن وجدت بعضها فى إدارة البحوث الإسلامية فكنت أضيع معظم الوقت المتوفر لدى فى المناقشة مع الموظفين فى المكتبة فهناك عوائق وشروط لاستخدام الكتب' ومنها مشكلة الكرود لأن الباحث لايسمح له أن يأخذ كتابا من موضعه حتى يبحث عنه فى قسم الكرود فإن لم يجد فليس له إلا أن يعود خائبا وإن وجده فازبذلك الكتاب المخصوص مع أن الباحث يحتاج إلى أكثرمن كتاب فى وقت واحد فيأخذالآراء من هناوهناك ويوازنها مع الآراء الأخر.

والمشكلة الرابعة هى الأحوال المتعلقة بالأسرة ولا أنسى حتى الآن الساعة التى أظهرت لى نتيجة بيابسى biopsy أن ابنى الكبيرولى الله قد ابتلى بمرض السرطان التى تسببت لعملية الجراحة فى معهد باكستان للعلوم الطبية.P.I.M.S وكل هذا كان أثناء امتحانه لشهادة الثانوية الخاصة فى علوم الهندسة F-Sc pre-engineering ومكثنا فى حالة بين الموت والحياة واليأس والحرمان لمدة شهر كامل حتى أظهرت نتيجة بيابسى بعد هذه العملية أن النتيجة السابقة كانت خاطئة وليس هناك أثر السرطان فعدنا إلى الدنيا وخدعتها مرة أخرى ولكن آثار النتيجة الأولى ما زالت موجودة فى أذهاننا. فهذه المشكلة أعاقتنى لوقت كثير عن البحث لأنه ما بقى فى ذهنى من أهمية الأمور الدنيوية فى وسط هذا الخيب والحرمان.

وهناك كثير من المشاكل التى لايستحسن أن تذكر أمام أحد لأنها لاتعد مشاكل ولكنها إذااجتمعت وأغارت على أحد مثلى لصارت كبيرة ولكن هذه مشكلة كبرى إذا لم تُعد المشكلة مشكلة فتعرض للتسهيل. ولكن المحاط بالمشاكل

إذا نجا من المشاكل وأتى بمرغوبه فهو ينسى أنه اجتاز من المشاكل إلى جانبها فتطرق إلى هدفه وحصل عليه. فبحمد الله تعالى تخلصت من الطوفان إلى الشاطئ ووصلت إلى الهدف الذى كنت أريده. وقد أعاننى فى التخلص من هذه المشاكل الأشياء الآتية:

لايخفى على أى احد أن الله تعالى هو مالك الكون بيده مفاتيح كل شيئ وهو الذى أزال العوائق التى كانت أمامى فأعطانى بعد الخوف أمنا وجعل المشرف والأصدقاء والأسرة يساعدوننى فى هذاالمأزق.فشكرا له على توفيقه إياى لاختيار هذاالبحث ثم على إزالة المصاعب والمصائب وعلى كل ما يذهب إلى إكما ل بحثى ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم

ثم نصح المشرف السيد الدكتور ضياء الحق أطال الله بقاءه لطلاب العلم سهلت صعبى فى هذاالمجال فهو قدم الحقائق الدنيوية ومصائبها أمام عينى التى رأيت فيها الأزهار التى كانت وسط الأشواك العائقة عن الوصول إلى تلك الأزهار ومنحنى من أوقاته الذهبية فحلاّنى بإرشاداته الموصلة إلى سبيل الرشاد فأخذت القلم وسلمت القراطيس نفسها لجرى القلم على صدرها فخرجت من ضيق الدنيا إلى سعتها ورأيت أن البحور التى كانت تتراآى قطرات أمام أعيننا كانت خدعة أعيننا فكانت بحورا بل أكثر من ذلك. فرأينا أن فى ذكر التشبيه إعجاز وفى تركه إعجاز وفى المبالغة إعجاز وفى تركه إعجاز وفى التوكيد إعجاز وفى تركه إعجاز وفى الاستعارة إعجاز وفى تركه إعجاز وهكذا فى الكناية والمجاز إعجاز فى ذكره وتركه' لأن القرآن الكريم قد أتى بالأشياء مطابقا لمقتضى الحال ونرى تفصيل هذه الأشياء فى الدراسة التطبيقية إن شاء الله تعالى.

وأما بالنسبة إلى مشكلة توفر الكتب فأرشدنى صديقى الدكتور إكرام الحق-الذى كان زميلى فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد فى ماجستير اللغة العربية – إلى المساعدة بالحاسوب الآلى الذى جعلنى آخذ بوسيلة الشبكة كل ما أريده من الكتب التى لم تكن متوفرة عندى فأصل إلى ما فى البلدان الأخرى فى وقت قليل وبكل سهولة. فقد سهل لى كثيراممما أعده صعبة.

ولا أكون منصفا لونسيت تشجيع أسرتى فى هذاالمجال فتحملواالمشاق من أجل بحثى بطيب النفس فجعلت البحث هدفا وحيدالى دون أن أنظر هنا وهناك. وهذاالتضاحى جعلنى أن لاأنصرف من نور الإعجاز إلى ظلمات الدنيا' فمكثت فى هذالنورلمدة طويلة حتى خرجت منه ومعى نورمنه.

البـــاب الأول

ظاهرة التشبيه غير التمثيل فى ضوء النصوص القرآينة

المدخل إلى البحث:تعريف البلاغة ومحتوياتها:

موضوع بحثى هو الإعجاز البيانى فى ضوء النصوص القرآنية' وهو يتكون من ثلاثة أجزاء وهى : الإعجاز ومحتويات علم البيان من حيث التعريف والأسرار البلاغية وما إلى ذلك ثم تطبيق هذه المحتويات على النصوص القرآنية من حيث التعريف واستخراج الأسرار البلاغية.وبما أن كل هذه الأشياء تتعلق بالبلاغة فهى جزء رابع لهذاالبحث. ولايخفى أن الهدف الأساسى من هذاالبحث هو استخراج الأسرار البلاغية التى بها تحد ى القرآن كافة الخلق من الإنس والجن فعجزوا عن الإتيان بمثله. فسأبذل معظم جهدى للوصول إلى هذاالهدف فأطيل كلامى حول التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلى والكناية فأعرفها وأبحث عن الأسرار البلاغية الموجودة فى النصوص القرآنية.

وقبل التطرق إلى هذا الهدف سأعرِّف البلاغة و محتوياتها والإعجاز ووجوهه والبيان ومحتوياته' كى يسهل لنا الطريق إلى هدفنا الأساسى فأقول وبالله التوفيق. إن البلاغة: فى اللغة مأخوذة من بلغ يبلغ من باب نصر ينصر معناه الوصول إلى الانتهاء قال ابن منظور[9]:"بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً وصَلَ وانْتَهَى وأبْلَغَه هو إبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً "[10] وأما فى تعيين مفهوم البلاغة من حيث اصطلاح البلاغيين فأقوال ولكن مآل الكل واحد فهذه الحدود ليست حدودا فى الحقيقة بل هى ترسم الصورة التى تكون المعنى العام للبلاغة. فقيل: يكفي من حظِّ البلاغة أن لا يُؤتَى السَّامعُ من سوء إفهام النَّاطق، ولا يُؤتَى النَّاطقُ من سوء فهم السَّامع، وقيل:معرفة الفَصْل من الوصل، وقيل : تصحيح الأقسام، واختيار الكَلام، وقيل : حسن الاقتضاب عند البداهة، والغَزارة يَوْمَ الإطالة، وقيل: وضُوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وقيل: جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم وقد فصل قوله فقال: ومن البصر بالحُجة، والمعرفِة بمواضع الفُرصة، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً، وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ في الدَّرَك، وأحقَّ بالظَّفَروقيل: جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع، والمعرفةُ بساعات القول، وقلة الخَرَق بما التبَسَ من المعاني أو غَمُضَ، وبما

شَرَد عليك من اللّفْظُ أو تعدّر وإكمال هذاالقول أن قيل:إن زَين ذلك كلّه، وبهاؤُه وحلاوتهُ وسناؤُه، أن تكون الشّمائلُ موزونةً، والألفاظُ معدَّلةً، واللّهجة نقيَّة، فإنْ جامَعَ ذلك السنُّ والسمتُ والجمال وطولُ الصَّمت، فقد تَمَّ كلَّ التمام، وكمل كلَّ الكمال ونرى أن كل هذه الأقاويل لاتخرج عن كون الكلام مطابقا لمقتضى الحال. [11]

ففى اصطلاح البلاغيين تنقسم إلى بلاغة المتكلم والكلام أما بلاغة المتكلم فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.فيبلغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها.[12] وأما بلاغة الكلام فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف وهو الذى يقتضى اختلاف الكلام فحال يقتضى التنكيروالآخر يقتضى التعريف، وحال يقتضى الإطلاق والآخر يقتضى التقييد، وهكذا مقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.[13] والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني،فلا بد أن تكون الكلمات المشتملة فى الكلام البليغ فصيحة ويكون الكلام جيدا باعتبار المعنى كما هو معروف فى كتب البلاغة. فهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسانٍ حيوانٌ، وليس كل حيوان إنساناً، وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغاً.[14] فالفرق بين الفصاحة والبلاغة، أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ولذا لا يقال في كلمة واحدة أو أكثر من واحدة التى لا تدل على معنى مع كونها تفضل عن مثلها بليغة، بل يقال فيها إنها فصيحة.[15]

وعلم البلاغة من العلوم التى لاينكر فضائلها ولاينسى مناقبها فهو علم يضيئ الأذهان بضوئه المتلألئ ويؤ ثر الناس بأسراره النيرة قال أبوالهلال العسكرى فى كتابه:

> وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها[16]

و قال الأبشيهى[17]: " وقالوا: البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يسلك إلا ببصائر البيان" [18]. فهذاالعلم يميزالجيد من الرديئ والأفضل من المفضول والحسن من القبيح وهو يعلمنا أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة بعضها أولى من بعض فالعارف بهذاالعلم يلتقط الأساليب الجيدة ويترك ما ليست جيدة وهو يعلم إطلاق القول مطابقا لمقتضى الحال.

ولايقل فضلا لبلاغة البلاغة أنها تعين على فهم الأسرار والدقائق التى كمنت فى اللغة ولايعرف من بادئ الوجه وبالتالى فالخبير بعلم البلاغة يصل إلى المشاعير والأحاسيس التى هى وراء الكلمات والكلام التى لاترى أمام السامع والقارئ ولكنها تفهم بدقة النظر والفكر.ومن هنا فهى زريعة لكشف الأستار للمزايا والمحاسن القرآنية فالفاهم بدقائق اللغة ورموزها يتطرق إلى الإعجاز القرآنى الذى بذل العلماء جهودهم فى الكشف عن وجوهه. وهو يعرف أن القرآن الكريم كتاب منزل من الله تعالى وهو كنز لاينفد محاسنه ومزاياه وهو بحر لايعرف له الشواطئ.

وأما الإعجاز فهو من باب الإفعال وكلمة الإعجاز تعنى جعل الغير عاجزا قال الخليل ابن أحمد الفراهيدى[19]:"أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه".[20] ومعنى إعجاز القرآن أن الله تعالى جعل القرآن الكريم معجزة خالدة إلى يوم القيامة لإثبات حقانية القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فتحدى العالم من الإنس والجن فقال تعالى:"أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" [21] وهذا التحدى كان بإتيان مثل القرآن كله فى الكيفية والكمية ولكنهم عجزوا عن الإتيان بمثله فتحدى بعشر سورمفتريات فقال تعالى:" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [22] و لكن أين الخلق من كتاب الخالق فما أتى أحد بشيئ يقدم فى مقابلة القرآن فتحدى بإتيان سورة من مثله فقال تعالى:" وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[23] ولكنهم عجزوا من كل الوجوه وهذاالإعجاز كان من قِبَل القرآن فالقرآن هو الذى أعجز الخلق كله عن الإتيان بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. قال العلامة الزركشى رحمه الله تعالى[24]:

> فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[25] فقد ثبت أنه تحداهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الأولين كل ذلك من التحير والانقطاع[26]

فالقرآن الكريم هوالكلام المعجز الذى بقى إعجازه إلى الأبد فلم يستطع أحد من أصحاب الفضل والكمال أن يأتوا بمثل هذاالقرآن ولايستطيع أحد الآن ولن يستطيع فى المستقبل أحد من الناس. قال العلامة الشعراوى رحمه الله تعالى:

> ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم معجزة عقلية باقية خالدة..يستطيع كل واحد أن يقول محمد رسول الله..وهذه معجزة وهي القرآن...شئ آخر إذا نظرنا الى المعجزات السابقة..وجدنا هذه المعجزات فعل من أفعال الله..وفعل الله من الممكن أن ينتهى بعد أن يفعله الله، البحر انشق لموسى ثم عاد الى طبيعته...النار لم تحرق ابراهيم ولكنها عادت الى خاصيتها بعد ذلك ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم صفة من صفات الله..وهي كلامه..والفعل باق بابقاء الفاعل له..والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه[27]

وقد جاء العلماء بآراء مختلفة فى الوجوه التى جعلت القرآن الكريم معجزا إلى يوم القيامة وسأذكرها فى يلى بالاختصارالشديد فهى ما يلى:

من هذه الأقوال قول الصرفة معناه أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان من الممكن لهم أن يعارضواالقرآن ولكن الله تعالى سلب صلاحيتهم فصرفهم عن المعارضة فشأن هذاالإعجاز مثل سائر المعجزات التى تعطى للأنبياء. ولكن هذاالقول فاسد للوجوه الآتية:

منها أن الله تعالى تحدى بقوله:" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [28] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم لأن الله تعالى لو سلبهم القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لأن اجتماعهم فى صورة عدم قدرتهم مثل اجتماع الموتى ففيه تعجيز للموتى وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره.

ومنها أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن وفى القول بالصرفة يضاف الإعجاز إلى الله تعالى بأنه أعجز الناس كافة عن معارضة وهذاالإعجاز غير راجع إلى القرآن الكريم ولا إلى حسنه وإلى مزاياه وهذاالقول مردود.

ومنها أنه يلزم من القول بالصرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي لأن الصرف كان راجعا إلى الناس الذين كانوا موجودين فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. فإذاانتقلوا من هذه الدنيا انتهى الصرف فلم يبق الإعجاز القرآنى وفي ذلك خرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة

الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة.

ومنها أن من وجوه كون القرآن معجزا هو أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى فالإعجاز راجع إلى حسن الكلمات وحسن التركيب بعضها مع بعض وحسن المعانى الموجودة فى مركباتها.

ومنها أن الإعجاز فى ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: "قل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيما" [29]وقوله تعالى في أهل بدر "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[30] ففى هاتين الآيتين أخبر الله تعالى عن الأمور المغيبة فى أستار المستقبل والإخبار عن مثل هذه الأمور لا يمكن فى كلام الناس لأن هذا موقوف على علم غيب المستقبل ولايعلم الغيب إلا الله تعالى.

ومنها أن الإعجاز فى ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال:" تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" [31] ورد القول الثالث والرابع بأن الآيات القرآينة التى لاتتضمن الغيب وإخبار المتقدمين خارجة عن حد الإعجاز اللهم إلا أن يقال أن كلام الله تعالى مثل الوحدة الواحدة فإذا ثبت الإعجاز فى بعضها ثبت فى الكل.

ومنها أن الإعجاز فى إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله تعالى:" إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" [32] ففى هذه الآية أخبر الله تعالى عن حالة الطائفتين اللتين أرادواالرجوع عن ميدان القتال.وقوله تعالى:" وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ" [33] ففى هذه الآية بين الله تعالى الحالة النفسية للمسلمين الذين كانوا يريدون أن يقابلوا الطائفة غير ذات الشوكة وهى الطائفة التجارية التى كانت تحت قيادة أبى سفيان الراجعة إلى المكة المكرمة وكانت غير مدججة بالسلاح.

ومنها أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول

ومعلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه.

ومنهاأن وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب وغير ذلك مقترنا بالتحدي.

ومنها أن الإعجاز فى ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم فكان العرب كانوا معتادين أن يقدموا شعرا أو نثرا فلما جاء القرآن اكتشفوا أنه ليس بشعر ولا نثر مثل النثرالمعتاد عندهم.

ومنها أنه شيء يوجد بالحس والذوق ولكن لا يمكن التعبير عنه وهو اختيار السكاكي[34] حيث قال في المفتاح:

> واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو ليس إلا الذوق ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، نعم للبلاغة وجوه ملتئمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلي عليك. أما نفس وجه الإعجاز فلا [35]

ومنها أن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه .

ومنهاأن لإعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ فى آحادهم وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ومن الروعة والمهابة فى حال أخرى ما يخلص منه إليه وقد بين الله تعالى هذه الحقيقة فى قوله تعالى :"لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [36] وقوله تعالى:"اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" [37]

فأمامنا قصة إسلام عمررضى الله تعالى لما سمع سورة طه وهذايدل على كمال أثر القرآن فى القلوب حتى فى قلوب الذين كانوا أرادواقتل النبى صلى الله عليه وسلم.

ومنها وهو قول أهل التحقيق إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التى له فى قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين ثم إن سامعه إن كان مؤمنا به بداخله روعة فى أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد فى قلبه هشاشة إليه ومحبة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا وعيا لا نقطاع مادته بحسن سمعه ' على أن هذه الوجوه قد علمت بتتبع العلماء وتتبعهم يتوقف على علمهم المحدود فهناك وجوه كثيرة التى لم يتوجه إليها أحد منها. فهذه دلالات على الشيئ المحسوس المذوق الذى لايستطيع أحد أن يبينه على وجه التحقيق كما أشرت إليه فى القول التاسع. [38]

وكما أشار إليه العلامة الزركشى رحمه الله تعالى فقال:

> اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق والجلى والأجلى والعلى والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة ودقيقة الشفتين نقية الشعر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأملح ولا يدرى لأي سبب كان ذلك لكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو أو باللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لاتنقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وأرضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغى أن يرجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض[39]

وقد عدَّ الشاه ولى الله[40] رحمه الله تعالى من وجوه الإعجاز التلون فى أنواع المخاصمة مع الفرق الباطلة حسب مناسبته مع السورة التى وقعت فيها فقال

> إن سألوا عن إعجاز القرآن : من أى وجه هو؟ قلنا : المحقق عندنا أنه لوجوه كثيرة: منها الأسلوب البديع.... وأيضا نعلم من الغرابة فيه أنه يلبس المعانى من أنواع التذكير والمخاصمة فى كل موضع لباسا يناسب أسلوب السورة ' وتقصر يد المتطاول عن ذيله وإن كان أحد لا يفهم هذاالكلام ' فليتأمل إيراد قصص الأنبياء فى سورة " الأعراف" و" هود " و " الشعراء " ثم لينظر تلك القصص فى " الصافات" ثم فى " الذاريات " ليظهر له الفرق ' وكذلك ذكر تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين ' فإنه يذكر فى كل مقام بأسلوب جديد ' ويذكر مخاصمة أهل النار فى كل مقام بصورة على حدة ' والكلام فى هذا يطول. وأيضا نعلم أنه لايتصوررعاية مقتضى المقام الذى تفصيله فى فن المعانى والاستعارات والكنايات التى تكفل بها فن البيان مع رعاية حال المخاطبين الأميين الذين لايعرفون هذه الصناعات أحسن مما يوجد فى القرآن العظيم ' فإن المطلوب ههنا أن يذكر فى المخاطبات المعروفة التى يعرفها كل من الناس نكتة رائقة للعامة مرضية عند الخاصة[41]

فخرج من هذا كله أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان لطريق عبادته فى تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شئ منها موضعه الذى لا يرى شئ أولى منه ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه' ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومناقضته فى شكله واضطرواإلى الإعتراف بأنه ليس قول البشر. ثم اعلم أن عمود البلاغة التى تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذى إذا

أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذى يفسد به الكلام إو إهاب الرونق الذى تسقط به البلاغة.

وأنتهى من بيان الإعجاز بما قاله العلامة الثعالبى[42] رحمه الله تعالى:

> من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام فمن ذلك قوله عزّ ذكره: " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار. وذلك لو أن إنساناً أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة.[43]

والآن أشرح الجزء الأخير فى التطرق إلى صميم الموضوع وهو البيان. فالبيان فى اللغة من بان يبين بمعنى الإفصاح قال ابن منظور[44]:" والبَيانُ الفصاحة واللَّسَن وكلامٌ بيِّن فَصيح والبَيان الإفصاح مع ذكاء والبَيِّن من الرجال الفصيح" [45] وأما فى اصطلاح البلاغيين فهو "فن يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" [46]

وإذا أردنا محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان فهذه الزيادة أو النقصان غير ممكن بالدلالات الوضعية فإنك إذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فلايخلو من صورتين إما أن يكون السامع عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح وإن لم يكن عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات فلم يفهم شيئاً أصلا وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية وهى الدلالة التضمنية والالتزامية.[47]

وبما أن علم البيان ينحصر جمال محتوياته على الدلالة بعضها تطابقية وبعضها تضمنية وبعضها التزامية فلابد أن نشرح أولا أقسام الدلالة. فأقول إن الدلالة على ثلاثة أقسام وهى تطابقية وتضمنية والتزامية.

أما الدلالة التطابقية هى أن يدل اللفظ الموضوع على ما وضع له من غير زيادة ولانقصان بحكم الوضع وتسمى أيضا دلالة وضعية كدلالة كلمة الأسد على الحيوان المفترس المخصوص.

وأما الدلالة التضمنية فهى دلالة اللفظ الموضوع على جزء ما وضع له كدلالة الأصابع على الأنامل فى قوله تعالى:" جعلواأصابعهم فى آذانهم". فالأنامل جزء من الأصابع.

وأما الدلالة الالتزامية فهى دلالة اللفظ الموضوع على الخارج من المعنى الموضوع اللازم له كدلالة الأسد على الإنسان الشجاع. فالإنسان خارج عن معنى الأسد ولكنه لازم له للشجاعة. والدلالة التطابقية هى الدلالة الوضعية وأما التضمنية والالتزامية فعقلية. قال العلامة القزوينى [48] رحمه الله تعالى:

> ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره، والثاني إما داخل في الأول دخول السقف في مفهوم البيت، أو الحيوان في مفهوم الإنسان، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان، وتسمى الأولى دلالة وضعية، وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية، وتختص الأولى بدلالة المطابقة والثانية بالتضمن، والثالثة بدلالة الالتزام[49]

وفى الأخير نناقش دور علم البيان فى الإعجاز القرآنى' ولاشك أن دور علم البيان أهم فى الإعجاز القرآنى لأنه من أسمى علوم اللغة العربية وبه تتفاوت درجات البلاغة مع مطابقة تلك الدرجات مع مقتضى الحال فليس أى أسلوب حسن أو أحسن إذاانقطع من السياق والمقام بل حسن الأسلوب ومزيته باعتبار المقام. فالقرآن الكريم قداستخدم من أساليب بيانية التى عجزت الجن والإنس عن المعارضة' وهذه الأساليب كما سنشرحها تفصيليا إن شاء الله تعالى تشبيه واستعارة ومجاز مرسل ومجاز عقلى وكناية ولايخفى أن لهذه الأساليب دورمهم فى ازدياد حسن الكلام ووصوله إلى أعلى مراتب البلاغة.

ففى اسلوب التشبيه يحصل الأنس للنفس لأن هذه الأساليب تخرج الأشيآء الخفية من الخفاء إلى الظهورو تبدل الأشيآء غير المألوفة فى صورها المألوفة والأشيآء المعقولة فى صورها المحسوسة فتكون النفس مأنوسة معها فأحيانا نحن نعبر عن المعنى بعبا رة نؤديه ونبا لغ فيه بأسلوب عادى ولكن السامع لا يستأنس معه استيناسه مع أسلوب التشبيه.وهكذا التشبيه يولّد من المبالغة ما لا يولّد ها الأسلوب العادى.والمبالغة تترك اثرابارزا فى قلب السامع' وهكذاالتشبيه يوضِّح المعانى لأن الشيء الخفى إذا شبه بالشيء الجلى يتبين ولتبيين الحقائق أثرفى نفس السامع ويجعل القرآن يسيرا للذكرولذا أعلن الله تعالى ولقديسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر.وهكذا يولد التشبيه من الإيجاز لأن الأشيآء الكثيرة التى تتعلق بالمشبه به ويعرفها المخاطب تُترك ذكرها لأنه لا داعى إلى إعادة الأشيآ ء التى هى معلومة لدى المخاطب خاصة فى التشبيهات التمثيلية التى تصور المواقف. فالشيخ عبد القا هر الجرجانى حينما عدّ مناقب الاستعارة قال:

> ومن خصائصها التى تذكر بها وهى عنوان منا قبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد

أنواعا من الثمر"[50] وفى الإيجازدفع المخاطب إلى التفكيرلأن الإيجاز يحتاج إلى قوة التركيز ويحتا ج من المخاطب وعيا كبيرا و وقتا كثيرا وهو يجعل المخاطب يغوص فى بحر المعرفة كى يأتى بالدرر التى تختفى فى تلك الألفا ظ القليلة وأثناء بحث هذه الدرر الكامنة يجد من اللذة ما لا يسا ويها من اللذات الدنيوية.[51]

وهكذا فيه التلذ ذ ففى أسلوب التشبيه تشويق للسامع وتولّد التلذذ فى قلبه لأن فى الأسلوب العاد ى مهما كان فيه من البلا غة فلا يتجاوز من المجا ل الذى هيّئ له وأما فى أسلوب التشبيه فلا يحدّ مجال فكره فيجرى فيه المخاطب ويجنى من هنا و هناك ولا يقف فكره أمام حد فيتلذذ به. ومنها قبول النفس للحقيقة التى تلقى إليه لأنه يرى كل شيئ فى صورة مشاهدة فهو لايقف على المتكلم بل يشاهد الصورة أمامه ويلتقط منها مرامه بنفسه.

وأما فى أسلوب الاستعارة ففيها اتضاح غير الواضح لأن فيها تكون استعارة الكلمة من الشيئ المعروف بتلك المعنى إلى الشيئ غير المعروف به فهو يلحق الشيئ الذى لايعرفه إلى الشيئ الذى يعرفه فيعرف ذلك الشيئ المجهول بسهولة وسرعة. وفيهاتقديم الأشياء العقلية فى صورة الأشياء الحسية كما ذكرنا فى التشبيه وهكذا فى الاستعارة من المبالغة ما ليس فى الكلام العادى كما فى قوله تعالى:" واشتعل الرأس شيبا" وأصل الكلام أن يقال واشتعل شيب الرأس وإنما قلب للمبالغة لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم ولا يخفى أنه أبلغ من قولك كثر الشيب في الرأس. وهكذا فى الاستعارة من التأثير ما ليس فى غير الاستعارة من الكلام العادى. وأكثر من هذا كله أن فيها من دعوى الاتحاد بين المستعار له والمستعارمنه بطريق أتم وقد درسنا فى التشبيه أن فى التشبيه البليغ مبالغة لدعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ولكن ذلك الاتحاد ما كان إلى درجة أن يطوى ذكر المشبه على الاطلاق بل سماه أولا ثم أطلق عليه اسم المشبه به وهذايدل على ان ذكر المشبه ملحوظ فيه' وأما فى الاستعارة فلا يكون ملحوظا فكأن المستعارمنه شيئ والمستعارله شيئ آخر.

وأما فى المجاز المرسل فمبالغة كما فى إطلاق الكل على الجزء الذى يرشح شدة الحرص فى شيئ. وهو يبين الحالة النفسية من القلق والاضطراب. وهكذا فيه الحث على التفكير فى الأمور بنفسه وهو يتسبب التقدم فى معرفة الأمور .وهكذا فيه توبيخ فى بعض الصور التى سندرسها فى الدراسة التطبيقية إن شاء الله تعالى. ونلاحظ أن فى عكس هذه الصورة أى إطلاق الجزء على الكل إشارة إلى شرافة ذلك الجزء الخاص كما فى إطلاق الوجه على كل الجسم. وهكذا فى هذاالأسلوب من الإيجاز ماليس فى الكلام العادى وبه يتضاعف حسن

القرآن الكريم. ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من الافتنان فى التعبير ' فهو تعبير غير التعبير العادى وبه يأتى التوسع فى اللغة أيضا لأن فيه تعبيرات مختلفة عن المعنى الواحد. وهذا التعبير يؤثر المخاطب فهو يحث على فعل العمل الذى عالجه هذاالأسلوب مع ما فى هذاالأسلوب من المعانى المترشحة مما ذكرنا.

وأما فى المجاز العقلى ففى النسبة إلى غير ما صدر منه الفعل إشارة إلى أن للمحكوم له أثر عظيم فى الشيئ الذى أسند إليه الفعل وهكذا فى إسناد الفعل إلى غير ما هو منه مبالغة كما نرى الإسناد إلى الزمان فى قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" [52] و هكذا فى أسلوب المجاز العقلى شدة الاهتمام بالفعل المنسوب.كما سنبينه فى موضعه إن شاء الله تعالى. وأيضا فى هذاالإسناد إشارة إلى تعظيم شأن المحكوم له كما فى قوله تعالى:"خافضة رافعة"[53] فإسناد الخفض والرفع إلى القيامة مجاز عقلى لأن الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى وكثيرا من المزاياالتى جعلت القرآن الكريم فى قمة من الفصاحة والبلاغة.

وأما فى الكناية فهى طريق من طرق الفرار عن الفحش فى الكلام كما يأتى فى كنايات الجماع إن شاء الله تعالى. وفيها إثبات الصفة بالدليل كما فى"فلان كثير الرماد" إثبات كرمه بالدليل لأن كثرة الرماد تدل على كثرة الطبخ وهى على كثرة الضيوف وهى على الكرم. وللكناية أثر فى نفس السامع ماليس للإفصاح. ولذا يقال إن الكناية أبلغ من التصريح وفيها إيجاز فتثبت الأهداف العظيمة بألفاظ قليلة. وفى الكناية من مبالغة فى إثبات الصفة ما ليس فى الإفصاح. وفيها تقدم المعانى المجردة فى صورة الأشياء المحسوسة فهى تجعل المخاطب أن يرى الصور المرسومة أمامه ولاشك أن الصور أكثرفهما من المعانى المجردة وهى لاتحتاج إلى الخوض الكثير فى التفكر للفهم بل يفهم المشاهد بكل سهولة.

فعلم من هذه السطور وهى قدمت الصورة العامة لبلاغة محتويات علم البيان أن علم البيان له دور أهم فى جعل القرآن الكريم معجزا إلى يوم القيامة. ومن الدراسة التطبيقية لهذه المحتويات سنزدادا علما بأهمية هذاالعلم فى الإعجاز القرآنى إن شاء الله تعالى.

***

ظاهرة التشبيه غير التمثيل

الصورة الموجزة للتشبيه:

التشبيه من أهم موضوعات علم البيان وهو أسلوب يوجد فى كلام العرب بكثرة فنجده فى شعر هم ونثرهم فقد استخدموه فى كلامهم بطرق مختلفة وزيّنوه به. لأنه" يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحدٌ منهم عنه.وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كلّ جيل ما يستدلُّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان."[54]

وقد أكثر القرآن الكريم استخدامه فأحسن استخدامه وهو أسلوب يخرج الأشيآء الخفية إلى منصة الظهور ويبدّ ل الأشيآء المعقولة فى الأشيآء المحسوسة وهو زريعة لتفهيم المخاطب تفهيما جيدا فيدنى له الأشيآء البعيدة ويشرح له المنا ظر الصعب فهمها.قال أبو السعود[55]:

> فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع ثورة الجامح الأبي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وأبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشى فى هيئة المألوف [56]

ومما لا شك فيه أن أسلوب التشبيه يكسب للمعنى مبا لغة ما يفقده الأسلوب العام فمثلا إذا أردنا أن نصف زيدا بالشجاعة نشبهه بالأسد فالمخاطب يفهم أنه وصل فى الشجاعةإلى أقصى حد لأن الأسد معروف بهذاالوصف بطريق المبالغة.ومن مزية هذاالأسلوب أن المتكلم يكتفى بنص قليل للمعنى الكثيرفإنه لو أراد أن يصف زيدا بالشجاعة بالأسلوب العادى لأطال فى الكلام ومع ذالك عجز عن المرام.و أما فى أسلوب التشبيه فنحصل أكثر ممّا نحصله فى الأسلوب العادى بألفاظ قليلة.

معنى التشبيه لغة واصطلاحا:

أما معناه لغة فهو مأخوذ من مادة"شبه "قال ابن المنظور[57]:"(شبه) الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أشْباهٌ وأشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله...وشَبَّهه إياه وشَبَّهَه به مثّله... وتَشَبَّهَ فلانٌ بكذا والتَّشْبِيهُ التمثيل..." [58] وقال صاحب القاموس المحيط:"الشِّبْهُ بالكسر والتَّحْريكِ وكأمِيرٍ : المِثْلُ ج : أشْباهُ ...وشَبَّهَهُ إيَّاهُ و به تَشْبيهاً : مَثَّلَهُ" .[59]

فمعنى "شبه "بكسرالشين وسكون الباء أو بفتح الشين والباءالمثل وبما أن كلمة التشبيه من باب التفعيل فمعناه تمثيل الشيء بالشيء فيقال شبهت العلم بالنور أى مثلته به.

وأما معناه اصطلا حا:فقد اختلف العلماء فى تعريفه فقال السيوطى[60] رحمه الله:

> وعرفه جماعة منهم السكاكي بأنه الدلالة على مشاركة أمرلأمر في معنى.وقال ابن أبي الإصبع[61] هو أخراج الأغمض إلى الأظهر.وقال غيره هوإلحاق شيء بذي وصف في وصفه وقال بعضهم هو أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي وإدناء البعيد من القريب ليفيد بيانا.وقيل الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار[62]

ولكنا إذا أمعنّا النظرفى هذه التعريفات المختلفة نرى أنه ليس هناك فرق كبير فى مفهوم هذه التعريفات لأنه إذاشبه الشىء بالشىء اشترك معه فى وصف من الأوصاف ففى قول القائل:"زيد كالأسد" يشترك زيد مع الأسد فى وصف الشجاعة وهذا كما عرّفه السكّاكى وغيره ويخرج من الغموض إلى الظهورلأن وصف الشجاعة ظا هر فى أسد وغامض فى زيد وهذا كما عرّفه ابن أبى الإصبع وثبت للمشبه وصف من أوصاف المشبه به وهذا كما قال البعض.

ولابد أن نعرف أن المشا بهة بين المشبه والمشبه به لا تكو ن من كل الوجوه بل تكون المشا بهة من وجه والمفارقة من وجه آخرفقد يكونان مشتركين فى الحقيقة ومختلفين فى الوصف كما إذا شبه الإنسان الطويل با لإنسا ن القصير فإ نهما مشتركان فى الحقيقة لإنهما إنسا نا ن ولكنهما مختلفان فى وصف الطول والقصر وقد يكونان مشتركين فى الوصف ومختلفين فى الحقيقة كما إ ذا شبه الرجل الطويل بالشجر الطويل فإ نهما مشتركان فى وصف الطول ولكنهما مختلفان فى الحقيقة لأن أحدهما إنسان والآخر شجر.ولا يمكن أن يرتفع الإختلاف من كل الوجوه لأن ارتفاع الاختلاف من كل الوجوه يأبى التعدد فيبطل التشبيه وإلافهو كتشبيه الشيئ بنفسه وهو لايجوز لأنه لايفيد شيئا.كماإذاقيل "زيد كزيد" فهو لا يفيد المخاطب شيئا.[63]

وقال أبو هلال العسكرى [64]مبينا لهذه الحقيقة فى كتا به الصنا عتين:

> ويصحّ تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد، مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر، وإن لم يكن مثلهما

في ضيائهما وعلوّهما ولا عظمهما، وإنما شبّهه بهما لمعنىً يجمعهما وإياه وهو الحسن. وعلى هذا قول الله عز وجلّ: " وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام "[65] ، إنما شبّه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو.[66]

أركان التشبيـه

أركا ن التشبيه أربعة وهى المشبه به والمشبه وأدوات التشبيه ووجه الشبه فإذا قلنا:زيد كالأسد فكلمة زيد مشبّه و كلمة أسد مشبه به أما أداة التشبيه فهو الكاف ووجه الشبه هو الشجاعة.فا لمشبه به هو الشيء الذى يُلحق به شيء آخركى يتصف ذلك الشيء الآخر بالوصف الذى يكون واضحا فى هذالشيء فى معظم الأحيان وأنا قيد ت بمعظم الأحيان لأنه قد يكون واضحا فى الأمر الملتحق فهو يلتحق به لا للاتضاح بل لو جه بلاغى آخر'كما فى التشبيه المقلوب فالمشبه لايلتحق بالمشبه به كى يتضح ولكن لوجه بلا غى آخر أو وجوه بلاغية أخرى كما سنناقشه فى موضعه إن شاءالله تعالى.والمشبه هو الشيءالذى يُلحق بشيء آخر لاشتراك الوصف الذى يكون قويّا فى ذالك الشيء الآخرفى معظم الأحيان والتقييد كما قلت.

وأداة التشبيه هى الكلمةالتى تذكر فى أسلوب التشبيه للربط بين المشبه والمشبه به ولكنه ليس من الضرورى أن تذكر هذه الأداة دائمافإنها تُذكر أحيانا وتُحذف أحيانابل حذفها أكثر بلاغة.

أدوات التشبيه:

أدوات التشبيه هى الكلمات التى يترشح منها معنى التشبيه وهى أسمآء وأفعال وحروف أما الحروف فهى الكاف و كأن كمافى قوله تعالى " كرما د اشتدت به الريح فى يوم عا صف"[67] وقوله تعالى "كأنه رءوس الشيا طين"[68] والفرق بين الكاف وكأن أن الأصل فى الكاف أن يليه المشبه به كمافى "كرما د"فكلمة رماد مشبه به وهى بعد أداة التشبيه مباشرة وأما فى كأن فلا يليه المشبه به كما فى "كأنه رءوس الشياطين"[69] فضمير المخاطب ليس مشبها به بل مشبها وأما المشبه به فهو كلمة "رءوس" الذى يأتى بعده.

وقد يأتى بعد كاف التشبيه مفرد لا يكون مشبها به بنفسه بل يكون مركبا مع غيره وكل التركيب يكون مشبهابه. قال صاحب الإيضاح[70]:

وقد يليها (الكاف) مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك إذا كان المشبه به مركبا كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح)[71]إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتحمل لتقديره بل المرادتشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن. [72]

و أما الأفعال فهى ما اشتقت من الشبه والمثل والحسبان والخيال وما فى معناها كما فى قوله تعالى : " يحسبه الظمآن مآء"[73] وقوله تعالى:" يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" [74] وأ ما الأسمآء فهى مثل و شبه وما فى معناهما نحو قوله تعالى:" مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر"[75]

قو ة التشبيه و ضعفه:

مراتب قوة التشبيه وضعفه من حيث ذكر الأركا ن الأربعة كلها أو بعضها:-قد جعلها الإمام السكاكى رحمه الله تعالى[76] والخطيب القزوينى رحمه الله تعالى ثمانية فقد جعلا حذف الأركان الأساسيين وهما المشبه والمشبه به أيضا أساسا لهذاالتقسيم مع أنهما ليسا فى شيئ من قوة التشبيه وضعفه فلذاأهملتهما وجعلت أداة الشبه ووجه الشبه أساسا للتقسيم فمراتب القوة والضعف بهذاالا عتبار أربعة ووجه الحصر فى الأربعة: أنهما إماأن يذكران أو يحذفان أو يذكر وجه الشبه أو تذكر أداة الشبه فقط وإليك تفصيل هذه المراتب:

2. إحداها:أن تذ كرأداة التشبيه ووجه الشبه كليهماسواء ذكر الركنان الأساسيان كلاهما أو المشبه به فقط نحو زيد كالأسد فى الشجاعة ونحو كالأسد فى الشجاعة والمشبه وهو زيد منوى.فهذا هو الأسلوب العادى ولا قوة له.

- ثانيتها:أن يترك أداة التشبيه فقط سواء ذكر الركنان الأساسيا كلاهما نحو زيد أسد فى الشجاعة فحذف أداة التشبيه وهو الكاف أوذكر المشبه به فقط نحو أسد فى الشجاعة والمشبه وهو زيد منوى وهذاالأسلوب له نوع قوة ولكنها قليلة بالنسبة إلى الأساليب الأخرى.
- ثالثتها:أن يترك وجه الشبه سواء ذكر الركنان الأساسيا كلاهما نحو زيد كالأسد أوذكر المشبه به فقط نحو كالأسد أى زيد فى الشجاعة ففى هذاالأسلوب قوة أكثر من الأسلوب الثانى ولكنه لا يصل إلى درجة الأسلوب الرابع فى القوة.
- رابعتها:أن يترك كلمة التشبيه ووجه الشبه سواء ذكر الركنان الأساسيان كلاهما نحو زيد أسد أوذكر المشبه به فقط نحو أسد والمشبه وهو زيد منوى وهذاالأسلوب أقوى الجميع.[77]

بلا غة التشبيه:

قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى[78]:

> واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً[79]

فالتشبيه من أرفع أنواع البلا غة و أكثرها استعمالا عند العرب فهو يرفع الأستا ر عن وجوه الحقائق ويقدّم المتخيل فى معرض اليقين وإذا كانت المعانى معقولة محضة وهى لا تأتى فى العقول وتكون مستبعدة فبالتشبيه هى تأتى إلى منصّة الشهود وكأنها مبصرة أمامك فيزال الوهم.[80]

قال صاحب الإيضاح :

> وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك"[81]

وإذاأمعنّا النظر فى النصوص التى تشمل على أساليب التشبيه نرى أن هذه الأساليب تتزايد شرفا على الأسا ليب العادية ولذالك أسباب:

- منها حصول الأنس للنفس لأن هذه الأساليب تخرج الأشيآء الخفية من الخفاء إلى الظهورو تبدّ ل الأشيآء غير المألوفة فى صورها المألوفة والأشيآء المعقولة فى صورها المحسوسة فتكون النفس مأنوسة معها فأحيانا نحن نعبر عن المعنى بعبا رة نؤديه ونبا لغ فيه بأسلوب عادى ولكن السامع لايتلذذ به تلذذه بأسلوب التشبيه وربما لا نفهمه فهمافإذا قلنا:"فلان إذا هم بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه ولم يشغله عنه شيء فلا يصادف السامع له أريحية حتى إذا قلت إذا هم ألقى بين عينيه عزمه امتلأت نفسه سرورا وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه."[82] قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى:

> أن أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنىٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلّمها إياه

> إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخَبرُ كالمُعاينة، ولا الظنُّ كاليقين، فلهذا يحصل بها العِلم هذا الأنْسُ أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة.[83]

- ومنهاأن التشبيه يولّد من المبالغة ما لا يولّد ها الأسلوب العادى. [84]وبيا ن ذلك: أن التشبيه يولدالمبالغة فأننا إ ذا شبهنا ز يدا بالأسد أثبتنا فيه الشجاعة بطريق المبا لغة لأن الأسد معروف بهذاالوصف إلى حد أن المخاطب لايتوجه بعد تشبيه شيء بالأسد إلاّإلى وصف الشجاعة جيداوبما أن الناس يعتقدون أن هذاالوصف يوجد فى الأسد أكثرمن المخلوقات فتثبت الشجاعة فى المشبه بطريق المبا لغة.
- ومنها أنه يوضِّح المعانى لأن الشيء الخفى إذا شبه بالشيء الجلى يتبين, فتتبين الأشيآء الخفية وتتضح الأشيآء المعقولة إذا شبهت بالأشيآء المحسوسة.يقول أبو هلال العسكرى:"والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا وهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه"[85]
- ومنها الإيجاز لأن الأشيآء الكثيرة التى تتعلق بالمشبه به ويعرفها المخاطب تُترك ذكرها لأنه لا داعى إلى إعادة الأشيآ ء التى هى معلومة لدى المخاطب فلا يقا ل إن زيدا قد انتهى فى الشجاعة إ لى منتهاهاكما فى الأسد بل يكتفى القائل بقوله هو أسد أو كا لأسد وخير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل فالشيخ عبد القا هر الجرجانى حينما عدّ مناقب الاستعارة قال :"ومن خصائصها التى تذكر بها وهى عنوان منا قبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"[86] والإيجاز يحتاج إلى قوة التركيز ويحتا ج من المخاطب وعيا كبيرا و وقتا كبيرا وهو يجعل المخاطب يغوص فى بحر المعرفة كى يأتى بالدرر التى تختفى فى تلك الألفا ظ القليلة وأثناء بحث هذه الدرر الكامنة يجد من اللذة ما لا يسا ويها من اللذات الدنيوية.[87]
- ومنها إثبا ت الخيال لأن تشبيه الشيء بالشيء يثبت الخيال في النفس بصورة المشبه به أو معناه،

> وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً يدعو إلى الترغيب فيها،

وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً قبيحاً يدعو إلى التنفير عنها،وهذا لا نزاع فيه. ولنضرب له مثالاً يوضحه فنقول: قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو:يقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير.ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي المضمر الأداة الذي خيل به إلى السامع خيالاً يحسن الشيء عنده تارة ويقبحه أخرى، ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك، وهذا المثال كاف فيما أردناه.[88]

- ومنها التلذ ذ ففى أسلوب التشبيه تشويق للسامع وتولّد التلذذ فى قلبه لأن فى الأسلوب العاد ى مهما كان فيه من البلا غة فلا يتجاوز من المجا ل الذى هيّئ له وأما فى أسلوب التشبيه فلا يحدّ مجال فكره فيجرى فيه المخاطب ويجنى من هنا و هناك ولا يقف فكره أمام حد فيتلذذ به فقولنا زيد شجا ع لايتخيل منه المخاطب سوى أنه متصف بصفة الشجا عة ولكن إذاقلنا زيد أسد أو كالأسد يتخيل منه صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة .
- ومنها قبول النفس للحقيقة التى تلقى إليه ففى الأسلوب العادى لاتقبل على وجه اليقين بل تعتمد على المتكلم فإذا وازنّابين قولنا: إن الذي يعظ ولا يَتَّعظ يُضِرُّ نفسه من حيث ينفع غيره وبَين ذكر المثل الذى جآء فى الحديث الشريف: " مَثَلُ الّذي يعلّم الخيرَ ولا يَعْمَلُ به، مثلُ السِّراج الذي يضيء للناس ويُحرق نفسه " نرى أن الأسلوب العادى دون التشبيه يعتمد على قول الناصح وأما أسلوب التشبيه فيُقدِّم الفكرة بالدليل فيقبله المخاطب بسهولة وبصيرة.[89]

جودة التشبيه و أبلغيته:

جودة التشبيه وأبلغيته لا باعتبار ذكر الأركان الأربعة كلها أو بعضها بل باعتبار المعنى تنحصر فى أربعة صور:

- أحدها:تقديم ما لا تقع عليه الحاسة فى صورة ما تقع عليه الحاسة كما فى قول الله عز وجل: " والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبُه الظّمآن ماءً "[90] .ففى هذه الآية قدّم أعمال الكفار التى لاتحسّ فى صورة السراب الذى يحسّ.

- وثانيها: تقديم ما لم تجر به العادة فى صورة ما جرت به العادة، كما فى قوله تعالى: " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السّماء ... إلى قوله: كأنْ لم تغنَ بالأمس "[91] ففى هذه الآية قدّم الله عزوجلّ الحياة الدنيا فى صورة المآء المنزل من السماء فإنزال المآء من السمآء شيء جرت به العادة بخلاف الأول. والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك.
- وثالثها:تقديم ما لا يعرف بالبداهة فى صورة ما يعرفُ بها، فمن هذا قوله عزّ وجل: "وجنةٍ عرضُها السّموات والأرض " ،ففى هذه الآية قدّم ما لا يعلم بالبداهة إلى ما يعلم بها، والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصّفة.[92]
- ورابعها:تقديم ما لا قوة له في الصفة فى صورة ما له قوةٌ فيها، كقوله عزّ وجلّ: " ولهُ الجوارِ المنشآتُ في البحرِ كالأعلام "[93] ، ففى هذه الآية قدّم الجوار المنشآت فى صورة الأعلامِ, ولايخفى ماللأعلام من القوة فى صفة العظم وأماالجوار فتنعدم فيها هذه القوة والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة البيانُ عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.[94]

وأنتهى من كلامى عن جودة التشبيه وأبلغيته بماقاله الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه أسرار البلاغة

> اعلم أن مما يزدادُ به التشبيهُ دقةً وسِحْرَاً، أن يجيء في الهيئات التي تقع على الحركات، والهيئةُ المقصودة في التَّشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما، والثاني أن تُجرَّدَ هيئةُ الحركة حتى لا يُراد غيرها، فمن الأوّل قوله:والشمسُ كالمرآةِ في كفِّ الأشل أراد أن يُريك مع الشَّكل الذي هو الاستدارة، ومع الإشراق والتلألؤ على الجملة، الحركة التي تراها للشمس إذا أمعنتَ التأمُّل، ثم ما يحصُل في نُورها من أجل تلك الحركة، وذلك أن للشمس حركةً متصلةً دائمةً في غاية السرعة، ولنُورها بسبب تلك الحركة تموُّجٌ واضطرابٌ عَجَبٌ، ولا يتحصل هذا الشبهُ إلا بأن تكون المرآة في يد الأشَلِّ، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلقٌ شديد، حتى ترى المرآة، ويقع الاضطراب الذي كأنه يَسْحَرُ الطَّرْف، وتلك حال الشمس بعينها حين تُحِدُّ النظر وتُنفذ البصر، حتى تتبيّن الحركة العجيبة في جِرْمها وضوئِها، فإنك ترى شُعاعُها كأنه يَهُمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها، ثم يبدو له فيرجع في الانبساط الذي بدأه، إلى انقباضٍ كأنه يجمعه من جوانب الدائرة إلى الوسط، وحقيقة حالِها في ذلك مما لا يكمُل البصرُ لتقريره وتصويره في النفس، فضلاً عن أن تكمل العبارة لتأديتهِ، ويبلغ

البيانُ كُنْهَ صورته،... وأمَّا هيئةُ الحركة مجرَّدةً من كل وصف يكون في الجسم، فيقع فيها نوع من التركيب، بأن يكون للجسم حركاتٌ في جهاتٍ مختلفةٍ، نحو أنَّ بعضها يتحرك إلى يمين والبعض إلى شمال، وبعضٌ إلى فوق وبعض إلى قُدّام ونحو ذلك، وكلما كان التفاوُتُ في الجهات التي تتحرك أبعاضُ الجسم إليها أشدَّ، كان التركيب في هيئة المتحرِّك أكثر، فحركةُ الرَّحا والدُّولاب وحركة السهم لا تركيب فيها، لأن الجهة واحدةٌ، ولكن في حركة المُصْحف في قوله: " فانطباقاً مرَّةً وانفتَاحَا " . تركيبٌ لأنه في إحدى الحالتين يتحرك إلى جهة غير جهته في الحالة الأخرى[95]

أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه قد يكون عائدا على المشبه و قد يكون عائدا على المشبه به و لكنه فى الأغلب يكون عائدا على المشبه وقليلا ما كان عا ئدا على المشبه به

- فإذا كان عائداً على المشبه:

1. فإما أن يكون لبيان حاله كما إذا قيل لك ما لون عمامتك قلت كلون هذه وأشرت إلى العمامة التى عند ك.ففى هذاالتشبيه بُيّن حال المشبه وهي العمامة التى سئل عنها.
2. وإما أن يكون لبيان مقدار حاله كما إذا قلت هو في سواده كا لغراب ففيه بُيّن مقدارحال المشبه الذى هو سواد الموصوف.
3. وإما أن يكون لبيان إمكان وجوده كما إذا أردت أن تفضّل وا حدا من البشر على سآئر أقرانه إلى حدٍّ يوهم إخراجه عن البشرية إلى نوع أشرف منها وهو أمر ممتنع لايمكن وجوده فأ نت تبحث عن التشبيه الذ ى يجعل هذاالممتنع ممكنا فانت تقول حاله كحال المسك فالمسك وإن كان بعض دم الغزال ولكنه لا يعد في الدماء ما اكتسب من الفضيلة الموجبة إخراجه على نوع أشرف من الدم.
4. وإما أن يكون لتقوية شأنه في نفس السامع وزيادة تقرير له عنده كما إذا كنت مع صاحبك وهو يسعى لشيء الذ ى لا ينفعه وتريد أن تنصح له أن هذاالشيء لا ينفعه فتأ خذ ترقم على الماء و تسأ له هل أفاد رقمي على الماء نقشاما؟ و أنك في سعيك هذا كرقمي على الماء فإنك تجد لتمثيلك هذا من التقرير ما لا يخفى، لأن عد م حصول النقش حقيقة لا تحتاج إلى الد ليل.
5. وإما أن يكون لتزيين المشبه كما إذا شبهت وجها أسود بمقلة الظبي وأنت تريد أن تشبه شيئا يعد قبيحا فى العادة بشيء يعد حسنا ابتغاء تزيينه.
6. وإما أن يكون لتقبيح المشبه كما إذا شبهت وجها أبيض بجلد الحمار الأ بيض الذى لا يعد حسنا فى العادة وأنت تريد أن تقبح المشبه و تنفر الناس عنه.
7. وإما أن يكون لإبرازه على السامع في معرض الاستطراف وما شاكل ذلك كما إذا

شبهت الفحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب نقلا له عن صحة الوقوع على امتناعه عادة ليستطرف.

- وأما إذا كان الغرض عائدا على المشبه به فمرجعه على إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبيه كقوله:وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح فإنه تعمد إيهام أن وجه الخليفة في الوضوح أتم من الصباح فجعله مشبها به مع أن الناس عادة يشبهون وجه الموصوف بالصباح أو بشيء عرف بالوضوح والإشراق.[96] لأن المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه وأخص بها وأقوى حالاً معها وإلا لم يصح أن يذكر لبيان مقدار المشبه ولا لبيان إمكان وجوده ولا لزيادة تقريره على الوجه الذي تقدم ولا...ولا...ولا... ولايخفى ما فى هذه الصورة من المبالغة لأن المشبِّه يجعل الشيء الذى هو أصل فى نظر الناس فرعاً والفرع فى نظر الناس أصلا. ففى هذالمثال شبّه الصباح بوجه الخليفة وأوهم أنه اجتهد في تشبيه يفخم به أمره فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف.[97]

وربما كان الغرض العائد على المشبه به بيان كونه أهم عند الذى يشبهه تشبيها مقلوبا كما إذا سئل الجائع عن الوجه الذى كان كالقمر في الإشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه يشبه ماذا؟ فقال كالرغيف إظهارا لاهتمامه بشأن الرغيف لا غير وهذا الغرض يسمى إظهار المطلوب ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع.[98]

وقد يكون القلب وفقا لحال المخاطبين زجرالهم وتوبيخالهم على أعمالهم كمافى ٍقوله تعالى: "أفمن يخلق كمن لا يخلق"[99] فإن الظاهر العكس لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق فقلّب لهم التشبيه لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا في العبادة فجاء الرد على وفق ذلك.[100]

وقديكون القلب للتقريب إلى أذهان المخاطبين كما فى قوله تعالى :"مثل نوره كمشكاة"[101] فإنه شبه فيه الأعلى بالأدنى إذ لا أعلى من نوره فيشبه به مع أن المعروف تشبيه الأدنى بالأعلى ولكنّ الله تعالى قلّب التشبيه كى يقرّب نورالله إلى أذهان المخاطبين لأنهم يعرفون مشكاة ولا يعرفون نور الله.[102]

أنواع التشبيه:

هناك أنواع كثيرة للتشبيه وهذه الأنواع تتولّد من عدّة تقسيمات فهى تنقسم باعتبار طرفى التشبيه وباعتبار وجه الشبه وباعتبار أدواته وباعتبار الغرض.الآن أنا آتى بهذه التقسيمات بقدرمن التفصيل.

- **التقسيم الأول**:وهو تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه وهما المشبه والمشبه به ثم يجرى فيه ثلاثة تقسيمات بناء على اعتبارات مختلفة وهى كما تلى:

1. التقسيم الفر عى الأول:

هذاالتقسيم مبنىّ على إدراك طرفى التشبيه بإحدى الحواس الخمسة وعدم إدراكهما لأنهما إما أن يكونا مستندين على الحس كما فى قول القائل خده كالورد فإن الخد والورد كلاهما يدركان بإحدى الحواس الخمسة وهى العين. ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم"[103] فالقمر والعرجون كلاهما مدركان بإحدى الحواس الخمسة.وهناك شيء لا يدرك هو بإحدى الحواس الخمسة و لكنه مركب من الأشيآء المدركة بها قد ركبها الخيال كما يشبّه الشقيق بأعلام ياقوت منشرة على رماح من الزبرجد فأعلام ياقوت على هذه الصفة لاتدرك بإحدى الحواس ولكن الأجزاء التى ركب منها المشبه به مدركة بالحواس الخمسة فهذاالقسم داخل فى الحسيّات.وإما أن يكونا مستندين على العقل كما يقال العلم كالحياة فالعلم والحياة كلاهما أمران معنويّان وهما لايدركان إلاّبالعقل.

وإما أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوساكالمنية إذا شبهت بالسبع ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى"مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح"[104]ففى هذه الآية شبه أعمال الكفار وهو أمر معنوى لايدرك إلاّبالعقل.

وأما الوهميات المحضة كما إذا قدرنا صورة وهمية محضة مع المنية ثم شبهناها بالمخلب أو بالناب المحققين، فقلنا افترست المنية فلانا بشيء هو لها شبيه بالمخلب أو بشيء هو لها شبيه بالناب أو مع الحال ثم شبهناها باللسان، فقلنا نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان فملحقة بالعقليات، وكذا الوجدانيات كاللذة والألم والشبع والجوع فاعرفه.

وإما أن يكون المشبه به معقولا والمشبه محسوسا أى بعكس القسم الثالث كما يقال خلقه كالعطر فالخلق الكريم شيء معنوى لايدرك بالحواس وأماالعطر فشيء محسوس.[105]

2. التقسيم الفر عى الثانى:

هذاالتقسيم مبنىّ على انفرادهماوتركيبهماوللتشبيه بهذاالإعتبار أربعة أقسام وهى كما تلى:

ألأول: تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان إما غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد لأن الطرفين لايقيدان بوصف من الأوصاف ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)[106] ففى هذه الآية شبه كل واحد من الزوج والزوجة باللباس المشتمل عليهما.[107]

وإما مقيدان كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء هو كالقابض على الماء وكالراقم في الماء فإن المشبه هو الساعي لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك' والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكونه قابضا على الماء أو راقما فيه فوجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة والقبض على الماء والرقم فيه كذلك لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ذالك الشيء فإذا كان مما لا يتماسك فهولايحصل فيها فالذى يقبض على الماء لا يحصل على شيء فقبضه عليه وعدمه سواء وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه.[108]

وإما مختلفان والمشبه هو غير المقيد والمشبه به هوالمقيد كقول القائل:(والشمس كالمرآة في كف الأشل ...)فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق والمشبه به هو المرآة بقيد كونها في يد الأشل وإما مختلفان والمشبه هو المقيد والمشبه به هو غير المقيد كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس فإن هذا بعكس الأول.

الثاني تشبيه المركب بالمركب وهو تشبيه ركب فيه كل واحد من المشبه والمشبه به من شيئين أو أكثر. كما في قول بشّار بن برد[109]:"كأن مثار النقع فوق رءوسنا ...وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه"ففى هذاالشعر شبه مثارالنقع بالليل وكل واحد من مثار النقع والليل مركب من أكثر من شيء.[110]

الثالث تشبيه المفرد بالمركب كما فى قول الشاعرة [111]ترثى أخاها: "أغر أبلج تأتم الهداة به ...كأنه علم فى رأسه نار". فا لشاعرة شبهت أخاها بعلم فى رأسه نار فالمشبه مفرد والمشبه به مركب.

الرابع تشبيه المركب بالمفرد كقول أبي تمام[112]

(يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور)

(تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر)

يعني أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر.

3. **التقسيم الفر عى الثالث:**

هذاالتقسيم مبنىّ على تعدد الطرفين أحدهما أو كليهما و للتشبيه بهذاالإعتبار أربعة أقسام وهى كما تلى:

الأول:التشبيه الملفوف: وهو ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما أى جمع فيه المشبه مع المشبه والمشبه به مع المشبه به كقول امرىء القيس[113]: (كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي) ففى هذاالبيت شبه الشاعر قلوب الطير رطبا بالعناب وشبه قلوب الطير يابسا بالحشف البالى, فذكر أولا المشبهين ثمّ المشبه بهما.

و الثانى: التشبيه المفروق:وهو ما كان الطرفان متعددين و جمع فيه كل طرف مع مقابله أى المشبه مع المشبه به كقول المرقش الأكبر[114]: (النشر مسك والوجوه دنانير ... وأطراف الأكف عنم) ففى هذاالبيت شبه الشاعر النشر بالمسك أولا ثم الوجوه بالدنانير ثانيا ثم أطراف الأكف بالعنم ثالثا.

والثالث:تشبيه التسوية:وهو ما تعد د طرفه الأول أعني المشبه دون الثاني كقول الآخر: (صدغ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي) ففى هذالبيت صدغ الحبيب مشبه وحالى أيضا مشبه وقد شُبها بالليالى.[115]

و الرابع: تشبيه الجمع وهو ما تعدد طرفه الثاني أعني المشبه به دون الأول كقول البحتري[116](كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضد أو برد أو أقاح) فالشاعر شبه أسنان الممدوح بثلاثة أشيآء وهى لؤلؤ وبرد وأقاح.[117]

- **التقسيم الثانى**:وهو تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه ثم تجرى فيه ثلاثة تقسيمات بناء على اعتبارات مختلفة وهى كما تلى:

1. **التقسيم الفرعى الأول**:وهو تقسيم التشبيه باعتباروجه الشبه بناءًا على أنه منتزع من متعدد أوغير منتزع منه.وله بهذاالاعتبارنوعان:تمثيل وغير تمثيل.

أما تشبيه التمثيل فهو ماكان منتزعا من عدة أموركما فى قول الشاعر:اصبر على مضض الحسو ... د فإن صبرك قاتله *فالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ماتأكله[118] ففى هذاالبيت شبه الشاعرالحسود بالنار ووجه الشبه منتزع من عدةأمورفإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع فيها الفناء لأنها إذ ذاك تأتى على نفسها فتأكلها وهكذا الحسود يتطلب من

المحسود المقاولة فإذاصبرعلى أذاه ولم يتحرك لحركاته المثيرة فهو يتحرق فى نار غيضه وحسده بنفسه ولا يضر غيره وأنه كما ترى منتزع من عدة أمور، ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون"[119]فإن وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية منتزع من عدة أمور وهى رفع الطمع على تسني مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب. [120]وأماغير التمثيل فهو ما كان بخلاف ذلك وهو تشبيه بسيط كما مر فى الأمثلة الأخرى لا داعى لإعادتها.[121]

2. **التقسيم الفرعى الثانى**:وهو تقسيم التشبيه باعتباروجه الشبه بناءًاعلى أنه مذكور أومحذوف.وله بهذاالاعتبارنوعان مجمل ومفصل.

أما المجمل فهو ما لم يذكر وجهه فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة كقولنا زيد أسد إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة كقول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجد "كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها" أي لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا فهذاالوجه لايدريه كل واحد بل من له ذهن مرتفع عن عامة الناس.[122] وأما المفصل فهو ما ذكر فيه وجه الشبه كما فى قول الشاعر:(أنت مثل الورد لونا ... ونسيما وملالا) نحن نرى أن فى هذاالشعر ذكر الشاعر وجه الشبه وهو المثلية فى اللون والنسيم والملال[123]

3. **التقسيم الفرعى الثالث**:وهو تقسيم التشبيه باعتباروجه الشبه بناءًا على ظهوره وخفائه.وله بهذاالاعتبارنوعان قريب مبتذل وبعيد غريب.

أما القريب المبتذل فهو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بسهولة من غير حاجة إلى تدقيق النظر لأن وجه الشبه لايكون خفيا غامضا.كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز فإنه لايحتاج إلى تدقيق النظر بل يفهم ببادئ النظر.

وأما البعيد الغريب فهو ما لا يكون كذلك بل يحتاج إلى تدقيق النظر وهذه الحاجة إما لكثرة التفصيل كقوله والشمس كالمرآة فى كف الأشل فإن فى وجه الشبه تفصيل لا يفهم بسهولة.أو لغموض كما فى " كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها".

- **التقسيم الثالث**:

وهو تقسيم التشبيه باعتبارأدوات التشبيه وله بهذاالا عتبار نوعان وهما:-المرسل والمؤكد

أما المرسل فهو ما كانت أداة التشبيه مذكورة فيه كما فى قوله تعالى "مثلهم كمثل الذى استوقد نارا".[124] وأما المؤكد فهو ما كانت أداة التشبيه محذوفة فيه.كما فى قوله تعالى: "وهي تمر مر السحاب أي مثل مر السحاب".[125]

- **التقسيم الرابع**:وهو تقسيم التشبيه باعتبارالغرض وله بهذاالا عتبار نوعان وهما:- المقبول والمردود.

أما المقبول فهو ما يكون وافيا بإفادة الغرض الذى تعمد إليه المشبِّه كما إذاكان وجه الشبه معروفا جدا فى المشبه به حين كا ن الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار. ثم الطرفان في الثاني أى إذاكا ن الغرض بيان المقدار إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كامل في القبول وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال.أوإذاكان المشبه به أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل وهذاإذا كان المشبه به معروفا عند المخاطب فى وجه الشبه ومسلما عنده إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود.

وأما المردود فهو ما لايكون كما ذُكربل يكون قاصرا عن إفادة الغرض لعدم ظهوروجه الشبه كقول القائل: والشمس كالمرآة فى أكف الأشل ففى هذاالمثال شبهت الشمس بالمرآة ولكن لامطلقا بل بكونها فى اليد المرتعشة.وعدم الظهورهنا لقلة تكرره على الحس فان الرجل ربما ينقضى عمره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل.[126]

الصور غير المعروفة للتشبيه:

اعلم أن هناك صور معروفة للتشبيه وهى التى تكون المشبه به أصلا والمشبه فرعا, ولكنه قد ينحرف عن صوره المعروفة إلى صورة غير معروفة فيجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به،وهذا يسمى بالتشبيه المقلوب وهذه الصورة من التشبيه يسميها بعضهم غلبة الفروع على الأصول،ومثاله قوله تعالى: " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح "[127] فنرى فى هذه الآية أن الله تعالى شبه نوره بمشكاة فيها مصباح مع أن نوره تعالى أصل و نور المصباح فرع وقد مرّ تفصيله فى أغراض التشبيه.[128] وقد ينحرف عن صوره المعروفة فيكون التشبيه مستفادا من النص ولايكون موجودا بالصراحة ويسمى بالتشبيه الضمنى وسيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى.

دراسة التشبيه غير التمثيل فى ضوء النصوص القرآنية

بعد أن ألقيت ضوءا سريعا على التشبيه وأدواته وأنواعه والأغراض البلاغية لأسلوب التشبيه أريد أن أدرس التشبيه فى ضوء النصوص القرآنية وهو الهدف الأصلى لبحثى وسأحاول أن يكون بحثى فى إطار الناحية البلاغية للأنواع المختلفة للتشبيه ولذا فإنى سأترك النواحى الأخرى للتشبيه وأقدم التشبيه غير التمثيل على تشبيه التمثيل لأنه تشبيه بسيط وأما تشبيه التمثيل فهو مركب عن الأشياء الكثيرة لأن وجه الشبه فيه يكون منتزعا من عدة أمور فغير التمثيل ما لم يكن كذلك.وهوكما بيّنت فى التمهيد يكون مفردا ومركباو يكون بليغا وغير بليغ ويكون حسيا وعقليا.وبما أن الآيات القرآنية تضم أكثر من قسم واحد لأن هذه الأقسام نتيجة للتقسيمات المختلفة وهى تجتمع فى نص واحد فيمكن أن يكون التشبيه مفردا وفى نفس الوقت يكون حسيا و بليغا فإنى سأناقش كل هذه الأقسام فى الآيات القرآنية فى موضع واحد دون أكررها لمناقشة كل قسم فأتعب القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض. فأدخلت بعض هذه الأقسام فى بعض وجعلت لغير التمثيل قسمين: البليغ وغير البليغ ثم غير البليغ إما أن يكون طرفاه عقليين أو حسيين أويكون أحدهما عقليا وثانيهما حسيا فينشأ منه أربعة أقسام وهى:

- غير البليغ الحسى
- غير البليغ العقلى
- غيرالبليغ الحسى العقلى
- غيرالبليغ العقلى الحسى

وهكذا البليغ إما أن يكون طرفاه عقليين أو حسيين أويكون أحدهما عقليا وثانيهما حسيا فينشأ منه أربعة أقسام أيضا وهى:

- البليغ الحسى
- البليغ العقلى
- البليغ الحسى العقلى
- البليغ العقلى الحسى

فهذه ثمانيةأقسام وأدرسهافى هذاالباب فى فصلين: الفصل الأول فى التشبيه غير البليغ والفصل الثانى فى التشبيه البليغ وأقسم كل واحد منهما فى أربعة مباحث حسب الأقسام فيحصل من ضرب الإثنين فى الأربعة ثمانية مباحث وهى حول غير البليغ الحسى و غير البليغ العقلى وغيرالبليغ الحسى العقلى و غيرالبليغ العقلى الحسى والبليغ الحسى و البليغ العقلى والبليغ الحسى العقلى و البليغ العقلى الحسى.

وكل هذا فى الصور المعروفة للتشبيه وكما مر فى التمهيد أن هناك صورا أخرى للتشبيه المعدولة عن الأقسام المعروفة للتشبيه وهى تظهر فى صورة التشبيه المقلوب والتشبيه الضمنى فسأدرس الآيات التى وردت بهذه الصورة فى الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

***

الفصل الأول

التشبيه غير البليـــــغ

التشبيه غيرالبليغ وهو ما ذكرفيه وجه الشبه وأداة الشبه أوأحدهما ومن بلاغة هذاالقسم أنه يوضح المعانى توضيحا تاما فلايبقى الخفاء فى وجه الشبه ولاأداة الشبه وهذاالقسم وإن كان أقل مرتبة فى القوة من القسم الذى لم يذكر فيه وجه الشبه ولاأداة الشبه[129]ولكن البلاغة تتعلق بمقتضى المقام وبماأن القرآن الكريم فى قمة من الفصاحة والبلاغة فقد استخدم الكلمات فى مواضعها حسب الاقتضاءوالضرورة.واعلم أن هناك مثالا أومثالين فى القرآن الكريم ماذكر فيه وجه الشبه وأما أداة الشبه فقد ذكرت بكثرة. وهذاالفصل يتفرع إلى أربعة مباحث وهى حول:

- غير البليغ الحسى
- غير البليغ العقلى
- غيرالبليغ الحسى العقلى
- غيرالبليغ العقلى الحسى

وسأشرح هذه الاقسام فى ضوء النصوص القرآنية.

المبحث الأول

التشبيه غير البليغ الحسى:

ما يكون طرفاه حسيين.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وقد ذكرت من بلاغة التشبيه غير البليغ فلا داعى لتكرارها وأما من بلاغة التشبيه الحسى فهو أن فيه توضيح المشبه فى أقل وقت بطريقة كاملة لأن الوصف الذى يريد المتكلم أن يُثبته للمشبه يكون معلوما لدى المخاطب بطريقة جيدة مع التفاصيل التى يقصد تفهيمها فلا يضيع المتكلم وقته فى تحصيل الحاصل ولا يترك شيئا منها بدون التوضيح.وقد ذكرت المزايا البلاغية فى دراسة كل آية فالتُلاحظ هناك.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما حسيين يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يكون محذوف الأداة مذكور الشبه وإما أن يكون مذكور الأداة محذوف الوجه وإما أن يكون مذكورالأداة والشبه ومن المعلوم أن غير البليغ مالم يكن وجه الشبه وأداة الشبه محذوفان ' أما مذكور الأداة فهو المرسل وأما مذكور الوجه فهو المفصل ولكنى لم أجد فى القرآن الكريم إلامثالا أومثالين لمذكور الوجه فلذاأطلقت القول فى عدم البليغ ولم أقسمه فى المرسل والمفصل.الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

أراد الله تعالى أن يعظ نساء النبى صلى الله عليه وسلم بعدم اتصافهن بالأوصاف التى لاتليق بشأنهن من الخضوع فى القول المنتج بطمع الشخص الذى فى قلبه مرض فقبح هذاالوصف بإلقائه فى زمرة الأوصاف التى تختارها النسوة العادية فأخبرهن بأنهن لسن كالنسوة العادية من الأمة بل شأنهن فوق ذلك فقال الله تعالى: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا"[130]

ففى هذه الآية يخاطب الله تعالى أمهات المؤمنين ويخبرهن أن قدرهن عنده فوق قدر غيرهن من النساء الصالحات[131] وأن كل واحدة منهن أفضل من كل واحدة من غيرهن لما امتازت بشرف الزوجية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمومة المؤمنين فلاينبغى لهن أن يخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ومع عدم الخضع فى القول عليهن أن يقلن قولا معروفا. [132]

فى هذه الآية انتفى التشبيه بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبين النسوة الباقية من الأمة فالمشبه به هو النسوة الباقية والمشبه هو أزواج النبى

صلى الله عليه وسلم ’وكل من المشبه والمشبه به مفرد ويدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة الشبه فهو من المفرد الحسى غيرالبليغ.ووجه الشبه هو السبق والفضل.ولابد ان يلاحظ أن كون هذاالتشبيه منحصر باعتبار أن المراد تشبيه ذواتهن بذوات النسوة الباقية لأن الذوات من الحسيات وأما إن لوحظ التشبيه من حيث الأوصاف فالأوصاف من العقليات ولذا ربما نجد الاختلاف فى قسم واحد من التشبيه وهكذا من الاستعارة فأحيانا نعدها من الحسيات وأحيانا من العقليات كما فى تشبيه الكفار والمنافقين والمؤمنين.وأنا لم أفصل هذا فى كل آية لأن هذا لايهمنا بل كل مايهمنا هو البحث عن الأسرار التى كمنت فى هذه الأساليب. ففى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية ما يأتى:

- إن الله تعالى قد هدم الأساس لخضع القول وهو المثلية بالنسوة الأخرى لأن النسوة العامة ماأتيحت لهامن الفرصة ما أتيحت لأزواج المؤمنين وهو العيش بجوار النبى صلى الله عليه وسلم وهذايقتضى أن لايكن مثلهن فى اختيار مثل هذه الذنوب وليس معنى هذا أن نساء الآمة قدعفيت عنهن أن يفعلن كما يشأن ولكن معنى هذا أنهن بمقتضى البشرية وعدم إتاحة الفرصة لهن ماأتيحت لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم يرتكبن الذنوب قليلا أم كثيرا.
- واستفيد من هذا أن االمقربين من الرجال أوالنساء سيحاسبون بقدر قربهم مع الله تعالى ومعرفتهم له ولهذايقال "حسنات الأبرار سيئات المقربين".
- وعلم من هذاأن بعض الدرجات لا ينالها أحد بجهده وسعيه بل قسمة منه تعالى مثل كون رجل صحابيا وكون امرأة زوجا للنبى صلى الله عليه وسلم فمثل هذا ليس من الأشياء المكتسبة بل هبة من الله تعالى.

أخبر الله تعالى أن الحق قد تبين من الغى فمن شاء فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ فالله تعالى قد أعد للظالمين نارا شديدة وشراباحارا ووضح حرارة الماء بتشبيهه بالمهل فقال تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا" *[133]

بعد أن أنزل الله تعالى دينه الذى لامجال للشك فيه أمر نبيه أن يعلن أن ما جئت به هو الحق من عند ربكم ، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن ، فذلك خير له ، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم إلا نفسه إننا أعددنا لمن ظلم نفسه بالكفر ناراً تحيط بهم كالسرادق . وإن يطلب الظالمون مستغيثين ربهم يؤت لهم بماء حاركالزيت العكر يحرق الوجوه قَبُحَ هذا الشراب لهم ، وقبحت جهنم مكاناً لراحتهم .[134]

شبه الماء الذى يؤتى إليهم يوم القيامة بالمهل وهو عكرالزيت أوالنحاس المذاب وكل من المشبه الماء والمشبه به المهل مفردمدرك بحاسة البصر وقدذكرت أداة الشبه فهذامن التشبيه المفرد الحسى غير البليغ ووجه الشبه هو الحرارة الشديدة فيهما.والدال عليه قوله تعالى يشوى الوجوه فنستطيع أن نقول إن وجه الشبه موجود فى هذاالتشبيه.فهو " تشبيه مرسل مفصل لذكر أداة الشبه ووجه الشبه" .[135] فى التشبيه بالمهل إشارة إلى أن وجه الشبه ليس فقط الحرارة بل اللون الذى هو سبب للتنفيرعنه فلون عكر الزيت ينفر الناس لا عن أن يشربوه بل عن أن ينظروا إليه ففيه تقبيح المشبه به. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- الجهنميون سيستغيثون ربهم من شدة العطش ويطلبون ما يدفع عطشهم فيعطى لهم ماء شديدالحرارة ويكون فى لون عكر الزيت هنو من أكره الألوان ولكن من شدة عطشهم لا يأبون أن يشربوا ذلك بل يقربونه إلى أفوههم فيحرق وجوههم وهذا يدل على اضطرارهم وشدة عطشهم وإلا فواحد من هذين الوصفين يكفى للإباء عنه خصوصا الحرارة الشديدة يقتضى على مقصد الطلب قال ابن عاشور رحمه الله تعالى"والتشبيه في سواد اللوْن وشدة الحرارة فلا يزيدهم إلا حرارة." [136]
- وفى قوله تعالى يغاثوا تهكم لأن الإغاثة معناه الإعانة فى دفع المضرة وأما هنا فلا يعانوا فى دفع المضرة التى منها يصرخون بل يزاد فى عذابهم ففيه تهكم وإشارة إلى أنهم لا يليقون أن يخفف عنهم العذاب بل أن يزاد فيه.

ووصف الله تعالى شدة نار جهنم فقال: "إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ"[137] هنا وصفت شدة نار جهنم فبُين فى هذه الآية أنهاترمى بشرر عظيمة كالحصن.شبه شرر النار بالقصر فى العظم وكل من الشرر والحصن مفرد يدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة الشبه فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هو العظم[138] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- شبهت شرر النار وهى تكون أشياء صغيرة عادة للنار العادية فإذاصارت هذه الأشياء الصغيرة إلى حديصل إلى عظم القصر فما شأن تلك النار.لأن عظم الشرر يستلزم شدة النار.
- ويمكن أن يكون فى اختيار القصر للتشبيه وهناك أشياء كثيرة أعظم من القصرإشارة إلى تذكيرهم بالأشياء التى ألهتهم عن ذكر يوم القيامة فينبغى لهم أن يذكرواالنار التى لها شرر عظيمة مثل تلك القصور والله تعالى أعلم.

ويستمر فى وصف نار جهنم فيقول :"كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ"[139]هذا فى الحقيقة تتمة للآية السابقة فقال تعالى إن هذه الشرر تكون مثل الإبل الصفر "فإنَّ الشررَ لما فيهِ من الناريةِ يكونُ أصفرَ وقيلَ سودٌ لأن سوادَ الإبلِ يضربُ إلى الصفرةِ السود المائلة إلى السواد"[140]

هذاتشبيه ثان لشرر نار جهنم وهذاالتشبيه فى اللون والكثرة أما الأول فكان فى العظم وكل من الجمالة والشرر مفرد يدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسى غيرالبليغ.ووجه التشبيه كما ذكرت هو اللون والكثرة.[141] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- سأعيد نفس الملاحظة التى لاحظتها فى التشبيه السابق والله تعالى أعلم بالمعانى المرادة عنده.فالمال فتنة وهذه الفتنة تلهى صاحبها عن ذكر يوم القيامة والنار شديدة اللهب عظيمة الشررفينبغى أن يذكر صاحب الإبل أن يذكر هاذم هذه اللذات وهوالموت وماسيكون بعده.
- ثم لهذاالتشبيه بُعد آخر فى ذهنى وهو أن حب الدنيا يلفظ هذه الأشياء وينشرها أمام صاحبها فكراهية الآخرة سيلفظ الشرر العظيمة مثل هذه الإبل العظيمة.فكما أن الإبل هى تكون كثيرة فى أماكن مختلفة وهى تختلط فيما بينها وتتحرك فكذلك هذه الشرر تكون كثيرة تتحرك فى كل مكان'لأن "هذا في اللونِ والكثرةِ والتتابعِ والاختلاطِ والحركةِ"[142]

ونهى الله تعالى المؤمنين من أن يؤذوا نبيهم كما آذى قوم موسى نبيهم وقبح هذاالإيذاء بتشبيهه بإيذاء قوم موسى عليه السلام وهو الإيذاء الشديد فقال تعالى:يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها*[143]

فى هذه الآية خطاب للمؤمنين فيعظهم الله تعالى أن لايكونوا مثل الذين آذوا موسى عليه السلام وقذفوه فى عيب فى بدنه فأطلعهم الله تعالى على براءتِه "بأنْ فرَّ الحجرُ بثوبِه حينَ وضعَه عليه عند اغتسالِه والقصَّةُ مشهورةٌ"[144]

قد نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بمزعجى موسى عليه السلام فالمشبه به هم الذين آذوا موسى عليه السلام والمشبه هم المؤمنون وكل من المشبه والمشبه به يدرك بحاسة البصر وكل منهما مفرد وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غيرالبليغ. ووجه الشبه هو إفشاء الأخبار المؤذية للرسول أى لاتكونوامثلهم فى إيذاء نبيهم فآذوا بقذفهم إياه بعيب فى جلده أو شيئ مثل هذا فأنتم تؤذون نبيكم بحديث الإفك. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- حذر الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم سيعذبون إن آذوا النبي صلى الله عليه وسلم كما عذب قوم موسى عليه السلام إذا آذاه بطرق مختلفة.
- فيه إشارة إلى أن من اتّهم نبيه فتهمته لايضر النبى بل يضر من اتهم فهو سيعذب فى الدنيا والآخرة وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلا أثر عليه سوى الإيذاء النفسى.
- أفادهذاالتشبيه أن الله تعالى كما برّأ موسى عليه السلام فكذلك سيبرئ رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم. إشارة إلى أن الله تعالى يبرئ نبيه.

ويبين الله تعالى شدة العذاب المرسل إلى قوم عاد فيشبه صرعى الريح الباردة العنيفة بأعجازنخل خاوية فيقول تعالى:"سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ"[145] ففى هذه الآية بين الله تعالى عاقبة قوم عاد وكانوا عاصين لأمر الله تعالى فأهلكهم الله تعالى بريح باردة عنيفة متمردة التى سلّطَهَا الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فأهلكت القوم فى مهاب الريح موتى وصرعتهم على الأرض كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها.[146]

شبه الله تعالى موتى قوم عاد بأعجاز النخل الخاوية وكل من المشبه والمشبه به مفرد ويدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هو خلاء أجواف كل من الموتى والأعجاز فروى أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كأعجاز النخل الخاوية.[147] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيه قوم عاد بالنخل إشارة إلى أن هذاالقوم قد وصلوا فى القوة وطول قامتهم إلى منتهاه كماأن النخل تكون طويلة وقوية فهكذا هؤلاء الناس كانوا أقوياء طوال فهذا بدءهم ثم فى تقييد النخل بوصف الخاوية إشارة إلى أن هؤلاء الناس صاروا فى حال لم يبق لهم العظم ولاالقوة.
- وبالتالى فهذا يذهب بنا إلى الحقيقة أن الله تعالى هو خالق الكون وكل العباد ضعفاء لاقوى إلا هو والقوة قوته والملك ملكه وكل شيئ يجرى بأمره والأجرام القوية قوية بأمره فإذاقضى أن يرد تلك القوة فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.
- ثم نرى أنه كيف شبه الله تعالى خلاء أجوافهم بخلاء النخل وأن كل واحد منهما شيئ لايعبأ به لأن منافع الناس قد انقطعت منهما فكما أن النخل كانت محلا لرجاء الناس لاستخدامهم فى ضروراتهم من إقامة البيوت للسُقُف وغيرها ولكنها إذاخوت فانقطع منها المنافع التى كانت ترجى منها

فهكذا هؤلاء القوم كانوا محلا لرجاء الناس ولكن إذا صاروا بهذاالحال لم يبقوا محلا للنفع والخوف فصاروا كالشيئ الذى لا يعبأ به.[148]

- ولايخفى ما في هذاالأسلوب من تقبيح المشبه بتشبيهه بشيئ يعد قبيحا ومستنفرا كى يرجع الناس إلى الله تعالى بتنفرهم من هذا المنظر المهيب ويتقوامن الوقوع في مثل أسبابها.[149]

وفى وصف عذاب قوم عاد يقول الله تعالى:"تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر"[150] فى هذه الآية والآيات التى قبلها وصف الله تعالى عذابه على قوم عاد فهوأنه تعالى أرسل عليهم ريحا صرصرا مستمرة فكانت تلقيهم على رؤسهم فكانوا "يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جثث طوال عظام ، كأنهم أعجاز نخل وهي أصولهابلا فروع"[151] وقال ابن كثير رحمه الله تعالى "ذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس"[152]

شبه الله تعالى الناس ومدلوله قوم عاد بأعجاز نخل منقلع عن مغارسه وكل من المشبه والمشبه به مفرد أما المشبه فمفرد مطلق عن القيود وأما المشبه به فمقيد وكلاهما حسيان وقدذكرت أداةالتشبيه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غيرالبليغ ووجه الشبه كون كل واحد منهما قامة مستقيمة لأن الأعجاز تكون بدون الفروع وهى بدونها تكون مستقيمة وأما أجساد الناس فبعد أن تُقلع رؤسها تكون قامات مستقيمة.وهناك قول آخر وهو أن التشبيه فى أنهم كانوا يحفرون حفرا ليتقوا من الريح فكانت تقلعهم من حفرهم كما تقلع النخل من مغارسها'إذن فوجه الشبه هو كونهما مقلعا من الحفر.[153]

ولايخفى أن هنا تشبيهان:الأول تشبيه أجسادهم بإعجاز النخل والثانى تشبيه قلع رؤس الناس من أجسادهم أو قلع أجسادهم من الحفر بقلع النخل من مغارسها. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالأسلوب إشارة إلى عظمهم وقوتهم لأن النخل هى من أعظم الأشجار وأقواها وقد شبهوا بها.
- وفيه من إظهار قدرة الله تعالى لأنهم مع عظمهم وقوتهم قد اُ قلعوا وسقطوا على الأرض كأن لم يكونوا شيئا. قال الآلوسى رحمه الله تعالى "ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال"[154]
- وهذا من أحسن التشبيه "وذلك أنَّ المنقلع هو الذي ينقلع من قعره"[155] ففى الانقلاع إشارة إلى استيصالهم.

ويصف الله تعالى عذابه على قوم صالح فيقول:ب"إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر" [156] فى هذه الآية بيان عذاب الله تعالى الذى صبّ على قوم صالح عليه السلام بصورة الصيحة الواحدة وهي صاعقة عظيمة

خارقة للعادة أهلكتهم [157] فصاروا مهلكين "وبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبِيس الزرع والنبات"[158] والهشيم معناه: ما يَبِسَ وجفّ من الكلأ ومن الشجر والمحتظرهو الذي يَعمل الحَظيرة ويَبْنيهَا ، وذلك بأنه يجمع الهشيم ويلقيه على الأرض ليرصفه بعد ذلك سياجاً لحظيرته [159] فمعناه فصاروا بادين مثل تبددالهشيم الذى يجمعه ويلقيه على الأرض الرجل الذى يبنى الحظيرة.

شبه الناس المهلكون بهشيم المحتظر فى فنائهم وتبددهم وكل من المشبه والمشبه به مفرد أما المشبه فمطلق وأما المشبه به فمقيد وكل واحد منهمايدرك بحاسةالبصر وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل المفرد الحسى غير البليغ ووجه الشبه هو التبدد والفناء فى كل من المشبه والمشبه به.ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيههم بالهشيم إشارة إلى أنهم ماتوا قبل الوصول إلى المقصود لأن المحتظر قد جمع الأشواك والكلأ ليبنى الحظيرة ولكن قبل أن يبنى قد انكسرت وداستها الدواب فهكذا هؤلاء الناس قد قدروا الأمور ولكن قبل أن يصلوا إلى مقصودهم قد هلكوا. لأن المقصود بالتشبيه حالته قبل أن يرصف ويصفف وقبل أن تتخذ منه الحظيرة .[160]
- وهنا قد شبهوا بشيئ هين وهو الأشواك وأغصان العضاة وهى تُداس بالدواب وتطير فى الهواء هناوهناك ففيه إشارة إلى هوانهم فى نظر الله تعالى.فهم "لاكرامة لهم وإنما هم كهذاالهشيم الموطوء بالدواب تبول وتروث عليه"[161].
- واستخدام "كانوا" يشير إلى أن هذاالأمر متحقق إلى حد كأنه قد وقع فى الزمن الماضى فليس فيه مجال للشك وإلا فـ"كانوا" بمعنى "صاروا"[162]

ويصف الله تعالى بعض أحوال يوم القيامة فيقول:يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ *وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *[163]يبين الله تعالى أهوال يوم القيامة فيقول تعالى: فى ذلك اليوم تكون السماء كالمهل وهو دردى الزيت قاله ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد رحمه الله تعالى وتكون الجبال كالعهن أي: كالصوف المنفوش كما فى آية سورة القارعة.[164]

فى هاتين الآيتين تشبيهان ألأول تشبيه السماء بالمهل وهذا فى انحلال أجزائها وأما التشبيه الثانى فهو تشبيه الجبال بالعهن وستأتى دراسة كل من هذين التشبيهين أماالأول ففى سورة القارعة وأما الثانى ففى سورة الرحمان فلا داعى لذكرها هنا.وسأذكرالسر البلاغى بتفاصيله فى موضعهما إن شاء الله تعالى.

ويصف الله تعالى شدة هول يوم القيامة فيقول:"يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ"[165]فى هاتين الآيتين بيان هول من أهوال يوم القيامة فمن شدة هذااليوم يكون الناس ينقادون للداعى إلى النار فيتهافتون كتهافت الفراش إلى النار وتكون الجبال فى تطايرها وخفة تناثرها كالعهن المنفوش.[166]

فى هاتين الآيتين تشبيهان:الآول تشبيه الناس بالفراش المبثوث والمشبه مفردمطلق والمشبه به مفرد مقيد وكلاهما حسيان ووجه الشبه فيه الكثرة والانتشار والضعف والهوان فكما أن الفراش تكون فى الكثرة وهى تكون منتشرة هنا وهناك وهى فى الضعف أن يضرب بها المثل' فكذلك يكون الناس فى ذلك اليوم خارجين من قبورهم مجتمعين للحساب فيكونون فى الكثرة ويكون من شدة الخوف منتشرين هنا وهناك فى ذلة وهوان و ينقادون للداعى إلى النار فيتهافتون كتهافت الفراش إلى النار.[167]والتشبيه الثانى هو تشبيه الجبال بالعهن المنفوش فى التطاير وخفة تناثرها.[168]والمشبه مفردمطلق والمشبه به مفرد مقيد وكلاهما حسيان أيضا مثل التشبيه الأول وقدذكرت أداة الشبه فهما من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه فى هذا التشبيه "تفرق الأجزاء لأن الجبال تندكّ بالزلازل ونحوها فتتفرق أجزاءً ."[169] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيه الناس بالفراش وهو مثل فى الوهن والضعف إشارة إلى وهن الناس وضعفهم فى ذلك اليوم الثقيل' لأن الفراش لا يقدر على اتقاء نفسه حتى ومن الشيئ الضعيف فكذلك الناس يكونون ضعفاء يوم القيامة لايستطيعون أن يفعلوا شيئا لأنفسهم ولا لغيرهم.170
- فى تقييد الفراش بالبث إشارة إلى أن حركة الناس تكون بدون أى نظام لأجل الخوف من دهشة ذلك اليوم وهوله لأن البث لايكون فيه تماسك ولاتكون فيه سيطرة على النفس 'فكما لاتكون للفراش سيطرة على النفس بل هو تابع لأمر الغير فكذلك الناس تكون حركتهم غير تابعة لمشيئتهم بل تكون بدون أى نظام .171
- فى تقييد العهن بالمنفوش إشارة إلى عظم قدرة الله تعالى لأن وصف التناثر والتطاير الذى يراعى فى هذاالتشبيه ينافى وصف الجبال وهو الثقل ولكن بقدرة الله تعالى تكون هذه الأجسام الثقيلة بهذاالوصف.[172]

ويبين الله تعالى قسوة قلوب بنى إسرائيل بعد أن كان من المفروض أن تلين لمشاهدتهم قدرة الله تعالى فى إحياء الميت وإخباره عن قاتله ولكنهم استمروا فى غيهم وضلالهم ولم تلن قلوبهم بل قست مثل الحجارة أوأشد قسوة منها فيقول الله تعالى:

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[173]

هدفنا الأساسى فى بيان هذه الآيات هو أن نعرف القيمة البلاغية للتشبيه فى قوله تعالى "فهى كالحجارة" ولِما أن هذه القطعة من الآية تتعلق بقصة طويلة قد مضت فى بنى إسرائيل سأشير إلى هذه القصة وهى أن"فتى من بني إسرائيل كان براً بوالدته وكانت قد ورثت من زوجهابقرة وكانت تسكن مع ولدها المسكين فقالت له يوما، اذهب بهذه البقرة فبعها وخذ ثمنها فتقوّ به وودع به نفسك .فذهب بها إلى السوق وجاء ناس من بنى إسرائيل قد قُتل فيهم رجل وقد تنازعوا فى القاتل فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة حاملة للصفات المخصوصة ويضربوه ببعضها فيحيى ويكشف عن قاتله بنفسه بإذن الله وهذه الصفات كانت موجودة فى تلك البقرة فاقعاً لونها فاذبحها ، ثم اضرب الغلام ببعضها فعمدوا إليها واشتروها على أن يملأوا جلدها دنانير ، ثم ذبحوها ثم ضربوا الغلام ببعضها ، فقام يخبرهم فقال : إن بني عمي قتلوني وأهل الدار مني برآء.[174]

الأن آتى إلى شرح الآيات فالله تبارك وتعالى يُخاطب بنى إسرائيل والمراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق لأن أسلافهم هم الذين قد ارتكبوا هذه القباحة فيقول لهم إنهم قتلوا نفسا منهم ثم أرادوا أن يُخفوا ما قالوا ويتهموا من هم برآء مما قالواثم ذهبوا بهذه القضية إلى موسى عليه السلام فتحير فى أمرهم موسى عليه السلام فشق ذلك على موسى عليه السلام فدعا ربه ، فأوحى الله إليه : أن خذ بقرة صفراء فاقعاً لونها فاذبحها ، ثم اضرب الغلام ببعضها فاشتروالبقرة المذكورةو ذبحوها ثم ضربوا الغلام ببعضها ، فقام حيا وأخبرهم بأن بني عمه قد قتلوه وأهل الدار منه برآء وكان ينبغى أن تلين قلوبهم بعد أن رأوا آيات الله من إحياء الموتى وإخراج الأمور المخفية ولكنها قست مثل قسوة الحجارة أوأشد منها فى القسوة فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخر موسى صعقاً! ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى.[175]

شبه الله تعالى قلوب هؤلاء الناس بالحجارة وكل من القلوب والحجارة مفرد فالتشبيه مفرد وكل من الحجارة والقلوب حسى فهو من تشبيه الحسى بالحسى وهذا هوالرأى الراجح وهناك رأى مرجوح وهو أن المشبه هو القسوة المستفادة من قوله تعالى "ثم قست قلوبكم" ومن هنا فيكون تشبيه العقلى بالحسى

لأن القسوة لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة.وأداة الشبه مذكور وهو الكاف فالتشبيه غير البليغ .قال صاحب التفسير المنير:تشبيه مرسل مجمل لأن أداة الشبه مذكورة ووجه الشبه محذوف .[176]فالتشبيه مرسل لأنه مذكور الأداة ومجمل لأنه محذوف الوجه ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو الغلظ والجفاء فكما أن الحجارة لاتتأثر بشيئ فلا يصل إليه فهكذا قلوب هؤلاء الناس لاتتأثر بالمواعظ وآيات الله تعالى على أن الله تبارك وتعالى فضّل غلظ قلوبهم على غلظ الحجارة فى تأثرها بالمواعظ والقوارع وعدم تأثر قلوبهم بها.[177] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- أورد الله تعالى الفعل فى قوله(ثم قست قلوبكم) والفعل يدل على حدوث القساوة مع أن قساوة قلوبهم مازالت مستمرة وهويقتضى إيراد الاسم لما أن المرادَ بيانُ بلوغِهم إلى مرتبة مخصوصةٍ من مراتبِ القساوة البالغة إلى الانتهاء وبعد بلوغ الشيء إلى الانتهاء يقتضى حدوث شيء جديد فهذايوحى أنهم بلغوا إلى قساوة لاقساوة بعدها.
- والوجه الثانى أن هذاالأسلوب يوحى أن المواعظ والقوارع من جانب الله تعالى توجب الإقلاع عما كانوا عليه من الشقاوة فإذا لم يُقلعوا عما كانوا عليه من الشقاوة بل استمروا عليها فكأنها حدثت مرارا لأن الاستمرارَ على شيء بعدَ ورودِ ما يوجب الإقلاعَ عنه أمرٌ جديد وصنعٌ حادث .178
- و استخدام كلمة (ثم) وهى للاستبعاد يوحى أن وجود القسوة بعد مشاهدةِ الآيات التى تقتضى إزالتها شيء مستبعد لا ينبغى أن تكون كما فى قوله تعالى : { ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } أى هذاالعدل بربهم شيء مستبعد لا ينبغى أن يكون.ولا يخفى على من يكون له أدنى تأمل ما فى هذاالأسلوب من المبالغة فى التهديد والتوبيخ.[179]
- أورد الله تعالى الجملة اسميةً(فهى كالحجارة) بعد أن كانت قبلها جملة فعلية للدلالة على استمرار قساوةِ قلوبهم فهذاالتغيير من الفعلية إلى الاسمية أفاد أن القساوة بعد أن كانت منتهية إلى حد ليست بعدها قساوة التى كانت مستفادة من الجملة الفعلية ستستمر إلى مالانهاية لها ولاتزال .180
- كان من الممكن أن يُشتق من مادة القسوة أفعل التفضيل وهو مستخد م بكثرة فى اللغة العربية ولكنه لم يُشتق بل وُصفت القسوة بالشدة لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة وفيه من المبالغة ما ليست فى الكلمة المشتقة من مادة القسوة . ووجه آخر : وهو أن لا يقصد معنى الأقسى فحسب بل قصد وصف القسوة بالشدة ، كأنه قيل : اشتدت قسوة الحجارة ، وقلوبهم أشدّ قسوة .وفيه يتضاعف القسوة.181

- يبين الله تعالى أشدية قلوبهم بقوله{ وَإِنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الانهار } ففيه بيانٌ لأشَدِّية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدمِ التأثر بالمواعظ والآيات الباهرة ،وأما الحجارةَ ربما تتأثرُ بها حتى كان منها ما يتفجر منه المياهُ العظيمة { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ } أي يتشقق { فَيَخْرُجُ مِنْهُ الماء } أي العيونُ { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله } أي يتردَّى من الأعلى إلى الأسفل وكل هذايدل على تأثرهم خوفا من الله والانقياد التام لأمره تعالى.[182]
- شبه الله تعالى قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد مع أن الحديد أصلب من الحجارة لأن الحديد قابل للين بالنار وأما الحجارة فلا تقبل اللين فى وقت من الأوقات فشد تها مستمرة وهذاالتشبيه يوحى أن قسوة قلوب هؤلاء الناس تكون مستمرة وهى لا تزول فى وقت من الأوقات .[183]

ويتحدث عن سؤال الناس الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أن علم الساعة ماأعطى أحدا فلا يعلمها إلا هو ويبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس مثل من يبالغ فى السؤال فيصل إلى حقيقة الشيئ كما يزعم هؤلاء الناس فيقول تعالى:"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[184]

يخاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء اليهود يسألونك عن الساعة أيان وقوعها قل لهم إن الله تعالى استأثر بعلمه نفسه فلا يعلمها إلا هو لايكشف عن وقتها إلاهو فى وقتهاإذاجاءت بغتة وهؤلاء الناس يسألونك كأنك مبالغ فى السؤال عنها فعلمتها قل علمها عند ربى ولكن أكثر الناس لايعلمون.[185]

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالشخص الذى يبالغ فى السؤال عن الشيئ فيعرفه وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بحاسة البصر أماذات الرسول صلى الله عليه وسلم فظاهر وأما من يبالغ فى السؤل فهو من حيث الذات حسى وإن لم يدرك وصفه بها ولكن المشبه هو ذاته المتصف بهذاالوصف'فهو أيضا حسى وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من غير البليغ. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- شبه بالحفى وهوالذى يبالغ فى السؤال عن الشيئ وكل من هوشأنه هكذا فهو يعلم ذلك الشيئى علماجيدا لأنه يكون كالباحث الذى يتتبع العلم الصحيح بخلاف الرجل الذى يعلم شيئا ولكن لا يهتم به فعلمه قديكون صحيحا وقد يكون غير صحيح'ففى هذاالتشبيه مبالغة فى العلم.[186]

- يمكن أن تكون الإشارة إلى أن السؤال لابد أن يكون ممن يعلم المسؤل عنه بطريقة جيدة وعلى السائل أن لايسأل كل واحد.

ويصف الله تعالى نسوة اهل الجنة وحسنهن فيقول:"كأمثال اللؤلؤ المكنون"[187] بين الله تعالى فى هذه الآيات والتى قبلها وبعدها نعمه على أهل الجنة فالنعمة التى بينت فى هذه الآية هى تزويجهم بنسوة الجنة جميلات الأعين وواسعات الأعين وهى تكون كاللؤلؤ الذى فى الصدف لم تمسه الأيدى ولم تره الأعين.[188]

شبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون وكل من الحور واللؤلؤ مفردمقيد واللؤلؤ يدرك بإحدى الحواس الخمسة فى هذه الدنيا وأما الحور فلا تدرك فى هذه الدنيا ولكنها تدرك فى الآخرة يراها أهل الجنة فكلاهما من الحسى وأداة الشبه مذكورة فيه فهو من التشبيه غير البليغ.ووجه التشبيه فى هذاالتشبيه هو الحسن وعدم المس. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى التشبيه باللؤلؤ إشارة إلى حسنهن لأن اللؤلؤ معروف بالحسن والصفاء ثم هذاالحسن تسر الناظرين أما الأشياء الأخرى كالشمس وغيرها فلا يستطيع أحد أن ينظر إليها بل هذاالنظر مضر للأعين.
- ثم فى التقييد بكونه مكنوناإشارة إلى عفافهن وعدم مسهن بشخص آخر قبل صاحبهن وهذا وصف حسن فى المرأة غاية الحسن لا يساويه وصف.
- فى هذاالأسلوب قدزيد كلمة "المثل" بكاف التشبيه مع أن "المثل" حقيقة فى التشبيه "فلو قال : أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة" [189] ولكن استخدام كلمتى التشبيه تفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه ففى هذاالتشبيه من المبالغة ماليست فى كلمة التشبيه فقط.[190]

وهكذايصفهن وما بها من الجمال والصفاء فيقول تعالى:"كأنهن بيض مكنون"[191] ففى هذه الآية بيان حسن نساء الجنة فقال تعالى إنهن يكن كبيض النعام المصون من الغبار ونحوه.فيكن جميلات طاهرات. شبهت نسوة الجنة ببيض النعام المكنون وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بحاسة البصر وأداة التشبيه مذكورة فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هوالصفاء والبياض الذى يكون مخلوطا بأدنى صفرة.[192] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- البياض الذى يكون مخلوطا بأدنى صفرة من أحب الألوان عند العرب وأحسنها ففى هذاالتشبيه إفهام المخاطبين بأن نساء الجنة من أحسن ما يتصوره الناس وإلا فأين نحن من تصور شيئ مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.[193]

- المشبه به قد قيد بقيد الصيانة فالشيئ الجميل إذا كان مصونا عن الغبرة والقترة كان فى غاية الحسن ولهذا كان العرب يسمون النساء بيضات الخدور.194 يمكن أن يكون مع التشبيه فى اللون تشبيه فى الهيئة لأن فى البيض تدوير مع شيئ من الإستطالة وهذه الهيئة تعد من أحسن الهيئات فى النسوة.
- وفى التقييد بالصيانة إشارة أيضا إلى عفاف هذه النسوة وكيف هن صينت من أن تمسه أيدى غير أزواجهن.[195]

ويبين الله تعالى من نعم أصحاب الجنة وحسن الغلمان الذين يطوفون عليهم فيقول:"ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون"[196] ففى هذه الآية والآيات قبلها بيان نعم الله على المتقين فمن هذه النعم أن الخدام المختصون لهم وهم من أحسن مايتصوره الإنسان فهم كاللؤلؤ المصون يطوفون عليهم بالكأس.[197]

فى هذه الآية تشبيه الغلمان باللؤلؤ المصون وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بالحس وقد ذكرت أداة الشبه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه البياض والصفاء فكما أن اللؤلؤ يكون أبيض مصفى هكذا يكون هؤلاء الغلمان.[198]ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى التشبيه باللؤلؤ تقريب الأذهان إلى فهم مقدار الحسن والبياض والصفاءلأن اللؤلؤ معروف بهذاالوصف عند عامة الناس والناس يُفهمون على قدر عقولهم وإلا فنعم الجنة لاتدرك كيفا ولاكما لأنها مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .
- ثم أشير إلى زيادة وصف الحسن بصيانته من أيدى الناس لأن الشيئ المصون يكون أكثر حسنا.199
- وفى بيان حسن الخادم إشارة إلى أحسنية المخدوم لأن الخادم إذاكان حسينا إلى هذه الدرجة فهذايستلزم أحسنية المخدوم بالطريق الأولى.200
- وفى الوصف بالصيانة من معنى الغلو" لأنه لا يخزن إلا الحسن الغالي الثمن"ولاشك فى ممتلكات الجنة إنها تكون غالية جدا.[201]

ويصف الله تعالى خلقة الولدان فى الجنة لأهلها فيقول:"وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا"[202] فى هذه الآية بيان من نعم الله تعالى على عباده الصالحين فمنها أن الله تعالى يعين لهم من الغلمان الذين ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين فهم يطوف عليهم لخدمتهم وهم فى الحسن كاللؤلؤالمنثور.[203] وفى معنى الولدان قولان:الأول:" غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين ، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدماً لأهل الجنة."[204]

شبه الولدان باللؤلؤ المنثور والمشبه مفرد مطلق وأما المشبه به فمقيد بقيد النثرولكنه مفرد وكلاهما حسيان وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ ووجه الشبه هونقاء بياض وجوههم، وكثرتهم كاللؤلؤ المنثور.[205] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- التشبيه باللؤلؤ يوحى حسنهم لشهرة حسن اللؤلؤ عند عامة الناس وهذا كما مر[206]
- وتخصيص اللؤلؤ بالمنثور "لأنه أزين في النظر من المنظوم"[207] فانتشار أهل الخدم فى خدمة أهل الجنة هذايجيئ لخدمته وذلك يذهب لخدمته فهذاأكثر حسنا من أن يأتوا جميعا ويذهبوا جميعا.[208] وكماأن اللؤلؤ تكون سواء فى الخلقة فيمكن أن تكون الإشارة إلى استوائهم فى الخلقة ففى استواء الولدان من الحسن مالا نهاية له' والله تعالى أعلم.

ويدعوالله تعالى إلى العدل بين النسوة وإن لم يستطع أحد أن يعدل كل العدل فلا ينبغى لأحد أن يجعل زوجته معلقة فلا تعد من ذوات الأزواج ولامن الأيم فيقول تعالى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا*[209] فيبين الله تعالى أن العدل من كل الوجوه لايمكن لأن الميل القلبى إلى بعض الأزواج شيئ فطرى" لأن القلب ليس في تصرف الإنسان وإنما هو بين أصبعين من أصابع الرحمن"[210] ولكن الميل من كل الوجوه ظاهرا وباطنا فحرام فلا ينبغى أن يميل واحد إلى بعض نسوته تاركا للبعض ويجعل المتروكة كالشيئ المعلق فلا تعد من الأيّم فتنكح ولاذات زوج فتستغنى عن الزوج الآخر.[211] ثم إن أصلحا فيما بينهما واختاراالتقوى فإن الله تعالى يغفر الذنوب ويرحم الناس فى أحوالهم وشئونهم.

شبهت الزوجة بالشيئ المعلق وكل من المشبه والمشبه به مفرد وكل منهمايدرك بالحس وقدذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو عدم القرار كل منهما فى محله فالشيئ المعلق يكون فى الهواء لا هو على الأرض ولافى السماء وهكذا المرأة التى يميل عنها زوجها كل الميل فقد علقت فى الموضع الذى لاهو لذوات الأزواج ولا للتى ليس لها أزواج. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن الزوج لاينبغى أن يمسك زوجه من بين الأزواج الأخرى فى حالة لا يريدهاقلبيا فإما أن يعدل معها وإما أن يتركهابالإحسان لأن إمساكها فى هذه الحالة يزيد من النفرة عنه فى قلبها وعنها فى قلبه.

- وفيه بيان كيفية قلب الزوجة فى هذه الحالة من اليأس والتشاؤم والحسد على الأزواج الأخرى وتفهيم الزوج على وجه البصيرة أن إزعاج الناس لاينبغى لعباداالله إلى هذاالحدوهذاالتفهيم يعينه على أن يأتمربأوامراالله تعالى بالسهولة.

ويعُدّ الله تعالى الذين ينبذون أحكام الله تعالى وراء ظهورهم من جملة الأنعام بل شرامنها فيقول تعالى:"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"[212]

ففى هذه الآية يبين الله تعالى مآل الذين لاينتفعون بمشاعرهم من القلوب والأعين والآذان فيقول إن مآلهم جهنم وهم كالأنعام بل أضل منها"لأنها تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرّها ، فينتفع بما ينفع ، وتجتنب ما يضرّ ، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضرّ باعتبار ما طلبه الله منهم وكلفهم به" [213] وقال إنهم فى الغفلة الكاملة لعدم انتفاعهم بمشاعرهم.

شبه أولئك الموصوفون بالصفات المذكورة بالأنعام وأولئك المشار إلى كثير من الجن والإنس وهو مفرد حسى والمشبه به أى الأنعام أيضا كذلك وقد ذكر وجه الشبه وهو الكاف فالتشبيه مفردحسى غير البليغ ووجه الشبه هو عدم الانتفاع بما ينتفع به العقلاء[214] ومعنى هذاأن الأنعام لاتستطيع أن تنتفع بمشاعرهم الثلاثة لأن شعورهم محدود لاتستطيع أن تتجاوزها وأما الإنسان والجن المذكوران فيمكن لهما أن ينتفعا بمشاعرهما ولكنهما لم يفعلوا ذلك وهذاهو الفرق بين انتفاع الإنسان والجن والأنعام ولذا فرق الله تعالى بينها وبينهما بقوله "بل" وهذاالفرق يفيد أشياء: الأول: أن الأنعام "تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرّها ، فينتفع بما ينفع ، وتجتنب ما يضرّ ، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضرّ باعتبار ما طلبه الله منهم وكلفهم به"[215] والثانى أنها" تعرف صاحبَها وتذكرُه وتُطيعه ، وهؤلاء لا يعرفون ربَّهم ولا يذكُرونه ولا يطيعونه "[216] والثالث:" أن الأنعام لا يبلغ بها ضلالها إلى إيقاعها في مهاوي الشقاء الأبدي ، لأن لها إلهاماً تتفصى به عن المهالك كالتردي من الجبال والسقوط في الهوّات"[217] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- الشيئ الفارق الأساسى بين الثقلين والأنعام هو الإدراك بالقلوب والآذان والأعين فإذالم يستخدمه الإنس والجن فقد سقطا عن درجة ذوى العقول إلى درجة الأنعام وهذه التساوى فى درجة الإدراك لايضر الأنعام بل يضر الإنس والجن.
- من المعلوم أن المقصود بالذكر هو أضلية هؤلاء الناس من الأنعام لأنها تفعل ماخلقت له وأما الإنس والجن فلايفعلان بل يعصيان الله تعالى.

- فى كلمة أولئك إشارةٌ إلى أن المذكورين فى مهاوى بعيدة من الضلال لأن ضميراولئك للبعيد ولاشك فى أن الذين سقطوا عن درجة ذوى العقول قدوصلوا إلى أقصى حد فهم أغضبوا ربهم وجعلواالنار مأوى لهم.[218]

ونهى الله تعالى عن أن يكون الناس مثل الذين يدّعون أنهم يسمعون مع أنهم ليسوا كذلك ثم بين أن شرالدواب الصم البكم الذين لايعقلون فقال: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ"[219]

ففى هذه الآية منع الله تعالى المسلمين من أن يكونوا كالذين يدعون أنهم يسمعون ولكن فى الحقيقة هم لايسمعون ومعنى انتفاء السماع منهم مبنى على المجاز لأنهم يسمعون الكلام ولكنهم عوّدوا أنفسهم على أن لايسمعواالخيرفكأنهم لايسمعون شيئاثم استمرالله تعالى فى بيان شناعتهم فقال إنهم كشرالدواب وهى الصم البكم الذين لايعقلون.

هنا تشبيهان: الأول فى منع المسلمين عن المشابهة بالمشركين والمنافقين الذين يدعون أنهم يسمعون ولكن فى الحقيقة هم لايسمعون فالمشبه فيه المسلمون ودل عليه النهى فى ولاتكونوا والمشبه به هو المنافقون والمشركون ودل عليه قالوا سمعنا وهم لايسمعون لأنهم هم المراد به.[220] وكل من المشبه والمشبه به مفرد وحسى باعتبارأشخاصهم لأن كلا منهما يدرك بإحدى الحواس الخمسة وإن كان نفاقهم وإسلامهم لايدرك بها.فبالاعتبار الأول هذاالتشبيه من المفرد الحسى وبالاعتبار الثانى هو من المفرد العقلى. ثم أداة التشبيه مذكورة فهو من التشبيه غير البليغ.ووجه الشبه فيه هو عدم الانتفاع بالقوة السامعة والتضاد بين القول والعمل. والتشبيه الثانى هو فى الآية الثانية وهو تشبيه الكفار بالبهائم وكل واحد منهما مفرد ومدرك بإحدى الحواس الخمسة أما إدراك البهائم فظاهر وأما إدراك الكافر فلأن شخصه مدرك بالقوة الباصرة وإن كان الكفر مدرك بالعقل فقط.فالتشبيه من المفرد الحسى ولعدم ذكر الأداة هو من التشبيه البليغ.وذكرته فى التشبيه غير البليغ لأنه كالجزء للتشبيه غير البليغ لاتصاله بالتشبيه السابق.ووجه الشبه فيه هو عدم الانتفاع بحواسهم فى الأمورالخيرية. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذه الآية تشبيه ليس فقط بالأنعام العادية بل بالأنعام التى تكون متصفة بصفة الصمم والبكم وهذه الآية تعريض بتشبيههم بالدواب ، فإن الدواب ضعيفة الإدراك ، فإذا كانت صماء كانت مثلاً في انتفاء الإدراك ، وإذا كانت مع ذلك بكماً لاتستطيع أن تُفهم صاحبها من الجوع أوالألم أو غير ذلك فإذاشبهوا بها انعدمت منهم صفة الفهم والإفهام لايَفهمون ولايُفهمون.[221]

- فُهم من هذاالتشبيه أن العلم المحض لايفرق بين الإنسان والبهيمة بل لابد للتفريق بينهما من العمل مع العلم.لأن عدم العمل يجعلهم فى منزلة الدواب بل شر الدواب كماهو مفهوم هذه الآية.
- هذه الآية تدل على أنهم لايقبلون الهداية فهم صم ولايستطيعون أن يقدمواالحجة أوالعذر لأعمالهم السيئة لأنهم كالبكم.[222]

ويخبر الله تعالى أن المؤمن المبصر والكافر الأعمى عن معرفة الله تعالى ليسا بسواء بل بينهما فرق كبير عند الله تعالى فيقول تعالى:"أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"[223]

ينفى الله تعالى الاستواء بين الكافر الجاهل والمؤمن المبصر فالمؤمن يتذكر بآيات الله تعالى الموجودة فى هذاالكون والكافر لاتجذبه هذه الآيات إليها فيؤمن بها ويتذكر بها.شُبه الكافر الجاهل بالأعمى فى عدم البصر فهذا لايبصر بنور العين وذاك لايبصر بنور القلب وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بحاسة البصر أما المشبه به فظاهر لأنه يرى ويعرفه كل شخص أنه أعمى وأما المشبه فذاته مبصر لأن المتصف بهذاالوصف ليس إلا ذات موصوف بهذاالوصف وإن كان وصف عدم البصر لايراه أحد ولكن المشبه هنا هو الذات المتصف بهذاالوصف قال ابن عاشور:"واستعير لمن لا يعلم أنّ القرآن حق اسمُ الأعمى لأنه انتفى علمه بشيء ظاهر بيّن فأشبه الأعمى"[224] فهو من الحسى أيضا.وأداة الشبه مذكورة فهو من غير البليغ. ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو عدم البصر فيهما.ففى المشبه به عمى العين وفى المشبه به عمى القلب فكما أن الأعمى لايبصر الأشياء الظاهر وجودها فكذا الكافر لايرى الآيات الظاهرة الدالة على وجود الله تعالى ووحدانيته.[225] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى ظهور الآيات الدالة على حقانية القرآن الكريم وأنه كيف أعجزالإنس والجن من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فالمستفاد من تشبيه الجاهل عن هذه العلامات بالأعمى أن الآيات واضحة والنقص فى بصرالمشاهدين.[226]
- وإلى جانب آخرأشار القرآن الكريم إلى أن هؤلاء الناس فى أقصى درجة العمى والضلال لأن هذه العلامات واضحة كل الوضوح وكان من المفروض أن يبصروا هذه الآيات البينات الدالة على حقانية القرآن ولكن الكافر الجاهل بهذه الآيات لا يشاهدها.[227]
- إطلاق العمى على البصر الذى لايميز الحق من الباطل يدل على أن هذاالبصر لايفيد شيئا حتى لاينبغى أن يسمى بالبصر فهو أعمى فى نظر الله تعالى وإن كان الناس يزعمون أنهم يبصرون.

- بين الله تعالى هذه الحقيقة بصورة الاستفهام الإنكارى للإشارة إلى أن عمى الكافر الجاهل بحقانية القرآن الكريم شيئ بين يعرفه كل واحد.

ويصف الله تعالى طى السماءوبدء الخلق يوم القيامة فيقول:"يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ"[228] فى هذاالكلام تقديم وتأخيرلأغراض بلاغية وتقدير العبارة هكذا" نعيد الخلق كما بدأنا أولَ خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعْداً علينا"[229] ثم اختلف المفسرون فى معنى السجل "فقال بعضهم: إنه اسم ملك من الملائكة و قيل إنه اسم رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل هو الصحيفة التي يكتب فيها" [230] ولكن الأصح من هذه الأقوال أن السجل بمعنى الصحيفة [231] فمعنى الكلام أن الله تعالى سيطوى السموات يوم القيامةكماتطوى الصحيفة بما فيها من المكتوب يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم.[232]

فى هذه الآية تشبيهان: الأول:تشبيه طى السموت بطى السجل للكتب وكل من المشبه والمشبه به مفرد حسى وذكرت فيه أداةالتشبيه فهومن المفرد الحسى غيرالبليغ.ووجه الشبه فى هذاالتشبيه التغيير فى كل من الصحيفة والسماء أى تتغير أجرامها من موقع إلى موقع ويقترب بعضها من بعض كما تتغير أطراف الورقة المنشورة حين تطوى ليَكتب الكاتب في إحدى صفحتيها والثانى تشبيه إعادة خلق الله ببدء خلقه والبدء والإعادة كلاهما مفردان لايدركان بإحدى الحواس الخمسة وذكرت أداة التشبيه فهو من المفرد العقلى غير البليغ وذكرت هذاالتشبيه هنا مع أنه من التشبيهات العقلية لتكميل أحد التشبيهين فكرة الآخر.ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو وجود الإمكان فى كل من البدء والإعادة وفى تناول القدرة لهما على السواء.[233] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيه طى السماء بطى الصحيفة إشارة إلى هوان الأجرام العظيمة مثل السماء أمام قوة الله تعالى وقدرته "لما في أذهان العامة من قوة الطاوي وضعف المطوي وصغر حجمه بالنسبة للسماء أي نظراً لما في أذهانهم من مجموع الأمرين" [234]
- فى التشبيه الثانى إشارة إلى أن الله تعالى قادرعلى كل شيئ فالله الذى قدر على أن يبدأ الخلق من العدم بدون سبق مثال ونموذج فهو قادر على أن يعيد الخلق بالطريق الأولى ففى هذاالتشبيه تقريب هذاالأمر إلى الأذهان لأنه إثبات الأمر بالدليل.
- فيه تحريض المخاطب على التفكر فى مثل هذه الأمور لأن مثل هذاالتفكر مفتاح لكنز العلوم وطريق إلى المعرفة ولذا دعاالله تعالى عباده إلى أن يتفكروا فى خلق السموت والأرض كى يصلوا إلى غايتهم من معرفةالله تعالى.

ويخبر الله تعالى أن الغيب عنده فقط وأن الساعة ستقوم بالسرعة فيقول:"وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[235] أى الله تعالى يعلم غيب السماوات والأرض والساعة تقوم بسرعة مثل سرعة"رجع الطرف من أعلا الحدقة إلى أسفلها" [236] أوأسرع من هذا والله تعالى قدير على كل شيئ فلا يصعب عليه مثل هذاالقيام.

شبه أمر الساعة بلمح البصر فى السرعة وكل من قيام الساعة ولمح البصر مفرد ويدرك بحاسةالبصر فكما أن الناس يرون رجع الطرف من أعلى إلى أسفل فكذلك سيرون قيام الساعة بأعينهم وقد ذكرت أداة التشبيه. فهو من قبيل المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هو السرعة فيهما. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- قد أفاد هذاالتشبيه المبالغة فى سرعة مجيئ الساعة لأن الناس يعدون لمح البصر من أسرع ما يكون فكل هذاالكون المعمور بكل الأنشطة والنضرة سيصل إلى الانتهاء فى آن واحد بدون أى مكث وتدريج.237
- المستفاد من أوهو أقرب أن التشبيه ليس فى المقدار بل فى السرعة وهذا لإفهام الناس على قدر عقولهم وإلا فيكون قيام الساعة أقرب من هذا وأسرع "فإن رجع الطرف من أعلا الحدقة إلى أسفلها وإن قصر حركة أينية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هو كذلك قابل للانقسام إلى أبعاض هي أزمنة أيضاً وأما قيام الساعة فيقع فى آن واحد كآن ابتداء الحركة.[238]
- ثم استخدام ما وإلا فى هذاالأسلوب قد زاد المبالغة لأن هذاالأسلوب لحصر ماقبل إلا بما بعده فانحصر قيام الساعة فى لمح البصر.

ويبين الله تعالى تسخير الجن لسليمان عليه السلام في الأعمال التى كان يريدها سليمان عليه السلام فيقول تعالى: "يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور"[239] لقد من الله تعالى فى هذه الاية على آل داود أن الله تعالى سخر الجن لسليمان عليه السلام فكانوا يعملون له ما يأمرهم من قصورٍ حصينةٍ ومساكنَ شريفةٍ سُمِّيتْ بذلك لأنَّها يُذبُّ عنها ويُحاربُ عليها وكانوايعملون له من صور الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ على ما اعتادُوه فإنَّها كانتْ تعمل حينئذٍ في المساجدِ ليراها النَّاسُ ويعبدوا مثلَ عباداتِهم ومن جِفَانٍ وهو جمع جَفْنةٍ وهي الصَّحفةُ كالحياضِ الكبيرةِوَمن قُدُورٍ رسيات ثابتاتٍ على الأثافي لا تنزل عنها لعظمِهاثم أمرهم أن يشكروالله تعالى على نعمه الجليلة فعددالشاكرين قليل.[240]

شبه الله تعالى الجفان بالحياض وكل من الجفان والحياض مفرد ومدرك بإحدى الحواس الخمسة وذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسى

غيرالبليغ. ووجه الشبه فيه هو العظم. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيه الجفان بالحياض الكبيرة من المبالغة لأن الحياض معروفة بصفة العظم مع أن الجواب معرف باللام وهو يشير إلى نوع خاص من الحياض وهى الحياض الكبيرة."وذكر في سعة جفان سليمان عليه السلام أنها كانت على الواحدة منها ألف رجل"[241]
- وربمايكون استخدام كلمة الجواب للحياض مشيراإلى أن فى هذه الكلمة معنى الجمع لأنه من الجباية وهوبمعنى الجمع[242] فالناس يقصدون مائدة سليمان عليه السلام فكان مضيفا وهذا أيضا من نعم الله تعالى على عباده.

ويبين الله تعالى أحوال القمرعبر أيام الشهر من الضئالة فى أول الشهر واكتماله فى نصفه وعوده فى النقصان مرة أخرى فى آخر الشهرفيقول تعالى:"والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم"[243] أى"والقمر جعلناه بتدبير منا منازل ، إذ يبدو أول الشهر ضئيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة إلى أن يكتمل بدراً ، ثم يأخذ فى النقصان كذلك حتى يعود فى مرآه كأصل العنقود من الرطب إذا قدم فدق وانحنى واصفر."[244]

شبه الله تعالى القمر فى الأيام الأخيرةمن الشهر بالعرجون القديم وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بحاسة البصر وذكرت أداة التشبيه فهو من المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه هو" الدقة والانحناء والصفرة."[245] لأن العرجون إذا انقطع الثمر انحنى واصفَارّ وتضاءل فأشبه صورة القمر في آخر ليالي الشهر وفي أول ليلة منه ولهذااختار الله تعالى لفظ عاد وليس صار كى يفهم أنه فى الليلة الأولى والأخيرة سواء.[246] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى تشبيه القمر بالعرجون القديم إشارة إلى أن المشاركة بينهما ليست فى الشكل فحسب بل فى معان أخرى أيضا منها أن العرجون القديم كأنه شيئ حقير لايلتفت إليه الناس وكذلك القمر فى هذه المرحلة لايلتفت إليه أحد [247].
- ومن هذه المعانى أن كلا من القمر والعرجون كان متعلق الأنظار فالعرجون كان حامل الثمر والنفع والقمر كان مرسل النور والهداية .[248]
- وفيه إشارة إلى أن كل شيء يسافر إلى نهايته وهو العدم فالشمس تجرى إلى نهايته والنهار يجرى إلى نهايته وكذلك بعد سفره ينتهى إلى العدم.

ويبين الله تعالى مظاهر قدرته ونعمه على عباده ظاهرة وباطنة فيقول:"ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام"[249] ففى هذه الآية يبين الله تعالى

قدرته وإحسانه العظيم على عباده فمن نعمه إجراء السفن العظيمة على وجه البحر عند هبوب الرياح.[250]

شبهت السفن العظيمة بالجبال فى العظم وكل من المشبه والمشبه به مفرد يدرك بحاسة البصر وذكرت أداة الشبه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هو العظم فى كل من المشبه والمشبه به أما فى المشبه به فحقيقة وأما فى المشبه فهو مبنى على المبالغة للأغراض البلاغية. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى التشبيه بالجبل مبالغة لأن الجبل معروف بصفة العظم عند الناس فبعد التشبيه بالجبل لا يحتاج المتكلم أن يقول إن الشيئ عظيم جدا.
- أثبت الله تعالى أن السفن عظيمة جدا ومن المعلوم أن الشيئ الثقيل يستلزم الثقل والثقل ينافى الجرى ففى إجراء الله تعالى الثقيل إظهار قدرته تعالى إظهار قدرة الله تعالى خصوصا الجبل يضرب به المثل أنه ثابت فى موضعه كالجبل.ومن المعلوم أن التشبيه لايكون من كل الوجوه.[251]
- وفضلا عن إظهار قدرةالله تعالى فى إجراء السفن العظيمة هناك مظهر آخر من مظاهر قدرة الله تعالى وهو أن الثقل يستلزم الغرق فى الماء ولكن الله تعالى أمسكها عن الغرق.[252]

ومثل هذاالتشبيه تشبيه فى آية سورة الرحمان"وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام *[253]

وهكذا يبين الله تعالى وصف شجرة الزقوم فيقول:"إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ *كالمهل يغلي في البطون *كغلي الحميم"[254] فى هذه الآيات الأربعة بيان وصف طعام الأثيم فى جهنم فقال إن شجرة الزقوم تُعطى لهم طعاما وهويكون كدردى الزيت فى سواد اللون أوالذوبان وهذاالطعام يغلى أو الشجرة تغلى على اختلاف الرأيين فى البطون كما يغلى الماء المسخن.[255]

شبه الطعام أولا بالمهل فى سواد اللون أو الذوبان ثم بالحميم فى الغليان وكل من المشبه والمشبه به مفرد ومدرك بالحواس فى المرتين وذكرت أداة التشبيه فى كلا التشبيهين فهما من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ . ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- قُبّح شأن الطعام لتشبيهه بشيئ قبيح الصورة وهو المهل فلونه أسود ينفر الآكل ثم إن كان وجه الشبه هو الذوبان فهو أيضا شيئ مخيف لأنه نتيجة لحرارته وغليانه كماهو مستفاد من التشبيه الثانى.

- ثم بتشبيهه بالماءالمسخن تُرى أمامنا صورة مخيفة من غليان الطعام فى البطون وكأن البطن إناء قد وضع بالنار.لأن الحميم معناه:" الماء الشديد الحرارة الذي انتهى غليانه" [256]

يعلّم الله تعالى المسلمين الأدب فى مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول:"يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون"[257] فى هذه الآية تأديب المسلمين فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وهو النهى عن الجهر بالأصوات فى مجلسه بل لابد أن يتكلموا بالجهر المعتاد فى الأصوات فإن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بجهر معتاد فالمعنى : لا ترفعوا أصواتكم في مجلسه وبحضرته إذا كلم بعضُكم بعضاً لأن الجهر بالأصوات يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فيكون نتيجة لحبط الأعمال وأنتم لاتشعرون ذلك.[258] والمعنى الثانى: لاتتكلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالجهر كما تجهرون حينما تتكلمون فيما بينكم.[259]

شبه الجهر فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم بالجهر فيما بينهم وكل من المشبه والمشبه به مفرد وحسى لكونه مدركا بحاسة السمع وذكرت الأداة فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه ظاهر. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة ألى أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس مثل عامة الناس بل فوقهم وجدير بأن يعظم فإن قوله تعالى"كجهر بعضكم لبعض" يشير إلى أن هذاالجهريكون فى عامة مجالس الناس وأما فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فلاينبغى أن يكون.
- وكما قلت فى المفهوم العام أن المراد (لا ترفعوا أصواتكم في مجلسه وبحضرته إذا كلم بعضُكم بعضاً)فكيف إذاكان الكلام مع النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة ؟حقا تخفيض الأصوات فى هذه الصورة يكون واجبا بالطريق الأولى.
- حتى ولوأريد المعنى الثانى وهو الجهر مع النبى صلى الله عليه وسلم فأيضا إشارة إلى أن تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم واجب على المسلمين.

يوبخ الله تعالى الكفار والمشركين على أنهم مشغولون بغير ما خلقوا له فيقول:"فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون"[260] أي إذا ثبت أن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه وأنه سبحانه ما يريد منهم من رزق فالله تبارك وتعالى سيعذب المشركين لاشتغالهم بغير ما خلقوا له من العبادة وإشراكهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام كما عذب

نظرائهم من الأمم الماضية' فلاينبغى لهم أن يستعجلوا فى العذاب كما استعجلوا.[261]

شبه ذنوب الكفار من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بذنوب الأمم الماضية وكل من المشبه والمشبه به مفرد حسى وذكر اللفظ الدال على التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه هو كثرةالعذاب لأن "أصل الذنوب الدلو العظيمة الممتلئة ماءاً ، أو القريبة من الامتلاء ، قال الجوهري : ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة"[262]ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى تتابع العذاب لأن الدلاء تكون متتابعة فالله تعالى أهلك المجرمين واحدا بعد آخر بالعذاب المتتابع.[263]
- كما قلت إن أصل الذنوب الدلو العظيمة الممتلئة ماءا ففى هذاالتشبيه إشارة إلى أن هذاالعذاب لن يكون عذابا عا ديا بل عذابا عظيماإلى حد أنه لن يكون فوقه عذاب.264
- قال صاحب الكشاف "الذنوب : الدلو العظيمة ، وهذا تمثيل ، أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب".265 وهذايوحى أن المعذبين هم الذين تسببوا لهذا العذاب كالذين جاءوا لطلب الماء فيقتسم السقاة بينهم الماء فهؤلاء الناس كأنهم هم الذين طلبوا العذاب بأعمالهم السيئة.

ويقول الله تعالى مشيرا إلى قصة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وقومه وإلى عظم فرق البحر:"وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"[266]

فى هذه الآية إشارة إلى قصة انفلاق البحر لموسى عليه السلام ومن معه من بنى إسرائيل.فقال تعالى أن امرنا موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق وكان كل فرق من الماء بين المسالك كالجبل العظيم.[267]

شُبه فرق الماء بين المسالك المُعدة لبنى إسرائيل بالجبال فى الارتفاع والثبات وكل من المشبه والمشبه به مفرد مدرك بحاسة البصر وذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه الثبات والرسوخ فيهما.[268] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى ثبات هذه الفرق لأن الجبل يضرب به المثل فى الثبات فما كان من الممكن أن يتصل ماء البحر ويغرقهم لأنه تعالى جعله واقفا ثابتا.

- وهذايدل على قدرة الله تعالى أنه قادر على أن يبدل الأشياء فى نقيضه فصفة الماء بعكس صفة الجبل فى الثبات وعدمه فصفة الماء السيلان وصفة الجبل الثبات ولكن إذا أراد الله تعالى أعطى الماء صفة الثبات.
- والجبل كما عُرف بالثبات فكذلك هو معروف بالعظم عند الناس فهذاالتشبيه أن هذه الفرق كانت عظيمة لغورالماء.

ويقص الله تعالى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام واختبار بلقيس لما أحضر عرشها فيقول الله تعالى:"فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ"[269]فى هذه الآية قصة بلقيس التى كانت تملك ملك سبأ فلما جاءت إلى ملك سليمان عليه السلام وكانوا قد أحضرواعرشهافقيل أهكذا عرشك قالت إنه مشابه جدا بذلك ثم أكمل سليمان عليه السلام قوله بقوله : "وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ".[270] هناك تشبيهان فى هذه الآية وهما فى الحقيقة على منوال واحد الأول فى "أهكذا عرشك " والثانى فى "كأنه هو" أما فى الأول فهوالاستفسار عن التشابه بين العرشين والثانى جوابها

ففى الجواب قدشبهت العرش الذى كانت قدتركت فى ملكها بالعرش فى ملك سليمان عليه السلام وأنهما فى الحقيقة شيئ واحد ولكنها أظهرت كأنهما شيئان مختلفان متشابهان فبناء على هذا المشبه والمشبه به مفرد حسى وقدذكرت أداة الشبه.فهذا من قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البليغ.ووجه الشبه هو كونهما متماثلة فى الكيفية والكمية.ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- قد اختيرت اسلوب التشبيه ولم يقُل أهذا عرشُكِ لئلاَّ يكونَ تلقيناً لها فيفوتَ ما هو المقصودُ من الأمرِ بالتَّنكيركى يشتبه عليها الأمرحتَّى يتبينَ حالها فى أمر العقل والذهانة.[271]
- هى أيضا اختارت اسلوب التشبيه فأنبأتْ عن كمالِ رجاحةِ عقلِها حيثُ لم تقُلْ هُو هُو مع أنها قد علمت بحقيقةِ الحالِ إشارة إلى أن العرش قد نكر وتغاير بعض صفاته والأمرالثانى أنها قدراعت حسنِ الأدبِ في محاورتِه عليه الصَّلاة والسَّلامُ لأن دعوى كون هذاالعرش هو ينبئ أنها قد خدعت ومثل هذاالأسلوب لايليق فى المحاورة مع نبى الله صلى الله عليه وسلم.[272]
- وفى هذاالتشبيه الثانى وصلت المشابهة إلى حد يصل إلى الاتحاد فهذا فى الحقيقة دعوى الاتحاد مع مراعات المحاورة مع نبى الله صلى الله عليه وسلم.

ويثبت الله تعالى البعث بعد الموت قياسا على إحياء الأرض الموتى فيقول:"رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج"[273]عد الله تعالى ظهور

الدلائل بصنع الله على أن البعث ممكن لأن من خلق السموت والأرض وأنزل من السماء ماء وأنبت من كل الثمرات والزرع رزقا للعباد قادرعلى إحياء الموتى" لأن خلق تلك المخلوقات من عدم يدل على أن إعادة بعض الموجودات الضعيفة أمكنُ وأهَونُ"[274] فكما أن الله تعالى أحيا بلدةً ميْتة فتشققت وخرج منها النبات كذلك تَتَشققُ ويخرج منها الأموات .[275]

المشبه فى هذاالأسلوب هو الخروج والمشبه به هو "ذلك"والإشارة به إلى ما ذكر من إحياء الأرض بعد موتها ، أي كما أحيينا الأرض بعد موتها كذلك نحيي الناس بعد موتهم.[276] وكل من المشبه والمشبه به مفرد أماالمشبه فظاهروأماالمشبه به فبتأويل المذكور أوإحياء الموتى أو إخراج النبات وكل هذه الأشياء مفردة.ثم المشبه حسى لأن الخروج شيئ يلاحظه الناس وأما المشبه به فعمل الإنبات والإخراج شيئ يفهم بالعقل ولكنه حسى بدلالة الأشياء الموجودة المرتبة على ذلك الإخراج والإحياء.ووجه الشبه هو إمكان الوجود فيهما. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- شبه إمكان خروج الموتى من قبورهم بإمكان إخراج النبات بعد شق الأرض للإشارة إلى أن الله الذى قدر على شيئ أصعب مما يستصعبونه من البعث بعد الموت فهوقادر على إحياء الموتى لأن إحياء الموتى شيئ سهل بالنسبة إلى ما بُيِّن لأن إحياء الموتى إعادة الشيئ الذى كان موجودا وأما إخراج النبات والنخل وغير ذلك لم يكن موجودا من قبل' وإعادة الشيئ الموجود أسهل بكثير من إيجاد ما لم يوجد من قبل.[277]
- ثم استخدام كلمة الخروج- مع أن المنسوب إلى الله تعالى هو الإخراج لا الخروج' أما الخروج فمنسوب إلى الموتى- إشارة إلى أسهلية إحياء الموتى فكأن هذاالإخراج لا يقتضى عملية المخرج بل هو أمر مرتب على الوجود السابق الذى كان قبل الموت فهواستمرار الحياة القبلية.
- وفى كلمة ذلك من تعظيم المشار إليه ما لايخفى لأنه اسم الإشارة للبعيد ففى استخدامه هنا بعد منزلة المشارإليه كما فى ذلك الكتاب لاريب فيه.[278]

ويبين الله تعالى أفضل عمل عباده عنده وهو القتال فى سبيله ضد أعداء الإسلام فيقول:"إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص *[279] مدح الله تعالى المؤمنين الذين يقاتلون فى سبيله متحدين مثل البناء المتين الذى يقوى بعضه بعضا ويمسك بعضه بعضا.قال ابن عاشور:"والمرصوص : المتلاصق بعضه ببعض"[280]

شبه الله تعالى المؤمنين المقاتلين فى سبيله بالبنيان المرصوص'والمؤمنون المتصفون بصفة القتال مفرد مقيد ويدركون بحاسة

البصر والبنيان الموصوف بصفة الرص أيضا مفرد مقيد يدرك بالحس وقدذكرت فيه أداة التشبيه'ووجه الشبه هو المتانة والالتئام.[281] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- من الواضح جدا أن كل محتويات البيت من الأبواب والجدران والسقف وما إلى ذلك ليس فى شيئ من القوة والعمل منفردا عن البيت ولها شأن عظيم مادامت متصلة بالبيت فهكذا أفراد المسلمين ليسوا فى شيئ من الغلبة والقوة والنصرة منفردين عن الجند الإسلامى ويكونون فى قوة ونصرة والفوزماداموا منتمين إلى الجند الإسلامى فهذاالتشبيه أفادت أن أفراد المسلمين ينبغى لهم أن يكونوا منتمين إلى الجند ويتفكروالبقاء المجموع لا لبقاءذواتهم.
- والأمر الثانى أن البنيان لم يطلق بل قيد بقيد الرص إشارة إلى أن المسلمين لابد أن يكونوامقوّين بعضهم لبعض معاونين لهم فى أمر الجهاد وينبغى أن يستوي شأنهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة ، وموالاة بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص.[282] وهوأيضا أفاد أن الأمة الإسلامية ينبغى أن تكون فى الاستقامة مثل البنيان القوى الذى يصرف وجوه الأعداء وهم لا يتحركون من مواضعهم فالبنيان المرصوص يصرف طرق الهواء والآفات وهو لايتحرك من مواضعه'ففى هذاالتشبيه"أعلم الله تعالى أنه يحب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص" [283]

ويبين الله تعالى عاقبة أصحاب الفيل فيقول:"فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ"[284] فى هذه الآية جزء من قصة أصحاب الفيل أن أرسل الله تعالى عليهم طيورا فرمت بهم الحجار الصغيرة وأماتتهم فصاروا متساقطين على الأرض هالكين كزرع وأكلت أطرافه البهائم وطرحت الباقى على الأرض داسته بأرجلها.[285]

شبه الناس المهلكين بالزرع المأكول والمشبه مفردمطلق والمشبه به مفرد مقيد وكلاهما حسيان وقد ذكرت أداة الشبه فهذامن قبيل التشبيه المفرد الحسى غير البلغ ووجه الشبه تغيير الحال بعد النضرة فى كليهما فالزرع فى المزارع كان نضرا وهكذا كان هؤلاء الناس قبل هذاالهلاك فى النضرة والقوة.[286] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى هوانهم لأن الزرع إذاأكل بعضه ويراث على بعضه ويداس كان مها نا عند الناس فهم لايلتفتون إليه ولايرجون منه نفعا فكذلك هؤلاء الناس أهينوا وسقطوا على الأرض ومابقوا محلا للالتفات والرجاء منهم.[287]وأفاد هذاالتشبيه أن هؤلاء الناس كانوا فى القوة والنضرة والفخر والحماس قبل هذاالهلاك ولكن إذادارت بهم دائرة

غيرت حالهم وبدلت نضرتهم وفخرهم فى الهلاك والهوان وهذامن حسن أساليب القرآن أنه يأتى بالمتضادات بعد تغييرحال القوم كالخمود بعد النضرة والضعف بعد القوة.وفيه إظهار قدرة الله تعالى.

- وأفاد أيضا أن هؤلاء القوم قد غيرت أجسادهم لأن العصف المأكول يبدل فى الشيء الآخر تماما فكانوا قد احترقوا وما كانوا فى صورهم الأولى. [288]

يبين الله تعالى حال من أنكر قيام الساعة ولذا يسألون عنهافيقول:"كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا"[289] أى"أن ما أنكروه سيرونه حتى كأنهم أبداً فيه وكأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ثم مضت"[290] فضمير"هم" فى هذه الآية راجع إلى منكرى القيامة المستفاد من الآيات السابقة فهو مشبه حال كونهم يرون الساعة والمشبه به هو من لم يلبث إلا ساعة من نهار وكل من المشبه والمشبه به مركب من أكثر من أمر وهما يدركان بحاسة البصروقد ذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل التشبيه المركب الحسى غير البليغ. ووجه الشبه هوالقصر فى كل من عمر الدنيا بالنسبة إلى يوم الآخرة وساعة من نهار. ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية مايلى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن عمر الدنيا مهما كان من العسرأواليسر فمثل الساعتين : ساعة العسرة وساعة اليسر"فالذين يحضرون في موقف القيامة يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشية فيقولون : كأن عمرنا في الدنيا ما كان إلا هاتين الساعتين" [291]
- وفيه أيضا إشارة إلى هول يوم القيامة من شدة مايرونه فى الآخرة ينسون ماكانوا يقضون من أعمارهم فى السرور أوالغموم كالذى يأتى من السفر الذى يكون مملوءا بالتسهيلات وملذات الحياة ولكن يصادف بموت أبيه أو أمه فهو ينسى كل الملذات وكأنه ماذاق شيئا من الملذات وما اختارشيئا من التسهيلات .
- وهذاالتشبيه يبين الحالة النفسية لمنكرى قيام الساعة بعد مشاهدة قيامها فهو كان ينكرها طول حياتها وقد جاءت أمام عينيه فيخيم على وجهه يأس ليس فوقه يأس وشقاء ليس فوقه شقاء'فليس لهم سوى الحرمان والخيبة.

المبحث الثانى

التشبيه غير البليغ العقلى

ما يكون طرفاه عقليين.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.ومن بلاغة التشبيه العقلى أن فيه توضيح المشبه العقلى الذى يكون بعيدا باعتبار الفهم عن ذهن المخاطب فيوضحه بربطه مع الشيئ العقلى الذى لايكون بعيدا عن ذهن المتكلم فيفهمه المتكلم فى أقل وقت بطريقة كاملة لأن الوصف الذى يريد المتكلم أن يُثبته للمشبه يكون معلوما لدى المخاطب بطريقة جيدة مع التفاصيل التى يقصد تفهيمها فلا يضيع المتكلم وقته فى تحصيل الحاصل ولا يترك شيئا منها بدون التوضيح.وقد ذكرت المزايا البلاغية فى دراسة كل آية فالتُلاحظ هناك.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما عقليين لا يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يكون محذوف الأداة مذكور الشبه وإما أن يكون مذكور الأداة محذوف الوجه وإما أن يكون مذكورالأداة والشبه الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

يبين الله تعالى حالة علماء بنى إسرائيل فى معرفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم كانوا يعرفون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معرفة واضحة فقال تعالى:"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"[292] يُخبر الله تعالى عن علماء أهل الكتاب أنهم يعرفون محمدا صلى الله تعالى معرفة واضحة كمعرفة أبناءهم بل هم يعرفونه أكثر من معرفتهم أبناءهم كما هو مستفاد مما سأل عمر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنا أعلم به مني بابني قال : ولم ، قال : لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت .[293]ثم فى إرجاع الضميرفى قوله"يعرفونه" أقوال:

- القول الأول أنه راجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فمعناه: أنهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم .وهذاالقول راجح ولاإشكال فيه وليس هذا إضمار قبل الذكر لأن الكلام يدل عليه على أن مثل هذاالإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير إعلام .[294]

- والقول الثانى:أنه راجع إلى العلم المذكور فى قوله تعالى: مّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلم فمعناه أنهم يعرفون العلم الذى جاءك من ربك كما يعرفون أبناءهم.[295]
- والقول الثالث : أنه راجع إلى القرآن الذى هو حاضر فى أذهان الناس فمعناه أنهم يعرفون القرآن كمعرفتهم أبناءهم.[296]
- والقول الرابع :أنه راجع إلى تحويل القبلة ومضمون الكلام يدل عليه.[297]

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول لأنه هو المناسب مع التشبيه ,لأن المناسب تشبيه الشيء بما هو من جنسه وجنس الأبناء ما يكون من البشرلاغير.ثم التخصيص بأهل الكتاب يقتضي أن تكون هذه المعرفة مستفادة من (الكتاب) وقد أخبر سبحانه عن ذكر نعته صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل .[298]

ولهذاكانت اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يسألون به الفتح والنصرة على المشركين إذا قاتلوهم يقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة .وكانوا يحذرون أعداءهم من المشركين بمجيئه وقتالهم إياهم فى صحبتهم فكانوا يقولون : قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.[299]

ففى هذه الآية تشبيه معرفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم (على اختلاف الأقوال)بمعرفتهم أبناءهم والمعرفة مفرد عقلى فهو من قبيل تشبيه المفرد العقلى وأداة التشبيه مذكورة فهو من التشبيه غير البليغ.ووجه الشبه وضوح المعرفة.[300] أى كما لا يشتبه عليهم أبناءهم فى أبناء غيرهم ولايشكون فيهم أنهم أبناءهم فهم لا يشكون فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى آخر الزمان,وهذه المعرفة مبنية على قراءتهم عنه وعن أوصافه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السماوية المنزلة عندهم .[301] ونجد فى هذه الآية من المزايا البلاغية مايأتى:

- هنا تشبيه لما يُدرك بالعقل بما يُدرك حسا لأن معرفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم ما كانت مبنية على رؤيتهم بل على قراءتهم وأما معرفتهم أبناءهم فكانت مبنية على رؤيتهم إياهم ولايخفى ما فى هذا من إخراج الخفى من الخفاء إلى منصة الظهور والطباع الإنسانية تستأنس إلى الأشياء الظاهرة المحسوسة فتتحرك الأفكار فى مجال المعرفة إلى ما يُرام بخلاف الأشياء الخفية فالأفكار تتضيق ولاتتحرك لأجل المعرفة.[302]
- وهذاالتحريك يحصل بدون الجمل الطويلة بل باختصار شديد وهذا من وجوه الإعجاز القرآنية فهذاالتشبيه ألقى فكرة معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باتصالها بفكرة أخرى التى هى معروفة لدى المخاطبين, لأن معرفة الأبناء حقيقة لا يُنكرها أحد.[303]

- خص الله تبارك وتعالى الأبناء بالذكروالمراد بهم الذكور مع أن الآباء كما يعرفون أبناءهم فكذلك يعرفون بناتهم لأن الأبناء أكثر مباشرة ومعاشرة للآباء ، وألصق وأعلق بقلوبهم من البنات ، فمن المستبعد أن يشتبه عليهم الأبناء وهذاالاشتباه لا يستبعد فى البنات إلى هذه الغاية.[304] شبه الله تعالى معرفة محمد صلى الله تعالى بمعرفة الأبناء لابمعرفة الأنفس مع أنهم كما يعرفون أبناءهم فكذلك يعرفون أنفسهم ولكن معرفة الأبناء آكد من الأنفس لأن الإنسان قد يمر عليه قطعة من الزمان لا يعرف فيها نفسه كزمن الطفولية بخلاف الأبناء فإنه لا يمر عليه زمان إلا وهو يعرف ابنه.وأما عدم معرفته أبناءهم فى بعض الأمراض فنادر والنادر لا يُعبأ به.[305]

ومثل هذه الآية آية الأنعام وهى:"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"[306]

ويبين الله تعالى حال من لاينتفع بسماعهم الحق ومن حق السماع أن ينتفعوا به ويهتدوا إلى الحق' فقال تعالى مبينا لهذه الحقيقة:"يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم"[307] فبين الله تعالى حال من يصر على كفره بعد سماع آيات الله تعالى ويستكبر عن قبول الحق ويجعل سماع القرآن كعدمه فيتولى عن قبوله مزدريا له ومعجبا بما عنده من أباطيل.[308] وشبه حالهم فى عدم انتفاعهم بالآيات بحالهم فى انتفاء سماع الآيات فالمشبه هو من لم ينتفع بسماعه بل يصر مستكبرا والمشبه به هو من لايسمع شيئا. ثم كون شخص يسمع وينتفع به وشخص يسمع ولاينتفع به شيئ لايدرك بإحدى الحواس الخمسة. وقدذكرت أداة التشبيه فهومن التشبيه العقلى غير البليغ.ووجه الشبه هو عدم انتفاع كل واحد منهما.ونجد من الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- شبه حالهم في عدم انتفاعهم بالآيات بحالهم في انتفاء سماع الآيات وهذاكناية عن وضوح دلالة آيات القرآن فلا مجال لمن يسمعها إلا القبول لأنها آيات بينات تبين الحقائق بطريقة موصلة إلى أعماق القلوب وأما عدم القبول فيتصور فيمن لم يسمعها فقط فالذى يعرض بعد سماعها يُلحق بمن لم يسمعها مبالغة.[309]
- وأسلوب القرآن أيضا يدل على أن عدم انتفاعهم ليس لعدم علمهم لأن الآيات واضحة فهى تدل على حقانيتها فعدم انتفاعهم لاستكبارهم عن القبول والله تعالى لايهدى من يكون مستكبرا.
- وفى كلمة "ثم" أيضاإشارة إلى استبعاد الإصرار على الكفر وعدم قبول القرآن وبالتالى الإيمان لأن الآيات القرآنية بهذه الصفة حقها أن تُقبل

وتُذعنَ لها القلوبُ وتخضعَ لها الرقابُ فحالهم هذا مستبعد ممن له أدنى شعور.[310]

ومثل هذاالتشبيه فى آية سورة لقمان' قال الله تعالى:"وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم"[311] على أن فيه تشبيهين: أحدهمافى :"كأن لم يسمعها" والثانى فى:" كأن فى أذنيه وقرا"ولكن مآل التشبيهين واحد فلا داعى أن أكرره.

ويخبر الله تعالى عباده أن فرضية الصيام ليست مختصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل هى تعم الأمم السابقة فقال:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*[312] فبين فى هذه الآية أنه فرض الصيام على أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فرض على الأمم من قبلهم ومن المعلوم أنه تعالى لم يفرض على الأمم القبلية فى نفس الكيفية التى فرض فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهناك فرق فى الأحكام والعدد فالتشبيه فى الفرضية لا فى الكيفية. وهناك رأى آخر وهو أن التشبيه فى الكيفية والفرضية معا ففُرض عليهم صوم رمضان فزادوا فيه وجعلوه فى الربيع.[313]

فى هذه الآية تشبيه الفرضية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالفرضية على الأمم من قبلهم فهو من قبيل تشبيه المفرد بالمفرد وبما أن الفرضية لا يدرك بالحواس الخمسة إلا بالعقل فهو من التشبيه العقلى وهو من التشبيه غير البليغ لأن أداة التشبيه مذكور. ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية مايأتى:

- فى هذاالتشبيه ترغيب للمؤمنين فى الصيام وتطييب نفوسهم لأن الصيام من الأمور الشاقة و الأمور الشاقة إذا خصت بقوم تكون أصعب فأخبرهم الله تعالى أنه ليس خاصا بهم بل هو عام وكان مفروضا على الأمم من قبلهم.[314] وفى هذاالأسلوب إشارة لطيفة وهى أن فرضية الصيام لنفع العباد فالصوم يفيد التقوى للعباد.[315]

وأخبرالله تعالى أنه يبين آياته لفهم العباد كما بين فى الآية المذكورة فقال:"وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"[316]فى هذه الآية يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن الناس سيسألونه عن الإنفاق فعليه أن يجيبهم بأن ينفقوا فى ذات الله السهل اليسير الذى لا يشق عليهم إنفاقه ، كذلك يبين الله لهم الآيات لعلهم يتفكرون فيما يعود عليهم من مصالح الدنيا والآخرة .[317]

فى هذه الآية تشبيه بيان سائر الآيات فى أحكام الله تعالى ووعده ووعيده ببيان هذه الأحكام التى قد بينت فى هذه الآية وبيان الأحكام الذى لوحظ فى كلا

الطرفين مفرد ومدرك بالعقل فهو من تشبيه المفرد العقلى وبما أن أداة التشبيه مذكور فهو من التشبيه غير البليغ.ووجه الشبه هو وضوح البيان. "أى كما فصل لكم هذه الأحكام و بينها واوضحها كذلك يبين لكم سائر الآيات فى أحكا مه ووعده ووعيده لعلكم تتفكرون فى الدنيا والأخرة يعنى فى زوال الدنيا وفنائها وإقبال الأخرة وبقائها"[318] ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية ما يأتى:

- فيه امتنان وتشريف بهذه الفضيلة وفيه إشعار بأن البيان على هذاالأسلوب من خواص هذه الأمة ليأخذوا تكاليف الشرع على وجه البصيرة كى لا تكون شاقة عليها لأن العبد إذا عمل على وجه البصيرة عالما بعواقب عمله كان متشوقا إلى عمله ولذا حثه الله تعالى على التفكير فى أمور الدنيا والأخرة[319]

ويوبخ الله تعالى الذين كتب عليهم القتال فجعلوا يخشون الناس خشية كثيرة فقال الله تعالى:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا[320]

هذه الآية قد نزلت عند جمهور المفسرين "في طائفة من المسلمين كانوا لقوا بمكة من المشركين أذى شديداً ، فقالوا للنبيء صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله كنّا في عزّ ونحن مشركون فلمّا آمنّا صرنا أذلّة» واستأذنوه في قتال المشركين ، فقال لهم : " أنّي أمرت بالعفو فكُفُّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " فلمّا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وفُرض الجهاد جبن فريق من جملة الذين استأذنوه في القتال ، ففيهم نزلت الآية."[321] ومعنى الآية:أنهم نهوا عن الجهاد فى سبيل الله فى الحيوة المكية وكانوا يتمنون ذلك فلما هاجروا إلى المدينة وكتب عليهم القتال جبن فريق من جملة الذين استأذنوه في القتال وخشى الناس كخشية الله تعالى بل أشد خشية.وهناك آراء أخرى فى شأن نزول هذه الآية فمنها أنها نزلت فى المنافقين ومنها أنها نزلت فى اليهود.[322]

شبهت خشيتهم الناس بخشية الله والخشية مفرد و هى لا تُدرك بإحدى الحواس الخمسة فهى عقلية وقد ذكرت أداة الشبه وهى الكاف فهو من قبيل التشبيه غير البليغ و وجه الشبه إنزال المصيبة من الناس بقتلهم و من الله بإنزال بأسه عليهم. فمعنى الكلام: يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- إن كان مرجع الضمير المؤمنين كما هو رأى جمهور المفسرين فالكلام "مسوق مساق التوبيخ لهم حيث رغبوا تأخير العمل بأمر الله بالجهاد لخوفهم من بأس المشركين ، فالتشبيه جار على طريقة المبالغة لأنّ حمل هذا الكلام على ظاهر الإخبار لا يلائم حالهم من فضيلة الإيمان والهجرة "[323]
- وإن كان المرجع اليهود أوالمنافقين فمعناه أنهم يخشون الناس كخشية المؤمنين الله تعالى.أم معناه أنهم يخشون الناس كخشية لاينبغى إلا لله.فالكلام محمول على المبالغة.
- ولاتخفى المبالغة فى الخشية على من له أدنى الفهم التى تضمنها هذاالأسلوب والتوبيخ على هذاالعمل الذى لا يليق إلالله تعالى.

ويبين الله تعالى هوان الجهنميين فيقول: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[324] ومعنى الآية:الذين اقترفوا المعاصى ولم يستجيبوا لله ورسوله فسيجزون جزاء سيئا مثل عملهم السوء' ويغشاهم الهوان ، وليس لهم واقٍ يمنعهم من عذاب الله ، ووجوهم مسودة من الغم والكآبة كأنما أسدل عليها سواد من ظلمة الليل ، وهم أهل النار يشقون فيها أبداً .[325]

قد شبه رهق وجوههم الذلة بغشى وجوههم قطعة من الليل وكل من المشبه والمشبه به عقلى لا يدركان بإحدى الحواس الخمسة.فهو من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول ثم ذكرت أداة الشبه فهو من التشبيه غيرالبليغ.ووجه الشبه هو اسوداد وجوههم من الغم والكآبة فى المشبه واسوداد الليل فى المشبه به.ونجد فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يأتى:

- كلمة أغشيت تدل على الإحاطة الكاملة من كل الأطراف لايستطيع المصاب أن يخرقها فيفوتها بل يكون داخلها حيران لايدرى ماذا يفعل ففى هذاالأسلوب من العجز أمام قدرة الله تعالى وقهره مالايخفى.
- اشتد اسوداد الليل وإظلامه ببيان حاله "مظلما" فهذايزيد فى وصف اسوداده. وهذا الوصف ولّد المبالغة.[326]

ويصف الله تعالى شجرة الزقوم فيقول:"طلعها كأنه رؤوس الشياطين"[327] فى هذه الآية بيان وصف شجرة الزقوم التى تكون أكلا للجهنميين فقال فى وصف طلعها إنها مثل رءوس الشياطين فى القبح. شبه طلع تلك الشجرة برءوس الشياطين أما طلع شجرة الزقوم فشيئ حسى يدرك بحاسة البصر ولكن رءوس الشياطين لم يراها أحد وإنما اخترعها الوهم ولكن لووجدت لأدركت بحاسة البصر وهذاتشبيه وهمى غير داخل فى الحسى بل فى العقلى ثم الطلع

والرءوس مفردان وقدذكرت أداة التشبيه.فهذاالتشبيه من قبيل التشبيه المفرد العقلى غير البليغ. ووجه الشبه هوالقبح وتشويه الخلقة أما فى المشبه فهو متحقق وأما فى المشبه به فمتخيل._ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- الشيطان هواالذى دعاالناس إلى جهنم وهو تسبب لأكل الجهنميين هذاالطعام فشبه طلع هذه الشجرة برءوسها إشارة إلى المناسبة بينها وبين الشيطان والله أعلم
- وفى هذاتعليم أن ينبغى للمسلم أن يتنفر من الشيطان لأنه عدوه والتنفير هنا بتقبيح صورته.
- الإفهام هناعلى قدر عقول الناس وإلا فالله تعالى لايحتاج التخيل وهو"أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة ، فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة"[328] فقبح التشبيه بالشيطان عند إرادة تقرير القبح والتشويه.

ويعد الله تعالى يوسف عليه السلام بالاجتباء فى أمور كثيرة فيقول:"وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[329] أى مثل هذاالاجتباء وهو الاختيار بين إخوته أو من بين كثير من خلقه الذى دلت عليه الرؤيا من العناية الربانية يجتبيك ربك فى المستقبل ويعلمك من تأويل الرؤيا ويمنحك النعم الكاملة ويمنح آل يعقوب كما منحها أبويك إبراهيم وإسحاق إن ربك يعلم كل شيئ وهو حكيم فى أموره.[330]

فى هذه الآية تشبيهان: الأول فى قوله تعالى: "وكذلك يجتبيك" فالمشبه به هنا هواالاجتباء الذى دلت عليه الرؤيا من العناية الربانية والمشبه هو الاجتباء الذى دلت عليه " يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ" فالاجتباء فى كل من المشبه والمشبه به مفرد وعقلى لأن الحواس لا تدركه. وهو غير بليغ لأن الأداة مذكورة فيه.ووجه الشبه هوالعناية الربانية.

والتشبيه الثانى فى قوله "كما أتمها على أبويك" فالمشبه به هو الإتمام الذى يدل عليه قوله تعالى" كما أتمها على أبويك" والمشبه هو الإتمام الذى يدل عليه قوله تعالى" وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ" والإتمام فى كل من المشبه والمشبه به مفرد ولا يدرك بالحواس فالتشبيه مفرد عقلى وبما أن أداة التشبيه قد ذكرت فهو من التشبيه غيرالبليغ.ووجه الشبه هو الكمال الذى دل عليه الإتمام فى كل من المشبه والمشبه به.

والمرادُ بالتشبيه بيانُ المضاهاةِ المتحققةِ بين الصور المرئيةِ في عالم المثالِ وبين ما وقعت هي صوراً وأشباحاً

له من الكائنات الظاهرةِ بحسبها في عالم الشهادة أي كما سُخّرت لك تلك الأجرامُ العظامُ يسخِّرْ لك وجوهَ الناس ونواصيَهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ، ومرادُه بيانُ إطاعةِ أبويه وإخوتِه له لكنه إنما لم يصرّح به حذراً من إذاعته [331]

ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية مايأتى:

- فى هذاالأسلوب إشارة إلى أن الله تعالى لايصعب عليه شيئ فى الأرض ولا فى السماء وإن كان الناس يزعمون أنه صعب فهو يختار من الخلائق من يشاء لما يشاء. فإقامة يوسف عليه السلام على المكانة الرفيعة ممكن جدا لله تبارك وتعالى.ففى هذاالتشبيه إشارة إلى إمكان المشبه لأن له صور إمكانية فى جانب المشبه به وهو إتمام النعم على أبويه من قبل.
- أشارت الآية إلى أن الرفعة المذكورة من النبوة والعلم الدنى تنحصر على العناية الربانية ولا مدخل للسعى فيه كثيرا وهذا من النظام التكوينى الذى اختار التصرف فيه لنفسه. فيختار الأشياء والأشخاص للذى يريده وهو العليم الحكيم.

ويمن الله تعالى أن أرسل النبى صلى الله عليه وسلم وهذه عادة الله تعالى أن يرسل الرسل لهداية الناس فيقول:"كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ"[332]ففى هذه الآية من الله تعالى على محمد صلى الله عليه و سلم أن أرسله فى هذه الأمة الأخيرة وقدخلت من قبلها الأمم وغرض إرساله فى هذه الأمة أن يتلو عليهم الوحى الذى أوحى إليه فى حال كفرت أمته بالرحمن فليدعهم إلى التوحيد.

وفى شرح هذا التشبيه آراء:الأول: أن المشبه والمشبه به شيئ واحد أي مثل الإرسال البين أرسلناكَ إشارة إلى أنه واضح لا يحتاج إلى ما يوضحه .[333]

الثانى: أن المشبه به هوإجراء الله العادة بأنه يضل من يشاء ويهدي بالآيات المقترحة ،والمشبه هو إرساله محمداصلى الله عليه وسلم فى هذه الأمة.[334]

الثالث: أن المشبه به هو إرساله تعالى الرسل فى الأمم الأخرى قبل إرسال محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الأمة والمشبه هو إرساله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فى هذه الأمة. [335] وعلى كل فالمشبه والمشبه به من الأمور العقلية وهو الإرسال وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد العقلى غير البليغ. ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية ما يأتى:

- إن قدرنا القول الأول من الأقوال المذكورة فى شرح التشبيه لوصلنا إلى نتيجة أن إرسال الله محمد اصلى الله عليه وسلم فى هذه الأمة ليس له مثل يشبه به بل هو إرسال بديع'فصار مشبها ومشبهابه .
- وعلى هذاالقول فيه إشارة إلى أن هذاالإرسال واضح إلى حد لا يحتاج إلى شيئ يوضحه بل هو واضح بنفسه.
- وإن قدرنا القول الثانى ففيه إشارة إلى أن الله تعالى لا يظلم احدا فيضله بلا سبب' بل يتم عليه حجته أولا بإرسال الرسل فإن اتبعه اهتدى وإن كفر بما جاء به ضل فله قا نون فى منح نعيم الجنة وعذاب جهنم.
- وإن قدرنا القول الثالث لفهمنا أن الله تعالى هيألعباده أسباب الهداية فكما أرسل فى الأمم من قبل هذه الأمة رسلا مبشرين ومنذرين فكذا فى هذه الأمة.

ويبين الله تعالى قانونا فى إرسال الكتب على الأنبياء لهداية أممهم فأنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من أرسلوا قبله فيقول:"وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ"[336] أى:أنزلنا عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم هذاالقرآن بلغتك كما أنزلنا الكتب على الأنبياء قبلك بلغة من نزلت عليهم.الآن عليك أن تتبع ما يو حى إليك ولا تلتفت إلى ما يقولون ولا تتبع أهواءهم لأن الولاية والوقاية تنحصران فى اتباع ما أنزل إليك من ربك .وهناك رأى آخر فى شرح هذه الآية وهو أن معناها: كما يسرنا لهؤلاء الفرح ولهؤلاء الإنكار كذلك أنزلناه حكماً عربياً.[337]

قديختلف الشرح باختلاف القولين' فعلى القول الأول المشبه به هو إنزال الكتب على الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم والمشبه هو إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وكل من الإنزال فى جانب المشبه والمشبه به مفرد وهو لا يدرك بالحواس الخمسة' ولم يذكر الأداة ولا وجه الشبه

وأما على القول الثانى فتيسيرالله الفرح والإنكار مشبه به و إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم مشبه وكل من التيسير والإنزال مفرد ومن الأمور العقلية وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد العقلى غير البليغ. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- إن قدرنا القول الأول ففيه إشارة إلى أن الله تعالى لا يظلم احدا فيضله بلا سبب' بل يتم عليه حجته أولا بإرسال الرسل فإن اتبعه اهتدى وإن كفر بما جاء به ضل فله قا نون فى منح نعيم الجنة وعذاب جهنم.

- وإن قدرنا القول الثانى لرأينا أن الله تعالى عظيم القدرة والعباد كلهم ضعفاء أمامه فهو يفعل ما فيه مصالح لعباده وأنه مختار فى فعله لا يسئل فى أفعاله.فيفعل ما يشاء.

ووعد الله تعالى نبيه بأنه سيقص عليه من الأنباء مثل القص عليه من نبأموسى عليه السلام فقال:"كذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا"[338] ففى هذه الآية وعد من الله تبارك وتعالى مع النبى عليه السلام بأنه سيقص عليه من أنباء الأمم السابقة كما قص عليه من نبأ موسى عليه السلام وقد أنزل عليه من عنده كتاباً فيه تذكير له ولأمته ، بما فيه صلاح الدين والدنيا .[339]

قد شبه الله تعالى القص على النبى صلى الله عليه وسلم فى المستقبل بالقص من نبأ موسى عليه السلام فالقص من نبأ موسى عليه السلام مشبه به والقص فى المستقبل مشبه والقص فى كلا الطرفين مفرد غير مدرك بالحواس الخمسة وقد ذكرت أداة الشبه فهومن المفرد العقلى غير البليغ.ووجه الشبه هو البداعة فى القص. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- شبه القص الموعود فى المستقبل بالقص من نبأ موسى عليه السلام فى البداعة ففيه إشارة إلى تكثير علم الرسول صلى الله عليه وسلم فى المستقبل وتوفير المعجزات من لدن حكيم خبير.لأن مفهوم هذاالأسلوب أن الله تبارك وتعالى قص من نبأ موسى عليه السلام بطريقة بديعة رائعة والقص فى المستقبل لن يكون ناقصا منه.[340]
- فى هذاالأسلوب شبه قص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى المستقبل بقص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى الماضى وهو ليس إلا تشبيه عمله تعالى بعمله تعالى وهذا يوحى أن عمله تعالى متقن فى هذاالباب إلى حد لا يمكن أن يشبه بشيئ آخر غير عمله تعالى.[341]

وبين الله تعالى يأس اليهود من الآخرة فقال:"يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور"[342] ففى هذه الآية ينهى الله تعالى المؤمنين عن مؤالات اليهود الذين أعرضوا عن العمل للآخرة فكأنهم يئسوامن الآخرة مثل يأس المشركين من حياةالموتى والبعث.ومن المعلوم أن اليهود من أتباع الديانات الإلهامية فهم "لا ينكرون الدار الآخرة فكان معنى يأسهم من الآخرة محتمِلاً أن يراد به الإعراضُ عن العمل للآخرة فكأنهم في إهمال الاستعداد لها آيسُون منها "[343] ولهذاقلت فكأنهم يئسوا من الآخرة...

فى هذه الآية شبه يأس اليهود من الآخرة بيأس المشركين من البعث بعد الموت واليأس الملحوظ فى كلا الطرفين مفرد ومن الأمور العقلية فهو من

التشبيه المفرد العقلى ولذكر أداة التشبيه هو من التشبيه غير البليغ. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى تشبيه يأس اليهود من الآخرة بيأس المشركين تشنيع باليهود لأنهم من أتباع الديانات الإلهامية وهم لا ينكرون الآخرة ولكن لإعراضهم عن العمل الصالع المستعد للدار الآخرة صاروا كأنهم ينكرونها.
- فيه إشارة إلى أن اليقين المحض دون العمل لذلك لا ينجى من عذاب الله كما أن اليهود على وعى من البعث بعد الموت ولكنهم لا يستعدون لذلك فهم مستحقون لعذاب الله وقد أخرجهم الله تعالى من استحقاق مؤالات المسلمين.
- ولايخفى ما فى هذا التشبيه من المبالغة لأن المشبه به وهو المشركين لا يقرون بالبعث بعد الموت فجُعل اليهود فى حكمهم وكأنهم أيضا ينكرون البعث.

ويبين الله تعالى دهشة يوم القيامة فيتبرأ القادة من متبوعيهم فقال تعالى:"قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ"[344]فى هذه الآية يصور الله تعالى دهشة يوم القيامة على قادة الكفر وأتباعهم فيقول المتبوعون من الكفار الذين وجب عليهم العذاب يا ربنا" هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزيَّنا لهم الضلال أغْويناهم لأنهم اختاروا الكفر وتقبَّلوه كما اخترناه نحن وتقبَّلناه . تبرأنا إليك منهم اليوم ومما اختاروه فى الدنيا من الكفر ، لم يعبدونا نحن ، بل عبدوا أهواءهم وأطاعوا شهواتهم" .[345]

شبه إغواء القادة بغوايتهم والغواية والإغواء مفرد وهما لا يدركان بإحدى الحواس الخمسة.وذكرت الأداة دون وجه الشبه فهو من التشبيه المفرد العقلى غير البليغ. "ووجه الشبه في أنهم تلقوا الغواية من غيرهم فأفاد التشبيه أن المجيبين أغواهم مُغوون قبلهم ، وهم يحسبون هذا الجواب يدفع التبعة عنهم ويتوهمون أن السير على قدم الغاوين يبرر الغواية"[346]ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى هذاالأسلوب إشارة إلى أنهم لم يجبروا على أن يتبعهم بل دعوهم إلى الغواية فتقبلوا دعوتهم كما هم دُعوا إلى الغواية من قبل قادتهم فتقبلوا .
- بنقل كلام القادة وأتباعهم يشير القرآن إلى أن العمل النفسى هو السبب للفوز أو الهلاك لا عمل الوعاظ لأن الوعاظ كثيرون منهم من يدعو إلى الصراط المستقيم ومنهم من يدعوإلى النار فاختيار أحد الطريقين ينحصر على من يتعظ.

- كل مولود يولد على فطرة الإسلام فلا بد أن يستخدم فطرته السليمة ويقبل الصراط السوى لا صراط الجحيم وأما هذه الأعذار فلا يغنى من الحق شيئا.

- كما أن واعظ الخير لايحرم العامل من الخير والفوز فهكذا واعظ الشر لايقيه من عذاب جهنم. لهما جزاء وعظهما ولهم جزاء عملهما.

وبين الله تعالى شناعة من لايتحمل المشاق التى تأتى فى دين الله تعالى فقال تعالى:"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ"[347]هذه الآية نزلت فى ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم فى أعمالهم وصاروا معهم أواارتدوا عن الإسلام وكانوا يخفون هذه الموافقة من المسلمين فردالله عليهم صنيعهم هذا بأنهم جعلوا العذاب من قبل الناس كالعذاب من قبل الله تعالى وتركوا ما كانوا فيه ومالوا إلى الكفار ثم إذا جاء الفتح والغنيمة إلى المسلمين من الله تعالى رجعوا إليهم وادعوا أنهم مع المسلمين والله يعلم ما فى صدور الناس.[348]

شبه الله تعالى الإيذاء من قبل الكفار بالعذاب من الله تعالى والإيذاء والعذاب كلا هما مفردان وعقليان لا يدركان بالحواس الخمسة' وذكرت فيه أداة التشبيه وهى الكاف' ولم يذكر وجه الشبه وهوالحذر منهما "فهؤلاء إن كانوا قد اعتقدوا البعث والجزاء فمعنى هذا الجعل : أنهم سووا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة كما هو ظاهر التشبيه فتوقوا فتنة الناس وأهملوا جانب عذاب الله فلم يكترثوا به إعمالاً لما هو عاجل ونبذاً للآجل وكان الأحق بهم أن يجعلوا عذاب الله أعظم من أذى الناس ، وإن كانوا نبذوا اعتقاد البعث تبعاً لنبذهم الإيمان ، فمعنى الجعل : أنهم جعلوه كعذاب الله عند المؤمنين الذين يؤمنون بالجزاء "[349] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- في هذاالأسلوب إشارة إلى أن إيذاء الناس فى هذه الدينا أقل شيئ بالنسبة إلى العذا ب من الله تعالى فى الآخرة لأن الإيذاء من قبل الناس ينفد وأما العذاب من الله تعالى فباق
- فيعجّب الله الناس من حال الذين عكسواالأمر وجعلواالقليل مشابها للكثير والأخف للأشد ويوحى هذاالأسلوب أن هذامما لا ينبغى للذى يرجو لقاءالله فإن هذايسهل الصعب
- وفيه توبيخ للذين جعلواالسهل صعبا لأن هناك فرق كبير بين العذاب من الله والإيذاء من قبل الناس وهذاالعمل قابل للوم والتوبيخ.
- وفيه من المبالغة مالا يخفى لأن المسلمين وإن كانوا متلطخين فى الذنوب لا يساوى شيئا مع الله تعالى فى الاعتقاد وإن كان عملهم لا يدل على ذلك.[350]

ويبين الله تعالى سنته من الإيحاء إلى المرسلين وإلى النبى صلى الله عليه وسلم ووعده إياه فى المستقبل فيقول تعالى:"كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم"[351] ينبه الله تعالى باهتمام شأن المعانى التى أوحاهاإلى كل المرسلين من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق فيقول تعالى إنا أوحينا إلى الذين من قبلك من المرسلين هذه المعانى ونوحيها إليك فى المستقبل كما أوحينا ها إليك فى هذه السورة وهذه عادة الله تعالى وهو العزيز الحكيم.[352]

شبه الله تعالى إيحاء المعانى الموجودة فى هذه السورة إلى الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وإلى نبينا صلى الله عليه وسلم فى المستقبل بإيحائها فى هذه السورة فالمعنى: أوحى الله هذه المعانى إلى الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وسيوحيهاإلى نبينا صلى الله عليه وسلم فى المستقبل كما أوحاها إليه فى هذه السورة.والإيحاء مفرد لايدرك بإحدى الحواس الخمسة وقدذكرت أداة الشبه.ووجه الشبه هو التساوى فيهما بدون إفراط وتفريط. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى كلمة ذلك معنى البعد فهذا يوحى بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل فأفاد هذاأن محتويات هذه السورة مما تُعظم وتحترم وهى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه من صلاح العباد فى المعاش والمعاد وهذامما لاشك فيه أن هذه هى الأفكار الأساسية التى لأجلها أرسل الرسل فهى أفكار عظيمة.[353]
- واتّضح مما قلنا أن هذه هى الأفكار الأساسية التى جاء بها كل الرسل من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم بدون أى تغيير نعم هناك فروق فى الأشياء الثانويةحسب الزمان وقوى الأمة وغيرها ما تقتضيه الحكمة الربانية فى تنفيذ هذه الآفكار الرئيسية.[354]
- ثم فى استخدام صيغةُ المضارع على حكايةِ الحالِ الماضيةِ إيذان باستمرارِ الوحي وبأن إيحاءَ مثل هذاالوحى عادتُه[355]
- بين الله تعالى أن الله تعالى يوحى مثل هذه الأفكار وكل الأنبياء قدجاءوا بها فهى أفكار مقدسة ونتيجة لهذا فهذه دعوة من الله تعالى إلى هذه المطالب العالية والمباحث المقدسة الإلهية .[356]

المبحث الثالث

التشبيه غيرالبليغ الحسى العقلى

ما يكون المشبه فيه حسيا والمشبه به عقليا.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.ومن المعلوم أن التشبيه يكون لتوضيح غير المعلوم بربطه بالمعلوم وأما ربط الحسى وهو يكون معلوما بالعقلى وهو لايكون معلوما أوعلى الأقل لايكون أسهل الفهم لدى المخاطب فلا يوضح شيئا بهذه الطريقة ولهذا لم يوجد له مثالا فى القرآن العظيم قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:

> ينقسم التشبيه باعتبارات: الأول باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنهما إما حسيان أوعقليان، أوالمشبه به حسي والمشبه عقلي أوعكسه. مثال الأول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. كأنهم أعجاز نخل منقعر ومثال الثاني ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أوأشد قسوة كذا مثل في البرهان، وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة وهوغير ظاهر، بل هوواقع بين القلوب والحجارة فهومن الأول. ومثال الثالث مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ومثال الرابع: لم يقع في القرآن بل منعه الإمام أصلاً، لأن العقل مستفاد من الحس، فالمحسوس أصل للمعقول وبتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وهوغير جائز"[357]

وبما أن هذاالقسم لم يوجد فى القرآن الكريم وبحثى يدور فى ضوء النصوص القرآنية فلن أعالج التفاصيل المتعلقة بهذاالقسم وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يذكر كلاهما أوأحدهما.

***

المبحث الرابع

التشبيه غيرالبليغ العقلى الحسى:

ما يكون المشبه فيه عقليا والمشبه به حسيا.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وكما قلت سابقا أن التشبيه يكون لتوضيح غير المعلوم بربطه بالمعلوم والعقلى لايكون معلوما فى معظم الأحيان ولهذا فيشبه بالأشياء التى تكون فى إطار الأشياء المحسوسة كى يوضح ذلك العقلى ولكن لم أجد مثالا للعقلى الحسى فى التشبيه غير البليغ وبما أن هذاالقسم لم يوجد فى القرآن الكريم وأن بحثى يدور فى ضوء النصوص القرآنية فلن أعالج التفاصيل المتعلقة بهذاالقسم وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يذكر كلاهما أوأحدهما.

الفصل الثانى

التشبيه البليـــــغ

التشبيه البليغ وهو مالم يذكرفيه من وجه الشبه وأداة الشبه ومن بلاغة هذاالقسم أن فيه دعوى الاتحاد فكأنه لافرق بين المشبه والمشبه به وهما فى الحقيقة شيئ واحد ولايخفى ما فيه من المبالغة لأنه هناك فرق كبير بين أن يقال:"قل هو أذى"[358] و"قل هو كالأذى" فالأول يدل على أن هناك مشابهة بين المشبه والمشبه به والمشابهة لاتكون من كل الوجوه وأما القول الثانى فيدل على أن هناك مشابهة من كل الوجوه فكأنه لافرق بينهما وفيه من المبالغة مالايخفى فتأمل. وسأذكر المزايا البلاغية بالتفصيل فى دراسة كل آية إن شاء الله تعالى. وهذاالفصل أيضا يتفرع إلى أربعة مباحث وهى حول:

- البليغ الحسى
- البليغ العقلى
- البليغ الحسى العقلى
- البليغ العقلى الحسى

وسأشرح هذه الاقسام فى ضوء النصوص القرآنية إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

البليغ الحسى

وهو ما يكون طرفاه حسيين.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما حسيين يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- و أن يكون وجه الشبه وأداة الشبه كلاهما محذوفين.الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

يبين الله تعالى رد المنا فقين كلمة الحق فلا يقبلونها فى حال من الأحوال فيصفهم بالصمم والبكم والعمى فيقول الله تعالى:" صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"[359] فى الآية السابقة مثّل الله المنافقين بمن استوقد ناراوفى هذه الآية أخبر بأنهم صم وبكم وعمى.

فى هذه الآية احتمالان: الأول أنه إخبار عن الذى استوقد نارا "أنهم لما أوقدوا ناراً فذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلماتٍ هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم ." [360]والثانى أنه إخبار عن المنافقين أنهم اختاروا الكفر والنفاق وتركوا الإيمان والهدى واتجروا فيما لا ربح فيه فأخبر أنهم لا ينتفعون بأعينهم فى رؤية الأشياء الصحيحة وألسنتهم فى التكلم كلاما حقا وآذانهم فى سماع الحق فكأنهم صم و بكم وعمى فلا ير جعون إلى الحقّ.[361] فهذه الآية مبنية على الحقيقة بناء على الاحتمال الأول فمعناه أن مستوقدى نارا دُهشوا وحُرموا هذه الحواس حقيقةً فليس هناك مجاز ولاتشبيه.وهى مبنية على المجاز بناء على الاحتمال الثانى فمعناه أنهم لايستفيدون بحواسهم فهم كالأعمى والأصم والأبكم.

ومبنى دراستنا لهذه الآية هو الإحتمال الثانى ففى هذه الآية شُبِّه المنافقون بالذين اتّصفوا بالصفات الثلاثةالمذكورة فهم لايسمعون ولاينطقون ولايُبصرون شيئا.وكل من المشبه والمشبه به مفرد فالتشبيه مفرد. والمشبه هو المنافقون وهم مدركون بحاسة البصر وإن كان المقصود بهم ليست أجسادهم بل كون هذه الأجساد متصفين بالصفات التى لا تدرك بالحواس الخمسة بل تدرك بالعقل ولكن المشبه فى الآية المنافقون وهم الذات مع الوصف فالمشبه حسى والمشبه به كذلك وهو الذوات الحاملة للصفات المذكورة الثلاثة وهذه الصفات وإن لم تُدرك بالحواس الخمسة بل تدرك بالعقل ولكن الذوات الحاملة لها مدركة بحاسة

البصر فالمشبه به أيضا حسى وإذأن المشبه والمشبه به كلاهما حسيان فالتشبيه حسى.

ثم هذاالتشبيه خال عن ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه فالتشبيه بليغ.وهناك رأى آخر فى صورة هذاالمجازفقال بعضهم إنها استعارة لأن الأية خالية عن ذكر المنافقين الذين استعير لهم أوصاف هؤلاء ولكن الأصح أن فيه تشبيه بليغ لأن ذكر المستعار منه وإن عدم فى الظاهر ولكنه منوى فتقدير الكلام هم صم وبكم وعمى قال البيضاوى رحمه الله:" وههنا وإن طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به [362]" وذهب العلامة الزمخشرى إلى أن هذا من التشبيه البليغ لأن الاستعارة تعتمد على أحد من المستعار والمستعار منه فإذا ذكرا معا فهو تشبيه وهما مذكوران فى هذه الآية لأن المشبه منوى وهو ضمير"هم" الراجع إلى المنافقين والمنوى كالمذكور وأما المشبه به فمذكور صراحة.[363] ورجح ابن عاشور رحمه الله كونه تشبيها بليغا لا استعارة فقال رحمه الله:"والإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي ....وليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان ".[364] وهكذا رجح قول التشبيه البليغ العلامة القونوى رحمه الله تعالى فقال:" ذهب بعضهم إلى أنه استعارة والمختارعند الشيخين كون مثل هذاتشبيها بليغا.[365] وإذا أتينا إلى الأسرار البلاغية التى تعلقت بأهداب التشبيه المستخدم فى هذه الآية نرى مايلى:

- شبّه الله تبارك وتعالى المنافقين بمن فقدوا سماعتهم وبصارتهم ونطقهم مع أن مشاعرهم المعدودة سليمة

> لما أنهم حيث سدوا مسامعهم عن الإصاغة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم ، وأبَوْا أن يتلقَّوْها بالقبول ، ويُنطِقوا بها ألسنتهم ، ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر ، وأصروا على ذلك بحيث لم يبقَ لهم احتمالُ الارعواء عنه ، صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية[366]

ففى وصفهم بهذه الأوصاف الثلاثة زيادة تفظيع و تهويل.لأن فقدان الحواس فى ظلمات هائلة يزيد فى دهشة المنافقين وتحيرهم.

- من المعلوم أن التشبيه ملحوظ فى هذاالأسلوب ولكن أداة التشبيه ووجه الشبه غير مذكور فيه وفيه مبالغة لأن تناسى التشبيه يزيد فى المبالغة فكأن المشبه عين المشبه به والمنافقين متصفون بصفة الصمم والبكم والعمى لا أنهم مشابهون بهم فيتر شح من هذاالأسلوب أن المنافقين قد

فقدوا سمعهم وأبصارهم و نطقهم لأنهم لايستخد مونها فى مكان ينبغى لهم أن يستخدموها فيه.

- فالآية الكريمة تتمة للتمثيل ، وتكميل له بأن ما أصابهم ليس مجردَ انطفاء نارهم وبقاؤهم في ظلمات كثيفة هائلة ،بل مع ذلك هم قد حُرموا حواسهم التى تُستخدم للرؤية والسمع والنطق فاختلت مشاعرهم و بقوا جامدين ومتحيرين في أمكنتهم فما استطاعوا أن يتقدموا إلى الأمام أو يتأخروا إلى الخلف وفى هذاالأسلوب من المبالغة مالا يخفى على من له أدنى الفهم.[367]
- والعدولُ إلى الجملة الاسمية للدَلالة على أن هذه الحالة لاتنفك عنهم بل هى مستمرة فيهم.[368]

يبين الله تعالى عظم الجنة ويحث عباده على أن يسارعوا إليها فيربط عظمها بعظم الشيئ الذى يعرفه الناس فيقول:"وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"[369]ففى هذه الآية تحضيض الله تعالى عباده على أن يعملوا عمل أهل الجنة كى يستحقوا المغفرة من الله تعالى والجنة الواسعة التى عرضها كالسموت والأرض أعد الله تعالى للمتقين.

شبه عرض الجنة بمساحةالسموت والأرض وكل من المشبه والمشبه به مفرد مدرك بحاسة البصر ولم تُذكر أداة الشبه فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ. ووجه الشبه السعة. فتقديره عرضها كالسموت والأرض فى السعة[370].ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية ما يأتى:

- شبه الله تعالى عرض الجنة بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه كى يدلهم على مقدار سعة الجنة لأننا لانعرف فى الدنيا أكثر من هذين فى السعةوالعظم فالتخاطب مع الناس على قدر أفهامهم وهذا من مقتضيات البلاغة.[371]
- ثم الله تعالى خص العرض بالتشبيه لأن العرض يكون أقل من الطول فمقتضى هذاالتشبيه أن الجنة إذاكان عرضه مثل السموت والأرض فلا بد أن يكون طولها أكثر بكثير.[372]
- ثم فى حذف أداة الشبه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به وهو يفيد المبالغة مبنيا على زعم الناس لأن الناس يزعمون أن أكبر مخلوقات الله تعالى فى هذاالكون هو السموت والأرض فإذا جعل الشيئ الآخر عين السموت والأرض تحصل له تلك المكانة.

ونلاحظ أن الله تعالى عبر عن المحيض بالأذى وهو شيئ يستقذره الناس فقبح قربان الزوجة فى أيام الحيض فقال تعالى:"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[373] فى هذه الآية يخاطب

الله تعالى نبيه بأن الناس سيسألونه عن المحيض عن القربان فيه إلى أزواجهم فليجبهم بأن المحيض هو النجاسة فلايجوز لهم أن يقربوهن فى هذه الحالة إلابعد أن يتطهرن بالاغتسال منه فبعد التطهر يجوز لهم أن يأتوهن من حيث أمر هم الله تعالى.

وضمير"هو"راجع إلى المحيض وقد شبهه بالأذى والأذى كناية من القذر.[374] فالمحيض مشبه والأذى مشبه به وكل من المشبه والمشبه به مفرد حسى وأداة الشبه ووجهه محذوفان ' وهذاإذا كان الأذى بمعنى القذر والنجاسة وإن كان بمعنى المؤذى كما فسره بعض المفسرين فالمعنى: أن المحيض مؤذ للجسم والنفس لأن النطفة تختلط بالدم الفاسد المتعفن.[375] فليس فيه تشبيه بل هو كلام عادى ويفيد أن المحيض نفسه يؤذى جسم الرجل والمرأة والولد فأما أذى الرجل فمن قذارة هذاالدم الفاسد وتسرب الدم إلى قضيب الرجل فتحدث منه أمراض كثيرة وأما أذى المرأة فمن المرض والضعف وأما أذى الولدفهومن ضعفه لإن النطفة إذا اختلطت بدم الحيض أخذت البييضات في التخلق قبل إبان صلاحيتها للتخلق النافع الذي وقته بعد الجفاف. [376] ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايأتى:

- المستفاد من الجواب هو النهى عن القربان وهذاالنهى مرتب على وقايةالله تعالى عباده من الأشياء المضرة والتى تعافه الطباع السليمةفبين الله تعالى علة النهى ليكون التنهى على وجه البصيرة'وهذا يعين فى التنهى عن المنهيات.377
- فى تشبيه المحيض بشيئ تكرهه الطباع السليمة تقبيح المشبه.
- ومن هنا فتحدث النفرة فى قلوب السائلين فيسهل لهم التنهى عن التقرب فى المحيض.
- فيه تناسى التشبيه فكأن الشيئين شيئ واحد وهذا أبلغ فى إحداث وصف المشبه به فى المشبه.
- فيه إعجاز علمى يتعلق بعلم الطب لأن الطب الجديد قد اكتشف أمراضا كثيرة تحدث من هذاالصنيع' وهذا يدل على علم الله تبارك وتعالى الذى أودعه نبيه منذ قرون.
- نستنتج من هذاالنهى أن الإسلام دين الفطرة فهو يأمر بكل ما يفيد الإنسان وينهى عن كل ما يضر الإنسان.

ويبين الله تعالى جواز الإتيان إلى النسوة من أين شاءأزواجهن إذاكان المحل واحدا فقال تعالى:"نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[378]المراد من الحرث فى هذه الآية موضعه أى هن مواضع تنبتون فيها الأولاد" فالمرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج."[379] أباح الله تعالى لعباده أن يجامعوهن متى شاءوا

وكيف شاءوا بعد أن يكون المأتى واحدا[380] وأن يقدموا الأنفسهم من التسمية عند الجماع أو طلب الولد على اختلاف الرأيين.[381] وأن يتقوا الله أن يعصوه حين المجامعة،أخبرهم أنهم سيلقونه وهو يسألهم عن أعمالهم والبشرى للذين لايتعدون حدوده ويقفون عندها.

والمراد بالمرأة فى تشبيه المرأة بالحرث رحمها والمراد بالحرث موضع الحرث فشبه الله تعالى رحم المرأة بالمزرعة فى أن كلا من الرحم والمزرعة يستغل لحصول النتاج فى صورة الأولاد من أحدهما وفى صورة الحرث من الآخر.فوجه الشبه هوكونهما صالحين للنتاج المطلوب.وكل من المشبه والمشبه به مفرد ومدرك بإحدى الحواس الخمسة.ووجه الشبه وأداته لم يذكرا.فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ. ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- التفهيم على وجه البصيرة روي أن اليهود ما كانوا يجيزون أن يأتى واحد إلى امرأته فى قبلها من دبرهاوكانوا يزعُمون أن مَنْ فعل هكذا يأتي ولده أحول فذُكِر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت.[382]
- ففيه تفهيم المسلمين الذين كانوا متأثرين بزعمهم وكانوافى الحيرة إزالة لأوهامهم بدليل وهو جعل الأرحام كالمزرعة ولا يمنع شيئ أحدا إلى المزرعة من حيث أتى.
- فى التعبير عن الأرحام بالحرث يدل على أن المأتى واحد وهو القبل فلا يجوز لأحد أن يأتى امرأته فى دبرها لأن الدبر موضع الفرث لا الحرث.[383]قال النيسابورى:" ويؤيده قوله عز من قائل { قل هو أذ ى فاعتزلوا} جعل ثبوت الأذى علة للاعتزال ولا معنى للأذى ، إلا ما يتأذى الإنسان منه بنتن وتلوث وتنفر طبع ، والأذى في الدبر حاصل أبداً فالاعتزال عنه أولى بالوجوب"[384]
- تشبيه المرأة بالحرث يدل عندى والله أعلم على أن الإسراف فى الجماع غير مستساغ. لأنه يوحى أن المطلوب الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة "فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي نيط به هذا المطلوب"[385] أشار الأمر بالإتيان إلى موضع الحرث إلى أن حصول الأولاد من المقاصد الأولية لاقضاء الشهوة لأن الإنسان يأتى إلى المزرعة لمقصد أساسى وهو الحرث وأما الأشياء الأخرى فهى ثانوية.[386]

وأخبر الله تعالى عباده أن المؤمنين بمنزلة الإخوة ووصلت هذه الأخوة إلى درجةيصح أن يقال لها الأخوة نفسها بتناسى التشبيه فقال تعالى:"إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"[387] ففى هذه الآية أثبت الله تعالى الأخوة بين المسلمين فى هذه الآية وقصر الأخوة فيهم وفرع عليها النتيجة التى تتفرع على الأخوة النسبية وهو الإصلا ح بين المسلمين.فهنا

تناسى التشبيه لأنه تعالى شبه المؤمنين بالأخوة فى صورة التشبيه البليغ لأن أداة الشبه ووجه الشبه لم يذكرا.وكل من المؤمنين والإخوة يدركان بإحدى الحواس الخمسة وإن كان كل من الإيمان والأخوة يدرك بالعقل ولكن المقصود هو تشبيه أصحاب الإيمان بأصحاب الأخوة وهما يدركان باالقوة الباصرة فهو من التشبيه الحسى ووجه الشبه هو التراحم بين الإخوة النسبية. فتقدير الكلام: إنما المؤمنون بمنزلة الإخوة فى التراحم بينهم.ونرى من االمحاسن البلاغية فى هذاالأسلوب مايلى:

- هذه الآية تدل على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين لأن كلمة إنما تأتى للقصر فكأنه قصر الأخوة فى المسلمين.
- أفادت كلمة القصر المبالغة فى هذاالادعاء لأنها تفيد حصر حالهم فى حال الإخوة مبالغة.[388]
- أشارت الآية إلى وجه وجوب الإصلاح بين الطائفتين المُتبَاغِيَتَيْن منهم لأن الآية أثبتت أن الإيمان "قد عَقَد بين أهله من النسب الموحَى ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية"[389] لأن إثبات الأخوة فى الآية بطريق المبالغة.
- وفى الأسلوب من تناسى التشبيه مالا يخفى.

ويمن الله تعالى على بنى إسرائيل بلسان نبيه أن جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا وآتاهم من نعمه مالم يؤت أحدا من العلمين فقال:"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ"[390] فى هذه الآية تذكير الله تعالى نعمته على بنى إسرائيل إذ جعل فيهم أنبياء وملوكا وآتاهم من نعمه مالم يؤت أحدا من خلقه.ثم مفهوم الآية يختلف باختلاف معنى الملوك فذهب البعض إلى أنه محمول على المعنى الحقيقى وذهب البعض إلى أن المراد بالملك من كان فى رغد العيش ولا يحتاج أحدا فعلى الرأى الأول مفهومه أنهم لكثرة الملوك فيهم صاروا كلهم كأنهم ملوك لسلوكهم مسلك الملوك فى السعة والترفة.وعلى الرأى الثانى فمفهومه أنهم ملوك وهم الذين لا يحتاجون أحدا لرغد العيش.[391]

كمابينت المفهومين بناء على اختلا ف الرأيين فى معنى الملوك فعلى المفهوم الثانى حمل الكلام على الحقيقة وليس هناك تشبيه وأما على المفهوم الأول ففى الكلام تشبيه شُبه قوم موسى عليه السلام بالملوك فالقوم مشبه والملوك مشبه به ووجه الشبه هو رغد العيش فيهما' وقد حذف أداة التشبيه ووجه الشبه فهو من التشبيه البليغ.والمشبه وهوالقوم حسى وأما الملوك فهم مدركون بإحدى الحواس ولكن ليس مع الوصف الملوكي ولكن المشبه هو ذوات الملوك المتصفة بذلك الوصف لا الوصف نفسه فهوأيضا مما يدرك بإحدى

الحواس الخمسة ولذافهذا من تشبيه المحسوس بالمحسوس. وفى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية مايأتى:

- فى تشبيههم بالملوك مبالغة لأن غيرالملوك وإن وصلوا فى الغناء إلى أقصى حد ولكنهم لن يصلوا إلى وصف زائد موجود فى الملوك وهو التصرف فى الأعمال السلطانية فإذا شبهوا بهم دل على أنهم وإن لم يكن ملوكا ولكنهم وصلوا إلى مقام يمكن أن يقال لهم ملوك.
- وهذه المبالغة تزداد إذا جعل الشيئان شيئا واحدا فى صورة التشبيه البليغ فكأنهم والملوك جنس واحد.
- ساق الله تعالى هذاالأسلوب فى مقام الامتنان فنسب جعلهم الملوك إليه ولا شك أن الله تعالى هو المتصرف فى الأمور كلها فهذايفيدهم فهما أن شكرالله تعالى على نعمته التى أولاهابهم واجب عليهم.

ويبين الله تعالى حال الجهنميين وما هم فيه من العذاب والنار فيقول:"لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"[392] ففى هذه الآية نفى الله تعالى راحة الجهنميين فى جهنم فيكونون محاطين فى النار من الجوانب الأربعة فمهادهم نار وغواشيهم نار وهذا يدل أن ما تحتهم نار وفوقهم نار وعن يمينهم نار وعن شمالهم نار وهكذا يُجزى الظالمون.

شبه الله تعالى ما هو تحت الجهنميين من النار بالمهاد وهو مايفرشه الإنسان عندما يستريح وشبه ما هو تحتهم من النار بالغواشى جمع غاشية وهى ما يتغطى بها عند الاستراحة وكل من النار والمهاد والغواشى من الأشياء التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهو من البليغ لأن كلا من الأداة ووجه الشبه قد حذفا. ونجد من القيمة البلاغية المستخدمة فى هذه الآية ما تلى:

- هذاالأسلوب دل على انتفاء الراحة لأن الشيئ الذى يختص للراحة وهو المهاد والغواش يكونان من النار فهما يزيدان فى تعبه فإذاانتفى الراحة فى وقته وآلاته المختصة له فهو منتف فى الأوان الأخرى بالطريق الأولى.[393]
- فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن النار تكون ملازمة وملاصقة بأجساد الجهنميين لأن المهاد والغواش من الأشياء التى تكون ملازمة وملا صقة.
- فكما أن المهاد والغواش يزيدان فى راحة الإنسان وهو يريد أن يكونا أشد إلصاقا بجسده فهكذا النار من تحتهم ومن فوقهم تزيد فى تعب الإنسان والله سبحانه وتعالى يقربه من أجسادهم كى تكون أشد إزعاجا لهم.

وينقل الله تعالى سخرية المنافقين بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واتهامهم إياه أنه يسمع كل ما يسمعه من الصحيح والسقيم ويصدقه فقال الله

تعالى:"وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "[394] ومعنى هذا أن من الناس منافقون يتعمَّدون إيذاء النبى فيقولون فى حقه أنه يقبل كل ما يسمعه من صدق وكذب فيخدع بما يسمع فكأنه أذن كله فقل لهم - أيها الرسول - :إنه ليس كما زعمتم بل هو أذن خير لا يسمع إلا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ، يقبل كل مايوحى إليه لأنه لا مجال للكذب فيه ويصدق المؤمنين لأن إيمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وإن الله أعد لمن يؤذيه عذاباً مؤلماً دائماً شديداً .[395]

شبه النبى صلى الله عليه وسلم بالأذن أى كما أن الأذن يقبل كل شيئ فكذاالنبى صلى الله عليه وسلم يقبل كل ما يسمعه ولايتبينه فتقديره هو كالأذن فى قبول كل مايسمعه من مقبول ومردود.ففيه تشبيه ذات النبى صلى الله عليه وسلم بالأذن وكل من المشبه والمشبه به مفرد حسى ولعدم ذكر ووجه الشبه والأداة فهو من التشبيه البليغ.ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى هذاالأسلوب مبالغة من جهتين: الأولى أن فيه دعوى الا تحاد بين المشبه والمشبه به لأن الأداة لم تذكر. فكأنهم زعموا أنه ليس هناك فرق بين محمد صلى الله عليه وسلم والأذن وكلاهما شيئ واحد ومن المعلوم أنهم لا يريدون هذا بل كل ما يريدونه هو أنه عليه السلام يقبل كل ما يسمعه فأطلقواعليه الأذن مبالغة.
- والثانية: أن فيه حمل الوصف على الذات لأن المراد بالأذن القوة السامعةكما فى زيد عدل فبناء على هذاالقول صارالذات كله وصفا وفيه من المبالغة مالا يخفى.
- فيه تحقيرالمنافقين لد أب النبى صلى الله عليه وسلم لأن منشأ مقالهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يميز بين المقبول والمردود وأجيبوا بنفس الطريقة إشارة إلى أن السمع ليس سببا للتحقير إن كان هناك موجب لذلك والموجب موجود هنا لأن الاعتماد على الله واجب وعلى المومن مستساغ إن كان هناك أمارات الصدق.[396]

وينقل الله تعالى قول ذى القرنين مع القوم إذا أراد بناء السد فيقول الله تعالى:"آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا"[397] فى هذه الآية والآيات قبلها إشارة إلى قصة بناء سد ذى القرنين دون يأجوج وماجوج فسأل القوم أن يعينوه بالعمل كى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا حاجزا وأمرهم أن يأتوا بقطع الحديد فأتوه بها فبناه حتى ساوى السد بين الجبلين قال لهم أن ينفخوا على قطع الحديد فنفخواحتى جعله كالنار فقال لهم أن يأتوه بالنحاس الذائب كى يصب النحاس

على الحديد المحمى ففعلوا وفعل حتى التصق بعضه ببعض وصار سدا منيعا.[398]

شبه الحديد المحمى بالنار فى الحرارة الشديدة وشدة الاحمرار وكل من الحديد والنار مفرد مدرك بإحدى الحواس الخمسة ولم يذكر فيه وجه الشبه ولا أداته. فهو من التشبيه المفرد المحسوس البليغ.[399] ومن الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- من المعلوم أن النار معروفة بوصف الحرارة أكثر من كل شيئ فبهذاالتشبيه قد ازدادوصف الحرارة بطريق المبالغة.
- ثم بطريق التشبيه البليغ قد ازداد هذاالوصف أكثر مما كان لأن فيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به فكأنهما شيئ واحد فصار الحديد فى الحرارة إلى درجة النار.

ويبين الله تعالى ما فعله بالذين كذبواالرسل وظلموا أنفسهم فيقول تعالى:"فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ"[400] فى هذه الآية والآيات قبلها يحذر الله تعالى الظالمين، المكذبين للرسول، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل فيقول كم أهلكنا مِنْ قَرْيَةٍ وإن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه ضربوا الأرض بأرجلهم ندما وقلقافقيل لهم على وجه التهكم بهم: { لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ}وإنهم أقروا بما فعلوا ولكن مانفعهم إقرارهم وجاءهم العذاب من الله تعالى حتى صاروا بمنزلة النبات الذي قد حصدو قد خمدت منهم الحركات وسكنت منهم الأصوات.[401]

هناك رأيان فى هذاالأسلوب: الأول أن فى هذه الآية تشبيهان: أما الأول فهوأنه تعالى شبه الهالكين بالحصيدوكلاهما مما يدرك بإحدى الحواس الخمسة وكل من المشبه والمشبه به مفرد ولم تذكر أداة الشبه فهو من البليغ وأما الثانى فهو تشبيههم بالنار الخامدة فذهب ابن عاشور رحمه الله تعالى إلى أن هذين تشبيهان وليسا استعارتين لأن ذكر المشبه فيهما مانع من تقوّم حقيقة الاستعارة ورد على العلامة التفتازانى والجرجانى بأنهما جعلا هما استعارتين مكنيتين إذ شبهوا بزرع حين انعدامه ونار ذهب قوتُها وحذف المشبهُ بهما ورُمز إليهما بلازم كل منهما وهو الحصد والخمودوقد تعجب ابن عاشور رحمه الله تعالى أن مثل هؤلاء الأعلام قدوقعوا فى التكلف.

والرأى الثانى هو أنهما استعارتان مكنيتان كما ذكر فى ضمن قول ابن عاشور رحمه الله تعالى دليلهما أن المشبه بهما لم يذكرا لأن النار والزرع غير موجودين حينما شبه بهما بل هناك خمود وهناك حصد.[402] ولكن لو تأملنا فى هذاالأسلوب نرى أن الأول من التشبيه البليغ والثانى من الاستعارة المكنية لأن المشبه به موجود فى الأول وهو الزرع الموصوف بصفة الحصد وهو غير

موجود فى الثانى ولذلك قد اتصف الهالكون بهذه الصفة' والله تعالى أعلم.ومن الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن هؤ لاء الهالكين قدكانوا فى النضرة والبهجة وقوة ماكانوا يزعمون أنهم سيهلكون كما أن منظر الزرع فى أيام قوته وبهجته يعجب الزراع وهكذاالنار قبل انتهائها تكون فى قوة لا تستطيع أحد أن يقربها وهاتان الصفتان أى صفة البهجة والقوة توحيان أن الناس كانوا يرجون منهم أشياء فيأتون إليهم وكانوا يخافونهم لقوتهم كما أنهم يرجون الزرع لنضرته ويخافون النار لشدته.[403]
- وهكذا إشارة إلى أن هؤ لاء الهالكين قدصاروا إلى الهلاك والدمار وما بقى لهم تلك القوة والنضرة وقد يئس منهم كل واحد لأنهم لا يُخافون ولايُرجون كما أن النار لم تبق لها قوة فتُخاف والزرع لم تبق له النضرة فترجى.[404]

وبين الله تعالى هلاك قوم عاد أوثمود فقال:"فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[405] فى هذه الآية كشف الله تعالى عن هلاك قوم هو عاد أوثمودبأنهم قد هلكوا بصيحة صاح بهم جبريل مع الريح التى أهلكهم الله بها فماتوا جميعا.[406] فصاروابمنزلة الغثاء وهو ماارتفع على السيل يقول: فصيرناهم بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل.

شبه الله تعالى القوم الهالك بالغثاء فى أنه لاينتفع بهما فى شيئ[407] فالمشبه والمشبه به كلاهما مفرد وكلاهما يدركان بإحدى الحواس الخمسة' فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى ولعدم ذكر الأداة ووجه الشبه فهو من البليغ.ووجه الشبه عدم المنفعة فى كل منهما ومن المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- عمر الدنيا قليل جدا وهو ينتهى بالسرعة كما أن الغثاء لاثبات له بل ينتهى بالسرعة فالتشبيه فى سرعة زواله.[408]
- كما أنه لا قوام للغثاء فتحته ماء وهو يحمله فكذلك القوم المشبه به ليسوا أقوياء فى ذاتهم بل بالقوة الموهوبة لهم من الله تعالى فإذارداللهتعالى تلك القوة بقوا كأهون شيئ عند الناس.
- فيه إشارة إلى قدرة الله تعالى وإلى أن الناس أمامهم ضعفاء وإن كانوا أقوياء فى الظاهر فإن هذاالقوم كان من أقوى الأمم وأقدرهم وفعلوا ما فعلوا ولكن إذاانتهوا إلى عاقبتهم من الله تعالى صاروا كأهون شيء عندالناس فما نفعهتم قوتهم فى مقابلة الله تعالى.

وبين الله تعالى حقيقة أعمال الكفار بأنها لا تعتبر يوم القيامة وتكون كأنهم لم يعملواشيئا فقال تعالى:"وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"[409] يقول الله تعالى إننا سنأتى يوم القيامة إلى عمل الكفار الصالح من

مظاهر البر والإحسان الذى عملوه فى الدنيا فنحبطه ونحرمهم ثوابه لأن مدار قبول الأعمال وعدم قبولها هو الإيمان وإنهم ليس لهم إيمان. [410]

شبه عمل الكفار بالهباء المنثورفى حقارته وعدم نفعه[411] والمشبه وهو العمل مفرد ومدرك بإحدى الحواس الخمسة فمنها ما يُرى ومنها ما يسمع والمشبه به أيضا مفرد ومدرك بحاسة البصر ولم تُذكر فيه أداة الشبه ولا وجه الشبه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسى البليغ. ووجه الشبه هو الحقارة وعدم النفع بهما[412] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فيه إشارة إلى حقارة أعمال الكفار لأنها قد شبهت بشيئ تافه ثم بتقييده بصفة النثر تزيد هذه الحقارة'لأن هذه الصفة موضحة للهباء فالهباء لايكون إلا متفرقا والهباء الموصوف بهذه الصفة شيئ حقيرلايلتفت إليه أحد. لأنه لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية.[413]
- أفاد هذاالتشبيه أن الكفارلن يقدروا على حصول ثواب أعمالهم لأنها مثل الهباء وهو الذرات الصغيرة التى تتولد من دخول شعاع الشمس فى الكوة فالناظر يراها إذا نظر إليها ولكن إذا أراد أن يأخذها علم أنه ليس هناك شيئ فلا يقدر على الحصول عليها فكذلك أعمال الكفار هم يزعمون أنهم قدعملوا عملا صالحا ولكن إذااحتاجواإليها وأرادواأن يحصلوا عليها فلن يجدواشيئا.[414]
- جُعلت الأعمال هباء مبالغة بحذف أداة الشبه ووجه الشبه كأنه ليس هناك فرق بين هذا وذاك.

ويدعوالله تعالى عباده إلى الائتماربما أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم أزواجه صلى الله عليه وسلم فيقول:"النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا"[415] ففى هذه الآية يدعوالله تعالى المؤمنين إلى ترجيح العمل بما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم على ما أمرتهم به أنفسهم ويدعوهم إلى تعظيم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأنهن مثل أمهاتهن فى بعض الأحكام لافى كل الأحكام ويخبرهم أن ذوى القرابات هم أحق بالإرث بحسب درجاتهم وكان الإيمان من موجبات الإرث فى بداية الإسلام ثم نسخ بإرث ذوى الأرحام .[416]

شُبِّه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالأمهات فى هذاالأسلوب تشبيه المحسوس بالمحسوس لأن الأزواج والأمهات كلاهما مدركان بالحس'ثم هما مفردان فالتشبيه مفرد ولم تذكر أداة الشبه ولاوجهه فهو من البليغ. ووجه الشبه فيه الحرمة والتعظيم وتحريم الأمهات ونكاح الأزواج بعدوفات النبى صلى الله عليه وسلم وهن فى ماوراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ودليله أن حرمة النكاح

انحصرت فيهن ولم تتعد إلى بناتهن.[417] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى هذاالأسلوب من دعوى الاتحادبين المشبه والمشبه به فكأن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين شيئ واحد لافرق بينهما وهذايولد من المبالغة فى التعظيم ولهذا كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يحترمون أزواجه صلى الله عليه وسلم إلى أقصى الغاية.
- ثم هذه المبالغة فى صورة التشبيه البليغ أفادت أن المثلية لم تنحصرفى التعظيم فقط بل تجاوزت إلى تحريم النكاح فكماأن الأمهات محرمات على أبنائهن كذلك أزواج النبى صلى الله عليه وسلم محرمات على المؤمنين ’وأفاد هذاالتشبيه إفهام المؤمنين بدليل كى يكون الائتمار على وجه البصيرة فيكون سهلا.
- نرى أن بنات النبى صلى الله عليه وسلم أيضا محترمات للمؤ منين ولكن الله تعالى ماشبه بهن لأن الحكم لم ينحصر فى الاحترام بل متجاوز إلى تحريم النكاح وهو غير موجود فى البنات ثم لا يخفى أن الأم أصل فى التعظم وهى تحترم أكثر من البنت.

ويبين الله تعالى وظيفة بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فيقول:"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"[418] يخاطب الله تعالى فى هاتين الآيتين أنه أرسله شاهدا على من أرسل إليهم وَمُبَشِّراً من صدّقه بالجنة وَنَذِيرًا منذراً من كذّبه بالنار.[419] وأرسله داعيا إلى الله تعالى بإذنه وهو "كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها والتي لا تترك للباطل شبهة إلا فضحتها وأوقفت الناس على دخائلها ، كما يضيء السراج الوقّاد ظلمة المكان" [420]

شُبِّه النبى صلى الله عليه وسلم بالسراج المنيروكل من المشبه والمشبه به من الذى يدرك بإحدى الحواس الخمسة وكلاهما مفردان ولم تذكر أداة الشبه ولا وجههه فهو من البليغ.ووجه الشبه الإضاءة فى كل من المشبه والمشبه به فكما أن السراج الوقاد يضيئ ظلمة المكان فهكذاالنبى صلى الله عليه وسلم جاء بنور الهداية وأزال ظلمات الكفر والشرك والجهالة التى كانت مخيمة على ذلك المجتمع فدعت تلك الجهالة الناس أن يعيشوا كالأنعام فبمجيئه صلى الله عليه وسلم جعلت الظلمات تنطوى شيئا فشيئا وجعل النور يتسرب إلى كل مكان. [421] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- يخيل إلىّ من هذاالتشبيه والله تعالى أعلم أن الإنارة من فرائض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دون أن يحصل من المنافع الدنيوية لأنه بمنزلة السراج الذى يستمر فى فريضته دون أن يستفيد من هذابنفسه سوى

الائتمار بالحكم الرباني ولهذافالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان يريد من الناس جزاء ولا شكورا.

- جعل النبى صلى الله عليه وسلم سراجا بنفسه مبالغة ولا شك أنه أنار الدنيا بنور الهداية أكثر من كل أحد وكل شيئ.وهذاالتشبيه مبنى على زعم الناس ومعرفتهم وإلا فالأمر على عكس هذا وهو أن صفة الإنارة موجودة فى النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من وجودها فى السراج أوالشيئ الآخر.
- وصف السراج بالمنير مع أن الإنارة من لوازم السراج هو كوصف الشيء بالوصف المشتق كما فى "ليلٌ ألْيَل" لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف بهِ الخاص فإن هدى النبي صلى الله عليه وسلم هو أوضح الهدى . وإرشاده أبلغ إرشاد .[422]
- وفيه إشارة إلى أن الدين الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم غير قابل للتبديل والتحريف لأنه صلى الله عليه وسلم أوضح كل شيئ ببيانه الوافى واستدلاله الواضح بخلاف الأديان الأخرى فإنها قبلت التغيير والتحريف لأنها ما كانت متصفة بهذاالوصف.[423]

ويخبر الله تعالى عباده أن معبوديهم غير الله تعالى لن يستطيعوا نصرهم فيقول:"لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون"[424] فى هذه الآية احتمالان:

الأول أن الأصنام للمشركين كالجند فى الدنيا فهم يحضرونهاإلى المشاهد المختلفة فى الدنيا كى تنصرهم ولكنها لاتستطيع هذا فلا تسوق لهم خيرا.

والثانى أن العابدين ومعبوديهم سيؤتون يوم القيامة إلى الموقف ولكن المعبودين لن يستطيعوا أن ينصروهم وينجيهم من عذاب الله تعالى بل سيحضرون إلى عذاب النار.[425]

شبه الأصنام بالجند وكلاهما من الشيئ الذى يدرك بإحدى الحواس الخمسة وكلاهما مفردان وليس هناك وجه التشبيه ولاأداته فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ. ووجه الشبه فيه هو الخدمة والدفاع [426] أى كما أن الجندى يخدم الوطن وأهله ويدافع عنه فكذلك من المفروض أن تخدم الأصنام عابديهم لأن هذاهو السبب الوحيد فى عبادتهم إياهم. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فيه توبيخ للمشركين على عملهم القبيح بأنهم اختاروا لدفاعهم دون عذاب الله تعالى من هم فى أقصى درجات الضعف حتى هم لا يستطيعون أن ينقذوا أنفسهم من عذاب الله تعالى فكيف يكونون فى مقابلة الله تعالى.

- الإحضار هذا لا يكون إلا للمجرمين ففيه تعييرهم لأن الإنسان بفطرته يستحيى ويحزن أن يرى معبوده فى مثل هذه الحالة ففيه تضعيف للعذاب عليهم.

ويُرى الله تعالى عباده مظاهر قدرته فى تسخير الأرض لهم فيقول:"الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون"[427]يبين الله تعالى قدرته الكاملة فى هذه الآية وهى أنه تعالى فرش لنا الأرض وجعلها واقفة ساكنة بحيث يمكن الانتفاع بها من الزراعة و بناء الأمكنة وغيره من المنافع الجليلة [428] وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَاطرقاً تذهبون بها إلى مقاصدكم لكي تهتدوا بها إلى مقاصدكم أو تهتدوا بالتفكر فيها إلى التوحيد الذي هو المقصد الأصلي[429]

شبه الله تعالى الأرض بمهد الصبى وكلاهما من المحسوسات وكلاهما مفرد والتشبيه بدون أداة الشبه ووجه الشبه فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ ووجه الشبه فيه وجود الراحة فى كل منهما.[430] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- بين الله تعالى إنعامه على العباد وقدرته الكاملة أنه جعل الأرض بصورة لاتزعج من عليها فهم فى راحة منها ويجدون كل أسباب الراحة فيها كما أن المهد يريح الصبى ولايزعجه. 431
- ربما فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن الأرض فى الحركة كما أن المهد يتحرك بالصبى وهذه الحقيقة قد ثبتت بالعلم أن الأرض فى حركة مستمرة وقد قال به القرآن فى حين لم يكن للعلم الفطرى وجود فهذامن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم و كثير من غير المسلمين يعترفون بهذه الحقيقة.
- وكما أن حركة المهد لايزعج الصبى فلا يسقط منه فهكذاالأرض تتحرك ولكن قوة جذبها إليها جعلت ساكنيها يمشون عليها ولا يتزلزلون ويرتاحون فيها.
- ولو تأملنا لوصلنا إلى الحقيقة أن الأرض ستكون فى الحركة وإفادة الناس مادام الناس موجودون عليها وإذا انتهى وجودالناس عليها لوقفت عن الإراحة وإفادةالناس كما أن المهد يكون فى الحركة مادام الصبى موجودا فيه وإذا عدم الصبى وقف. فهذا يذهب بنا إلى فنائية الدنيا وعدم وجودها إلى الأبد.

ويصف الله تعالى انشقاق السماء يوم القيامة فيقول:"فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان"[432] فى هذه الآية يبين الله تعالى حال انشقاق السماء وتغييرلونها يوم القيامة فقال إنها إذاانشقت لنزول الملائكة يكون لونها كلون الوردة فى الحمرة ثم هى كالدهان وفى هذاالتشبيه أقوال ولكن سأختار منها

واحدا لأن الترجيح بين التفسيرات المختلفة لا يهمنى بل يهمنى أن أعالج الناحية البلاغية فالتفسيرالذى اخترته لبحثى هو أن المراد بالدهان هو جمع الدهن والتشبيه به ليس فى اللون بل فى الذوبان و"هو أن الدهن المذاب ينصب انصبابة واحدة ويذوب دفعة والحديد والرصاص لا يذوب غاية الذوبان ، فتكون حركة الدهن بعد الذوبان أسرع من حركة غيره فكأنه قال حركتها تكون دفعة واحدة كالدهان المصبوبة صباً لا كالرصاص الذي يذوب منه ألطفه وينتفع به ويبقي الباقي،وكذلك الحديد والنحاس"[433]

فى هذه الآية تشبيهان :الأول شبه الله تعالى السماء بالوردة فى الحمرة والثانى شبهها بالدهان فى سرعة الذوبان وكل من المشبه والمشبه به فى التشبيهين مفردحسى ولم يذكر وجه الشبه والأداة فى التشبيه الأول وذكرت الأداة فى الثانى'ثم وجه الشبه فى التشبيه الأول هوالحمرة وفى الثانى سرعة الذوبان. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- يوحى هذاالتشبيه أنه ليس هناك فرق بين السماء وبين الوردة فمن شدة المشابهة بينهما كأنهما شيئ واحد وهذاالتشابه فى الحمرة فقط.
- ثم فى التشبيه بالدهان إشارة إلى سرعة السقوط بعدالانشقاق لأن التشبيه بالدهن ليس في اللون بل في الذوبان وحركة الدهن بعد الذوبان تكون أسرع من حركة غيره فكأنه قال حركتها تكون دفعة واحدة كالدهان المصبوبة .[434]

ويستمر بيان مظاهر قدرته تعالى ونعمه فيقول الله تعالى:"أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"[435] فى هاتين الآيتين يبين الله تعالى قدرته العظيمة بأن جعل الأرض "كالمهاد الذى يفترشه النائم"[436]وجعل الجبال كالأوتاد على الأرض فاستقرت ولم تضطرب بمن عليها[437] اختار الله تعالى اسلوب الاستفهام الإنكارى كى يوبخهم على أعمالهم التى تدل بلسان الحال أنهم لايتفكرون فى هذه القدرات.

فى هاتين الآيتين تشبيهان: الأول:أن الله تعالى شبه الأرض بالمهاد وهو البساط والفراش الذى يفترشه النائم وكل من الأرض والمهاد مفرد ويدرك بإحدى الحواس الخمسة ولم يذكر فيه وجه الشبه ولاأداته فهومن المفرد الحسى البليغ ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو الاستراحة فى كل منهما فإن الأرض مكان للاستراحات للإنسان كما أن الفراش مكان لاستراحة النائم.والثانى أنه تعالى شبه الجبال بالأوتاد فالجبال والأوتاد مفردان حسيان ولم يذكر وجه الشبه ولا أداته فهو من التشبيه البليغ.ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو منع الشيئ عن الاضطراب والتزلزل' فكما أن الأوتاد تمنع الخيمة من التزلزل والاضطراب

فكذلك الأرض سكنت وامتنعت عن الاضطراب. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- كل من التشبيه الأول والثانى ادّعى الاتحاد بين المشبه والمشبه به لعدم ذكر أداة التشبيه ولا ووجهه.
- نرى أن الله تعالى كيف ذكر الأشياء المناسبة فى هذاالتشبيه فلما ذكر الأرض وقال إنها كالمهاد والمهاد يكون داخل البيت ويناسب البيت ذكرالأوتاد التى تكون خارج البيت لأنه لايستفادالمهاد إلا أن تكون البيت محفوظا من التزلزل والاضطراب وهذايكون بالأوتاد .[438]
- وفى كثرة الجبال على وجه الأرض قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهاداً فالجواب الأول أن الجبال مشبهة بالأوتاد فى مجرد الصورة وهى غيرنافية لكون الأرض مهادا'والجواب الثانى أن الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها فوجود الجبال لجعل الأرض ثابتة مستقرة.[439] وقرئ مهدا [440] فالتفصيل فيه كما مر فى سورة الزخرف:10

ويحرم الله تعالى دخول المشركين المسجد الحرام لنجاستهم وطهارة المسجد فيقول تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[441] فى هذه الآية يأمر المسلمين أن لا يمكنواالمشركين من دخول المسجد الحرام بعد عام التاسع من الهجرة النبوية.وحذرهم من الخوف من انقطاع التجارة التى هى من قبلهم لأن الله تعالى هو المسبب فيعوضهم عن هذا ، ويغنيهم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونهم ، حكيم فى تدبيره لها.[442]

فى شرح هذه الاية تفسيران: الأول أن أعيانهم نجسة لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباًولهذا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير.[443]

والثانى أن هذاالكلام مبنى على التتشبيه البليغ أى كالنجس فى خبث الاعتقاد حذفت منه أداة الشبه ووجه الشبه.[444] فبناء على هذاالقول شبه المشركون بالنجاسة فى تلويث كل منهما الموضع الذى هما فيه فهذايلوث الظاهر وذاك يلوث الباطن.ثم كل من المشبه والمشبه به حسى يدرك بإحدى الحواس الخمسة أما النجاسة فظاهر أنها تدرك بحاسة البصر واما المشركون فذواتهم مدركة بحاسة البصروإن كان وصفهم لايدرك بها بل يدرك بالعقل فقط ولكن المشبه هو المشرك لا الشرك فهو من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس.ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- شبه المشركون بالنجاسة إشارة إلى المبالغة فى التجنب منهم كما يتجنبون الناس الأنجاس وفيه بيان فلسفة التجنب كى يسهل على الناس التجنب منهم مع إمكان الخسارة فى التجارة.[445]
- فى تشبيهم بالمصدر مبالغةً كأنهم عينُ النجاسةِ لأن باطنهم متلوثة بنجاسة الشرك الذى هو فوق كل النجاسة [446]
- ثم فى جعل الجنسين المختلفين جنسا واحدا من المبالغة مالايخفى.
- فيه تحقير المشركين وتبعيدهم من مجامع الخيروهذايحث على التفكير أنّ خباثة الاعتقاد أدنى بصاحبها إلى التحقير من قذارة الذات وأما الإسلام فيدنى صاحبه من كل خير.[447]

ويوصى الله تعالى أهل البيت بالعمل الصالح وعدم التبرج مثل تبرج الجاهلية الأولى فيقبح التبرج بربطه بالشيئ الذى يعد قبيحا عند السامع فيقول:"وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"[448] يخاطب الله تعالى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ويامرهن بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وهو إظهار الزينة والتصنع بها.وأمرهن أن يقمن الصلاة ويؤتين الزكوة ويطعن الله ورسوله وبشرهن أن الله تعالى أراد أن يذهب الرجس عنهن ويطهرهن من الذنوب. [449]

فى هذه الآية تشبيه واستعارة أما التشبيه فندرسه هنا وأما الاستعارة فسندرسه فى موضعه فشبه الله تعالى التبرج المنهى عنه بتبرج الجاهلية الأولى والتبرج من الطرفين المشبه والمشبه به مفرد حسى يدرك بحاسة البصر ولم تذكر أداة التشبيه ولاوجه الشبه.ووجه الشبه هناهو إحداث المفسدة كما كان أهل الجاهلية يفعلون فكانت المرأة تبدى محاسنها تستدعى به شهوة للرجال.[450]ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى إضافة التبرج إلى أهل الجاهلية الأولى إشارة إلى أن مثل هذاالتبرج ليس من دأب المسلمين بل دأب الذين هم وقعوا فى ظلمات الجهل فلا ينبغى للمسلمين أن يتبعوا الجهال فى جهلهم ففيه النهى مع الدليل كى يتنهى المخاطب على وجه البصيرة.
- ولأن هذامن دأب الجاهليين ففيه تقبيح العمل المنهى عنه كى يكون المسلمون على حذر من ارتكاب هذاالعمل الشنيع.

ويصف الله تعالى هول يوم القيامة فيقول تعالى :"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" [451] فى هذه الآية بيان هول يو م القيامة فيقول الله تعالى مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم إنك ستظن أن الأرض ثابتة لا تتحرك ولكنها لن تكون جامدة بل

ستمر مثل مر السحاب وهذا من صنع الله الذى خلق كل شئ وأبدعه . إنه سبحانه كامل العلم بما يفعل الناس من طاعة ومعصية.[452]

شبه مر الجبال بمر السحاب فى السرعة على أرجح الأقوال والمر فى الطرفين مفرد ويدرك بحاسة البصر ولم تذكرالأداة ووجه الشبه فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ.وقد اختلف الآراء فى تعيين وجه الشبه فمنها أنه عدم تبين الحركة وذلك أن الأجرام العظام إذاتحركت نحوسمت لا تكاد تتبين حركتها.ومنها أنه السرعة وهو المشهور ومنها أنه تخلخل الأجزاء وانتفاشها [453] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- من أوصاف الجبال الجمود والثبات حتى يضرب بها المثل فى هذاالوصف ويشبه بها الأشياء الثابتة والحركة ضد ذلك ولكن يوم القيامة سيسيرها الله تعالى سريعة كسير السحاب ففى هذاالتشبيه تحقير الأجرام القوية الثابتة أمام قدرة الله تعالى بأنه تعالى سير الأجرام العظيمة بقدرته الكاملة.
- ويخيل إلى والله تعالى أعلم أن المراد ب"وترى الجبال جامدة" فى الدنيا و ب"هى تمر مر السحاب" فى الآخرة ومعنى هذاأنك ترى أن هذه الأشياء ثابتة الآن ولكن سترى أنها ستمر سريعة مثل السحاب ففيه من إظهار قوة الله تعالى فى الآخرة.
- وكما أن من وصف الجبال الثبات فأن السحاب يكون خفيفا ويسيّر بالهواء كل وقت ففى التشبيه بشيئ خفيف إشارة إلى أن الوصف الأصلى للجبال سينتهى وهى يكون مثل السحاب يسيرها الهواء حيث شاء.
- وفى حسبان الرائى الجمود إشارة إلى تعطل حواس وبالتالى إلى هول يوم القيامة لأنه لايحس بالحركة السريعة التى تكون مثل السحاب[454]

ثم يستمر فى شدة هول يوم القيامة فيقول:"يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ"[455] بين الله تعالى أهوال الساعة فى هذه الآية فقال إن المرضعة تصير غافلة عن ولدها الرضيع من شدة الخوف وتضع الحاملة حملها وتظن أن الناس سكارى لايعرفون شيئا مع أنهم لن يكونوا سكارى ولكن كل هذا سيكون من شدة عذاب الله تعالى.

شبه الناس بسكارى فالمشبه وهو"الناس" يدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما المشبه به وهو "سكارى" فتدرك ذواتهم _وهم يعملون أعمالا تدل على أنهم ليسوا فى حالة الصحو_ بالقوة الباصرة ولكن كونهم متصفين بصفة السكر فلا يدرك إلا بالعقل ولكن المشبه هو سكارى ليس وصفهم وهو السكر فهو

أيضا حسى.ووجه الشبه أن كليهما يعملان أعمالا لايعملها الشخص فى الحالةالعادية. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى الخطاب لكل واحد إشارة إلى أن هذه الرؤية متحقق لكل واحد من أفرادالناس وإلا فالتحقق للبعض لا يدل على عظم الهول لأن الله تعالى خلق الناس فى الأحوال المختلفة فبعضهم يرى الشيئ الصغير كبيرا والبعض الآخر يرى الشيئ الكبير صغيرا فأخبرالله تعالى أن هذاالهول متحقق للرؤية لا للرائى.وأيضا دل هذاالخطاب على أن هذه الرؤية تكون ثابتة لكل الناس لا لبعضهم لعظمة المنظر الهائل.456
- ربما أشار الله تعالى فى اختيار كلمة"سكر" لا"الغشيان" إلى أن الغشيان لا دخل فيه لأعمال العباد وهذاينتج فى عدم الجزاء كالجنون وأما السكر فيكون لأعمال العبادوهذا ينتج فى الجزاء فنستنتج من هذا والله تعالى أعلم أن هذه الحالة لأجل أعمال معظم الناس فى الدنياوليست هى صدفة.
- ثم هذه الحالة لا تدفع من المبتلى بها شيئا من الهول كما أن السكران لا يشعر بالإزعاج لأنه يهوم فى دنياه الخيالية وأما يوم الحساب فهو يشعر بكل ما يحدث حوله من الإزعاج والهول' فالتشبيه ليس من كل الوجوه بل فى الصفة الخاصة التى ذكرت.ويدل عليه قوله تعالى "وماهم بسكارى"

ويبين الله تعالى نعمه على عباده وإظهار قدرته فيقول:"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا"[457]عدالله تعالى نعمه على عباده فمن نعم الله تعالى أنه جعل الليل ساترا كاللباس وفى هذاالستر كثير من النعم لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها من حيث الدين والدنيا فعباداللهِ الصالحين يعبدون ليلا وهم لا يريدون أن يكون للناس خبر بما يفعلون فى ظلمات الليل وهكذا الزوج يباشر زوجه فى الليل ويكون مستورا عن أعين الناس.وكذا الذين يكتمون معاصيهم عن أعين الناس والكتمان ليس شيئا سيئا فالجهر بالإثم يصير فى زمرة الآثام التى لا تعفى فظلمة الليل يعينه فى كتمانه.[458] ومن نعمه تعالى أنه جعل النوم راحة للناس فإن النائم ينقطع من متاعب الحيوة ويرتاح لبضع ساعات ومن نعمه أنه تعالى جعل النهار نشورا والنشور : الحياة بعد الموت وهو هنا يحتمل معنيين: الأول أن يكون مراداً به البروز والانتشار فيكون الإخبار به عن النهار حقيقياً والمنّة فيه أن الناس ينتشرون فيه لحوائجهم واكتسابهم والليل يمنع الناس عن هذا فالمنع عن الاكتساب نعمة وإرسالهم له نعمة آخرى.والثانى أنه يحتمل أن يكون مراداً به بعث الأجساد بعد موتها فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ .[459]

فى هذه الآية ثلاث تشبيهات: الأول تشبيه الليل باللباس وكل من الليل واللباس يدرك بإحدى الحواس الخمسة وكل واحد منهما مفرد ولم تذكر فيه أداة التشبيه ووجه الشبه فيه الستر فكما أن اللباس يستر الناس عن الناس فكذلك الليل

يلقى رداءه على الكون كله فيستره عن أعين الناس فلا يُرى من يعمل فى ظلمات الليل.والتشبيه الثانى هو تشبيه النوم بالسبات والسبات له معان متعددة في اللغة لأنه اشتق من مادة السبت وهو القطع . وأنسب المعاني فى هذاالمقام هو معنى الراحة وفسر الزمخشري السبات بالموت على طريقة التشبيه البليغ [460] فبناء على المعنى الأول وهو الراحة أطلق على المسبب اسم السبب فهو من المجازالمرسل و بناء على المعنى الثانى فهو التشبيه البليغ.ووجه الشبه فيه هو الانقطاع عن الأنشطة الدنيوية.والتشبيه الثالث هو تشبيه النهار بالنشوروالنشور معناه الحياة بعد الموت وهو هنا يحتمل معنيين: الأول البروز والانتشارأى وجعلنا النهار سببا للبروز والانتشار أومحلا للبروز والانتشارفبناء على هذاالمعنى فى هذاالأسلوب مجاز مرسل وليس هناك تشبيه.أما المعنى الثانى فهوأن يكون المراد به بعث الأجساد بعد موتها فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ'ووجه الشبه فيه هو البروز فى كل منهما فهنا للاكتساب وهناك للحساب.[461] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى تشبيه الليل باللباس إشارة إلى أن الليل يقى الناس عن المضرات كما أن اللباس يقى صاحبه عنها ففيه تلطف بالعباد ومع ذلك فيه معنى الراحة كما أن اللباس يريح صاحبه فضلا عن الستر فكذلك الليل يريح صاحبه بالنوم أو على الأقل عن المشاغل التى تكون طول النهار فالناس يكون فى تعب وإن لم يعمل شيئا بنفسه فالناس الآخرون لايتركونه كى يستريح.[462]
- ثم فى صورة التشبيه البليغ قد بالغ فى هذاالوصف فكأن الليل هو نفس اللباس وفيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به.
- وكذلك فى تشبيه النوم بالسبات وهو الموت عند الزمخشرى رحمه الله تعالى مبالغة لأن الموت أعلى درجة فى الانقطاع عن مشاغل الحيوة وفى كلمة السبت إشارة إلى أن المراد من التشبيه ليس فى كل الوجوه فيشتمل على موت البر والفاجر والمسلم والكافر لأنه تعالى ذكره فى موضع الامتنان وهو يأبى ذلك.فالمرادهو الراحة التى تحصل بالانقطاع عن مشاغل الحيوة.
- ثم فى صورة التشبيه البليغ قد بالغ فى هذاالوصف فكأن النوم هو نفس الموت وفيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به.
- وكل ما ذكر فى ضمن نعم الله تعالى يدل على دِقة نظام دوران الأرض حول الشمس ودقة نظام خلق الشمس ثم ما في خلال ذلك من نظام النوم المناسب للظلمة حين ترتخي أعصاب الناس فيحصل لهم بالنوم تجدد نشاطهم.[463]
- وفى تشبيه النهار بالنشور وهو البعث بعد الموت تذكير بالبعث وإشارة إلى أن النوم أخوالموت فإن شاء الله تعالى رد الروح إلى الأجساد وإلا يبعثه إلى عالم الأرواح. فيحيى يوم القيامة.[464]

وهكذا يبين الله تعالى نعمته على عباده وقدرته فيقول:"وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا"[465]فيبين الله تعالى حالة السماء يوم القيامة فيقول إنها ستُفتح فتكون ذات أبواب وكأنها أبواب بنفسها من كثرة الأبواب فيها.[466]

شبهت السماء بالأبواب وكل من السماء والأبواب مفرد حسى ولم يذكر وجه الشبه ولا أداته فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ. ووجه الشبه فيه هو التشقق والتصدع أى أن السماء تكون متشققا من مواضع مختلفة وتُرى هذه المواضع كأنها أبواب من كثرة مافيها من التشقق.[467] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- لايخفى مافى هذاالأسلوب من إظهار قدرة الله تعالى بأن هذه السموت قد تشققت وصارت مثل الأبواب "وكانت من قبل شدادا لا فطور فيها ولا صدوع"[468]
- قد أطلق على السماء بالأبواب مع أن هذاحمل الجمع على الواحد وهو لا يُتصور لأن هذايفيد أن السماء بكليتها تصير أبواباً وهذا لايعقل فيُحمل هذا على المبالغةفمعناه" أن تلك الأبواب لما كثرت جدافصارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة"[469]

وهكذا يبين الله تعالى نعمته على عباده وقدرته فيقول"وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا"[470] هذابيان حالة الجبال يوم القيامة فيقول الله تعالى إنها ستسير من مواضعها وصارت كالسراب "فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً ، كما أن من يرى السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئاً ، والله أعلم ."[471]

شبهت الجبال بالسراب وكل من الجبال والسراب مفرد وحسى أما فى الجبال فظاهر أنها تدرك بإحدى الحواس وأما فى السراب فهو أن الرائى يدرك بحسه أنه ماء لأنه يُرى هكذا وإن كان هذا من خدعة الحس.ولم تُذكر فيه أداة الشبه ووجهه فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ.ووجه الشبه هوعدم وجود شيئ فى كل منهما مع أن الرائى يزعم أن هناك شيئ. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فيه إظهار قدرة الله تعالى أنه جعل من أعظم الأشياء وجودا وأخذ منها خدمة تقرير الأرض إلى قدر معلوم فإذا شاء أن يزيل هذه الأجسام بدلها فى لاشيء وهذا من عظم قدرة الله تعالى.
- استخدمت كلمة "كان" وهو يدل على حدوث الفعل فى الماضى فاستخدامها هنا ليدل على أن الفعل متحقق وكأنه قد حدث فى الماضى ولا شك فى حدوثه.وأيضا فيه إشارة إلى أن أصلها العدم وقدوجدت بقدرةالله

تعالى وحكمته فإذا أرادأن يعيد الأشياء إلى أصلها فليست فيه صعوبة لله تعالى.

- قدزيدت المبالغة فى تشبيه الجبال بالسراب لعدم ذكر أداة الشبه ووجهه فكأن السراب والجبال شيئ واحد.
- يمكن أن تكون الإشارة فى التشبيه بالسراب إلى هول يوم القيامة فهو يزعم أن هناك شيئ وليس هو كذلك مثل العطشان يزعم أن هناك ماء والأمر لايكون كذلك فهنا شدة العطش وهناك شدة الهول والله تعالى أعلم.

ويصف الله تعالى شراب أهل الجنة فيقول:"خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"[472] فى هذه الآية والتى قبلها بيان شراب أهل الجنة والرحيق فى الآية قبل هذه (يسقون من رحيق مختوم) معناه "الخمر الصافية التي لا غش فيها" فمعنى الآية : أن أهل الجنة يسقون من الخمر الصافية بدون غش فيها وتكون أوانيها مختومة بالمسك مكان الطينة أوالشمعة وإنما ختم تكريماً وصيانة على ما جرت به العادة فكأنها أشرف من الخمر الجارية في أنهارها من الجنة .[473] فعلى المتنافسين أن يتنافسوا فى هذه النعمة.وهناك تفسير آخر للختام وهو أنه آخر كل شيء فمعنى الآية أن آخر شربه مسك وهو يوحى أن خاتمة هذه الخمر تكون طيبة وإنما الأعمال بالخواتيم.[474]

شبه الله تعالى ختام آنية الخمرأوآخر الشراب بالمسك وكلاهما مفردان يدركان بالحس ولم يذكر وجه الشبه فهو من التشبيه المفرد الحسى البليغ. ووجه الشبه الطيب والبهجة فيهمافكماأن للمسك عرف طيب فكذلك يكون هذاالختام.[475] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- إشارة إلى نفاسة الخمر الطيبة لأن الختام عادة حتى وللشيئ النفيس يكون بشيئ عادى من الطين والشمع وغيرهما وأما فى خمر الجنة فيكون بعجين المسك فهذايوحى أن المظروف يكون فى أعلى أقسام من الخمر لأنه إذاكان حال الختام هذا فحال المختوم لانستطيع أن نتصورعنه.
- أشار الله تعالى إلى كرامة الخمر لأن هناك أنهارالخمرفكونها مختومة لاسيمابالطين كالمسك يشير إلى كرامتها وصيانتهاعن الأشياء المخربة فكأنها أشرف من الخمر الجارية في أنهارها من الجنة.[476]
- حينما نسمع عن الخمر يأتى فى أذهاننا الخمر التى تخرب العقول ونتيجة لذلك تخرب أعمال الناس ولذلك جعلها الله تعالى رجسا من عمل الشيطان وأما هذه الخمر فاختزنها بنفسه لأهل الجنة وختمها لهم بالطين كالمسك ويكفى لنا تسلية أنها لن تكون رجسا بل طيبة ففيه مدح خمرالجنة وإزالة وهم كونها مخربة للعقول ونجسة.
- ونفهم أن خمر الدنيا لا تنحصر إيذئها إلى مدمنها بل إلى الذى بجواره ويلوث المجتمع بنجاستها وأثراتها وأما خمر الجنة فتروح المجتمع

برائحتها الطيبة فيرتاح شاربها ومن بجواره وكل هذا نستنتج من كونها ذات رائحة طيبة.

- وفى هذاالتشبيه بدون أداة التشبيه ووجهه دعوى الاتحاد بين الختام وبين المسك الذى تزيد فى مبالغة التشبيه حتى وبعض المفسرين جعلوه حقيقة فعندهم ختام خمر الجنة عجين المسك عوضاً عن طين الخَتم.[477]

***

المبحث الثانى

البليغ العقلى

وهو ما يكون طرفاه عقليين.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما عقليين يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- و أن يكون وجه الشبه وأداة الشبه كلاهما محذوفين.الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

قد نهى الله تبارك وتعالى أهل الكتاب من الشرك ودعاهم إلى التوحيد فقال:"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[478]ففي هذه الآية أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى التوحيد ويمنعهم من الشرك ومن أن يتبع بعض الناس بعضا فى تحليل شيئ وتحريمه فإن أعرضوا عن دعوته فليقل المسلمون لهم : اشهدوا بأنهم منقادون لأحكام الله ، مخلصون له الدين لا يدعون سواه.[479]

شبه الله تعالى الذين يطيعهم الناس فى تحليل شيئ وتحريمه بالرب الذى يُستحق للعبادة وكل من المشبه والمشبه به عقليان لا يدركان بإحدى الحواس الخمسة لأن الطاعة تتعلق بقلب الإنسان لا تظهر منه إلا بعض الأعمال كما هو حال الإيمان الذى يكون فى قلب المسلم ويدل عليه بعض الأعمال الظاهرة.وكل من المشبه والمشبه به مفردان فهو من قبيل التشبيه المفرد العقلى وبما أن أداة الشبه لم تُذكر فيه فهو من التشبيه البليغ. وقد كمنت من الأسرار البلاغية فى إطار هذاالأسلوب ما يلى:

- فيه توبيخ لمطيعى رؤسائهم بأن جعلوهم فى درجة الألوهية وكأنهم أرباب مع أنهم بعض منهم وكان من المفروض أن يستخدموا عقولهم فعرفوا أنهم لا يستحقون هذه الدرجة.[480]
- فيه تحميقهم لأنهم عبدواالذين هم بعض منهم وهذالا يخفى على من له أدنى الفهم فيستخدمه ويصل إلى سواء السبيل ويعرف أن الرب هوالذى نُزه عن كل الضرورات البشرية ولايلحقه التغيير والنقص فى وقت من الأوقات.[481]
- وفى منعهم من اتخاذ بعضهم بعضا أربابا مبالغة وفيه إشارة إلى أن الإطاعة فى التحريم والتحليل لاينبغى إلا لله رب العالمين فمن أطاع غيره فى هذا فكأنه جعله ربا لاأنه جعله كالرب و تناسى التشبيه فكأن المشبه

والمشبه به شيئ واحد وهذا يزيد فى المبالغة مالايخفى.فكأنهم يبالغون فى إطاعتهم ولايفرقون بينهم وبين رب العالمين.

ويعبر الله تعالى عن القرآن بالبصائر فهى دلائل والبراهين لمن يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الآيات الدالة على التوحيد والرسالة فقال: "وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[482] ففى هذه الآية خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم من ربه بأنك إذاالم تأتهم بآية سألوك الإتيان بها قالوا لماذا لم تأت بهذه الآية من قبل نفسك قل لهم بأنك لا تستطيع أن تأتى بها إلا بإذن ربك وهذاالقرآن الذى أتيت به من ربك مجموعة من الدلائل والحجج.[483]وقد فسر الطبرى البصائر بقوله" حجج عليكم، وبيان لكم من ربكم."[484]فمعناه أن القرآن بمنزلة البصائرِ للقلوب فهى تُبصِربه الحقَّ والصراط المستقيم.

قد شبه الله تعالى القرآن الكريم بالبصائر والقرآن الكريم وإن كان مدركا بإحدى الحواس الخمسة ولكن المراد ليس ذاتها بل محتوياتها التى يشتمل عليها القرآن الكريم فهو بهذه الناحية عقلى والبصائر أيضا عقلية ثم لم تُذكر فيه أداة التشبيه فهو من البليغ. ووجه الشبه الإرشاد إلى الحق فى كل من القرآن والبصائر. ونجد من الأسرار البلاغية فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن القرآن يتسرب إلى القلوب مباشرة وهو يجعل النور فى القلوب وإذانورت القلوب بمعارف إلهية انكشفت الأمور وصاحبها على وعى تام لا يحتاج إلى أى نور آخر.
- إضافة البصائر إلى الله تبارك وتعالى يؤكد الإيمان بها لأن الهداية والنور إذا جاءا من مالك القلوب والهداية فليس هناك مجال للشك والخيار فالإيمان به ضرورى.
- إطلاق البصائر الكائنة من الرب تبارك وتعالى يؤ ذن بأن القرآن نور للناس كلهم بلا اختصاص نعم كونه هداية فمختصٌّ بالمؤمنين به لأنهم هم الذى يقتبسون من أنواره وهدايته ومن هنا يمحو السؤال عن الأذهان :أن القرآن كتاب الهداية فلماذا لاينير قلوب المستشرقين الذين يبحثون عن معارفه ولا يهتدون؟ لأن القرآن هداية للمؤمنين فقط.[485]
- وفى استخدام صيغة الجمع فى«البصائر» إشارة إلى:

> أن القرآن أنواع من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد ، وتسديد الفهم في الدين ، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس ، والدلالة على طرق النجاح والنجاة في الدنيا ، والتحذير من مهاوي الخسران .[486]

وهكذايمن الله تعالى على بنى إسرائيل أن أنزل على نبيهم التوراة وهو بمنزلة نور القلب الذى يُستبصربه فقال:"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"[487] يخبرالله تعالى فى هذه الآية عما أنعم به على عبده ورسوله موسى عليه السلام من إنزال التوراة عليه بعدما أهلك فرعون وملأه.وهو بمنزلة البصائر وهو جمع البصيرةوالبصيرة : نور القلب الذي يستبصر به ، كما أن البصر نور العين الذي تبصر به ، يريد : آتيناه التوراة أنواراً للقلوب ، لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل.[488] وهو سبب للهداية ورحمة من الله تعالى وهذاكى يتعظوا.فشبه كتاب موسى عليه السلام بالبصائر والكتاب مدرك بحاسة البصر والمراد منه محتوياته التى يشتمل عليها كتاب موسى عليه السلام فهو بهذه الناحية عقلى و البصائر وهو نور القلب لايدرك بإحدى الحواس الخمسة ولم تذكر أداة الشبه ولا وجه الشبه فهو من قبيل المفرد العقلى البليغ ووجه الشبه هو الاهتداء فيهما كما أن نور القلب يُستبصر به ويُميز الحق من الباطل فكذلك الكتاب سبب للاهتداء وتمييز بين الحق والباطل. قال العلامة الزهيلى رحمه الله تعالى:" تشبيه بليغ حذفت منه أداة الشبه ووجه الشبه أى أعطيناه التوراة كأنها أنوار لقلوب الناس".[489] ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- لاشك أن الكتاب المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لنور القلب به تُبصر القلوب العمياء وبه يتقى السالك من التخبط فى مهاوى الضلال وفى هذه الآية جعل الكتاب عين البصائر مبالغة لأنه ليس هناك نور أكثر من نور الله تعالى ولا دليلا أدل من نور الله تعالى قال أبوالسعود:" وجُعل الكتاب بصائر باعتبار عدة دلائله وكثرة بيّناته" [490]
- ثم فى اختيار صيغة الجمع"البصائر" من المبالغة وفيه إشارة إلى أن الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام مجموعة من البصائرلكثرة الدلائل والبينات. [491]

وعبر الله تعالى عن سبب السكن بالسكن مبالغة فقال:"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[492] ففى هذه الآية أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أموال الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك لتطهير أموالهم وتزكية نفوسهم و أن يدعولهم الله الرحمة لأن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم سبب للراحة لهم والاطمينان.[493]

شبه الله تعالى صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاطمينان والسكون وكل من المشبه والمشبه به يُدركان بالعقل لاحظ فيهما للحواس الخمسة فهو من التشبيه العقلى وأداة الشبه ووجهه لم يذكرا فهو من البليغ وشبه الصلاة بالسكن

لأن الصلاة سبب للسكون فكأنه سكون قال صاحب التفسير المنير:" فيه تشبيه بليغ وأصله كالسكن."[494] ونجد من الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب مايلى:

- قد جعل سبب السكن سكنا لعدم ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه فقد جعل المشبه والمشبه به شيئا واحدا.وفي تناسى التشبيه من المبالغة مالا يخفى.
- وفيه إشارة إلى أن المؤمنين وإن وافوا كل الشروط التى كانت عليهم ولكن اطمئنان قلوبهم مضمرفى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم فهو سبب للراحة لهم وكأنه هو راحة.

ووبخ الله تعالى الكفرة على أنهم كانوا يستعجلون بالعذاب الموعود من الله تعالى بلسان نبيه صلى الله تعالى وكانوا يستعجلون لأنهم ماكانوا يؤمنون به فقال تعالى:"وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[495] وكان الكفار يقولون: "اللهم إن كَانَ هذا هُوَ الحق مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مّنَ السماء أوِ ائتنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" وكان كل هذا إنكار واستهزاء لأنهم ما كانوا يرجون لقاء الله تعالى ولهذا كانوا يستعجلون فى العذاب فأجابهم الله تعالى أنه لو يعجل الله لهم الشرَّ عند استعجالِهم به تعجيلاً مثلَ تعجيلِه لهم الخيرَ عند استعجالِهم به "لأدى إليهم الأجلَ الذي عيّن لعذابهم وأُميتوا وأهلِكوا بالمرة وما أُمهلوا طرفة عينٍ" [496] وتقديرُالكلام فى هذه الآية:"ولو يعجل الله لهم الشرَّ عند استعجالِهم به تعجيلاً مثلَ تعجيلِه لهم الخيرَ عند استعجالِهم به" [497]

فهناك تشبيهان الأول:تشبيه استعجال الكفار الشر باستعجالهم الخير والثانى : تشبيه تعجيل الله تعالى العذاب بتعجيله الخير.فالتعجيل والاستعجال فى كل من المشبه والمشبه به عقليان فالتشبيه عقلى ولعدم ذكر الأداة ووجه الشبه تشبيه بليغ. ونرى من الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب ما نرى:

- هذا الأسلوب يدل على أن الله تعالى يعجل الخير إذااستعجلوه حتى ولو لم يستعجلوه فى بعض الأحيان و هذايدل على رحمة الله الواسعة.
- وفى نفس الوقت فهو يدل على عدم استعجال الله تعالى الشر مع أن الكفار يستعجلونه ولكن رحمة الله تعالى الواسعة تأبى ذلك كى يمهل الكفار أن يتوبواإلى الله تعالى فى هذه الدنيا.
- أوحى هذاالأسلوب أن رحمةالله تعالى سبقت غضبه لأنه يعجل الخير إذا استعجله الكفار ولا يعجل الشر إذا استعجلوه بل يمهلهم كى يتوبوا.
- في حذف التعجيل والا ستعجال إشعار بسرعة إجابتِه تعالى لهم بالخير حتى كان استعجالُهم بالخير نفسَ تعجيلِه لهم.

***

المبحث الثالث

البليغ الحسى العقلى

وهو ما يكون المشبه فيه حسياوالمشبه به عقليا.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- و أن يكون وجه الشبه وأداة الشبه كلاهما محذوفين.ولكن لم أجد لهذاالقسم مثالا فى القرآن الكريم وبما أن بحثى فى إطار النصوص القرآنية فلا أعالج هذاالقسم.

***

المبحث الرابع

البليغ العقلى الحسى

وهو ما يكون المشبه فيه عقليا والمشبه به حسيا.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- و أن يكون وجه الشبه وأداة الشبه كلاهما محذوفين.الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

أشار الله تعالى إلى قذارة الشرك وجعله كأقبح ما يستقذره الناس فقال تعالى:"ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ"[498] بين الله تعالى فى هذه الآية أن تعظيم حرمات الله تعالى خير لفاعله والله تعالى أحل الأنعام للناس إلا مابينه فى زمرة المحرمات فعلى العباد أن يجتنبوا عبادة الأوثان التى هى من القذر المعنوى وأن يجتنبوا شهادة الزور.

ومعنى الرجس فى اللغة هو القذر وهو عام للقذر الظاهرى الذى يكون من القذر المحسوس للناس والمعنوى وهو الشرك مع الله تعالى وقال صاحب القاموس المحيط: "(والرِّجْسُ، بالكسر: القَذَرُ، ويُحَرَّكُ وتفتح الراءُ وتكسر الجيمُ، والمَأْثَمُ، وكلُّ ما اسْتُقْذِرَ من العَمَلِ، والعَمَلُ المُؤَدِّي إلى العذابِ، والشَّكُّ، والعِقَابُ، والغَضَبُ. ورَجِسَ، كفرِحَ وكَرُمَ، رَجاسَةً: عَمِلَ عَمَلاً قبيحاً." [499] والمراد فى هذه الآية القذر المعنوى وهو الشرك وطاعة الشيطان. قال الطبرى:"وقوله:(فاجْتَنِبُوا الرّجْسَ مِنَ الأوْثانِ) يقول: فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس." [500]

شبه الله تعالى الشرك بالرجس وكل من الشرك والرجس مفرد ثم الشرك لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو عقلى وأما الرجس فمدرك بها فهو حسى وأداة الشبه لم تذكر هنا فهو من قبيل التشبيه المفرد العقلى الحسى البليغ. ولكن هذاإذا كان المراد من الرجس القذر الظاهرى الذى يكون محسوسا للناس فإن كان المرادمنه الرجس المعنوى الذى يكون غيرمحسوس للناس فهو من التشبيه المفرد العقلى البليغ. ونجد فى هذه الآية من الأسرار البلاغية ما يأتى:

- في هذاالتشبيه تنفيرالمشبه لأن الناس ينفرون عن الرجس الذى شبه به فى هذه الآية فالله تعالى أخبرهم أن طاعة الشيطان والشرك مع الله تعالى من

الرجس المعنوى الذى يكون أثره إلى الأبد.فنفرالله تعالى الناس عن الشرك بهذه الطريقة لأن الطبع السليم لا يواجه الرجس فكيف بشيئ سماه الله تعالى الرجس.

- من اللازم أن الذين يحبون الأقذار يُكرهون طبعا بين الناس فعُلم بها أن المشركين يحبون الأقذار الاعتقادية فهم نجس ولذا قال الله تعالى " إنما المشركون نجس" فلا ينبغى للمسلمين أن يودوهم.
- وهكذاينبغى للمسلمين أن ينفروا عن هذاالقذر المعنوى مع تركهم إياه كما ينفراالناس الأقذار طبعا.[501]

ويصف الله تعالى حقارة الدنيا ودناءتها فجعلها كالشيء الذى لايقصد لذاتها ولا يقضى فيه من الوقت إلا قليل وهو اللهو واللعب فيقول الله تعالى:"وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[502] يبين الله تعالى حقيقة الحياةالدنيا فهى لاتتجاوز من أن تكون لعبا ولهوا وأماالدار الآخرة فهى خير للمتقين أفلا يعقل المخاطبون هذه الحقيقة؟ واللعب : عمل أو قول في خفّة وسرعة وطيش ليست له غاية مفيدة بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واللهو : ما يشتغل به الإنسان ممّا ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله . فلا يطلق إلاّ على ما فيه استمتاع ولذّة وملائمة للشهوة.[503]

شبهت الحياة الدنيوية باللعب واللهو فى الاستمتاع وعدم الفائدة فيهما. الحياة الدنيوية مفرد مقيد والحياة شيئ معنوى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة و قد شبهت بشيئين: اللعب واللهو وهما أمران حسيان ومفردان ثم لم تذكرأداة الشبه ولا وجه الشبه فهو من التشبيه المفرد العقلى الحسى البليغ.ولاحظنا أن المشبه واحد والمشبه به متعدد فهو تشبيه الجمع. ونجد من الأسرار البلاغية فى هذه الآية ما يأتى:

- جعلت الحياة الدنيوية واللعب واللهو شيئا واحدا وفيه مبالغة لتناسى التشبيه وكأنه ليس هناك تشبيه لأجل حذف أداة التشبيه ووجه الشبه .504 ثم نرى أن الحياة الدنيوية قد انحصرت فى اللهو واللعب مع أن هناك أمورا أخرى سوى اللهو واللعب فالأعمال الحاصلة في الحياة كثيرة ، منها اللهو واللعب ، ومنها غيرهما فهذا القصر ادّعائي يقصد به المبالغة وفيه إشارة إلى أن الغالب على الناس اللعب واللهو إلاّ من آمن وعمل صالحاً.505
- وفيه أيضاً نداء على سخافة عقولهم إذ غرّتهم في الدنيا فسوّلت لهم الاستخفاف بدعوة الله إلى الحق لأنهم كانوا يقولون: إن هي إلاّ حياتنا الدنيانموت ونحيى فقيل لهم إن هذه الدنيا ليست فى شيئ مما يعبأ به وخير الحياة هى الحياة الأخروية.[506] وفيه إشارة أيضا إلى قصر عمر الدنيا لأن

اللعب واللهو لايكون طول العمر بل فى جزء من العمر ثم فى جزء من ذلك الجزء.

وهكذا يخبر الله تعالى عن فنائية الدنيا وزوالها وأنها لاتزيد على أن تكون متاعا إذا قورنت بالحياة الأخروية فقال تعالى:"اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ "[507] فالله تعالى يبين قسمته لعباده فى الرزق فهو يقسمه حسب حكمته وعلمه فيبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء وأنهم رضوا بحظ الدنياوقد أعرضوا عن نعيم الآخرة والحال أن ما فرحوابه فى مقابلة ما أعرضوا عنه قليل النفع و سريع النفاد لأن المتاع هو يكون قليلا حسب الضرورة لايراعى فيه الجودة لزاد الراكب فى السفر.[508]

شبهت الحياة الدنيا بالمتاع وهو كل ما يتمتع به فى الدنيا والحياة الدنيا مفرد وغير مدرك بإحدى الحواس الخمسة والمتاع أيضا مفرد ولكنه مدرك بحاسة البصر ولم تذكر أداة الشبه ولا وجه الشبه فهو تشبيه مفرد عقلى حسى بليغ ووجه الشبه هو الحقارة وسرعة زواله.[509] ونجد فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يأتى:

- قد انحصرت الحياة الدنيا فى المتاع لأنهما ذكرا ب"ما" و"إلا" وهما لحصر الأول فى الثانى والأول هو المشبه أى الحياة الدنيا والثانى هو المشبه به أى المتاع وهذاالحصر يفيد أن حقيقة الحياة الدنيا لاتتجاوز من أن تكون متاعا.ففيه حقارة الحياة الدنيا لأن المتاع ليست له قيمة بل يحتاجه الناس لوقت قليل.
- وكما نرى أن هذاالتشبيه هو التشبيه البليغ فهذايفيد أن الحياة الدنيا هى نفس المتاع ففيه مبالغة لأن للحياة الدنيا نواحى كثيرة ولكنها لم تُراعى فكأنها كلها متاع لاغير.
- هذاالتشبيه أفاد أنه ينبغى أن لاتُراعى الجودة والراحة فى الحياة الدنيا لأنهاكالسفر' والمسافر لا يبالى بالمتاع الذى يستخدمه لضرورة الوقت بل كل مايراعى فيه هو العمل الذى لأجله يستخدم ذلك المتاع.فالحياة الدنيا هى نوع سفر يستمر إلى الدار الآخرة فينبغى لمسافر الآخرة أن يجعل نصب عينيه هدفه الأساسى ولايبالى بالتسهيلات فى الحياة الدنيا.
- هذاالتشبيه أشار أيضا إلى قلة الحياة الدنيا إذا قورنت بالحياة الآخرة لأن المتاع يكون قليلا زائلا فهكذاالحياة الدنيا قليلة ذاهبة زائلة بالنسبة إلى الحياة الآخرة. قال الله تعالى:" وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلا مَتَاعٌ " أي: قليل ذاهب.[510]
- فيه أيضا إشارة إلى أن الدنيا ليست هدفا أصليابل طريق إلى الهدف الأصلى وهى الدار الآخرة ففى هذه الدنيا حياة تُستغل للآخرة بالعمل الصالح ويُتزود ذلك العمل للآخرة.[511]

وهكذا بين الله تعالى عدم ثبات الحياة الدنيوية فقال تعالى:"وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون"[512] أكتفى فى دراسة هذه الآية بما درست فى آية سورةالأنعام:32

ويعظ الله تعالى عباده بالتقوى ويخبرهم أن التقوى هو خير اللباس للناس لأنه به يتقى من الذنوب ومعصية الله تعالى فيقول الله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"[513]

فى هذه الآية بيان النعمة من نعم الله تعالى وهو خلق اللباس الذى يوارى سوآتهم ويزين أجسادهم والتقوى خير لباس للمسلم وإنزال اللباس من آيات الله تعالى لعل المسلمين يعرفون هذه الحقيقة ويدّكّرون.[514]

فى هذاالأسلوب "إضافة المشبه به إلى المشبه كما أضيف إلى الجوع فى قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف."[515] فالمشبه هو التقوى والمشبه به هو اللباس وكل من المشبه والمشبه به مفرد ثم المشبه لايدرك بإحدى الحواس الخمسة والمشبه يدرك بحاسة البصر ولم تذكر أداة الشبه فالتشبيه من قبيل المفرد العقلى الحسى البليغ. ووجه الشبه فيهما شيئان:الأول: أن التقوى يكون ملازما مع المتقى كملازمة اللباس باللابس قال ابن عاشور:

> ويجوز أن يكون المراد بالتّقوى تقوى الله وخشيته ، وأطلق عليها اللّباس إمّا بتخييل التّقوى بلباس يُلبس ، وإمّا بتشبيه ملازمة تقوى الله بملازمة اللاّبس لباسه ، كقوله تعالى : { هن لباس لكم وأنتم لباس لهن } [البقرة : 187] مع ما يحسِّن هذا الإطلاق من المشاكلة.[516]

والثانى: انه كما أن اللباس سبب للاتقاء من الحر والبرد والأشياء الموذية كذلك التقوى سبب للاتقاء من الذنوب ومعاصى الله تعالى.ونجد من المزايا البلاغية فى هذه الآية مايأتى:

- فى إضافة التقوى إلى اللباس إشارة إلى أنه كما أن اللباس الموارى للجسد يقى الجسد من كل الأشياء الموذية كذلك تقوى الله تعالى يقى صاحبه من الذنوب'ولا يخفى ما فيه من معنى الإستيعاب لأن اللباس يكون مستوعبا لجسد اللابس فينبغى أن يكون التقوى من كل الوجوه ويكون مستوعباللنيات والأقوال والأفعال كلها.
- قد بين الله تعالى إنزال اللباس فى مقام الامتنان ومعنى هذا أن للباس أهمية كبيرة ثم بالتشبيه شمل التقوى فى زمرة اللباس فله أيضا أهمية كبيرة ثم فضل الله تعالى لباس التقوى على لباس الموارى للأجساد وإشير

إليها ب"ذلك" الذى يشار به إلى البعيد ففى هذه الإشارة إشارة إلى بعده من حيث المنزلة والمرتبة ولا شك فيه لأن اللباس الذى يتسبب للنجاة من النار وغضب الله تعالى خير من كل الألبسة الأخرى.[517]

- أفاد هذاالتشبيه أن التقوى ينبغى أن يختاره صاحبه كل وقت لأن فى معنى اللبس ملازمة فكما أن اللباس يكون على جسد اللابس طول الوقت فهكذا ينبغى أن يكون صاحب التقوى متلبسا بتقواه طول الوقت لا أن يلبسه لبعض الوقت ثم ينزعه لوقت آخر. [518] فى هذاالأسلوب تحريض للمسلمين على تقوى الله لأنه خير للنّاس من منافع الزّينة لأن منافع الزينة منافع فانية تنتهى بانتهاء هذه الدنيا وأما منافع التقوى فهى مستمرة فى الحياة الأخروية والآخرة خير من الأولى.[519]

ويعبَّر عن اختلاط الأحلام باختلاط الحشيش فقال تعالى ناقلا قول السحرة:"قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ"[520] وهذا كان لماسأل ملك مصر السحرة والمعبرين عن مفهوم الرؤياالتى رآها فأجيب أن هذه الأحلام لاحقيقة لها بل هى مثل أخلاط النبات ونحن لاندرى تأويل مثل هذه الرؤيا.[521]"شبه اختلاط الأحلام المشتملة على المحبوب والمكروه والسار والمحزون باختلا ط الحشيش المجموع من أصناف متنوعة."[522] والمشبه وهو"الأحلام" مفرد وغير مدرك بإحدى الحواس الخمسة والمشبه به وهو"أضغاث" مفرد ومدرك بحاسة البصر ولم يذكر أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد العقلى الحسى البليغ.ووجه الشبه هواشتمال كل واحد منهما على أنواع مختلفة فالأضغاث تشتمل على أصناف متنوعة من الحشيش والأحلام تشتمل على المحبوب والمكروه والسار والمحزون.[523] ونجد فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يأتى:

- شبهت محتويات الرؤيا بالمجموع المكون من أصناف متنوعة من الحشيش وبهذا قد أخرجت الرؤيا من جنس الرؤيا التي لها عاقبةٌ تؤول إليها ويعتنى بأمرها فكأنها شيئ لا يُعبأ بها كما أن الناس لايعبأون بالحشيش المختلطة.[524] ثم استخدم كلمة الجمع مع أنها كانت رؤيا واحدةٌ مبالغةً في وصفها بالبطلان لأن كلمة حلم فى نفسها تعنى الرؤيا الكاذبة فأفادت صيغة الجمع أنها ليست رؤيا كاذبة واحدة بل مجموعة من الأحلام الكاذبة.[525]
- وفى إضافة المشبه به إلى المشبه أيضا مبالغة لأن الأضغاث قد جعلت من جنس الأحلام فهذايوحى أن المشابهة بين هذاوذاك قدوصلت إلى درجة أن يصح الحكم باتحادهما وهذاالكل من باب المبالغة وقدزادت هذه المبالغة بحذف أداة التشبيه ووجه التشبيه لأن هذاقد أفاد تناسى التشبيه فكأنه ليس هناك تشبيه.

الفصل الثالث

الصور غير المعروفة للتشبيه

اعلم أن هناك صور معروفة للتشبيه وهى التى تكون المشبه به أصلا والمشبه فرعا, ولكنه قد ينحرف عن صوره المعروفة إلى صور غير معروفة فإحداهما التشبيه المقلوب وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به، وهذه الصورة من التشبيه وهى منحرفة عن الصور المعروفة التى يكون المشبه به أصلا والمشبه فرعا.ولايخفى مافى هذه الصورة من المبالغة فى الادعاء والتوبيخ وسنرى تفصيل هذا فى تحليل النصوص المتعلقة.

فإذا حللنا التشبيه المقلوب فى آية سورة البقرة نرى أن الله تعالى صور قيام أكلة الربامن قبورهم يوم القيامة فى صورة من يتخبطه الشيطان من المس ' فقال:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[526]

فى هذه الآية تشبيهان: الأول تشبيه أكلة الربا بالذى يتخبطه الشيطان من المس والتشبيه الثانى فهو تشبيه البيع بالربا.أما التشبيه الأول فسندرسه فى موضعه إن شاء الله تعالى' وندرس هنا التشبيه الثانى وهو تشبيه البيع بالربا فكل من المشبه والمشبه به مفرد وكلاهما مما لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو من التشبيه المفرد بالمفرد وتشبيه المعقول بالمعقول ووجه الشبه هو أخذ الفضل. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:"وكانت شبهتهم أنهم قالوا : لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز ، فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين"[527]وهذاالتشبيه يعد من التشبيه المقلوب لأن الكلام فى الربا لافى البيع وكان المفروض أن يقال:إنما الربا مثل البيع لأنهم جعلوا الربامثل البيع فالأصل هو البيع لاالربا ولكن الأمر على عكس ذلك تماما وشبه البيع بالربافما هو السر البلاغى فى هذاالقلب؟

- جعل الربا أصلا ومشبها به وجعل البيع فرعا ومشبها للمبالغة وتفصيله أنهم قد بلغوا فى أكل الربا إلى أقصى حد وكأنهم قد جعلوه أصلا فى الحل فشبهواالبيع به وكأن الربا من الأشياء التى تشبه به الأشياء الأخرى.[528]

- فيه تقبيح حالهم وهو أنه كان ينبغى لهم أن لايأكل الربا ولكنهم استحلواالرباوجعلواحله علة لحل البيع فمعناه:أن البيع حلال لأن فيه فضل مثل الربا فكما أن الرباحلال أكله فكذلك البيع.ولايخفى أن استحلال الربا وجعله أصلا لحل البيع شيئ بعيد من شان المسلم.

وهكذا يرد الله تعالى قول الكفرة "عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله تعالى إن صح أنانبعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا فلم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا"[529] فيقول تعالى:"أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ"[530] المشبه هنا المسلمين والمشبه به هوالمجرمين وكل من المشبه والمشبه به مفرد وحسى فهذا من قبيل تشبيه المفرد بالمفرد والمحسوس بالمحسوس ووجه الشبه هو الأجر والثواب فى الآخرة. وقدم الله تعالى هذا فى صورة التشبيه المقلوب لأن الأصل تشبيه المجرمين بالمسلمين فى الأجر والثواب لا العكس لأن الكلام فى ثواب المجرمين بأنهم لن يثابوا فى الآخرة لا فى ثواب المسلمين لأن المسلمين ادّعوا ذلك والكفار قالوا إن كان هذا هو الحق لكنا مثلهم فى الآخرة فرد الله تعالى عليهم فى صورة الاستهام الإنكارى بأنهم لن يكونوا مثلهم فى الآخرة.واختار الله تعالى أسلوب التشبيه المقلوب للوجوه الآتية:

- أسلوب التشبيه المقلوب أبلغ لأن هذا يعكس علينا خبيئة الكفرة وهو أنهم يجعلون أنفسهم أصلا والمسلمين فرعا فكأنهم يزعمون إن كان هذا هو الحق فهم يكونون أول من يثاب فى الآخرة ثم بعدهم يثاب المسلمون.قال صاحب التفسير المنير:" تشبيه مقلوب ليكون أبلغ وأروع لأن الأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين فى الأجر والثواب".[531]
- ويمكن أن تكون الإشارة إلى أن المساواة المزعومة لديهم إن كان حقا فمعنى ذلك أن المسلمين يكونون مثلهم فى العقاب والعذاب لأنهم ليسوا أن يثابوا وينعموا فى الآخرة فى أى صورة لأنهم أعداء الله تعالى وخالفوه فى كل لحظة من لحظات حياته فرد الله تعالى عليهم بأن الله تعالى لن يعذب أولياءه مثلهم.

وهكذا يبين الله تعالى نعمته على عباده وقدرته فيقول:"وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا"[532] فهذه الآية سلسلة من النعم الله تعالى التى عدها على عباده بصورة الامتنان فيقول الله تعالى فى هذاالمجال إنه خلق الشمس المنيرة ووصف الله تعالى الشمس ب"الوهاج" ’

> وهوأصله الشديد الوَهج (بفتح الواو وفتح الهاء ، ويقال : بفتح الواو وسكون الهاء) وهو الاتقاد يقَال : وَهَجَت النار إذا اضطرمت اضطراماً شديداً .ويطلق الوهاج على

المتلألىء المضيء وهو المراد هنا لأن وصف وهاج أُجريَ على سراج ، أي سراجاً شديد الإضاءة[533]

شبه الله تعالى الشمس بالسراج وحقيقة السراج" المصباح الذي يستضاء به وهو إناء يجعل فيه الزيت وفي الزيت خرقة مفتولة تسمى الذُّبَالة تُشْعل بنار فتضيء ما دام فيها بلل الزيت"[534] وكل من الشمس والسراج من الحسيات وكل واحد منهما مفرد وليس هناك أداة التشبيه ولا وجهه فهو من المفرد الحسى غير البليغ. ووجه الشبه فى هذاالتشبيه هو الإضاءة. ونجد من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب ما يأتى:

- فى هذاالتشبيه تقريب توهج الشمس إلى أذهان السامعين لأن السراج معروف بهذه الصفة ولايخفى على أحد أن نور السراج أقل قليلا من نور الشمس فهو من التشبيه المقلوب. كما فى قوله تعالى "مثل نوره كمشكوة... الآية"
- فى هذاالتشبيه مبالغة لدعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به لعدم ذكر أداة التشبيه.
- وقد زاد فى المبالغة وصف السراج بالوهاج.

وثانيتهما التشبيه الضمنى وهو ما لايكون التشبيه فيه بالصراحة بل يكون مستفادا من النص.وسأفصل هذاالقسم فى التشبيه التمثيل إن شاء الله تعالى لأنى لم أجد له مثالا فى التشبيه غير التمثيل.

الباب الثانى

ظاهرة تشبيه التمثيل فى ضوء النصوص القرآنية

تشبيه التمثيل وأنواعه:

قد ناقشنا تشبيه غير التمثيل فى الباب الأول وفى هذاالباب سنناقش تشبيه التمثيل وهو مركب من الأشياء الكثيرة لأن وجه الشبه فيه يكون منتزعا من عدة أمور ومن بلاغته أن له أثرا ماليس لغيرالتمثيل فالتمثيل يظهر الأشياء الخفية ويصور الأشياء المعنوية فى صورة الأشيآء الحسية الحية فكأنها أمام عيني المخاطب فهو يفهم الكلام من المقام لا من صاحب المقال لأن الصورة تكون موجودة أمام المخاطب ولايكون بينه وبينها حجاب فهو يفهم مآربه فى صورة المحسوسات.فالوجوه البلاغية كامنة فى النكات الآتية:

- التمثيل يخرج الأشياء الخفية إلى منصة الظهور فهى أمام أعين المخاطبين بعد أن كانت أشيآء معنوية.
- فيه تُصوَّرالأفكار فكأن المخاطب يرى كل شيء لأنه يصل إلى التصوير مباشرة.
- فيه الحث على التفكر فالمخاطب يتفكر بنفسه ويلتقط المعانى المقصودة من الصورة التى هى أمام عينيه.
- فيه الإيجاز لأن المتكلم يعرض الصورة الحية على المخاطب فى ألفاظ قليلة وهذه الصورة تكون مثقلة بالأفكار الكثيرة.
- المخاطب يحس بالفرح الكثير حينما يُرتب الشيء المجهول الذى يُطلب فهمه على العلم الذى يوجد عنده' فلا يلبث أن يفهمه بسهولة وسرعة.
- وفى هذاالأسلوب من المزايا ما لا يستطيع أحد أن يحيطها وسندرسها أثناء دراستنا إياها فى ضوء النصوص القرآنية إن شاء الله تعالى.

وهو أيضايكون بليغا وغير بليغ مثل التشبيه غير التمثيل ويكون حسيا وعقليا.وسأختار فيه نفس الطريقة التى اخترتها فى التشبيه غير التمثيل فأناقش كل هذه الأقسام فى الآيات القرآنية فى موضع واحد دون أكررها لمناقشة كل قسم فأتعب القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض. فأدخلت بعض هذه الأقسام فى بعض وجعلت تتشبيه التمثيل قسمين: البليغ وغير البليغ ثم غير البليغ إما أن يكون طرفاه عقليين أو حسيين أويكون أحدهما عقليا وثانيهما حسيا فينشأ منه أربعة أقسام وهى:

- غير البليغ الحسى
- غير البليغ العقلى
- غيرالبليغ الحسى العقلى
- غيرالبليغ العقلى الحسى

وهكذا البليغ إما أن يكون طرفاه عقليين أو حسيين أويكون أحدهما عقليا وثانيهما حسيا فينشأ منه أربعة أقسام أيضا وهى:

- البليغ الحسى
- البليغ العقلى
- البليغ الحسى العقلى
- البليغ العقلى الحسى

فهذه ثمانيةأقسام وأدرسهافى هذاالباب فى فصلين: الفصل الأول فى التشبيه غير البليغ والفصل الثانى فى التشبيه البليغ وأقسم كل واحد منهما فى أربعة مباحث فيحصل من ضرب الإثنين فى الأربعة ثمانية مباحث وهى فى غير البليغ الحسى و غير البليغ العقلى وغيرالبليغ الحسى العقلى و غيرالبليغ العقلى الحسى والبليغ الحسى و البليغ العقلى والبليغ الحسى العقلى و البليغ العقلى الحسى.وكل هذا فى الصور المعروفة للتشبيه وهى التى تكون المشبه به أصلا والمشبه فرعافى صور التشبيه المعروفة, ولكنه قد ينحرف عن صوره المعروفة إلى صور غير معروفة وهذاالنوع من التشبيه يتفرع إلى التشبيه المقلوب أو التشبيه المعكوس والتشبيه الضمنى وأدرسه فى الفصل الثالث للباب الثالث إن شاء الله تعالى.

***

الفصل الأول

التشبيه غير البليـــــغ

التشبيه غيرالبليغ وهو ما ذكرفيه وجه الشبه وأداة الشبه أوأحدهما ومن بلاغة هذاالقسم أنه يوضح المعانى توضيحا تاما فلايبقى الخفاء فى وجه الشبه ولاأداة الشبه وهذاالقسم وإن كان أقل مرتبة فى القوة من القسم الذى لم يذكر فيه وجه الشبه ولاأداة الشبه[535] ولكن البلاغة تتعلق بمقتضى المقام وبماأن القرآن الكريم فى قمة من الفصاحة والبلاغة فقد استخدم الكلمات فى مواضعها حسب الاقتضاء والضرورة.واعلم أن هناك مثالا أومثالين فى القرآن الكريم ماذكر فيه وجه الشبه وأما أداة الشبه فقد ذكرت بكثرة.وكما ذكرت فيما سبق أن هذاالقسم يتفرع إلى أربعة أقسام وسأشرح هذه الاقسام فى أربعة مباحث فى ضوء النصوص القرآنية.

المبحث الأول

التشبيه غير البليغ الحسى:

وهوما يكون طرفاه حسيين.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وقد ذكرت من بلاغة التشبيه غير البليغ فلا داعى لتكرارها وأما من بلاغة التشبيه الحسى فهو أن فيه توضيح المشبه فى أقل وقت بطريقة كاملة لأن الوصف الذى يريد المتكلم أن يُثبته للمشبه يكون معلوما لدى المخاطب بطريقة جيدة مع التفاصيل التى يقصد تفهيمها فلا يضيع المتكلم وقتا فى تحصيل الحاصل ولا يترك شيئا منها بدون التوضيح.وقد ذكرت المزايا البلاغية فى دراسة كل آية فالتُلاحظ هناك.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما حسيين يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يكون محذوف الأداة مذكورالوجه وإما أن يكون مذكور الأداة محذوف الوجه وإما أن يكون مذكورالأداة والشبه ومن المعلوم أن غير البليغ مالم يكن وجه الشبه وأداة الشبه محذوفين ' أما مذكور الأداة فهو المرسل وأما مذكور الوجه فهو المفصل ولكنى كما قلت سابقالم أجد فى القرآن الكريم إلامثالا أومثالين لمذكور الوجه فلذاأطلقت القول فى عدم البليغ ولم أقسمه فى المرسل والمفصل.الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

يحرض الله تعالى المؤمنين على أن يذكرواالله تعالى أكثر من كل شيئ حتى من ذكر آباءهم "وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم" [536]فقال تعالى:"فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ"[537] أي فأكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم ففيه تشبيه ذكر الله تعالى بذكر آباءهم وهذامن قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس لأن الذكر المذكور فى كل من المشبه والمشبه به حسى يدرك بحاسة السمع لأن المراد بالذكرهو الذكر باللسان قال العلامة السمرقندى رحمه الله تعالى:" فاذكروا الله باللسان"[538].ووجه الشبه هو الإكثار ففيه تحريضهم على إكثار ذكرالله تعالى كما أنهم يكثرون من ذكر آبائهم وليس هدف هذاالتشبيه جمع ذكر الله تعالى بذكر آبائهم ولا التسوية بين ذكر الآباء وذكر الله تعالى بل الهدف هو الإكثار فى الذكر والتشبيه مبنى على ماهو الواقع لأنهم كانوا يفعلون هكذا فحرضهم باستبدال ذكر الله تعالى بذكر آباءهم وفيه توبيخ لهم على فعلهم الشنيع فى أيام الحج قال ابن عاشور:

"فالمقصود أن يذكروا الله كثيراً ، وشبه أولاً بذكر آبائهم تعريضاً بأنهم يشتغلون في ذلك المناسك بذكر لا ينفع وأن الأجدر بهم أن يعوضوه بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر"[539] وهذاتشبيه تمثيلى كما قاله صاحب التفسير المنير: "تشبيه تمثيلى يسمى مرسلا مجملا"[540]ففى هذاالأسلوب رسم الله تعالى الصورة وأرى أن هناك اجتماع الناس وهم قد تفرغوا من مناسك الحج فهذا يذكر محاسن آبائه وذك يعارضه ثم ذك يذكر محاسن آبائهم وهذا يعارضه فمنهم الذاكرون محاسن آبائهم ومنهم المعارضون لذلك وكل واحد يفتخر بآبائهم.ولاحظنا أن المشاهد لهذه الصورة لايجد أية صعوبة فى استخراج النقاط الجزئية. ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية مايلى:

- التشبيه بالآباء يفيد الإكثار فى الذكر لأن هذا أمر واقعى أنهم كانوا يذكرون بعد فراغهم من مناسك الحج وليس فيه ما يدل على صحة ذكر آبائهم كما مر.
- فى هذاالتشبيه تعريض عليهم بأنهم كانوا يستغلون الأوقات الذهبية لأمر هو عبث تماما لأنه لاينفع شيئا فى الدنيا ولا الآخرة "وأن الأجدر بهم أن يعوضوه بذكر الله فهذا تعريض بإبطال ذكر الآباء بالتفاخر".541
- وفيه توبيخ لهم على عملهم الشنيع قال السيد قطب فى تفسيره:

> ولكنه يحمل طابع التنديد ، ويوحي بالتوجيه إلى الأجدر والأولى . . يقول لهم : إنكم تذكرون آباءكم حيث لا يجوز أن تذكروا إلا الله . فاستبدلوا هذا بذاك . بل كونوا أشد ذكراً لله وأنتم خرجتم إليه متجردين من الثياب ، فتجردوا كذلك من الأنساب . . ويقول لهم : إن ذكر الله هو الذي يرفع العباد حقاً وليس هو التفاخر بالآباء . فالميزان الجديد للقيم البشرية هو ميزان التقوى . ميزان الاتصال بالله وذكره وتقواه ."[542]

يبين الله تعالى بصارة المؤمن وعمى الكافرفيقول: "مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"[543] والمراد بالفريقين الكافر والمؤمن فمثل الفريق الكافر كالأعمى والأصم فى عدم البصر والسمع ومثل الفريق المؤ من كالسميع والبصير.[544] قال الله تعالى إن هذين الفريقين لا يستويان.

شبه الله تعالى الكافر بالأعمى فى عدم رؤية الشيئ فى المشبه به(الأعمى) وعدم رؤية الحق فى المشبه (الكافر) وشبهه بالأصم فى عدم سمع الشيئ فى المشبه به(الأصم) وعدم سمع الحق فى المشبه (الكافر) وشبه المسلم بالبصير فى رؤية كل شيئ فى المشبه به (البصير) ورؤية الحق فى المشبه(المسلم) وشبهه بالسميع فى سمع كل شيئ فى المشبه به(السميع) وسمع الحق فى المشبه (المسلم) [545]ونرى أن فى هذاالتشبيه كل من المشبه والمشبه به

مفرد وكل منهم حسى لأن المراد هوذواتهم وأجسادهم متصفة بهذه الصفات الثلاثة وذواتهم مدركة بحاسة البصر ’إذن فهو من التشبيه المفرد الحسى غير البليغ لذكر أداة الشبه. ثم نرى أن المشبه فى كل واحد من التشبيهين واحد والمشبه به متعدد فهو من تشبيه الجمع.ويمكن أن يكون هذاالتشبيه تشبيها تمثيليا

> بأن يُنتزَعَ من حال الفريق الأول في تصامّهم وتعاميهم المذكورَيْن ووقوعِهم بسبب ذلك في العذاب المضاعفِ والخُسران الذي لا خسرانَ فوقه هيئةٌ فتشبّه بهيئة منتزَعةٍ ممن فقَد مَشْعَرَيْ البصر والسمع فتخبَّط في مسلَكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجِدْ إلى مقصِده سبيلاً وينتزَعَ من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرِهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزِهم بدار الخلودِ هيئةٌ فتشبّه بهيئة متنزَعةٍ ممن له بصَرٌ وسمع يستعملهما في مُهمّاته فيهتدي إلى سبيله وينال مَرامه [546]

ونرى من المزايا البلاغية فى هذه الآية مانرى:

- المبالغة فى تشبيه الفريق الكافر بمن هم صفتهم الصمم والعمى بطريق المبالغة التى تدل عليها صيغة اسم التفضيل فلا يستطيعون أن يسمعوا ويبصروا وإن أرادواذلك فكذلك الفريق الكافر ختم الله على سمعهم فلا يسمعون الحق وعلى أبصارهم فلايبصرون الحق.ويفهم من هذاالأسلوب أن الفريق الكافر قد فقدوا الصلاحية لقبول الحق كما أن الأعمى والأصم قد فقدا الصلاحية.
- وكذلك المبالغة فى تشبيه الفريق المسلم بمن هم صفتهم السمع والبصر بطريق المبالغة التى تدل عليها صيغة المبالغة. وفهم أن صلاحية قبول الحق موجودة فيهم بطريق المبالغة.
- نحن نرى فى هذاالتشبيه صورتي المسلم والكافر وهيئتهما فهذايذهب إلى مهاوى الهلاك والخسران وذاك إلى النعيم المقيم ونراهما كأنهما أمام أعيننا لآن القرآن الكريم صورهما صورة بارعة لايمكن لأحد أن يصورمثلها’فنرى أن الفريق الكافر يخرج إلى مقصده فيهوم هنا وهناك فلايرى طريق الحق ولايسمع من يهديه فيتخبط فى مسلكه ويقع فى مهاوى الهلاك وكأنك تراه أمام عينيك وعلى عكس ذلك نرى حال الفريق الثانى يخرج إلى مقصده فيقطع السبيل إليه على وجه البصيرة فيرى الطريق ويهتدى بالدليل إلى سبيله وينال مَرامه وصوراللهتعالى صورة كأنها أمام أعيننا.[547]

ويأمر الله تعالى نبيه أن يمثل "حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل : أحدهما كافر اسمه قطروس ، والآخر مؤمن اسمه يهوذا" [548]فقال تعالى:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا[549]

وقبل أن نكشف عن الأسرار الكامنة فى هذاالأسلوب ندرس ما خلف التصويرليكون الفهم سهلافقال الإمام الرازى:

اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنياً والغني فقيراً ، أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال:واضرب لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ.[550]

ففى هذه الآية تشبيه المؤمنين الفقراء بمؤمن اسمه يهوذاوتشبيه الكفار الأغنياء بكافر اسمه قطروس فأولا نأتى إلى التشبيه الأول وهو تشبيه المؤمنين الفقراء بالمؤمن اسمه يهوذا فالمشبه به هو ذلك المؤمن والتصدق فى سبيله وإرشاد أخيه إلى الصراط السوى ولايخفى أن هذامركب من عدة أمور ثم المشبه وهو فقراء المسلمين وهو مفرد ففيه تشبيه المفرد بالمركب ثم كل من المشبه والمشبه به حسيان لإدراكهما بإحدى الحواس الخمسة أما فى المشبه فظاهر وأما المشبه به فذات المؤمن وتصدقه فى سبيل الله تعالى يدركان بحاسة البصر وإرشاده أخاه إلى الصراط السوى مدرك بحاسة السمع والبصر. فهذامن تشبيه المحسوس بالمحسوس ثم وجه الشبه هو فوزهما بالجنة فى الآخرة وهومنتزع من عدة أمورهىصفة الزهد والتوكل ويقينه الكامل والائتمار بأوامر الله تعالى فنرى فى هذاالتصوير الذى رسمه الله تعالى صورة المومن تصدق بكل ماكان معه من المال الموروث تركة من أبيه وقنع بعيش الفقر وفى قلبه من الفرح لأجل الائتمار بأوامر الله تعالى وهو يريد أن يكون أخوه مثله فى الإسلام و التقوى والزهد فيرشده إلى الصراط المستقيم ولكن أخاه لايبالى بما يقول بل يهدده ثم نرى أن عاقبته خير من عاقبته. ونرى فى هذه الصورة من الأسرار البلاغية الآتية:

- إشارة إلى فنائية الحيوة الدنيا كيف ما كانت ضيقة أو واسعة وأن المشاكل التى يواجهها المسلمون ليست مستقلة بل هى تزول بفناء هذه الحيوة وخيرالعاقبة تكون لهم فى الأخرة.
- الراحة القلبية وضعها الله تعالى فى عبادته ودينه وهذه الراحة لا تتيسر للكفار وإن كانوا أغنياء إلى أقصى الغاية فقلوب المؤمنين معمورة بحب الله تعالى وهم يعلمون أن كل المشاق والمشاكل التى يواجهونهم لرفع درجاتهم فى الآخرة لأنهم يؤمنون بأن ما عند الناس ينفد وما عند الله تعالى باق' والآخرة خير وأبقى.
- الفقر والإفلاس ليس ممايهزأبه لأن الفقر لايصد صاحبه عن التقدم فى الطريق الموصل إلى الجنة والسرور القلبى الذى يكون فى قلوبهم أكثر مما فى قلوب الأغنياء.

الآن نأتى إلى التشبيه الثانى وهو تشبيه الكفار الأغنياء بكافر اسمه قطروس فالمشبه هو الكفار الأغنياء وهومفرد والمشبه به وهو الكافر المذكور بصفاته من الكفر وكونه صاحب الجنتين المكتظتين بالثمرات وتكبره وإسناده إلى ذاته أنها تستحق مثل هذه فى الدنيا والآخرة إنكانت هناك آخرة ثم إنكاره الساعة ثم إهلاك الله تعالى بساتينه وندمه على ما فعل.وهو كما لايخفى منتزع من عدة أمور فهذامن تشبيه المفرد بالمركب ثم المشبه ممايدرك بحاسة البصر والمشبه به يدرك بحاسة السمع والبصر.فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس.ووجه الشبه فيه هو الهلاك والحرمان فى آخر الأمر'أى كما أن ذلك الكافر المنكر قدهلك بما كان معه من المال والثمرات والبساتين فكذلك سيهلك هؤلاء الكفار بما معهم من المال وزينة الحيوة الدنيا.ووجه الشبه كما مرقد انتزع من أمور متعددة. ونرى فى هذاالتصوير المرسوم من الله تعالى صورة الكافر بمامعه من الأموال والبهجة والبطر وهو يفرح بكل هذه الأشياء وهو ينكر أن الله تعالى قد أعطاه هذه الأشياء ويهزأ أخاه إذا أرشده إلى أن الله تعالى هوالذى أعطاه هاتين الجنتين ثم نرى أن الله تعالى أسقطهما على عروشهما وهو نادم على فعله ثم نرى صورة المشبه وهى مكونة من أغنياء الكفار الذين يهزأون بفقراء المساكين ففى مرآة الصورة الأولى هم جارون على طريق واصل إلى الهلاك. و الأن نأتى إلى الأسرار البلاغية التى مازالت كامنة فى هذاالتصوير:

- فى التعبير من معنى النقص بكلمة تظلم إشارة إلى أن نعم الله تعالى واسعة ومنها الجنتين المتاحتين لذلك الكافر وهما لا تنقصان من ثمراتهما لذلك الكافر لنعم الله تعالى وأما الكافر فهو يظلم لأنه يجحد لنعم الله تعالى عليه التى تقتضى الشكر للمنعم' قال السيد طنطاوى رحمه الله تعالى:" وفى التعبير بكلمة { تظلم } بمعنى تنقص وتمنع ، مقابلة بديعة لحال

صاحبهما الذى ظلم نفسه بجحوده لنعم الله - تعالى - واستكباره فى الأرض."[551] ففيه تقبيح كفران الكافر نعم الله تعالى.

- ثم فى قوله تعالى:"وهو ظالم لنفسه"إشارة إلى أنه يرتكب أفحش الظلم لأنه كافر لنعمة ربه فهو معرِّض نفسه لسخط الله تعالى.[552]
- وفى هذاالتشبيه بيان العذاب العظيم لمن كفر مع الغناء كما كان فى التشبه الأول بيان الجزاء العظيم لمن أطاع مع الفقر.فكما أن الإطاعة مع الفقر عمل يدعو رحمة الرب فكذلك الكفر مع الغناءونعم الله تعالى عمل يوجب سخط الرب.
- ولايخفى مافى هذاالتشبيه من ضعف الإنسان حتى فى مملوكه الذى فى يده فهو يحتاج الأشياء المفيدة للبساتين ويحتاج دفع المضرات لها فهو لايملك من هذه الأشياء قطّ فالمطر المفيد ليس فى يده ودفع الرياح المضرة ليس فى يده.فالله هو الذى يتصرف فى أموره.

ويشبه الله تعالى الكفار بالذى ينعق بما لايسمع إلادعاءونداء ثم يشبههم بالصم البكم العمى فيقول:"وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"[553] لهذه الآية تفسيران: الأول:مثل دعاء الداعى وهو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الكفار إلى دين الإسلام ومثل عدم قبول الكفار كمثل الراعى ينعق بالبهائم التى لاتسمع إلاجرس النغمة ودوى الصوت.أى كما أن البهائم لا تفهم من الصوت إلا دويّه إذا دعاها الراعى فكذلك الكفار لايقبلون دعاء النبى صلى الله عليه وسلم.

والثانى: مثل الكفار الذين يدعون أصنامهم من دون الله تعالى كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دُعَاءً وَنِدَاءً. أى كماأن البهائم لاتُجيب داعيها إذا دعاها فكذلك الأصنام لا تُجيب داعيها.[554]

واعلم أن فى هذه الآية تشبيهان:الأول تشبيه الكفار بالذى ينعق بما لايسمع إلادعاءونداء والثانى تشبيههم بالصم البكم العمى أما التشبيه الثانى فقد مر تفصيله فى آية البقرة وأما التشبيه الأول فهوتشبيه المفرد بالمركب لأن كلاً من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء : داعٍ ومدعو ودعوة ، وفَهْم وإعراض وتصميم ، وكل من هاته الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به"[555]وفى هذاالأسلوب حذف مضاف إما من جانب المشبه:مثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء.وهنا يشبه الذى يدعوالكفار إلى دين التوحيد والإسلام بالراعى يدعو بهائمه بالأصوات غيرالمفهومة عند هاسوىجرس النغمة ودوى الصوت وإما من جانب المشبه به فتقدير الكلام:مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق. وهنا يشبه الكفار الذين لا يجيبون الداعى بالبهائم التى لا تفهم ما يقول لها الراعى. [556]

والمراد بالداعى فى هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هوالذى يدعوهم إلى الإسلام والكفار كأنهم لا يسمعون قوله. فوجه الشبه هو عدم الفهم فى كليهما مع أن الكفار يفهمون كلام النبى صلى الله عليه وسلم ولكنهم لما لم يجيبواالداعى مع ظهور الآيات البينات فكأنهم لم يفهموا ما قالوا وصاروا كالبهائم التى لا تفهم شيئا. [557]

وهذاكله إذا كان تشبيه أجزاء التشبيه بأجزاء التشبيه وأما إذالم يكن كذلك كان تشبيه الهيئة بالهيئة كما يكون فى التشبيه التمثيلى وهذاما ر جحه ابن عاشورفى تفسيره التحرير والتنوير.[558]ونرى من المزايا البلاغية فى هذه الآية مايلى: قد استوعبت هذه الآية كثيرا من المعارف التى تعجز عن إحاطتها الأسلوب العا دى فقد أدت المعانى الآتية باختصار جدا:

- تشبيه حال النبى صلى الله عليه وسلم و حال دعوته بحال الراعى الذى يدعو غنمه وهى لا تفهم دعاءه.
- العناء الشديد الذى يتحمله النبى صلى الله عليه وسلم.
- وهناك كثير من اللآلى التى يأتى بها الغواص من بحر المعرفة والأفكار البديعة. وأنا أعترف بقلة علمى وبأنى لا أستطيع أن آتى لا بالقليل ولا بالكثير إلا بتوفيقه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.
- نرى أن فى هذاالأسلوب يفهِّم الله تعالى الأفكارالثمينة بطريقة جيدة مع الاختصار الشديد ومن المعلوم أن الاختصار الشديد يكون مخلاً فى الأسلوب العادى فى إدراك الحقائق وأماهنا فالأفكار الخفية تلمع كأنها صرّح بها.
- فى هذاالأسلوب تحريك إلى التفكير فى مجال معرفة الحقائق التى أشير إليها فى هذه الآية فالسامع يجد هزّة إلى أن يقف أمام الثمرات التى فتح الله تعالى لها الطريق ويقتطفها, فيحوز باللّذّ ة التى تأتى بعد التفكير لحصول المعارف وباللّذّة التى تأتى بعد حصول المعارف.
- شبّه الله تعالى الكفار بالبهائم فى عدم إتيانهم إلى الحق فالكفار وإن كانوا يفهمون كثيرا من الأشياء ولكن هذه المعرفة لاتساوى شيئا وهم ساقطون فى وادىالغباوة والضلال فكأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون.
- يتضح لنا من التفكر فى هذه الآية أن الكفار يبالغون فى إنكار الدعوة التى ألقاها نبى الرحمة لأنهم لا يجيبونه ويجعلون دعوته كأنهم لم يسمعوها.واختارواحالتين: إحداهما حالة الإعراض عن داعي الإسلام ، والثانية حالة الإقبال على عبادة الأصنام ،وكلا الحالتين بلغتا من المبالغة إلى حد.
- مشقة الداعى تنتهى إلى منتهاه إذا لم يجبه المدعوين لأنه فى ذلك الوقت يريد أن يبذل كل جهده فى سبيل الدعوة والنبى لا يترك أىّسبيل ممكن, ومع ذلك لا يجيبه الكفار تتنتهى مشقته إلى منتهاه مع الأذية الذهنية.

- مهما كان الأمر من المعرفة فى الكنوز القرآنية نحن مضطرون أن نعترف أن الله هو الذى يحيط بمعارفه وكنوزه والذى عندنا لا يساوى قطرة واحدة من البحر المواج وأوقف القلم من هذا بقول ابن عاشور:"ومن بلاغة القرآن صلوحية آياته لمعان كثيرة يفرضهاالسامع."[559]

ونلاحظ تصوير حال المنافقين فى أنهم يُرَون أرباب عقل وشجاعة وعلم ودراية ولكنهم بخلاف ذلك إذا اختبروافقال تعالى:"وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون *[560] ومعناه أن أجسام المنافقين ستعجبك يا محمد صلى الله عليه وسلم لأن أجسامهم الظاهرة لأجل حسن مرآهم تفيد أن هؤلاء الناس كثير العلم والبصيرة فالسامع يحب أن يستمع لقولهم ولكنهم ليسوا كذلك فى واقع الأمر بل هم مثل الأشباح الخالية عن الفائدة'ففى هذه الآية تشبيه حال المنافقين فى حسن المرآى وعدم النفع بالخشب المسندة أى كما أن هذه الأجرام خالية عن النفع جميلة المنظر فكذلك هؤلاء المنا فقون حسين مرآهم وعديم نفعهم.[561] فالمشبه والمشبه به قد ركبا من أكثر من أمر أما المشبه وهو المنا فقون من حيث أن أجسادهم تعجب الرائين وأقوالهم تؤثر السامعين فهم يحبون أن يسمعوالقولهم ونلاحظ هنا أن المنافقين ما شبهوا من حيث ذواتهم فقط بل لكونهم متصفين بتلك الصفات وأما المشبه به وهو الخشب من حيث أنها مسندة إلى شيئ آخر فالتشبيه ليس فى ذوات الخشب فقط بل من حيث أنها متصفة بصفة أنها مسندة. ووجه الشبه وهو حسن المرآى وعدم النفع فمنتزع من الأمورالمتعددة المركبة بعضها إلى بعض.ففى هذاالتصوير الذى رسمه الله تعالى فى ظل التشبيه التمثيلى نرى المنافقين فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الجساد التى يترشح منها الفهم والرزانة والعقل والتدبرفيأتون إليهم الناس فيعظمون أمرهم وفجأة أرادوا أن يسألوهم عن الشيئ فاكتشفواأنهم ليسوا كما يراهم الناس بل لهم ظاهر وباطن وليس هناك ربط بين ظاهرهم وباطنهم فليس لهم تدبر وفهم وتتراآى أمامنا صورة أشجار متينة ذات الفوائد الكثيرة فهى طويلة وعظيمة وصورة اتجاه الناس إليها كى ينتفعوا بها بآمالهم الكاملة ومالبثواأن وجدوا أن ما رأوها أشباحا مفيدة ماهى إلا أجساد خاوية وقد أسندت إلى أشياء أخرى وهى لاتنفعهم شيئا. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> والمراد به ما هو المعروف شبهوا في جلوسهم مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن الفائدة لأن الخشب تكون مسندة إذا لم تكن في بناء أو دعامة لشيء آخر[562]

فالآن أمامنا صورتان كاملتان :صورة كامنة فى المشبه وصورة كامنة فى المشبه به.وفى مرآة الصورة التشبيهية المذكورة نجنى الأسرار البلاغية الآتية.

- فى التشبيه بالخشب إشارة إلى أنهم ليسوا فى شيئ من العقل والفهم لأن الخشب لا تعقل ولا تفهم فكذلك هؤلاء المنافقين بمنزلة الخشب.[563]
- ثم تقييد هم بصفة الإسناد إلى شيئ آخر يشير إلى أنهم أشباح خالية عن الإيمان لأن الخشب تكون نافعة ومرجوة لدى الناس ولكنها إذا أسندت إلى شيئ آخر فظهر أنها غير نافعة للغير فى البناء أودعامة لشيئ آخر بل هى تحتاج الدعامة والإسناد بنفسها. [564]
- وإن كان المراد بالخشب الأصنام المنحوتة كما ذكر العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى جوازه فقال:"وجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم"[565]ففيه صورة كاملة لليأس بعد الرجاء فالمشركون كانوايأتونها فى مشاكلهم مع الرجاء الكامل لحل مشاكلهم ولكنها فى واقع الأمر غير قادرة على حله.

ويبين الله تعالى هلاك المشرك فيمثله تارة بمن خر من السماء فخطفته الطير وبمن هوته الريح فى مكان بعيد تارة أخرى فيقول:" وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ "[566] ففى هذه الآية تشبيهان: الأول شبه المشرك بمن كان فى السماء فخرمنها وخطفته الطيرفالمشبه هنا هو حال المشرك الذى كان فى دين الإسلام بفطرته لأن كل مولود يولد على الفطرة ثم يختار الأديان المختلفة اتباعا للوالدين أو الأصدقاء أوالبيئة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" يعني أنّ المشرك لما عدل عن الإيمان الفطري وكان في مكنته فكأنه كان في السماء فسقط منها"[567] فاختار ذلك المشرك شركا بعد أن كان فى وسعه أن يستمر على الدين الذى هو فى فطرة كل إنسان.والمشبه به هو الشخص الذى يخر من السماء فهو فى جريه إلى الأرض معلق فى الهواء فأتته الطيروحاول كل طير أن يختطفه فينتهب منه آخر حتى تفرق فى مخالبها ثم فى حواصلها. فكل من المشبه والمشبه به مركب من عدة امور فهو من التشبيه المركب بالمركب ثم كل من الهيئتين تدرك بحاسة البصر فهو من التشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه هوالهلاك الذى ليس بعده خلاص وهو منتزع من عدة أمور الموجودة فى الهيئتين المذكورتين.فقد رسم الله تعالى التصوير الذى يرينا هيئتين واضحتين.والتشبيه الثانى هو تشبيه المشرك بمن هوته الريح إلى مكان بعيد الطيرفالمشبه هنا هو حال المشرك الذى كان فى دين الإسلام بفطرته لأن كل مولود يولد على الفطرة ثم يختار الأديان المختلفة اتباعا للوالدين أو الأصدقاء أوالبيئة فاختار ذلك المشرك شركا بعد أن كان فى وسعه أن يستمر على الدين الذى هو فى فطرة كل إنسان وهذا المشبه

كما نرى مركب من عدة أمور والمشبه به هو حال الساقط من السماء فهو معلق بين السماء والأرض فتأتيه الريح وتطير به إلى مكان بعيد بحيث لايرجى خلاصه منه فهو فيه أبدا ووجه الشبه هناأيضا هوالهلاك الذى ليس بعده خلاص وهو منتزع من عدة أمور الموجودة فى الهيئتين المذكورتين وبوسعنا أن نمتص من هذاالتصوير الأسرار الآتية:

- ظهر من هذاالتشبيه أن المشرك على نوعين:الأول من فى شركه شك وهو ليس براسخ فيه بل يتبدل رأيه بتبدل الأحوال و النوع الثانى من هو مصمم على شركه وكفره ولايتبدل رأيه بتبدل الأحوال ففى التشبيه الأول وهو تشبيهه بمن تختطفه الطيرإشارة إلى من كان فى شركه شك وهويتبع الأقوال التى تهدم بعضها بعضا من أقوال الفلاسفة والمناطقة فمرة يجذبه هذاالقول فيتبعه ويجذبه ذلك مرة أخرى فيتبعه وليس له قرار فهو يستمر فى وديان الجهل والظلمات وفى التشبيه الثانى وهو تشبيهه بمن هوته الريح فى مكان بعيد إشارة إلى من هو مصمم فى شركه فلايتبع الأقوال المختلفة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان : قسم شِركه ذبذبة وشكّ ، فهذا مشبّه بمن اختطفته الطير فلا يستولي طائر على مزعة منه إلاّ انتهبها منه آخر ، فكذلك المذبذب متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه . وقسم مصمّم على الكفر مستقر فيه ، فهو مشبّه بمن ألقته الريح في واد سحيق [568]

ففى تشبيههم بمن تختطفه الطير إشارة إلى أن هؤلاء الناس من المشركين لا يرجى لهم خلاص من شركهم فهم يكونون فيه أبدا'وفى تشبيههم بمن هوته الريح فى مكان بعيد إشارة إلى أن هؤلاء الناس من المشركين يرجى لهم الخلاص بالتوبة ولكن توبتهم بعيدة جدا لكونهم ساقطين فى مكان بعيد. [569]

- وفى الخرور من السماء إشارة إلى أن صاحب الإيمان فى المعالى كمعالى السماء بل طيرانهم فى درجات المعرفة يتجاوز السماء ويصل إلى عرش رب العالمين كماأن فيه إشارة إلى أن المشرك فى الدرجات السافلة فهو متخبط فى وديان الضلالة ولا يصل إلى العلوم والمعارف التى تصل إلى معرفة نفسه ومعرفة ربه وإن كانوامن الباحثين الكبار.
- وتتراآى أمامنا الكيفية النفسية للمشرك بأنه فى شك وتذبذب ولايستقر على شيئ واحد لأن الأهداف الحاصلة لديه نتيجة للمعارف والعلوم التى تهدم بعضها بعضا فهو يرى صحة هذاالقول فيتبعه ولكن سرعان مايظهر أمام أعينه قولاآخر وهو يهدم هذاالقول فيترك هذا ويتبع ذاك وهكذا هو مستمر فى غيه وضلاله حتى يستيقظ من سباته العميق.

ويبين الله تعالى هولا من أهوال يوم القيامة فيقول:"خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"[570] ففى هذه الآية بيان هول يوم القيامة لاسيما فى حق اللذين قد كذبوا بآيات الله تعالى فيقول الله تعالى فيهم إن أبصارهم تكون خشعا وهذه كناية عن الذل والهوان[571] وهم سيخرجون من قبورهم وحالهم مثل الجراد" في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة" .[572]

شبه المكذبين بآيات الله البينات بالجراد المنتشر والمشبه هو حال المكذبين وهو مركب من ذواتهم وخروجهم من القبور والمشبه به مركب من الجراد وانتشارهم وكل من المشبه والمشبه به يدرك بحاسة البصر وقدذكرت أداة الشبه فهو من المركب الحسى غير البليغ. "وهذا التشبيه تمثيلي لأنه تشبيه هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلاً يسير غير ساكن ."[573] ووجه الشبه هو الكثرة والتفرق فى كل جهة.فكما أن الجراد- والمراد هنا من الجراد فراخه- يخرج من الأرض يزحف بعضه فوق بعض بدون نظام منتشرا فى كل مكان فكذلك هؤلاء الناس يخرجون من قبورهم يذهبون إلى المحشر منتشرين مستترين بعضهم ببعض من شدة الخوف.[574] ونرى من المزايا البلاغية فى هذاالأسلوب مايلى:

- يصور الله تعالى المنظر الهائل الذى يثيرالفزع فى قلوب الكفار ويدل عليه الانتشارالذى يوحى أنه لن يكون هناك نظام من شدة الخوف لأن "تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف" [575]فهم يتحركون منتشرين مستترين بعضهم ببعض من شدة الخوف.
- الجراديضرب به المثل فى الكثرة والتحرك فهذاالتشبيه يفيد المبالغة فى كونهم كثيرين دائمين فى الحركة مع ما بهم من الخوف والذلة.[576] قد قدّم الله تعالى صورة حركة الكفار وخوفهم وذلتهم فى صورة التشبيه التمثيلى وكأن المنظر أمام أعيننا مع ما فيه من إظهار ضعف العباد وقوة الله تعالى وقدرته'ففيه تشبيه الناس "حين خروجهم من جوف الأرض وانتشارهم على ظهرها بالجراد المنتشر فى الكثرة والتدافع وجولان بعضهم فى بعض' الكل يتحرك ويموج من غير تحديد' ومن غير تعقل".[577]

ويبين الله تعالى حال المنافقين مع المسلمين فى وقت الخوف والأمن فقال تعالى:"أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا " "[578] فهم بخلاء على المسلمين بالنفقة والنصرة و بكل ما فيه منفعة لهم [579]وجبناء فى وقت الخوف فيكونون مثل الذى يغشى عليه من الموت وبعد الخوف يؤذونكم بكلامهم وهؤلاء الناس ليسوامؤمنين فأحبط الله تعالى أعمالهم. وكل مايهمنا فى هذه الآية

هو التصوير الذى رسمه الله تعالى فى هذاالتشبيه فشبه المنافقين عند الخوف بالذى يغشى عليه من الموت فالمشبه مركب من ذوات المنافقين وتدوير أعينهم فى أحداقهم والمشبه به مركب من المغشى عليه من الموت والغشيان فهذامن تشبيه المركب بالمركب ثم كل من المشبه والمشبه به يدركان بحاسة البصر فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس ووجه الشبه اضطراب العينين فعين المنافق الخائف تضطرب فى الحدق كما تضطرب عين الشخص الذى يغشى عليه من الموت .وهذاالاضطراب لذهاب العقل فى المشبه لشدة الخوف وفى المشبه به لسكرات الموت وقد بين الماوردى فى المشبه احتمالين فقال:" تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيهِ مِنَ المَوتِ يحتمل وجهين: أحدهما : تدور أعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.الثاني: تدور أعينهم لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة."[580] ووجه الشبه قد انتزع من متعددفهو التشبيه التمثيلى.[581] ففى هذاالتشبيه قد صور صورتين: الأولى صورة المنافق الخائف فتدور عينه من شدة الخوف وهو يخاف الموت فى الحرب وهذا شدة جبنهم وحرصهم على الحيوة ثم نرى بجانبه صورة من يكمل آخر أنفاسه فى هذه الدنيا وينقطع ربط عقله بجسده فتدور عينه فى حدقه بلا نظام.وهذه الصورة التى هى كمرآة لصورة المشبه ونراها فيها تعكس علينا جبن المنافقين إلى حد ينتهى فيه ربط العقل بجسده .ونرى من الأسرار البلاغية الأخرى كمايلى:

- دوران الأعين فى قوله تعالى :"ينظرون إليك تدور أعينهم" يشير إلى شدة الخوف لأن الخائف المذعور يخاف من كل جانب أن يأتيه الموت منه فهو يدور عينيه إلى كل الأطراف كى يطمئن منها ولكنهم بطبيعتهم جبناء فلايطمئنون فلذا يستمرون فى النظر فى كل الأطراف.[582]
- ولايخفى مافى هذاالتشبيه من المبالغة لأن الشخص الذى أغشى عليه من الموت مبالغ فى تعطل حواسهم لأن الروح تخرج من الجسد فتتعطل الحاسة مع خروج الروح منها فكأن المنافقين أيضا حواسهم معطلة من شدة الخوف.

ويصور الله تعالى خروج المشركين من قبورهم يوم القيامة فيقول:"يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ"[583] قال ابن كثيررحمه الله تعالى "أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب، تبارك وتعالى، لموقف الحساب، ينهضون سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون"[584] ويوفضون معناه يسرعون فشبه الله تعالى إسراعهم إلى موقف الحساب إذا دعاهم الرب سبحانه وتعالى بإسراعهم إلى أصناهم فى الدنيا.ركب المشبه من خروجهم من قبورهم وإسراعهم إلى موقف الحساب والمشبه به من إسراعهم والذهاب إلى أصنامهم فهو من التشبيه المركب بالمركب وكل من الخروج من القبور والإسراع إلى الداعى والإسراع إلى الأصنام من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر فهو من التشبيه المحسوس

المحسوس ووجه الشبه وهوالإسراع فى السيرمنتزع من عدة أمور لامن شيئ واحد من الخروج أوالإيفاض فهو التشبيه التمثيلى ونلاحظ أن وجه الشبه مذكور فى هذاالتشبيه فهو تشبيه مرسل.صور الله تعالى هؤلاء الناس تصويرا بديعا الذى يكشف عن ظاهرهم والكيفية النفسية من أنهم كيف اضطرواإلى الهرولة مع أن أهدابهم خالية من الأعمال الصالحة كى تقدم إلى الله سبحانه وتعالى ولكن ليست لهم قوة الإنكار أمام حكم الله تعالى إن الحكم إلاالله.ففى ضوء هذاالاتباع لدعوة الله تعالى نرى ماصور فى هذاالتصوير من خوفهم ويأسهم وندمهم على ما فعلوه فى الدنيامن عبادة الأصنام ولهذاذكرالله تعالى فى المشبه به فعلهم القبيح من الإسراع إلى عبادة الأصنام ففيه تعريض عليهم وتجهيل لهم بعبادة الأصنام.قال صاحب التفسير المنير:"وفى التشبيه تهكم بهم وتعريض بسخف عقولهم وتجهيل لهم بعبادة غير الله."[585] ففى هذه الصورة الثانية نرى إسراعم فى الدنيا مع جهالتهم عن العاقبة والظلم على أنفسهم وتتراآى أمامنا الأسرار البلاغية الآتية فى هذاالأسلوب:

- المشبه ليس شيئا مفروضا بل هو شيئ واقع فكان من عادة المشركين أنهم كانوا يهرولون إلى أصنامهم لزيارتهم وعبادتهم ويسبق بعضهم بعضا إليهم قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" والمراد أنهم يخرجون مسارعين إلى الداعي يسبق بعضهم بعضاً والإسراع في السير إلى المعبودات الباطلة كان عادة للمشركين"[586]
- وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن عذاب هؤلاء الناس فى الآخرة إنما يكون لابتدارهم فى عبادة غير الله تعالى وقد سماه الله تعالى ظلما عظيما فى القرآن الكريم وكما أن العمل يكون سيئا فكذلك الجزاء يكون أشد وأفظع.[587]
- وخشوع الأبصار يوحى ذلهم وندمهم على ما فعلوه فى الدنيا ثم تغطية الأبصارفى قوله تعالى ترهقهم ذلة إشارة إلى أن هذاالذل لايكون ذلا عاديا بل يكون مغطيا لأبصارهم فإينما نظر لايرى إلاذلا.[588]

ويبين عاقبة أعمال الكفار بأنهم لايقدرون على حصول ثواب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فيقول:"مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد"[589] ففى هذه الآية شبهت أعمالهم برماد مع الصفة المذكورة فالمشبه مفرد والمشبه به مركب من الرماد واشتداد الريح ويوم عاصف فهذامن تشبيه المفرد بالمركب ثم كل من المشبه وهو أعمال الكفار "من الصلة والمعروف من إطعام الفقراء ، ومن عتق رقاب ، وقِرى ضيوف ، وحمالة ديات ، وفداء أسارى ، واعتمار ، ورفادة الحجيج" [590]ومن أجزاء المشبه به وهى: الرماد واشتداد الريح واليوم العاصف من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس ووجه الشبه هو عدم الانتفاع فكما لاينتفع بالرماد المنثور فكذلك

لاينتفع بأعمال الكفاروجه الشبه منتزع من متعدد لامن الرماد لأن الرماد مما ينتفع به ولكن إذا ذرت به الريح الشديدة فلايقدر أحد على جمعه.قال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:" وهذا مَثَلٌ ضربه الله لأعمال الكفار، يريد: أنهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذَرَتْه الريح لا ينتفع به". [591]لاحظنا أن الله تعالى رسم تصويرا كى يقرب إلى الأذهان عدم الانتفاع بالقربات التى تعد من صميم مكارم الأخلاق من الصلة وقرى ضيوف وغيرذلك وضياع مثل هذه القربات تحدث فى القلوب سؤالا عن" وجه الجمع بين وجود عمل صالح وبين عدم الانتفاع به عند الحاجة إليه" [592]

فرسم هذاالإمكان فى صورة الرماد لبيان إمكان هذاالدعوى.ففى هذاالتصوير من الأساليب البلاغية مايأتى:

- استخدمت كلمة الرماد وهو أثر لأفضل الأعمال عند الكفار لأنهم يقرون الضيف ويطبخون لهم القدور وينيرون النيران وبعد انطفاء النيران بقى الرماد فوجود الرماد علامة الكرم "ولهذا صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم" .[593] ولكن مع هذا هم لن ينتفعوا بمثل هذه الأعمال فى الآخرة لعدم وجود الأساس لقبولية الأعمال وهو الإيمان بالله تعالى والإخلاص فى العمل وهما منعدمان عندهم فإذاكان هذا حال أفضل أعمالهم فكيف بأعمال لاتعد بمثل هذه الفضيلة.
- وفى اشتداد الريح إشارة إلى أن هذه الأعمال صارت هباء منثورا وصارت مثل الرماد فى كل مكان فلايقدر عاملها على أن يحصلها ويرجو ثوابها قال العلامة الماوردى رحمه الله تعالى:"فإذا اشتدت به الريح العاصف : وهي الشديدة : فأطارته لم يقدر على جمعه ، كذلك الكافر في عمله." [594]
- ثم فى إطارة الريح هذه الأعمال إشارة إلى أنه ماكان لهذه الأعمال ثباتا أمام الريح لأن شرط الثبات هو الإيمان بالله تعالى والإخلاص ولوكان لها الثبات لما طارت ثم فى نسبة الإطارة إلى الريح التى أرسلتها الله تعالى إشارة إلى أن هذه الأعمال لفقد الشرط الأساسى جديرة بأن تهبط فماأبقاها الله تعالى لتضيع بنفسها بل أضاعها الله تعالى باهتمام كامل كماأطار الله تعالى الرماد بإرسال الريح الشديدة.فالضياع من الإضاعة.
- ثم لايخفى مافى التقييد بيوم عاصف من المبالغة بأنها ماكانت ريحا عادية فى الأيام العادية بل ريحا فى يوم عاصف وشدتها فى مثل هذااليوم واضح.

ويصف الله تعالى حركة العصا الملقاة وسرعتها فيقدمها فى صورة الحية السريعة الحركة فيقول:"وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ"[595]

يبين الله تعالى فى هذه الآية قصة موسى عليه السلام إذااصطفاه لخلته وأعطاه من معجزاته وهو تبديل العصا فى صورة الحية فيقول الله تعالى أمرنا موسى أن يلقى عصاه فألقاها فصارت حية وصارت تهتز مثل الحية الخفيفة فخاف موسى عليه السلام وولى إلى الخلف فناداه الله تعالى أن لايولى إلى الخلف لأنه لايخاف عنده المرسلون.[596]

شبهت الحية بالجان وهى الحية الخفيفة وهى تكون سريعة الحركة والمشبه وهو العصا حال كونها مهتزة مركب من العصاذاتها واهتزازها وأما المشبه وهو الجان فهو مفرد وكل من المشبه والمشبه به مدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة الشبه فهو من قبيل التشبيه المركب المفرد الحسى غير البليغ ونلاحظ أن وجه الشبه ليس منتزعا من شيئ واحد بل من الأشياء المتعددة وهى العصا والحية وسرعة السير والاهتزاز والتلوى فهو من التشبيه التمثيل. فأمامنا صورة الحية وهى تتحرك بسرعة وتهتز وهى صورة مخيفة للناس الحاضرين وفى هذه الصورة نرى صورة العصا وهى تتلوى بسرعة وتتقدم إلى الحيات التى جاء بها السحرة وتلقفها فأخافت السحرة وأخافت موسى عليه السلام.ثم نرى فى هذاالأسلوب من المحاسن البلاغية مايلى:

- قدم هذاالأسلوب صورة حية لحركة الحية واهتزازها كأنها أمام عينيك وأنت تشاهد كل تفاصيل حركتها وكفى للمتكلم جل ذكره أن نطق إلى هذاالحد بدون احتياج إلى سرد التفاصيل التى يحتاج المخاطب إلى فهمها فنعم التصوير والإيجاز.
- شبهت العصا بالجان وهى الحية الخفيفة وفى آية الآعراف رقم:107 قد سمى بالثعبان فقال "فإذا هي ثعبان مبين"وهى الحية الكبيرة ففى ذلك الموضع المقصود بالتشبيه هو العظم وهنا سرعة الحركة وهى تكون فى الحية الخفيفة.[597] وتحويل العصا فى الحية كان من معجزات موسى عليه السلام وهو كان فى الحقيقة كما يرى لا التخييل فقط والتشبيه بالجان لايفيد أنها ما كانت فى الحقيقة حية بل كانت مخيلة كما هو مستفاد من التشبيه أنه يكون هناك فرق بين المشبه والمشبه به لأن هذاالتشبيه كما قلت فى سرعة الحركة فمقتضاه أنها كانت حية كبيرة ولكنها من سرعة حركتها كأنها صغيرة.[598]

ومثل هذاالتشبيه تشبيه فى آية سورة القصص:وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ*[599] ونلاحظ أن الله تعالى يبين حال المسلم الذى يتصدق بصدقة ثم يمن على من تصدق به ويؤذيه فيشبهه بإنفاق المنافق الذى ينفق للرياء ثم يشبه ذلك المنافق المرائى بحجر أملس الذى يكون عليه قليلا من التراب الصالح للزراعة فهطل عليه مطر غزير فأزال التراب الذى كان عليه فيقول جل وعلا:"يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"[600] ففى هذه الآية تشبيهان : الأول تشبيه المبطل بالمرائى والثانى تشبيه المرائى بالصفوان بالصفة المذكورة فنأتى إلى التشبيه الأول وهو تشبيه مبطل الصدقات بالمنافق المرائى فالمشبه فيه هو مبطل الصدقات وهو مركب من عدة أموروهى تصدق المسلم بالصدقة والمن والأذى وإبطال الله تعالى ثوابه بسبب ذلك المن والأذى والمشبه به هو المنفق المنافق وهو أيضا مركب من عدة أمور وهى إنفاق المال وإراءة الناس عمله وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر' فهذامن تشبيه المركب بالمركب وكل من أجزاء المشبه والمشبه به لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة فإبطال الصدقات والمن والأذى والرياء وعدم الإيمان من الأمور المعنوية فهو من تشبيه المعقول بالمعقول "ووجه الشبه عدم الانتفاع مِمَّا أعطوا بأزيدَ من شفاء ما في صدورهم من حبّ التطاول على الضعفاء وشفاء خُلق الأذى المتطبعين عليه دون نفع في الآخرة ."[601] وهو منتزع من عدة أمور فلاينتزع من الإنفاق فقط أو الرياء فقط أو المن والأذى فقط.ونرى فى هذاالتصوير المرسوم فى التشبيه التمثيلى الصورة المكونة من المسلم وعمله فهو ينفق ماله وهو مؤمن بالله تعالى ليس فى قلبه غش النفاق ولكنه يمن على من يصدق به ثم لايكتفى بهذا بل يؤذيه بالضرب والشتم وغير ذلك فلا يقبل الله تعالى صدقته بل يرده لأن من شرائط القبولية إخلاص العمل من المن والإيذاء كما يشترط إخلاصه من الرياء والسمعة.والله سبحانه وتعالى يعظ التجنب من مثل هذاالعمل فيريه الصورة الأخرى كى يرى فيه ذلك المسلم صورته فينتهى عن الإبطال وهى الصورة المكونة من المنافق وعمله فهو لايؤمن بالله تعالى ولكنه ينفق رئاء للناس وفى ضوء هذاالتصوير أعطانا القرآن الكريم من الأسرار البلاغية ومنها أن :

- المن والأذى والرئاء من خصائص الكفار فلابد للمسلمين أن يجتنبوها فمن تخلق بأخلاقهم فكأنه منهم ففيه تعريض على المؤمنين فى اختيار وصف من أوصاف الكفار الذى ينبغى لهم أن يتجنبوها.[602]

  - أضيف إبطال الصدقات إلى المسلمين مع أنهم لايريدون أن يبطلو صدقاتهم بل الله تعالى هو الذى يقبل أو يرد أعمال بنى آدم فإذا قبل الله تعالى العمل فما أبطل وإذا رد ه أبطل ولكن المنفقين هم الذين تسببوا لإبطال الصدقات بالمن والأذى فكأنهم الذين أبطلواأعمالهم بأنفسهم.

وبعد أن انتهينا من دراسة التشبيه الأول نأتى إلى التشبيه الثانى وهو تشبيه المنفق المنافق المرائى بالصورة المكونة من الصفوان وماعليه وبه وكل من المشبه والمشبه به مركب من عدة أمور أما المشبه فقد درسناه وأما المشبه به فمركب من الصفوان والتراب الموجود عليه وهطل المطر الغزير وإزالة

التراب عنه فهو أيضامن تشبيه المركب بالمركب ثم المشبه كما مر معقول والمشبه مركب من الأجزاء المدركة بحاسة البصر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس."ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث ألاّ تأتي لآملها بما أمَّله فخاب أمله"[603] وقدرأينا أن وجه الشبه منتزع من عدة أمور.ففى ظل هذاالتصوير صورة المشبه وقد درسناه وصورة المشبه به وهى أن هناك حجر أملس وعليه تراب الذى يرجى الزرع فيه ولكن سرعان ما هطل المطر الشديد فأزال التراب وأزال الرجاء فى إنبات الزرع فى ذلك التراب على صفوان أملس.وفى هذاالتصوير نحن نستطيع أن نقتطف الأسرار الأتية فى هذاالأسلوب:

- نرى اليأس وانقطاع الأمل بعد أن كان قائما فى ذهن الزارع من إنبات الزرع على التراب الموجود على الصفوان ولكن بعد أن هطل المطر الشديد انقطع الأمل للأبد لأن الصفوان غير صالح للزراعة إذا لم يكن عليه تراب وهكذا المنافق إذا رآى يوم القيامة أنه ليس لعمله اعتبار يخيم عليه اليأس فلا ينتفع بعمله فى الآخرة.
- ولأن المسلم المنفق شبه أولا بالمنافق المرائى فبالتالى هو مشابه بالصفوان على الصفة المذكورة فذلك المسلم أيضا لن يستطيع بما اكتسبه فى الدنيا من الصدقات المتبوعة بالمن والأذى'قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"

> ومُثّل حال الذي ينفق ماله رئاء الناس المشبه به تمثيلاً يسري إلى الذين يُتبعون صدقاتهم بالمنّ والأذى بقوله : { فمثله كمثل صفوان } إلخ وضمير مثله عائد إلى الذي ينفق ماله رئاء للناس ، لأنّه لما كان تمثيلاً لحال المشبّه به كان لا محالة تمثيلاً لحال المشبّه" [604]

- وفى التشبيه بالصفوان أيضا إشارة إلى أن أمل الزرع على الصفوان الذى عليه تراب قليل بالنسبة إلى التربة الكريمة الصالحة للزرع لأن المطر وإن كان غزيرا لايضرها شيئا أما التراب على الصفوان فالقطرات القليلة تكفى لإزالته فالتراب الموجود عليه خدعة للنظر وليس فى الحقيقة صالح للزرع فهكذا عمل المنافق لايرجى منه شيئ. قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> مثَّل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه ، يعني يَخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر ، فتقدير الكلام عليه تراب صالحٌ للزرع فحذفت صفة التراب إيجازاً اعتماداً على أنّ التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل هو التراب الذي يبذرون فيه ، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه ، جرفه الماء من

وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً وبقي مكانُه صلداً أملس فخاب أمل زارعه" [605]

ويبين الله تعالى إخراج الله تعالى رسوله من بيته يوم البدر فيقول:"كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ"[606]اختلف المفسرون فى المشبه ماهو؟ ولايهمنا هذاالاختلاف فنأخذ منها قولاواحدا وندرس أسلوب التشبيه فى ضوئه وقبل دراسة الأسلوب لابد أن نعلم الخلفية لهذاالقول فهوكما قال الإمام الرازى رحمه لله تعالى: "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال : من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا ليرغبهم في القتال ، فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة : يا رسول الله إن جماعة من أصحابك وقومك فدوك بأنفسهم ، ولم يتأخروا عن القتال جبناً ولا بخلاً ببذل مهجهم ولكنهم أشفقوا عليك من أن تغتال فمتى أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق من المسلمين بغير شيء فأنزل الله تعالى :" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الانفال قُلِ الانفال لِلَّهِ والرسول"[607] يصنع فيها ما يشاء ، فأمسك المسلمون عن الطلب وفي أنفس بعضهم شيء من الكراهية وأيضاً حين خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القتال يوم بدر كانوا كارهين لتلك المقاتلة "[608] لأنهم ما كانوا مستعدين للقتال إنما هم خرجواللعير فقط فمعنى هذه الآية فى ضوء التفصيل الذى ذكرناه أنهم رضوا بهذا الحكم في الأنفال وإن كانوا كارهين له كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى القتال وإن كانوا كارهين له.فالمشبه هو رضاء المسلمين فى بادئ الأمرمع الكراهة الطبعية فى أنفسهم والمشبه به هو إخراج الله تعالى رسوله إلى القتال مع الكراهة الطبعية فى أنفسهم.فكل من المشبه والمشبه به مركبان أما المشبه فهو مركب من رضاء المسلمين بحكم الأنفال والكراهة الطبعية فى نفوسهم والخير الواقع فى هذاالحكم للمسلمين وأما فى المشبه به فهومركب من إخراج الله رسوله إلى القتال والكراهة الطبعية فى نفوس المسلمين ورضائهم بحكم الله تعالى والخير الواقع فى هذاالحكم للمسلمين فهومن تشبيه المركب بالمركب وكل منهما قدركب من أمورلاتدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل لآن الرضاء والكراهية لايدركان بإحد الحواس الخمسة فهو من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول.ووجه الشبه" هو كراهية المؤمنين في بادىء الأمر لما هو خير لهم في الواقع"[609]

ففى هذاالتمثيل نرى أن المسلمين كرهوا بطبيعتهم القتال ضد الكفار فى بدر لأنهم ما كانوا مستعدين للقتال ولكنهم كانوا مضطرين أمام حكم الله ورسوله فرضوابه واستعدواللقتال وفازوافوزاعظيما فكان هناك كراهية للمؤمنين فى بادئ الأمر ولكنه كان خيرالهم فى علمه تعالى ففى ضوء هذاالتمثيل نرى كراهية المؤمنين فى حكم الأنفال ولكنهم قبلواذلك الأمر فيكون فى ذلك خير عظيم لأن الله تعالى شبه هذا بذاك الذى يدل على أن مآلهما يكون واحدا. الآن نأتى إلى الأسرار البلاغية الأخرى فى هذاالأسلوب فنرى أن:

- فعل الحكيم لايخلوعن الحكمة والإنسان ضعيف وهو مع قواه المحدودة لايستطيع أن يعرف إلاما أعلمه الله تعالى فكل ما قضى الله تعالى ورسوله أمرا لابد أن يرضى به ويحسب أنه هناك خير مكنون فى هذاالحكم وإن لم يدركه هو بحواسه المحدودة وهذاماهو حاصل التشبيه أن الله تعالى قضى فى إخراج الرسول إلى القتال حسب إرادته التى كانت سببا لكراهية المؤمنين فى بادئ الأمر ولكن كان هذاالقضاء لمصالح العباد فتسبب لفوز المسلمين فى المآل وفرحهم به.فكذلك يكون فى قضية الأنفال.
- الكراهة الطبعية التى حدثت فى قلوب المسلمين ما كانت خلاف اليقين على النصرة الإلهية أوالتوكل ولكنه كان ضد التقوى الذى أمر به المؤمنين فى القرآن العظيم مرارافكذاهنا أمرهم الله تعالى بالتقوى فقال: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم صادقين".[610]
- والمقصود من هذا الأسلوب تذكير المسلمين بالخروج إلى بدر وما ظهر فيه من دلائِل عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وعجائب قدرته من نصرالمسلمين مع قلة عددهم وكثرة عدد الكفار ضدهم.

***

المبحث الثانى

التشبيه غيرالبليغ العقلى:

وهوما يكون طرفاه عقليين.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.ومن بلاغة التشبيه العقلى أن فيه توضيح المشبه العقلى الذى يكون بعيدا باعتبار الفهم عن ذهن المخاطب فيوضحه بربطه مع الشيئ العقلى الذى لايكون بعيدا عن ذهن المتكلم فيفهمه المتكلم فى أقل وقت بطريقة كاملة لأن الوصف الذى يريد المتكلم أن يُثبته للمشبه يكون معلوما لدى المخاطب بطريقة جيدة مع التفاصيل التى يقصد تفهيمها فلا يضيع المتكلم وقتا فى تحصيل الحاصل ولا يترك شيئا منها بدون التوضيح.وقد ذكرت المزايا البلاغية فى دراسة كل آية فالتُلاحظ هناك.فيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما عقليين لا يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يكون محذوف الأداة مذكور الشبه وإما أن يكون مذكور الأداة محذوف الوجه وإما أن يكون مذكورالأداة والوجه. الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا:

يبين الله تعالى حيرة المنافقين وخباثتهم فيقول:"مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون"[611]هذه الآية والآيات التى قبلها تبيّن خباثة المنافقين وهم الذين أسرّوا كفرهم وصاروا كأنهم مؤمنون و حاولوا أن يخدعوا المؤمنين ولكنهم وقعوا فى الخداع بأنفسهم لأنهم ما ضرّوا إلاأنفسهم ففى الآية التى قبل هذه الآية بيّن الله تبارك و تعالى شأ ن المنافقين وأنهم اختاروا الضلا لة و هى ظلمة الكفر و ظلمة النفاق وهما تُنتجان ظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدي بدلا عن الهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر وقال تعالى مبيّنا لحالهم أنهم خسروا فى تجارتهم لأنهم تركوا شيئا ثمينا وأخذوا شيئا تافها, وأما فى هذه الآية فشبّههم بمن استوقد نارا عظيمة حتى يكاد ينتفع بها فأطفاها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الأبصار.[612]

وخلاصة القول أن المنافقين يستفيدون بإيمانهم الذى يُظهرونه للناس ولكنه لم يدخل فى قلوبهم وهذه الاستفادة تستمر طول حياتهم فإذا ماتوا انتهى

كل شيء ورجعوا إلى الخسار كالذى يستوقد نارا واستفاد بها فإذاانطفأت رجع إلى الظلمات.

فإن قيل إن المستفاد من هذه الآية أن المنافقين كان معهم نور الهداية ثم انطفأ نورهم مع أن المنافقين لايكون معهم نور من أول يوم لأنهم ما آمنوا فى وقت من الأوقات.قلنا إن المفسرين قد سلكوا مسلكين فذهب العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى إلى أنهم كانوامسلمين أول الأمر ثم كفروا مستدلا بقوله تعالى: قوله تعالى:" ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ "[613]

ومسلكه أيضا مؤيد بهذه الآية لأنها تقتضى نور الإيمان قبل انطفائه. وذهب العلامة ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى إلى أن المنافقين الذين ضرب بهم المثل لم يؤمنوا في وقت من الأوقات،واستدلّ بقوله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ"[614] فلا مجال للمقال فى الرأى الأول وأما فى الرأى الثانى فيوجه بأنهم استضاؤوا بما أظهروه من كلمة الإيمان، أي في الدنيا، ثم أعقبهم الله تعالى ظلمات يوم القيامة.فالإستضاءة من حيث الفوائد الدنيوية المترتبة على إظهار إيمانهم.[615]

فهذاالتشبيه من التشبيه التمثيلى قال صا حب التفسير المنير:" تشبيه تمثيلى شبه المنافق بمستوقدالنا روإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار."[616]

ووجه الشبه يختلف باختلاف الرأيين الّذين ذكرتهما فى المفهوم العام للآية ففى الرأى الّذى ذهب إليه ابن كثير رحمه الله كان المنافقون فى ظلمات الكفر فأسلموا وحصلوا نور الإيمان فعرفوا الحلال من الحرام والخير من الشر ثم ارتدوا إلى الكفر وتركوا ما كانوا عليه من الإيمان فأظلمت عليهم الدنيا وسقطوا فى ظلمات الضلال وصاروا متحيرين مثل الرجل الذى كان فى الظلمات فاستوقد نارا وأضاءت النار ما حول المستوقد فاستفاد منها وأبصر ما حوله وعرف ما يتقى منه فبينما هو كذلك إذطفئت ناره فأقبل لا يدرى ما يتقى منه وصار متحيرا فوجه الشبه أن كلاً من المشبه والمشبه به كانا فى الظلمات أحدهما فى الظلمات الحقيقية والآخر فى ظلمات الكفر والنفاق ثم وجد كل منهما نورا أحدهما نورا حقيقيا والآخر نور الهدى والإيمان ثم صار كل واحد منهما إلى الظلمات مرّة أخرى هذا إلى الظلمات الحقيقية وذاك إلى ظلمات الكفر والنفاق.

أما فى الرأى الّذى ذهب إليه ابن جرير الطبرى كان المنافقون ومازالوا فى ظلمات الكفر والنفاق ولكن قبل مجيئ الإسلام ما كانوا ينتفعون بالأشيآء الّتى ينتفع بها المسلمون فكأنهم فى الظلمات فإذا جاء الإسلام تكلموا بالإيمان وانتفعوا كما ينتفع صا حب النور بالنور ولكن ما لبثوا أن جاءهم الموت فرجعوا إلى ما

كانوا فيه من الظلمات وهو العقاب بعد الموت مثل الرجل الّذى كان فى الظلمات فاستوقد نارا ورأى ما حوله ولكن ما لبث أن طفئت ناره ورجع إلى الظلمات مرّة أخرى فوجه الشبه أن كلاً من المشبه والمشبه به كانا فى الظلمات أحدهما فى الظلمات الحقيقية والآخر فى ظلمات الكفر والنفاق ثم وجد كل منهما نورا أحدهما نورا حقيقيا والآخرمثل نور الهدى والإيمان لأن النفاق ليس نورا ثم صار كل واحد منهما إلى الظلمات مرّة أخرى هذا إلى الظلمات الحقيقية وذاك إلى ظلمات ثمرات الكفر والنفاق.على أية حال فشبه كيفيتهم الداخلية وهو شيئ لايدرك بإحدى الحواس الخمسة بكيفية مستوقد النارالداخلية وهى أيضا غير مدركة بإحدى الحواس الخمسة فهو من التشبيه المعقول بالمعقول. ونرى من المزايا البلاغية فى هذه الآية مايلى:

- صور الله تعالى المنافقين فى هذه الآية فى حال من جدّ فى طلب النار ليرى ما حوله فلما حصل عليها انطفأت وبقى فى الظلمات متحيرا لايدرى ماذا يفعل؟ومن هنا يطّلع المخاطب على ما فى قلب المنافقين من قلق واضطراب وحيرة كامنة,ويرى حالهم كأنه بمرآى عينه بعد أن كان أمرا معنويّا.
- ولا شكّ فى أن تفهيم الأمر المعقول ليس بأمر سهل بل يحتاج إلى كثير من المشقّة ولكن إذا عُرض فى صورة الشيء المحسوس يقرّب إلى الذهن فهمه'فحال المنافقين شيء معنوى لايتأكد قبحه فى العقول وإذا شُبّه- بحال من جدّ فى طلب النار ليتبين بها موضع قدمه فلما حصل عليها انطفأت وبقى كما كان قبلها فى ظلمته و ضلالته- انقلب إلى الصورة المحسوسة وقرّبت إلى الذهن فهمها.
- بيّن الله تعالى حال المنافقين وهو مركب من الأشيآء الكثيرة بيانا شافيا بألفاظ قليلة فى صورة التشبيه ولو كان فى الأسلوب العادى لاتّضح فى الصفحات الكثيرة ومع ذلك لم يكن مبيّنا إلى هذاالحد.
- هدى الله تعالى المخاطب إلى صورة تحثه على التفكير وهو مفتاح المعرفة ولهذا حث الله تعالى عباده على التفكير فى القرآن الكريم بكثرة وسمّا هم أولى الألباب فقال جلّ وعلا: "وأولو الألباب الّذين يتفكّرون ...الآية"
- ولايخفى ما فى السين والتاء من المبالغة فى الطلب من جهة المستوقد فكأنه يبالغ فى طلب النار بكل القوى التى عنده فهكذا المنافقون يبالغون فى طلب التسهيلات الدنيوية التى لأجلها يُظهرون الإيمان.فهم" كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء" 617
- إذا فكّرنا فى سياق هذه الآية وصلنا إلى أن المنافقين قد نفد وا أعمارهم فى طلب زينة الحيوة الد نيا كما يُستفاد من السين والتآء الّذين للطلب فإذا وجدوا ما طلبوا جاء أجلهم وانتهت حيوتهم كما يدل عليه جواب لمّا لأن

فى هذالسياق معنى المفاجأة والسرعة فمعناه أن النور ذهب فور وجوده فهكذا انتهت التسهيلات الدنيوية فور وجودها. وهذا يدل على قِصر الحيوة الدنيوية فهم وإن وجدواأعمارا طويلة فهى قصيرة بالنسبة إلى الحيوة الأخروية.

ونلاحظ أن الله تعالى يبين حالة اليهود ضد المسلمين وإغراء المنافقين إياهم على قتال المسلمين فيقول:" كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[618] كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين"[619] فى هاتين الآيتين تشبيهان الأول تشبيه اليهود في حلول العذاب بهم بمن قبلهم وهم بنوالنضيروالثانى تشبيه المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال بالشيطان إذْ أغراه على الكفر إغراء الآمر للمأمور به فَلَمَّا كَفَرَ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب.[620]أولانأتى إلى التشبيه الأول: وهو تشبيه اليهود ببنى النضير فشبه الله تعالى حالهم- وهى مركبة من عدة أمور: وهى أنهم كانوا يتظاهرون بالقوة والوحدة والحال أنهم متفرقون فيما بينهم وأنهم سيخذلهم المنافقون عند الحاجة وأنهم لايستطيعون أن يقاتلوا إلا فى قرى محصنة أومن وراء جدر.-بحال من كانوا من قبلهم من بنى النضير وحالهم أيضا مركبة من عدة أمور وهى أنهم أظهروا الاستعداد للحرب وأبواالجلاء ثم إذا حصروا لم يستطيعوا الثبات أمام المسلمين واضطروا إلى الجلاء ولم ينفعهم المنافقون ولا إخوانهم من اليهود. [621]فهذا من قبيل تشبيه المركب بالمركب ثم الربط بين هذه الآشياء المختلفة يدرك بالعقل مثل تظاهرالقوة والتفرق من بين أنفسهم وجبنهم فى المشبه واضطرارهم وعدم نفع المنافقين إياهم فى المشبه به’ولذا فهذا من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول ووجه الشبه هو حلول العذاب على كلا الفريقين ولايخفى أن هذا الوجه لاينتزع من شيئ واحد بل هو منتزع من عدة أمور كما بينتها فهو من التشبيه التمثيلى:الآن نأتى إلى التصوير التى رسمه الله تعالى فى هذاالتشبيه فتتراآى أمامنا صورتان:صورة المشبه وصورة المشبه به أماصورة المشبه فنرى فيه ان جماعة اليهود يتظاهرون كأنهم أقوياء ضد المسلمين وأنهم متحدين فيما بينهم ويعد المنافقون بأنهم معهم فلا بد أن يقاتلوا المسلمين فيهزموهم بقوتهم ووحدتهم ومعاونة المنافقين ولكن سرعان ما شبت نار الحرب أسلمهم المنافقون وتفرقوا فيما بينهم فما كانت هناك وحدةولا قوة. وأما صورة المشبه به فتتراآى أمامناجماعة من كانوا قبلهم من بنى النضير فهم يستعدون للقتال ويتظاهرون قوتهم ضد المسلمين على أن الناس من اليهود والمنافقين وعدوهم النصر فإذاقدم لهم أن يخرجوامن المدينة سالمين فأبوا ذلك واختاروا القتال ضدالمسلمين ولكن سرعان ما شبت نار الحرب انهزموا و لم يستطيعوا الثبات أمام المسلمين واضطروا إلى الجلاء ولم ينفعهم المنافقون ولا إخوانهم من اليهود.هذه هى الصورة العامة لهذاالتصوير المرسوم الآن نقف أمام هذاالتصوير كى نقتطف من ثمارها المتعلقة بفروعها.

- هذاالتشبيه يفيد أن الذى سيحدث لايساوى دعواهم فكأن أسلافهم ادّعوادعاوى كاذبة فلم تتحقق تلك الدعاوى فكذلك هؤ لاء الناس سيكونون مثلهم لن تتحقق دعاويهم مثلهم.
- وفيه إشارة إلى أن انهزامهم سيكون متحققا لامحالة لأنهم عدمواكل المزايا التى لابد أن يتسلح بها كل مقاتل من قوة وشجاعة والوحدة فيما بينهم ثم النصرة من عند حلفائهم عند الضرورة وهم محرومون من كل هذه الصفات فأنى لهم الفتح.
- وفى استخدام كلمة قريبا إشارة إلى أن الذى وقع ليس بعيدا منكم تحققه فعليكم أن تعتبروا بهم ولا تعيدوا الخطأ الذى ارتكبه القدماء.
- اختار الله تعالى كلمة ذاق وهى تدل على أن الذى حدث هو قليل بالنسبة إلى الذى سيحدث يوم القيامة ولذلك زيله الله تعالى بقوله "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " أى فى الآخرة ’فعذاب الآخرة بالنسبة إلى عذاب الدنيا كثير جدا.قال ابن عاشور:" وضمير { ولهم عذاب أليم } عائد إلى { الذين من قبلهم } أي زيادة على ما ذاقوه من عذاب الدنيا بالجلاء وما فيه من مشقة على الأنفس والأجساد لهم عذاب أليم في الآخرة على الكفر ."[622]

والآن نأتى إلى التشبيه الثانى وهو تشبيه المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال بالشيطان إذْ أغراه على الكفر إغراء الآمر للمأمور به فَلَمَّا كَفَرَ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب فكل من المشبه والمشبه به مركب أما المشبه وهو المنافقون فمركب من أنهم أغروا هم على القتال ووعدوهم النصر ولكن إذااحتاجوانصرهم خذلوهم.وأما المشبه به وهو الشيطان فهو مركب من أنه يوسوس للإنسان بأن يكفر ويراه الملذات والجنات الخضرة ولكن يتركه ويتبرأ منه.[623]فهذامن قبيل تشبيه المركب بالمركب. و بأن هذا تشبيه الحال بالحال المركبة من أشياء بعضها منضمة إلى بعض ومنهاعقلية ومنها حسية ولكن التركيب من الحسية والعقلية لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو من تشبيه المعقول بالمعقول.ووجه الشبه وهو عدم انتفاع كل واحد بالآخر أى كما لاينتفع متبعوالشيطان به فكذلك هؤلاء الناس لاينتفعون بالمنافقين وقد لاحظنا أن وجه الشبه منتزع من عدة أمور وقد رُسم أمامنا التصوير الفنى الذى أراناصورتين:صورة الشيطان مع متبعيه وصورة المنافقين مع اليهود الذين أغراهم المنافقون.أما الصورة اللأولى فيُرى فيه الشيطان يأتى إلى شخص يعرف أنه شيطان لأنه ووصفه قد بين مرارا فى القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم قد حذّر أمته من فتنته فتحاورا فيما بينهما والشخص قداستمع إليه فدعاه الشيطان إلى عصيان الله ورسوله وسلّاه تسلية كاذبة ووعد النصر وقت الضرورة فعمل الشخص بما قال’فلما جاء عذاب الله تعالى تبرّأ الشيطان مما قال’فلاحظنا أن العمل مع كون علمه بأنه شيطان وهو له عدو مضل مبين والعدو لاينصح لعدوه فتضاعف هذاالخطأ. وأما الصورة الثانية وهى الصورة

المرئية فى مرآة الصورة الأولى وهى أن المنافقين يُغرى اليهود على المقاتلة ضد المسلمين ويزينون لهم هذه المقاتلة ويقدمون لهم نصرهم ولكن إذااحتاج اليهود نصرهم وهم فى رحى الحرب وضيق العيش فتولو عن وعدهم وتركوهم فى لجة بحر الحرب.وإذاجئنا إلى الأسرار البلاغية الكامنة فى هذاالأسلوب فنرى:

- أن التشبيه بالشيطان أنه عدوللمسلمين ولايرجى من العدو الخير فكذلك ينبغى لليهود أن لايرجوالخير من المنافقين.
- وكما أن الشيطان عرف بالخدعة وإجرار الناس إلى نار جهنم فكذلك المنافقون عرفو بعدم ربط ظاهرهم بباطنهم وهم يقولون ما لايفعلون فالحذرمن شروره لازم على كل واحد من المسلمين والكفار.
- فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن الشيطان يتبرأ حين ينقطع عن ذلك الإنسان الآثم كل وسائل النجاة وهو فى حاجة شديدة إلى الوعد والتسلية يقطع الشيطان ذلك الحبل ويتركه فى اليأس المستمر لأن تبرى الشيطان عنهم يكون فى القيامةقال ابن عاشور: "فالمعنى : إذ قال للإنسان في الدنيا : اكفر ، فلما كفر ووافى القيامة على الكفر قال الشيطان يوم القيامة : إني بريء منك ، أي قال كل شيطان لقرينه من الإنس : { إنّي بريء منك } طمعاً في أن يكون ذلك منجيه من العذاب." [624]ولايخفى أن كلامن الشيطان والمنافقين لايستطيع أن يفى وعده وإن كانوا صادقين فيه على أنهم كاذبون فى وعدهم إياهم فهم لايريدون أن يفى وعدهم ولا يستطيعون أن يفيه فكيف يُعتمد على هذه الدعاوى الكاذبة الضعيفة؟

ويصور الله تعالى حال القلوب فى وقت الخوف والاضطراب يوم الخندق فقال تعالى: "إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا"[625]يعنى إذاجاءوكم العدو وكانوا كثيرين فى العدد فخفتم وزاغت أبصاركم عن مستوى نظرها وصارت قلوبكم من شدة الخفقان واضطراب كأنها وصلت إلى الحلقوم "فشبهت هيئة قلب الهلوع المرعُود بهيئة قلب تجاوز موضعه وذهب متصاعداً طالباً الخروج ، فالمشبه القلبُ نفسه باعتبار اختلاف الهيئتين."[626] نحن نلاحظ فى هذاالتشبيه أن القلب هو المشبه والمشبه به باعتبارين مختلفين وهومفرد فى المشبه وأما فى المشبه به فمركب من أكثر من شيئ واحد فهو من قبيل تشبيه المفرد بالمركب والقلوب من الأشياء الحسية لأنها تُدرك بحاسة البصر ولكن التشبيه هناليس من حيث الذات بل المراد تشبيه خوفها بصعودها إلى الحناجر وهما من الأشياء العقلية لأنهما لايدركان بإحدى الحواس الخمسة.قال صاحب التفسير المنير:"مبالغة فى التمثيل , صور القلوب فى خفقانها واضطرابها كأنها وصلت إلى الحلقوم."[627]

الأن نقف لبعض الوقت أما م التصوير الذى رسمه الله تعالى فى هذاالأسلوب كى نجنى من ثماره وكى ينكشف أمامنا الأسرار البلاغية التى أودعها الله تعالى فى إطار هذاالأسلوب :

وقفنا لبعض الوقت أمام التصوير الفنى الذى رُسم فى هذاالأسلوب خفقان القلب الهلوع واضطرابه الشديد للخوف من كثرة عدد العدووبجانبه نرى القلب الذى يخفق خفقانا شديدا وقدوصل هذاالخفقان إلى حد أنه لايستقر فى مستقره بل هو يصعد إلى الحنجرة طالبا الخروج من الصدرومن الواضح جداأن القلب حين الخوف يخفق ويزيد هذاالخفقان بزيادة الخوف فمهما ازداد الخوف ازداد خفقان القلب فمن هذاالتصوير علمنا أن الخفقان ليس مما يعد عاديا بل هو شديد.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارّها وترتفع طالبة الخروج من الصدور"[628] الآن نأتى إلى هذاالتصوير كى نقتطف من ثمارها.

- بلوغ القلوب الحناجر تدل على شدة خفقان القلب وهذايكون من الخوف وباعتبار درجات الخوف يختلف الخفقان فإذاوصل إلى درجة يكاد يخرج من الصدر فهذايدل على شدة الخوف فهذاالتشبيه أفاد أن الخوف كان كثيرا ولهذاكانت حركة القلب كثيرة.قال الإمام الرازى:" وَبَلَغَتِ القلوب الحناجركناية عن غاية الشدة ، وذلك لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس لا يقدر المرء أن يتنفس ويموت من الخوف"[629]
- من أجل حذف أداة التشبيه ووجه الشبه صار المشبه والمشبه به شيئا واحدا وهذا أبلغ فى التمثيل من أن يُذكرافكأن القلوب الخائفة هى نفس القلوب الصاعدة إلى الحنجرة فالخارجة من الصدور.
- هذاالتشبيه قد بين الحالة النفسية والصراع الداخلى بين الفرد وقلبه ومحاولة القلب لتصريف صاحبه عما يريده من الثبات فى الدفاع عن دين الله فى الجهاد ومن امتثال أوامرالله تعالى فالقلب إذا تأثر بالعوامل الخارجية فهو يجبر صاحبه على التولى عما يريده كى يتقى المشاق التى تتراآى أمام القلب.

***

المبحث الثالث

غيرالبليغ الحسى العقلى

وهو ما يكون المشبه فيه حسياوالمشبه به عقليا.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- و أن يكون وجه الشبه وأداة الشبه كلاهما محذوفين.ولكن لم أجد لهذاالقسم مثالا فى القرآن الكريم وبما أن بحثى فى إطار النصوص القرآنية فلا أعالج هذاالقسم.

***

المبحث الرابع

التشبيه غيرالبليغ العقلى الحسى:

ما يكون المشبه فيه عقليا والمشبه به حسيا.ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وكما قلت سابقا أن التشبيه يكون لتوضيح غير المعلوم بربطه بالمعلوم والعقلى لايكون معلوما فى معظم الأحيان ولهذا فيشبه بالأشياء التى تكون فى إطار الأشياء المحسوسة كى توضح ذلك العقلى و سيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- ولايكون محذوف الأداة ووجه الشبه فإما أن يذكر كلاهما أوأحدهما.

الآن إليك دراسة هذه الآيات تفصيليا.

يستمرالله تعالى فى بيان حيرة المنافقين وخباثتهم فيقول :

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [630]

هذاتمثيل ثان صور الله تعالى المنافقين فى صورة من أحاط بهم مطر هاطل من السماء فيه ظلمات بعضها فوق بعض فهى تحجب رؤية العين وفيه رعد وبرق يبعثان الهول ويثيران المخاوف والقوم من شدة الخوف والقلق يرون الموت بأعينهم ويسمعون دمدمته المصعقة فهم يدخلون أصابعهم فى آذانهم كى يُبعدوا عن آذانهم هذاالهول والخوف ولكن الله تعالى سابق الفوات فلا يفوته شيء فى الأرض ولا فى السماء فهو يُحيطهم أينما كانوا.و فى الآية الثانية يبين الله تعالى غاية تحيرهم وجهلهم بما يأتون وما يذرون إذاصادفوا خفقة من البرق و أنهم مع خوف أن البرق يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين.[631]

وهذاالتشبيه أيضا من التشبيه التمثيلى وهو من التشبيه المعقول بالمحسوس لأن حال المنافقين ممالايدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما المطر النازل من السماء بما فيه من الظلمات والرعد والبرق مما يدرك بإحدى الحواس الخمسة. قال صاحب التفسير المنير: "تشبيه تمثيلى شبه الإسلام بالمطر لأن القلوب تحيا به وشبه شبهات الكفار بالظلمات" [632]

أما وجه الشبه فى هذه الآية فهو أن حال المنافقين شُبّه بحال من أخذته السماء بهذه الصفة فكما أن المحاط بالمطر الشد يد المخوّف ذى ظلمات ورعد وبرق يكون فى القلق والاضطراب لا يدرى ماذا يفعل؟ فكذلك المنافق يكون متحيرا طول عمره ويعانى من كيفيته الداخلية القلقة.

> قال جمهور المفسِّرين : مَثَّلَ اللَّه تعالى القُرْآنَ بالصَّيِّبِ ، فما فيه من الإشكال عليهم والعمى هو الظلماتُ ، وما فيه من الوعيدِ والزجْرِ هو الرعْدُ ، وما فيه من النُّور والحُجَج الباهرة هو البَرْقُ ، وتخوُّفهم ورَوْعُهُمْ وحَذَرُهم هو جَعْلُ أصابعهم في آذانهم ، وفَضْحُ نفاقهم ، واشتهارُ كفرهم ، وتكاليفُ الشرع التي يكرهونها من الجهادِ والزكاةِ ونحوه هي الصواعقُ[633]

ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يلى:

- هذا تمثيل ثان لحال المنافقين ولكنه أبلغ من التمثيل الأول قال الزمخشرى: "فإن قلت : أي التمثيلين أبلغ؟ قلت : الثاني ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدّة الأمر وفظاعته ، ولذلك أُخر ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ."[634] فالله سبحانه وتعالى ركّز بالظلمة فى التمثيل الأول وأما فى الثانى فقد أضاف إليها الصيّب وهو يزيد خوفا من الظلمة وحدها وكذلك الرعد والبرق يزيدان فى الهول والخوف. ففى التشبيه الأول يحرص المنافقين على الضوء فيستوقدون نارا وأما فى التمثيل الثانى فهم يحرصون كل الحرص على الفرار من المهالك والمخاوف لأن "الموقف ممتلئ بالرعب والهول بإضافة هذه العناصر الجديدةالتى جعلت الظلمة عامرة بموجبات الموت التى لا يحول بينهم وبينها إلا مشيئة الله"[635] ومما يزيد فى هول المنظرودهشته الأفكار الآتية:
- قد صوّرالله تعالى التيه والاضطراب والقلق الذى يعيش فيه أولئك المنافقون تصويرا بارعا لأنه شبّههم بالذين أحيطوا بصيب مليئ بالمخاوف والمهالك

> لأن الحركة التي تغمر المشهد كله : من الصيب الهاطل ، إلى الظلمات والرعد والبرق ، إلى الحائرين المفزعين فيه ، إلى الخطوات المروعة الوجلة ، التي تقف عندما يخيم الظلام . . إن هذه الحركة في المشهد لترسم - عن طريق التأثر الإيحائي - حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . بين لقائهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين . بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام . . فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية؛ ويجسم صورة شعورية . وهو طرف

من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس .[636]

- استخدم الله تعالى كلمة كلما فى "كلما أضاء لهم" وهذا يدل على شدة حرصهم على فرارهم من هذاالموقف لأنهم رغم مخافتهم اختطاف البرق أبصارهم يحاولون أن يفلتوا من هذاالموقف الصعب فينتهزون الفرصة كلما وجدوها ومحاولتهم هذه تدل على اضطراب قلوبهم وهذاالمعنى لا نجده فى كلمة " إذا".[637]
- ولا يخفى على أحد أن الصيّب لايكون إلا من السماء ومع ذلك قيّده بكونه نازلا من السماء ليُفيد زيادة شخوص صورة الصيّب ومثولها فى الخيال.[638]
- استخدام كلمة أصابعهم توحى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلو غهم إلى حيث لا يهتدون إلى استعمال الجوارح على النهج المعتاد فهم وإن سدّوها بالأنامل ولكنهم من شدة الحيرة كأنهم سدوها بجملة الأصابع كى لا يسمعوا صوتا من هذه الأشياء المخوّفة.[639]

ويبين الله تعالى حال مضاعفة الثواب لإنفاق الأموال طلبا لرضى الله تعالى وإخلاصامن أصحابهافيقول :"وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [640]فشبه الله تعالى حال منفقى أموالهم ابتغاء لرضى الله تعالى وبلا تردد فى إنفاقه بحال من له جنة بأرض مرتفعة فيفيد ها قليل الماء وكثيره فهومثمر فى الحالتين فالمشبه هو حال من أنفق وحاله مركب من المنفق نفسه وابتغاء مرضات الله تعالى وثبات النفس عند الإنفاق فلاتتزلزل إذا أنفق والمشبه به هو حال صاحب الجنة وهو أيضا مركب من صاحب الجنة نفسه وجنته وكونها على أرض مرتفعة ووصول المطر الكثير إليها أوالطل ثم مضاعفة أكلها فهو من تشبيه المركب بالمركب ثم المشبه وهوحال المنفق شيئ لاتدركه الحواس الخمسة وأما المشبه به فهو مركب من الأمور المحسوسة بحاسة البصر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس. ووجه الشبه هو تضعيف المنفعة لشيئ موصوف بصفات متكاملة لتلك المنفعة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> ووجه الشبه هو الهيأة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة ، فالهيأة المشبّهة هي النفقة التي حفّ بها طلب رضي الله والتصديقُ بوعده فضوعفت أضعافاً كثيرة أو دونها في الكثرة ، والهيأة المشبّهة بها هي هيأة الجنّة الطيّبة المكان التي جاءها التهتَان فزكا ثمرُها وتزايد فأكملت الثمرة ، أو أصابها طلّ فكانت دون ذلك[641]

ولاحظنا أن وجه الشبه منتزع من عدة أمورفالآن أمامنا صورتان؛ صورة المشبه به وصورة المشبه أما صورة المشبه به فهى الجنة الخصبة على أرض مرتفعة حسينة المنظر وكاملة الثمار فهى تشرب من المطر الغزير وتجذب ماؤه إلى ماتحتها فتنبت الثمار أضعافا مضاعفة وأما صورة المشبه فهى صورة الذين ينفقون وقلوبهم معمورة بالإيمان ولاتتزلزل أقدامهم حين إنفاقهم فى سبيل الله تعالى ولايبتغون سوى وجه الله تعالى فأعمالهم تتضاعف إلى أضعاف كثيرة وما ذلك على الله بعزيز.وفى ضوء هذاالتصوير الذى رسمه الله تعالى تتراآى أمامنا من الأسرار البلاغية الآتية:

- أن الجنة بربوة عالية تكون نقية التربة لايصل إليها ما يلوثها من الأدناس والنجاسات وهذا يفيد أن قلب المؤمن مرتفع عن الدنايا والنجاسات بل يكون صاف فهو منبت لأعمال الخير كما أن الجنة بأرض مرتفعة منبتة لكل نبات فكل من المشبه والمشبه به من الجود والكرم مالاحدله.[642]
- وفيه إشارة إلى أن الأصل للخير إذاكان ثابتا وكانت الشرائط الأساسية موجودة فيه مثل خصب التربة فى الأرض والصفاء والإخلاص فى القلب فهو مثمر سواء كانت الأشياء الثانوية موجودة بطريق الكمال أم لا فلاحظنا أن الطل أيضا يفيد الأرض الطاهرة الجاذبة للماء والرطوبات الأخرى وكذلك قلب المؤمن إذا كان خصبا ببذور الإيمان بالله تعالى والتوحيد والإخلاص فيضاعف أعماله إلى أضعافاكثيرة وإن كانت الأعمال خفيفة.
- وفى كلمة التثبيت إشارة إلى أن الإنفاق يكون شاقا على النفس بفطرتها فينبغى أن يجبر المنفق نفسه على أن لاتتردد ولا يدعها تلقيها فى الشك والتردد والبخل.قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> والتثبيت تحقيق الشيء وترسيخه ، وهو تمثيل يجوز أن يكون لكبح النفس عن التشكّك والتردّد ، أي أنّهم يمنعون أنفسهم من التردّد في الإنفاق في وجوه البر ولا يثركون مجالاً لخواطر الشحّ ، وهذا من قولهم ثبت قدمه أي لم يتردّد ولم ينكص ، فإنّ إراضة النفس على فعل ما يشُق عليها لها أثر في رسوخ الأعمال حتى تعتاد الفضائل وتصير لها ديدناً.[643]

- ويمكن أن يكون فى كون الأرض المصابة بالمطر أوالطل إشارة إلى التفاوت بين المنفقين فمنهم من ينفق قليلا ومنهم من ينفق كثيرا فظهر من هذه الآية ان الشيئ الأساسى هو الإخلاص والبراءة من الرياء فالنفقة القليلة أيضا زاكية عند الله تعالى إن كان من قلب مخلص.قال أبوالسعود رحمه الله تعالى:"

والمعنى أن نفقاتِ هؤلاءِ زاكيةٌ عند الله تعالى لا تَضيعُ بحال وإن كانت تتفاوتُ باعتبار ما يقارنها من الأحوال ، ويجوزُ أن يعتبر التمثيلُ بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرةِ والقليلةِ وبين الجنةِ المعهودةِ باعتبار ما أصابها من المطر الكثير واليسير ، فكما أن كلَّ واحد من المطرين يُضعِفُ أُكُلَها فكذلك نفقتُهم جلّت أو قلّت بعد أن يُطلَبَ بها وجهُ الله تعالى زاكيةٌ زائدةٌ في زُلفاهم وحسنِ حالهم عند الله[644]

وصور الله تعالى قيام أكلة الربامن قبورهم يوم القيامة فى صورة من يتخبطه الشيطان من المس ' فقال:"الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَاخَالِدُونَ "[645] وفى هذه الآية تشبيهان: الأول تشبيه أكلة الربا بالذى يتخبطه الشيطان من المس والتشبيه الثانى فهو تشبيه البيع بالربا.نأتى أولا إلى التشبيه الأول فقد شبه الله تعالى هيئة قيام من يأكلون الربا بهيئة من يتخبطه الشيطان من المس.والمراد بالقيام إما حركاته وأنشطته فى الدنيا فالمعنى إذن:أن الذى يجمع ماله من الربا حريص فى جمع الدنيا وهو فى حركاته وتعامله مع الناس كالمجنون.قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:" إن المراد تشبيه من يحرص في تجارته ، فيجمع ماله من الربا بقيام المجنون؛ لأن الحرص ، والطمع ، والرغبة في الجمع قد استفزته حتى صار شبيهاً في حركته بالمجنون ، كما يقال لمن يسرع في مشيه ، ويضطرب في حركاته : أنه قد جُنَّ "[646] وإما المراد قيامه يوم القيامة فالمعنى:أن أكلة الربا يكونون فى الخلل والاضطراب إذا قاموا من قبورهم وجرواإلى رب العالمين كالذى يتخبطه الشيطان من المس.[647]فهيئة المشبه مركبة من أكلة الربا وقيامهم يوم القيامة أو حركاتهم فى هذه الدنيا وهيئة المشبه به مركبة من قيام الرجل المتخبط وتخبطه بمس الشيطان فهو من تشبيه المركب بالمركب وأجزاء الهيئة المشبهة مركبة من المحسوسة والمعقولة فالقيام محسوس بحاسة البصر وأما معاملة الربا وأكله الربامن الأشياء التى لاتدرك بإحدى الحواس ولكن تركيب هذه الهيئة معقول وأما الهيئة المشبهة فهى تدرك بحاسة البصر فالخلل فى الحركات والقيام محسوسة فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس. ووجه الشبه وهو الخلل والاضطراب فى الحركات وهو منتزع من عدة أمور لا من أمر واحد.فالآن نقف أمام هذا التصوير البارع الذى رسمه الله تعالى لإفهامنا كى نرى دقته وإتقانه . فأمامنا صورتان: صورة المشبه به وصورة المشبه أمافى صورة المشبه به فنرى رجلا قدأفسد الشيطان عقله فهو يضطرب ويرتعش فإذا أراد ان يقوم ارتعش وسقط على الأرض فهو خائب فى مشيه والوصول إلى هدفه إلى أن يزول عنه أثر ذلك الجنون ومن هنا نصل إلى صورة أخرى؛ صورة المشبه وهى صورة رجل يعامل الربا ويستحله وهوحريص فى جمع المال أينما كان وكيف ماكان فجمع مالا عظيما فى الدنيا

وأكمل عمره عائشاعلى هذاالمال ثم لما بُعث من فى القبوريوم القيامة فأراد أن يقوم للداعى ليوم الحساب فارتعش وسقط على الأرض وماستطاع أن يمشى مشيا صحيحا وعلى رأى من قال إن هذاالقيام يفيد أن حركاته وسكناته فى هذه الدنيا تكون مثل الذى يتخبطه الشيطان نرى صورة من لا تكون حركاته عادية بل جعلها الحرص وحب الدنيامتزلزلة فالناس يرونهم فى حركاتهم كأنهم مجانين.ونرى من الأساليب البلاغية مايلى:

- المراد بهذاالتشبيه تشنيع حالهم لأن هذاالحال سواء فى الديناأوفى وقت القيام إلى رب العالمين فيستقبحه من له أدنى شعور.
- ثم هذه الحالة نتيجة للعمل الذى كان فى وسعهم أن يتركه وهو أكل الرباوأماهذه الحالة فليست فى وسعهم منه شيئا وأما فى حالة المجنون فليست نتيجة لعمله بل هى آفة من آفات الله تعالى فالتشبيه فى كونهم فى تلك الحالة.والله تعالى أعلم.
- وبناء على قول من يقول أن المرادحالتهم فى الدنيا ففيه إشارة إلى أن صاحب الربا وإن كان يرى فى الظاهر فرحا ومطمئنا ولكنه من داخله محاط بمتاعب الحياة وضنك العيش وعدم القناعة على ما ملك لأن الذى أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكا
- والمستفاد منه أن المال مسيطر على آكل الربا فحركاته غير تابعة لرضائه بل المال يصرفه كيف يشاء كالذى يتخبطه الشيطان من المس يكون ألعوبة فى يد الشيطان يصرفه كيف يشاء.[648] وأما التشبيه الثانى فقد درسناه فى الصورغير المعروفة للتشبيه إن شاء الله تعالى.

ويمثل الله تعالى الذى آتاه آياته فكذبها وانصرف عنها فى صورة أخس الحيوانات وهوالكلب فيقول:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[649]

شبه الله تعالى حال من أعرض عن آيات الله تعالى بعد ظهورها أمامهم بحال الكلب وهذا من أروع التصوير لأن كل شيء يلهث ، فإنما يلهث من إعياء أو عطش ، إلا الكلب فإنه يلهث في كل حال عطش أو لم يعطش عيى أولم يعيى فكذلك من كذب بآياته فإن وعظته ضلّ ، وإن تركته ضلّ.[650]فحال المشبه مركب من إعراض المكذبين وظهور الآيات أمامهم وضلالتهم وحال المشبه به مركب من لهثه فى وقت الحملة عليه ولهثه فى حالة تركه فهو من تشبيه المركب بالمركب ثم نرى أن الأجزاء التى ركبت منهاالمشبه لا تدرك بالحواس

وأما الأجزاء التى ركبت منها المشبه به فهى تدرك بحاسة البصر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.ووجه الشبه هو إظهار الدناءة سواء كان له سبب أم لا.فنرى فى ضوء هذاالتشبيه صورة كلب يحمل عليه الناس فهو يفر منهم مخرجالسانه ثم يتركه الناس ولكنه لايترك اللهث فينعكس أمامنا فطرته وأن هذااللهث ماكان نتيجة لطرد الناس إياه وحملتهم عليه ولكن هذا شيئ مختلط فى فطرته ثم نرى صورة أخرى وهى صورة الكافر العاند فيعظه الواعظ ولكنه ينصرف عن آيات الله تعالى ثم يتركه الواعظ ليتفكر فى هذه الآيات ولكنه منصرف عنها فى كلتا الصورتين فنعلم أن انصرافه عن آيات الله تعالى ماكان لسبب عدم ظهورها عليه بل لأجل عناده الذى هوموجود فى قلبه ومسيطر على مشاعره وأحاسيسه.وفى ضوء هذاالتشبيه نرى الأساليب البلاغية الآتية:

- فى التشبيه بالكلب وهو من أخس الحيوانات تقبيح حالهم ثم تشبيههم فى أخس حالة وهو اللهث فى كل الوقت إشارة إلى خساستهم وإلى أنهم لايبصرون الحق مع ظهوره بل يغمضون أعينهم عنه وهذا هو الطبع الذى طبع على قلوبهم. قال صاحب التفسير المنير:" شبه حاله التى هى مثل فى السوء كحال أخس الحيوانات وهى حالة الكلب فى دوام لهثه سواء فى حالة التعب أوالراحة"[651]
- إعراض الكافر العاند ليس لسبب من خفاء الآيات وغيره فلايرجى إقباله على آيات الله تعالى لأنه لو كان لسبب ليُرجى أنه سيرجع إلى الاتعاظ بآيات الله تعالى بعدزوال هذاالسبب ولكنه ليس هناك سبب سوى الفطرة والفطرة لاتزال عن صاحبها فيستمرون فى ضلالهم.
- ولهث الكلب ناشئ عن جراء تنفس الكلب بعسر فهو دال على اضطراب باطنه فكذ لك انصراف الكافرناشئ عن عناد فى قلبه فهونتيجة المشقة التى يعانيها الكافر من خبث باطنه والحقد على الإسلام وأهله.قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فإن اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وإن لم يكن لاضطراب باطنه ، سبب آت من غيره"[652] فهذه هى النار التى يحترق بها الكافر من باطنه وإن لم يكن هناك محرق من الخارج.

وبين الله تعالى سخافة عقول المشركين فى كونهم يرجون من لايستجيب لهم بشيئ فى صورة التشبيه التمثيلى فقال:"لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"[653]وينشأمن هذاالتشبيه تشبيهان:تشبيه حال الكافرين فى دعاء الأصنام بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه بكف مبسوط فلن يصل إلى هدفه دون أن يختار الطريق الذى يصل إلى الحصول بالماء أو تشبيه عدم استجابة الأصنام لمن يدعونها بعدم استجابة الماء لباسط كفيه إليه من بعيد.[654]فالمشبه وهو حال الكفار مركب من دعائهم آلهتهم فى حاجاتهم وشدة

حاجتهم عند الدعاء ورجائهم فى حصول هدفهم وكل هذه الآشياء لاتدرك بالأبصارفهى عقلية والمشبه به وهوحال العاطش مركب من بسط كفيه وطلبه الماء وعدم وصول الماء إلى فيه وكل هذه الأشياء مما يدرك بحاسة البصر فهو من تشبيه المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس ووجه الشبه هو عدم الحصول على شيئ إذاطُلب الشيئ من مصدر خاطئ أو بطريقة خاطئة.فكما أن الماء لايبلغ إلى فم الطالب مالم يسع له بطريقة معهودة فكذلك لايصل شيئ من أهداف المشركين مالم يطلبها بطريقة معهودة وهى طريقة تطلب فيها الأشياء من الله تعالى حسب تعاليم الإسلام.قال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:

> وقيل : معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له ، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها ، وهي لا تقدر على شيء ، وعن ابن عباس : كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه[655]

ففى هذا التمثيل تتراآى لنا صورة من عطش عطشا شديدا وأمامه الماء وهو يريد أن يحصل على الماء ولكنه لا يذهب إليه ليتمكن منه ويشربه بل بسط كفيه زاعما أن الماء سيصل إلى فيه بنفسه فطبعا ماوصل الماء إلى فيه على أن الناس يستهزءون به وهو يتحمل مشقة الخزيان واستهزاء الناس أكثر من شدة العطش وفى ضوء هذه الصورة نرى صورة أخرى وهى أن الكافر له حاجات فى حياته وهو يريد أن يقضى حاجاته ولكنه لا يعالجها بالطريقة المعهودة وهو أن يدعوالله تعالى لها ويسعى لها بل يدعو آلهته لها مع أنهم ضعفاء لايقدرون على شيئ فخاب أمله فى قضاء حاجاته تضحك به ملائكة الله تعالى.وفى هذا التصوير من الأسرار البلاغية ما يلى:

- التشبيه ليس من كل الوجوه فحصول الماء ممكن بالسعى ولكن لايمكن شيئ من هذه الآلهة ولو بالسعى إليهم فليس عندهم شيئ والثانى أن الماء فى نفسه شيئ نافع بخلاف آلهتهم.قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> شبّه حالُ المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتِهم على شيء أصلاً وركاكةِ رأيهم في ذلك بحال عطشانَ هائمٍ لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصولَه إلى فيه من غير ملاحظةِ التشبيه في جميع مفرداتِ الأطراف ، فإن الماءَ في نفسه شيءٌ نافع بخلاف آلهتِهم[656]

- وفيه أيضا إشارة إلى أن آلهتهم لا يفهمون دعاءهم فكيف يستجيبونهم كما أن الماء لا يشعر ببسط اليد من طالبه فضلا أن يصل إليه.قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:

> أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم.[657]

- وفهم من هذاالأسلوب أن دعاء الكافرين خلاف الفطرة وهذاشيئ مفهوم لوتفكروافى هذاالأمر ولكن هؤلاء الكفار من سخافة عقولهم لايتفكرون فى هذه الأمور فهم يعملون أمورا هى تثير الضحك والاستهزاء وهى بديهية البطلان.
- ومن هنا استفدنا أن عقول الكفار سخيفة وهى غير قابلة لأن يختار الأمور المفيدة لهم بل هم يعملون أمورا مثيرة للضحك.وهذه السخافة أثر الكفر لأن الكفر والشرك يعوِّدان الناس الأمانى الكاذبة.
- فى هذاالأسلوب تهكم بهم لأن الله تعالى علق استجابة غير الله دعاءهم بوصول الماء إلى فم من بسط يده إليه من بعيد وهذامحال ففيه تعليق بالمحال لأن المراد نفى الاستجابة مطلقا. قال أبو السعود :"والمرادُ نفيُ الاستجابةِ رأساً إلا أنه قد أُخرج الكلامُ مُخرج التهكم بهم فقيل : لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة إلا استجابةً كائنة في هذه الصورةِ التي ليست فيها شائبةُ الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال".[658]

ويبين الله تعالى حال الحق والباطل بتصويرهما فى صورة السيل والزبد وفى صورة المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والصفر فيقول:

> أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ[659]

جمع الله تعالى مثالين فى مثال واحد لتمييز الحق من الباطل أما المثال الأول فشبه الله تعالى فيه الحق بالماء المستقر فى الأرض والمشبه مركب من نزول القرآن وقلوب الناس التى نزل لها القرآن وقبول بعض الناس الهداية من القرآن وكفران بعضهم لها فهذاالمشبه مركب من عدة أمور وكذلك المشبه به مركب من نزول المطر وسيلان الأودية وكون الماء تحت الرغوة ثم جفاف تلك الرغوة قال العلامة السمر قندى رحمه الله تعالى:"فشبه القرآن بالمطر ، وشبه القلوب بالأودية ، وشبه الهدى بالسيل فاحتمل السيل زَبَدًا رَّابِيًا يعني : عالياً على

الماء .فشبه الزبد بالباطل يعني : احتملته القلوب على قدر أهوائها باطلاً كبيراً . فكما أن السيل يجمع كل قدر ، كذلك الأهواء تحتمل الباطل ، وكما أن الزبد لا وزن له ، فكذلك الباطل لا ثواب له"[660] فهذامن تشبيه المركب بالمركب ونلاحظ أن الأجزاء التى ركبت منها هيئة المشبه هى كلها أمور معنوية لاتدرك بالحواس الخمسة وأما الأجزاء التى ركبت منها هيئة المشبه به كلها حسية فهذامن تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه هو بقاء الحق وإمكان الانتفاع به وعدم بقاء الباطل وعدم إمكان الانتفاع به. ففى هذاالتصوير نرى أن المطرنزل من السماء وماؤه وصل إلى الوديان فسال الماء فى تلك الوديان بقدر قبولها الماء فبعضها قبلت الماء الكثير وبعضها قبلت الماء القليل بحسب ظروفها وقداختلط بهذا السيل نبات وطين وأشواك وماليس من جنس الماء وهذه الأشياء قد علت سطح الماء حتى لايرى الرائى إلا الزبد المكون من هذه الأشياء ولكن بعد ان جف زبد الماء فرأى الرآئى أن ما رآه من استعلاء الرغوة على سطح الماء ماكان إلا انتفاخ تلك الأشياء والآن هو معدوم وبقى جوهر الماء فوصل إلى النتيجة أن البقاء يكون لشيئ كان حقا وأماالباطل فيذهب جفاء.وفى ضوء هذاالتصوير نأتى إلى صورة أخرى وهى أن الله تعالى أنزل القرآن وسالت هدايته إلى القلوب فهى قبلت أحكامه حسب ظروفها وآمنت بالله تعالى وجرى الصراع بين الحق والباطل فرأى الرائى أن الباطل قد ظهر على الحق ولكن ما كان هذا الظهور إلا مثل الرغوة المستعلية على الماء لبعض الوقت ثم غُلب أمام الحق أبدا. والإيمان والماء من الأشياء التى يمكن الانتفاع بها فى الدنيا والآخرة.

وأما المثال الثانى فهو تشبيه الحق بالمعادن الموجودة فى الأرض فالمشبه به مركب من المعادن الأرضية ووضعها فى النار لتُجعل قابلة للنفع ثم استعلاء الخبث والوسخ عليها لبعض الوقت ثم بقاء المعادن وزوال الخبث وهذاأيضا من تشبيه المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس كمامر فى المثال السابق. قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى:

> والمثل الآخر:(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية) يقول جل ثناؤه: ومثلٌ آخر للحقّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به،(زبد مثله) ، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلا والنحاس، فالماء يمكثُ في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس (كذلك يضرب الله الأمثال) يقول: كما مثَّل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.[661]

ووجه الشبه فى هذاالمثال الثانى نفس الوجه فالمعادن تستخدم للحلى واتخاذ الآنية.فهى أشياء باقية تنتفع بها وأما الخبث فينتهى بعدقليل.الآن نأتى إلى الأسرار البلاغية الكامنة فى هذاالتشبيه:

- يستفاد من هذاالتشبيه أن الباطل كان جذابا فى الظاهر ولكن إذابحثت عنه فلن تجد شيئا كما أن الرغوة المستعلية على الماء تُرى أنها هى أصل الشيئ ولكن بعد قليل تجف فتأتى إلى الحالة الأصلية وهى العدم.
- ونتيجة لهذا فالكفر وهو أبطل الأباطيل قد يغلب على الحق وييأس بعض أهل الحق من نصر الله تعالى ويفرح أساطين الكفر لأن هذه الغلبة تعنى عندهم أن الدعاوى التى هى عند المسلمين من غلبة الحق وخذلان الكفر ليست بصحيحة.ولكن سرعان ما يكشف عن أعينهم غطاء الجهل سيرون بأعينهم فى هذه الدنيا أو فى الآخرة أن العاقبة للمتقين.
- وكلمة فاحتمل تدل على أن الزبد من الأشياء العارضة للماء فهكذا الهداية هى أصل الشيئ وأما الكفر والعقائد الضعيفة من العوارض التى تنشأمن أمور مختلفة من عدم الفهم والعناد وغير ذلك التى تجرى الناس على الصراط المنحرف عن الصراط السوى.
- وهكذا فى فيذهب جفاء إشارة والله تعالى أعلم أن الباطل من خصوصيته أنه ينتهى بنفسه وإن لم يكن هناك شيئ دافع له فالله تعالى يدفعه بتدابيره السماوية وما ذلك على الله بعزيز.
- ولايخفى ما فى تشبيه الإيمان بالماء والحلى والمتاع من الحسن فى مقابلة الزبد والخبث لأن من له أدنى شعور لايحتاج إلى إفهام ان الماء شيئ مستحسن فى مقابلة الزبد وهكذا فى مقابلة الخبث.

ويصور الله تعالى من ينقض الأيمان بعد توثيقها فى صورة المرأة التى كانت تغزل الصوف ثم تنقضه بعدما تبرمه وكانت امرأة بمكة حمقاء[662]فيقول:"وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[663]فالمشبه فى هذاالتشبيه هو حال من ينقض الأيمان وهو مركب من إبرام الأيمان وخداع الغير ونقض الأيمان وكل هذه الأشياء من الأمور التى لاتدرك بالحواس الخمسة فهى عقلية والمشبه به وهوحال المرأة الحمقاء التى كانت تغزل غزلا فتنقضه وهو أيضا مركب من عدة أمور وهى الغزل بقوة ونقض ذلك الغزل وهذه الأشياء تدرك بحاسة البصر فهى حسية فهذا من تشبيه المركب بالمركب وتشبيه المعقول بالمحسوس. "ووجه الشّبه الرجوع إلى فساد بعد التلبّس بصلاح." [664]ففى هذاالتشبيه تتراآى أمامنا صورة المرأة الحمقاء وهى تعمل كل يوم فتفتل الغزل من الصباح إلى المساء بدقة وإتقان وتلاحظ فيه القوة وجعلت الجوارى التى معها تعاونهافى هذاالعمل فهى تشرف على عمل الجوارى وتعمل بنفسها وفى المساء تفوز هى والجوارى معها بإكمال

العمل بإتقان وقوة فتأمرهن مرة أخرى أن تنقض ماغزلته طول اليوم وتستمر فى هذاالعمل طول حياتها والآن نأتى إلى صورة أخرى فى ضوء هذه الصورة فنرى أن قبائل العرب يحالفون الحلفاء ويوثقون عهودهم بالأيمان وهم فى هذه الحال إلى أن تتراآى أمامهم قبيلة أخرى أقوى من الأولى فتترك القبيلةالأولى ويحالفون مع هذه الثانية. قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى:" كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم، فنهوا عن ذلك."[665] فأفاد هذاالتصوير تقبيح المشبه لأن المشبه به كانت امرأة حمقاء وعملها كان مثيرا لسخرية الناس.ففى ضوئه نجد من الأسرار البلاغية مايلى:

- فيه تسخيف لعقولهم لتشبيههم بامرأة كانت مضرب المثل فى الحمق على أن النسوة ناقصات العقل. فالتشبيه بمن هى منهن فى غاية الحمق يشير إلى أن عمل هولاء الناس يدل على أنهم ناقصوالعقل مثلها.قال العلامةالآلوسى رحمه الله تعالى:" ففي الآية تشبيه حال الناقص بحال الناقص في أخس أحواله تحذيراً منه وأن ذلك ليس من فعل العقلاء وصاحبه داخل في عداد حمقى النساء"[666]
- ثم عملها الذى شبه به عملهم فى منتهى الحمق فكما أنها كانت تبذل قواها كما تدل عليه كلمة "بعد قوة" فى العمل الذى كانت تنقضه فهكذا هؤلاء لناس تبذل قواهم فى عمل ينقضونه وليس هذامن فعل العقلاء.
- ومن الواضح أن التشبيه لايكون من كل الوجوه فهناك شيئ فارق بينهم وبينها وهو أن المرأة ماكانت تريد أن تغدر أحدا بل كانت تفعل هذا لحماقتها ولكن هؤلاء الناس يفعلونه للغدر والخيانة مع القوم الذى حالفوه'فهذاالوصف تزيد فى تشنيعهم وقباحتهم.

ويبين الله تعالى تقوية الإسلام والمسلمين بعد أن كان المسلمون فى قلة فازداد عددهم يوما فيوما فكثروا وتقووا فبقوتهم وعزتهم تقوى الإسلام فيقول الله تعالى:

> محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما[667]

شبه الله تعالى حال المسلمين بحال الزرع فالمشبه هو حال المسلمين وهو مركب من بداية المسلمين وقلتهم فى ذلك الوقت و تقويهم بمرور الزمن يوما فيوما وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك التقوية وسخط الكفار

بذلك.وكل هذه الأشياء لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما المشبه به فهو حال الزرع وهو مركب من إخراج الزرع فراخه وتقوية ذلك الفراخ واستواؤه على سوقه وفرح الزراع لأجل هذه التقوية وهذاالاستواء ونرى أن كل من هذه الأشياء المذكورة فى المشبه به تدرك بحاسة البصر فهذا التشبيه من قبيل المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس. ووجه الشبه هو تقوية الشيئ بعد أن كان ضعيفا بمرور الزمن وهذاالتشبيه من أروع التشبيهات فى تصوير قوة المسلمين بعد ضعفهم فنرى فى ضوء هذاالتصويرالذى رسمه الله تعالى فى هذاالتشبيه صورة الزارع زرع الحبة فى الأرض فانشق عنها الأرض وأخرجت تلك الحبة فراخا ضعيفا ماكان أن يستوى على سوقه ويواجه أمواج الرياح ولكن بمرور الزمن يتقوى ذلك الفراخ فيستوى وتأتى الغلظة فى سوقه والآن هو صالح أن يقوم بنفسه بدون معاونة شيئ آخر ولما رآه الزارع فى هذه الحالة فرح فرحا شديدا والآن فى ضوء هذه الصورة تتراآى أمامنا صورة أخرى وهى صورة بداية الإسلام والمسلمين كان المسلمون فى قلة وضعف ماكانواصالحين أن يدافعوا عن الإسلام وعن أنفسهم فماكانوامستوين على سوقهم وماستطاعوا أن يواجهوا الفتن التى أحدثها المشركون أمامهم ولكن كان الناس يدخلون فى دين الله وعز الإسلام بكثرة المسلمين ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم بعزتهم وقوتهم.وإذاتركنا الصورة العامة لهذا التصوير وأتينا إلى الأسرر البلاغية لتراآت أمامناالأسرار الآتية:

- نسب إخراج الفرخ إلى الزرع لاإلى زارع فربماتكون فيه الإشارة والله تعالى أعلم أنه كما ينتهى عمل الزارع بعد وضع الحبة فى التراب وخروج الزرع وعدم زرعه ليس فى يده بل الله تعالى هو الذى يُكمل عملية الزرع من تشقق الأرض وتقوية الزرع وإثماره فهكذاالرسول صلى الله عليه وسلم فرضه أن يدعوالناس إلى الإسلام وأما هدايتهم إلى الصراط المستقيم فليس فى يده بل الله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم.ولهذا إذا رآى أن الله تعالى بارك فى عمله وقد قوى المسلمون واستوواعلى أسواقهم ففرح بذلك.
- ويستفاد من هذاالتشبيه أن الداعى إلى الله تعالى يثاب بكل مايترتب على بذرحبته فى حقل الإسلام من النماء فى أعمال المسلمين وله فضل وضعهم على الصراط المستقيم فكل ما يعمله المسلمون الذين ينتمون إلى تلك الحبة التى وضعها هذاالداعى يصل إليه ويوضع فى كفة ميزانه يوم القيامة.ولهذا فهو يفرح بإثمار حقله.
- فيه تحسين المشبه به وهذاالتحسين يسرى من المشبه به إلى المشبه وتقبيح حال الكفار من غيظهم على المسلمين قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وقوله : { يعجب الزراع } تحسين للمشبّه به ليفيد تحسين المشبه."[668]

ويصور الله تعالى الحيوة الدنيا فى صورة الغيث النازل من السماء فاختلط به نبات الأرض واخضرت الأرض فجاءها أمر الله تعالى فهاجت ويبست فيقول تعالى:"اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[669]المشبه هو حال الحياة الدنياوهو مركب من أول أطوار الحياة وإقبالها ثم انتفاع الناس بإقبالهاواكتمال أحوال الحياة وقوة الكهولة ثم ابتداء الشيخوخةثم الهرم وزوال كل ما كان مع المرء ونرى أن هذه الأحوال الطارئة على أهل الدنيا من بهجة الحياة وزوالها وإقبال الكهولة والشيخوخة وإدبارهما من الأشياء التى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل وأما المشبه به فهو مركب من النبات والزراع وهياج الزرع واصفرار الزرع وزواله وتحطمه وكل هذه الأشياء تدرك بحاسة البصر فهذامن تشبيه المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وهذا التمثيل مع كونه تشبيه هيئة مركّبة بهيئةٍ مثلها هو صالح للتفريق ومقابلة أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها ، فيشبَّه أول أطوار الحياة وإقبالها بالنبات عقب المطر ، ويشبّه الناس المنتفعون بإقبال الدنيا بناس زُراع ، ويشبّه اكتمال أحوال الحياة وقوة الكهولة بهياج الزرع ، ويشبّه ابتداء الشخوخة ثم الهرم وابتداء ضعف عمل العامل وتجارة التاجر وفلاحة الفلاح باصفرار الزرع وتهيئه للفناء ، ويشبه زوال ما كان للمرء من قوة ومال بتحطم الزرع.[670]

ووجه الشبه هوالازدهار فى الظاهر وسرعة الزوال.ففى ضوء هذاالتصوير المرسوم من الله تعالى نرى صورة الزرع يكون فى بداية أمره ضعيفا مضمحلا فأنزل الله تعالى المطر من السماء وسرى ماء السماء من عروق الأرض إلى الزرع فبدأ تقوى رويدا رويدا واخضر اخضرارا مسرا للزراع ولكن مااستمر هذاالاخضرار وهذه البهجة بل انتهى الوقت الذى كان محددا لاخضرار ذلك النبات فاصفر ومابقى محلا للراجين فأعرضواعنه وفى ضوء هذه الصورة نرى صورة أخرى وهى صورة الحياة الدنيا فى بداية الطفل الذى يحتاج فى كل أموره وبمرور الزمن يتقوى جسمه فيحبو ثم يجرى ويعدو حتى يتحول فى إنسان كامل فيفى حاجات نفسه وغيره بنفسه فيعطى له من كل أنواع النعم والحياة أمامه كالجنة الخضراء يسكن فيها ويعدوالوقت إلى منتهاه بسرعة وهو لايعرف فإذا هو محروم من تلك النعم وهو يجرى بالسرعة إلى الشيخوخة وهذا آخر أفق للحياة فتغرب منه.قال العلامة السعدى رحمه الله تعالى:

ثم ضرب للدنيا مثلا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه."[671]

والآن نأتى إلى الأسرار البلاغية لهذاالأسلوب:

- صور الله تعالى زوال نعيم الدنيا وبهجتها بأروع صورة لأن هذه الصورة عملية يمر بها كل إنسان فى حياته فالطفل يرى المرحلة التى يمر بها ومرحلة الرجال والشيوخ والزوال وهكذا الرجال مروابمرحلة الطفولة وحاليا هو يمر بمرحلة الرجولة ومرحلة الشيخوخة والزوال أمام عينيه والشيخ قد وصل إلى آخر مرحلة وأمامه مرحلة العدم يرى أن أكثر أصحابه قدفنوا وهو بهم من اللاحقين.
- وأفادت هذاالأسلوب سرعة زوال الحياة الدنيا لأنها قد شبه بشيئ هو يزول سريعا لأن مدة الاخضرار قليلة بالنسبة إلى المدة قبل الاخضرار والاصفرار فمدة البهجة قد أحيطت بمدة الضعف والزوال.فهذه هى حقيقة الدنيا.
- وفيه أيضا إشارة إلى حب الناس مع الدنيا وبهجتها كما أن الناس يحبون النبات الأخضر وفى نفس الوقت إشارة إلى أنه لاينبغى أن يحب الناس الشيئ الزائل بالسرعة وحضهم على الاستعداد لما بعد الموت.
- ولايخفى أن فى هذاالتشبيه بيان أن الكفار هم الذين يحبون الحياة الدنيا وهذا ليس من دأب المسلمسن فينبغى للمسلمين أن لاتعجبهم بهجة الحياة الدنيا بل لابد أن تعجبهم الحبات النامية التى قد بذروها فى حقل الدعوة إلى الله تعالى كما مر فى إعجاب الرسول صلى الله عليه وسلم حين رؤيته الحبات النامية من المسلمين فى حقل دعوته.

ويصور الله تعالى من يعبد غير الله تعالى فى صورة بناء العنكبوت بيتا ضعيفا الذى يزول حتى بالهواء الخفيف فيقول تعالى:"مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[672] قال صاحب التفسير المنير:"تشبيه تمثيلى شبه الكفار فى عبادتهم الأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتا ضعيف النسج قابلا للاختراق والزوال بنفخة

هواء"[673]فيه تشبيه حال الكفار وهو مركب من عبادتهم غير الله وضعف هذه الآلهة ثم زوال هذه العبادة بسرعة وكل هذه الأجزاء لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة والمشبه به هو حال العنكبوت وهو مركب من بنائه بيتا وضعف ذلك البيت وعدم استقراره أمام الشيئ الزائل الخفيف وهذه الأشياء تدرك بحاسة البصر فهذامن تشبيه المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس.ووجه الشبه هناعدم الانتفاع بما عمل وزواله فكما أن العنكبوت عمل لنفسه البيت ليسكن فيه ويتقى من الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء فبدأ يسكن فيه فى مشقة وعناء لأنه لم يتق من الحرولامن البرد وكان فى كل وقت فى خوف العدو ولكن مع ذلك سكن فيه حتى جاءت الريح وأطارت بيته فهو ماانتفع ببيته إلاإلى وقت الريح المزيل لذلك البيت فهذاالنفع كان فى خياله لافى الحقيقة بل كان يظن كذلك لعدم العائق فى سبيل ذلك النفع فإذا جاء العائق زال البيت هكذا هولاء العابدين الذين جعلوا غير الله آلهة يرجون أن آلهتهم سينصرونهم إذااحتاجوهم وصاروايسكنون فى الجنات الخضراء المتخيلة فعبدوهم ودعوهم فى حوائجهم ولكن إذا جاء عذاب الله تعالى لم ينصروهم ولم يجيبوهم ففى الحقيقة هم لم ينتفعوا بآلهتهم وبنصرتهم ولكن كانو يخالون أن آلهتهم سينصرونهم إذااحتاجوهم فإذااحتاجوا ظهر أنهم ليس فى شيئ من النفع حتى هم لايدفعون عن أنفسهم شيئا.قال العلامة الخازن رحمه الله تعالى:" كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً لنفسها تأوي إليه وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حراً ولا برداً فكذلك الأوثان لا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً" [674]ونرى من الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب ما يلى:

- فى تشبيه آلهتهم ببيت العنكبوت تقبيح المشبه وهو يقتضى تقبيح المشبه به لأنهم اتخذوا آلهة وهم فى غاية الضعف حتى لايستطيعون أن يدفعواعن أنفسهم شيئا فكيف عن عابديهم وهذا من مشاهدات كل واحد فى هذه الدنيا فالوصول إلى مثل هذه الحماقة الواضحة يستدعى تسخيف عقول العابدين وبالتالى تقبيحهم.
- ثم فى هذاالتشبيه إشارة إلى أن الهدف الأساسى من اتخاذالبيت هو الاعتصام فلابدأن يكون البيت قويا مأمونا من الزوال والاختراق ويكون كالحصن الحصين فاتخاذمثل هذاالبيت شيئ يستقبحه كل أحد له عقل وشعور.
- ثم لايخفى أن فيه إشارة إلى أن المشركين ليسوا من عظام الناس الذين يعملون الأعمال العظيمة فتكون صغيرة فى أعينهم وأما هؤلاء الناس فعملوا عملا ضعيفا وهو اتخاذهم غير الله تعالى آلهة مثل بناء بيت العنكبوت ولكنه عظيم فى أعينهم ولهذاهم اتخذوا هذاالعمل لعصمتهم التى تقتضى القوة الكثيرة.

- ومن هذاالتشبيه وضحت الموازنة بين الأديان فكما أنه ثبت بالاستقراء أن أوهن البيوت فى الدنيا هو بيت العنكبوت فهكذا أضعف الأديان هو دين الوثنية.قال العلامة الخازن رحمه الله تعالى:

> وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتاً من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص أو نحته من صخر فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لأنها لا تضر ولا تنفع وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت أشار إلى ضعفه فإن الريح إذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون[675]

وقد صور القرآن الكريم الكيفية النفسية للمشركين حين أعرضواعن القرآن وعن نصيحة الناصح من النفرة للناصح والخوف عن النتائج الكامنة فى صورة إقباله على نصيحته.فقال:"كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ "[676]فشبه فيه حالة إعراضهم المتخيلة بحالة فرار حمرنافرة مما ينفرها من الرماة أو الأسد على اختلاف الرأيين وكل من المشبه والمشبه به مركب أما المشبه به وهو حالة الحمر المستنفرة فقد ركبت من الحمر وفرارها والأسد أو الرماة وخوف الحمروأما المشبه وهو إعراض المشركين فمركب من الناصح ونصيحته من القرآن والمشركين وإعراضهم المشوب بالخوف والرعب فهذامن قبيل تشبيه المركب بالمركب ثم إعراض المشركين عن القرآن شيئ معنوى لايدرك بإحدى الحواس الخمسة وقد شبه بفرار الحمر من الأسد وهو شيئ يدرك بحاسة البصر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.ووجه الشبه هو الإعراض هذامن الأسد وذلك من القرآن وظهر مماذكر أن وجه الشبه منتزع من متعدد قال صاحب التفسير المنير:"تشبيه تمثيلى لأن وجه الشبه منتزع من متعدد."[677] وإذا أتينا إلى التصوير الذى رسمه الله تعالى لإفهام عباده فى هذاالتشبيه التمثيلى نرى صورتين:الأول صورة المشركين إذ أتاهم ناصح من الله تعالى وفى قلبه إخلاص لذلك المشرك وكان يريد لذلك المشرك طريقا موصلا إلى الجنة ولكنه أعرض عن نصيحته وزعم أنه جاء ليضره.ثم نرى صورة أخرى التى هى بمنزلة المرآة للصورة الأولى وهى صورة الحمر التى خافت الأسد ففرت منه نفرة له وخوفا منه.فإذابحثنا عن خبايا هذاالتصوير لنجنى من ثمراته ومحاسنه لنرى:

- أن الله تعالى قرّب فهم ما فى ضمير هؤلاء الناس فلسنا فى احتياج أن يُشرح لنا مزيدا من الكيفيةالنفسية لهؤلاء المشركين.فأمامنا التصوير ونحن نستطيع أن نرى كل شيئ فى هذاالتصوير.

- ولايخفى مافى هذاالإعراض النفرة المشوبة بالخوف لأن الحمار حينما يرى الأسد يكون أخوف.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى: "الحُمر : جمع حمار ، وهو الحمار الوحشي ، وهو شديد النفار إذا أحس بصوت القانص"وبجانب آخر استدعى الدعوة إلى الله تعالى وإلى القرآن جرأة مثل جرأة الأسد كى يتحمل المشاق الحادثة فى هذاالسبيل.
- ووجه خوف المشرك هو القوارع التى وجدت فى القرآن الكريم فى صورة الترهيب والتنديد.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"على هذا فهو تشبيه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برُعْب مما تضمنته قوارع القرآن"[678]

ونلاحظ كيف صور الله تعالى إنفاق الكفار وضياعه لعدم وجود الأساس وهو كون المنفق مسلما فى صورة حرث أصابه ريح شديدة البرودة فأهلكته ولم ينتفع الزراع به فقال تعالى:"مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"[679] أى حال ما ينفقه الكفرة قربةً أو مفاخرةً وسُمعةً أو المنافقون رياءً وخوفاً كحال ريح فيها بردشديد أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر فأهلكته ففيه تشبيه حال ماينفقه الكفرة وهو مركب من كون الشيئ منفَقا والنية فى إنفاقه من القربة أوالسمعة وكون المنفق كافرا أومنا فقابحال ريح فيها صر وهو أيضا مركب من الريح والصر وإصابة حرث قوم وإهلاك الحرث ففيه تشبيه المركب بالمركب ثم الإنفاق المتصف بصفة كونه للقربة أوالسمعة وكون المنفق فى حالة الكفر أمور لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل وأما كون الريح الباردة المصيبة إلى حرث قوم من الأمورالتى تدرك بحاسة البصر والمس فهذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس. قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"فشبّه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرُها ، المخيِّب آخِرُها ، حين يحبطها الكفر ، بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، تشبيه المعقول بالمحسوس"[680] ووجه الشبه هوالضياع وعدم الانتفاع قال صاحب البحرالمديد:" تشبيه نفقتهم وأعمالهم في تلفه وضياعه وعدم الانتفاع به ، بحرث كفار ، ضربته ريح فيها برد فاجتاحته ، فأصبح صعيداً زلقاً ، ولم تبق فيه منفعة في الدنيا والآخرة"[681] ونرى فى هذاالتشبيه أن وجه الشبه قد انتزع من عدة أمور لامن شيئ واحد فهو التشبيه التمثيلى.فنرى فى هذاالتصوير صورتين: صورة المنفق الكافر وصورة الزارع الذى لم ينتفع بحرثه'أما صورة المنفق الكافر فهو ينفق ماله سواء بنية القربة أوالسمعة وليس له أساس لقبولية أعماله عند الله تعالى وهو يزعم أنه سيأكل من ثمرات إنفاقه فى المستقبل ولكنه إذا تقدم أمام الله تعالى للحساب يوم القيامة فلم يجد شيئا وصار يقلب كفيه على ما أنفق بدون الأساس.ثم نرى صورة اخرى وهى أصل ومرآة للصورة الأولى وهى صورة الزارع الذى زرع حرثا وأتعب فيه وهو يرجو أن يثمر فى المستقبل ولكن إذاأينع وحان قطافه فجرت الريح الشديدة البرودة وأصابت الحرث فأهلكته ولم يبق له شيئ منه ينتفع به.ففى

هذاالتصوير يتراآى لنا يأس شديد وحزن ليس فوقه حزن من الكفار المنفقين لأنه قد بذلواجهودهم فى سبيل المستقبل بأن يقطفوا ثمرات أعمالهم التى عملوها فى الدنيا مع الرجاء الكامل لثواب الأعمال التى عملوها قربة ونرى فى هذاالتصوير أن العاملين الكفار ليست لهم فرصة أن يعيدواأعمالهم على طريق سوى لأنهم فى دار الجزاء وهذاالحزن واليأس إذارأوا أن هناك ناس من الكفارلم يعملوا شيئا فى الدنيا وليس بينهم وبينهم فرق فى الجزاء.وإذاتركنا هذه الصورة العامة وأتينا ألى الأسرار البلاغية لازالت متعلقة بأهداب هذه الصورة لنرى:

- فى ضوء هذاالتشبيه وصلنا إلى النتيجة أن هؤلاء الكفار قدعلقوا أطماعهم بشيئ زائل بسبب كفرهم كما أن الزراع قد علقوا أطماعهم على شيئ زائل بسبب الريح الشديدة الباردة التى هبت بسبب ظلم الزراع. قال أبوالسعود رحمه الله تعالى:"بيانٌ لكيفية عدمِ إغناءِ أموالِهم التي كانوا يعوِّلون عليها في جلب المنافع ودفع المضارِّ ويعلِّقون بها أطماعَهم الفارغة"[682]
- و وصفهم بالظلم يوحى أن الإهلاك علامة سخط الله تعالى فاليأس والحزن الذان يحدثان بسبب هلاك أموالهم مشوبان بالخوف فهذامظهر من مظاهر سخط الله تعالى وغضبه'قال أبو السعود رحمه الله تعالى:"وإنما وُصفوا بذلك لأن الإهلاكَ عن سَخَط أشدُّ وأفظع"[683]
- فى تشبيه إنفاقهم بحرث القوم إشارة إلى أن ظاهر إنفاقهم معجب كما أن ظاهر حرثهم معجب وهذاالإعجاب قد سينتهى بتخييبه فى الآخرة إذا أحبطه الله تعالى بسبب كفرهم ففيه تشبيه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرُها ، المخيِّببِ آخِرُها ، حين يحبطها الكفر.[684]
- وقوله تعالى" ظلموا أنفسهم" ليس من صميم التشبيه لأنه ليس من الهيئة المشبه بها ولكن له دخل فى تفظيع الصورة المشبهة وتشويهها وهو كما ذكرت أن فيه إيحاء أن الإهلاك قد حدث بسبب ظلمهم فهذا من مظاهر سخط الله تعالى وغضبه.وفيه تذكير للسامعين.[685]
- وفيه إشارة إلى أن الله تعالى لا يظلم أحدا من عباده أن يضيع أعمالهم من غير سبب بل العباد هم الذين تسببوا لهذاالتضييع كما أن الزراع قد تسببوا لهلاك حرثهم بسبب كفرهم.[686]

ثم صوراللهِ تعالى كراهية المؤمنين القتال فى صورة من سيق إلى الموت وهو ينظر إلى الموت فهذه الكراهية من المؤمنين كانت إذعلمواأنهم خرجوا للقتال مع المشركين مع أنهم خرجوا للعير وهذا كان يوم بدرفقال تعالى:"يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ"[687] أى يجادلك يامحمد صلى الله تعالى فى القتال وهوالحق بعد ما أيقن المؤمنون به "وقالوا: لم تعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للعير، فذلك جدالهم

بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك، وتبين صدقك في الوعد" [688]وكرهوا هذاإلى حد كأنهم يساقون إلى الموت' فالمشبه هنا كراهية المؤمنين القتال وهو مفرد والمشبه به وهو سوقهم إلى الموت فمركب من السوق إلى الموت ورؤيتهم الموت فهذامن تشبيه المفرد بالمركب ثم كراهيتهم للموت شيئ لايدرك بإحد ى الحواس الخمسة وأما السوق إلى الموت فشيئ حسى ورؤية الموت شيئ متخيل فهو أيضا من الحسى فهذامن قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس. ووجه الشبه هوالخوف فى كل من كراهية القتال مع المشركين لقلة عدد المسلمين وكثرة عدد الكفار وفى السوق إلى الموت المتيقن.ووجه الشبه منتزع من أمور متعدد وهى السوق إلى الموت ورؤية الموت المتيقن والخوف فى القلوب فهو من التشبيه التمثيلى. ففى التصوير الذى رسمه الله تعالى فى هذاالتشبيه نرى صورة المسلمين الذين خرجوا للعير القادم من الشام إلى المكة المكرمة وكانوا فرحين بالغلبة الموعودة فى القرآن ثم علموا أن عليهم أن يقاتلواالمشركين فكرهوا ذلك لظنهم أنهم يقابلون الموت المتيقن ثم نرى صورة أخرى وهى صورة من يساق إلى جانب هو لايريد أن يذهب هناك لأنه رآى الموت المتيقن فهو يخاف أن يقابل الموت فهو يتثاقل إلى الأرض يجر أرجله على الأرض والناس يجرونه إلى ذلك المكان.وهذه الصورة الثانية فى الحقيقة مرآة لرؤية الصورة الأولى فيها فنرى الخوف واليأس من الموت فى قلوبهم ونرى أن صورة الموت تخوّفهم فهم لايستعدون للقتال مع المشركين ولكن ليس لهم الخيرة من أمرهم إذاقضى الله ورسوله أمرا فينقادون للقتال مع المشركين.الآن نأتى إلى بعض من الأسرار البلاغية التى كمنت فى أهداب هذاالتمثيل:

- هذه الصورة تدل على الخوف الشديد فى قلوب المسلمين لأن الإنسان بفطرته البشرية يخاف الموت لاسيما إذاكان موجودا على وجه اليقين فهذايصور الكيفية القلبية للمسلمين بما فيه من الخوف واليأس الشديدين.
- وهذاالتشبيه أفاد أن الكراهية من المسلمين ماكان من عدم الانقياد لأحكام الله تعالى أوالشك فى وعد الله تعالى بل كل ماحدث كان من الخوف والدهشة فرأوا فى هذاالقتال موتا يقينيافكرهواأن يقابلواالموت من غير استعداد.
- ولايخفى مافى تشبيه حالهم بحال من يساق إلى الموت مبالغة لأنه يساق إلى الموت الذى لاشك فيه أما هؤلاء الناس فليس أمامهم موت متيقن بل هو موت مظنون لأنه ليس من الضرورى فى مثل هذه الحالات أن يموت كل الناس أو بعضهم بل هذه تعدمن أسباب الموت والأسباب قد تخطئ وقد تصيب ولكن جعله المؤمنون موتا يقينيا. [689]
- ففيه توبيخ للمسلمين لأن القتال مع الكفار ماكان سببا للموت اليقينى كما قلت على أن الله تعالى وعده بنصرته وإن الله لايخلف الميعاد.وهذاالذى

إشير إليه بقوله تعالى"بعد ما تبين" ومعناه "بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به." [690]

- ثم قوله وهم ينظرون تدل على بشاعة المنظر " لأن حالة الخوف من الشيء المخوف إذا كان منظوراً إليه تكون أشد منها لو كان يعلم أنه يساق إليه ولا يَراه ، لأن للحس من التأثير على الإدراك ما ليس لمجرد التعقل" [691]

ويبين الله تعالى مضاعفة ثواب الإنفاق فى سبيل الله تعالى فيقدمه فى صورة التمثيل البديع فيقول:"مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ*" [692]مثل الله تعالى الذين ينفقون فى سبيل طاعة الله بمن ينبت حبة وهى أنبتت سبع سنابل وكل سنبلة تكونت من مائة حبة فتكثرت الحبة إلى حبات كثيرة وكذلك يتضاعف ثواب العمل. والله تعالى يضاعف لمن يشاء فهوواسع الفضل وعليم بمن يستحق وبمن لا يستحق.[693] فى هذاالتشبيه حذف المضاف فى جانب المشبه فتقدير الكلام:مثل صدقات الذين ينفقون ....[694] فالمشبه هو"صدقات" وهو مفرد وهولايدرك بإحدى الحواس الخمسة فعقلى والمشبه به هو "حبة " ولكنه قدركب مع الأشياء الأخرى وهى إنبات السنابل ووجود الحبات فى سنبلة واحدة فالمشبه به مركب وهو يدرك بإحدى الحواس فحسى.فالتشبيه فى هذه الآية مفرد مركب عقلى حسى.ثم أداة الشبه مذكورة فهو غير بليغ أما وجود الشه وهو منتزع من عدة أمور وهى تضاعف الشيئ القليل وتطوره إلى المراحل المختلفة بسبب الشروط التى روعيت فى كل من المشبه والمشبه به . فهى الإخلاص والطاعة فى المشبه وطيب التربة والحبة ونزول الغيث فى المشبه به فهو التشبيه التمثيلى. ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يلى:

- كما أن الحبة أصل فى التمثيل للتضاعف وأن تضاعفها من ذاتها لا بشيئ يزاد عليها على أن هناك الأشياء المعينة فى صقل هذين الشيئين من الإخلاص وطيب التربة وغيرهما.[695]
- شبه تضاعف الصدقات بتضاعف الحبة وتضاعف الحبة مشروط بكونها فى أرضة طيبة التربة فكذلك تضاعف الصدقات مشروط بكونهامنفَقة بصدق النية والإخلاص.
- لو وقفنا أمام هذاالتشبيه بعض الوقت لجنينا أكثر من ثمارها فإن القرآن الكريم بحر لاينفد محتوياته وعلومه فهذاالأسلوب يوحى أن عمل التضاعف عمل مستمر حتى ولو انقطع عمل المتصدق وعمره كما أن الحبة تنقسم فى الحبات الكثيرة فى زرع واحد ثم كل من الحبات المستفادة من هذاالزرع تنقسم فى الحبات الأخرى وهكذا تصل إلى ملايين من الحبات فهكذا الصدقات تتبدل فى أشياء كثيرة ثم هذه الأشياء فى الأشياء الأخرى.

- لننظر إلى التصوير المستفاد من هذاالتشبيه كيف صوراللهتعالى تضاعف الصدقات بتشبيهها بتضاعف الحبة المنبتة فى أرض طيبة.
- و ضح الله تعالى شيئا عقليا وإمكانيتة بتشبيهه بشيئ حسى يراه كل واحد لا يستطيع أحد أن ينكره.
- فيه قبول النفس النصيحة من الله تعالى على وجه البصيرة ففيه إيصال الفهم إلى أعماق القلوب.

وبين الله تعالى كلمة التوحيد وكلمة الكفر فشبههما بالشجرتين الطيبة والخبيثة فقال تعالى:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ[696]

ففى هاتين الأيتين تشبيهان: الأول تشبيه الكلمة الطيبة وهى كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة والثانى تشبيه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة أولانأتى إلى التشبيه الأول وهو تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فالكلمة الطيبة هى كلمة التوحيد اومعرفة الله تبارك وتعالى قد شبهت بالشجرة الطيبة ولايهمنا أية شجرة هذه فهناك أقوال فى هذه الشجرة فقيل إنها شجرة النخل وقيل هى شجرة فى الجنة [697]قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها ، فإنا نعلم بالضرورة أن الشجرة الكذائية يسعى في تحصيلها وادخارها لنفسه كل عاقل سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل ."[698] فكل مايهمنا أنها شجرة متصفة بالصفات المذكورة فى القرآن الكريم فالمشبه مفرد والمشبه به قدركب من عين الشجرة وكونها ثابتة الأصل وعالية الفروع ودائمة الثمرات فهو من تشبيه المفرد بالمركب ثم المشبه لايدرك بإحدى الحواس الخمسة لأنها هى الكلمة التى ثبتت فى قلوب الموحدين والمشبه به من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر فهذامن تشبيه المعقول بالمحسوس. ووجه الشبه هو الرسوخ والانتفاع وهو منتزع من عدة أمور لا من الكلمة أو الشجرة بل من الهيئة المكونة من أشياء كثيرة.فالآن أمامنا صورة الشجرة الطيبة قد ثبتت جذورها فى الأرض الطيبة وثمراتها بعيدة من الدنس والقذر لأن فروعها عالية ثم نرى أن ثمارها تكون كل حين فهى لاتقطع ثمارها وفى ضوء هذه الشجرة نرى المشبه به وهو كلمة التوحيد فهى طيبة لذة ووجدانا وهى تكون راسخة فى قلب المؤمن وليست فقط فى فمه وأغصان هذه الكلمة صاعدة إلى الله تبارك وتعالى.وإن كان المراد به معرفة الله تعالى كما قاله الإمام الرازى فهى طيبة إلى درجة لايساويها شيئ فى الطيب واللذة وهى

تكون فى أعماق قلب العارف وأغصانها صاعدة إلى الله تعالى.[699] وإذاأتينا أن نشاهد من الأسرار البلاغية الأخرى فنرى:

- للغوص فى بحر التوحيد لذة لاتساويهالذة لأن الكلمة الطيبة تشير إلى أنها كشجرة يستطاب طعم ثمارها والنظر إليها ولذتها فهكذاالمشبه به ونلاحظ أن هذاالتمثيل للتفهيم وإلا فالعارفين ليس أمامهم شيئ تشبه به معرفة الله تعالى وتوحيد الله.
- وفى اتصاف هذه الشجرة بالثبات إشارة إلى عدم زوال منافع تلك الشجرة لأن الشيئ وإن كان طيبا ولكن إذا خيف زواله فلايحصل فيه الفرح لأن صاحب ذلك الشيئ يخاف زواله فيحزن عليه وبالتالى فثمرات التوحيد ثمرات لاتنقطع' ولذة معرفة الله تعالى لذة تكون أبدا فى هذه الدنيا وفى الآخرة.
- وفى ارتفاع فروع هذه الشجرة إشارة إلى أن ثمارها بعيدة عن كل دنس وقذر فكذلك ثمار كلمة التوحيد ومعرفة الله تعالى بعيدة عن كل نوع من الدنس والقذر.

الأن نأتى الى التشبيه الثانى وهو تشبيه كلمة خبيثة بشجرة خبيثة فالمشبه مفرد كما فى الأول وأما المشبه به فمركب من عدة أمور وهى الشجرة وعدم الثبوت لها فهذا من تشبيه المفرد بالمركب وقد شبه الشيئ المعقول وهو الكلمة الخبيثة باالمحسوس وهو الشجرة فهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه فيه هو عدم الرسوخ وعدم الانتفاع وهو منتزع من عدة أمورلامن الكلمة وحدها ولامن الشجرة وحدهافالآن تتراآى أمامنا صورة الشجرة خبيثة المنظر خبيثة الطعم خبيثة الرائحة ليست لها جذور بل هى امتدت فوق الأرض ويقدر كل واحد على قلع تلك الشجرة بكل سهولة فالكافر يظنه لجهله أن هذه الكلمة تنفعه و بيده شيئ نافع ولكنها شيئ لايستقرُّ ولا يُغْنِي عنه؛ كهذه الشجرة الذي يُظَنُّ بها عَلَى بُعْدِ أو للجَهْلِ بها أنها شيءٌ نافع،وهي خبيثةُ الجَنَي غير باقية .[700]فتنعكس علينا جهالة الكافر بعاقبة الأمور واليأس المخيم عليه من خيب الأمل الذى كان فى قلبه ونرى من الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب كمايلى:

- كما ناقشنا فى التشبيه الأول أن للكلمة الطيبة ثبات لتشبيهها بالشيئ الذى له ثبات فهكذا ليس للكلمة الخبيثة ثبات لتشبيهها بالشيئ الذى ليس له ثبات ومن الواضح جدا أن الشيئ غير الثابت لايطلب ولايبذل فيه الجهد فهذايكفى لتقبيح المشبه.
- ثم لما وجد الكافر فى الآخرة أن الكلمة التى كانت منظورة نظره فى الدنيا هى غير منتفعة وهى كلمة غير باقية مثل الأعمال الصالحة فلا يستطيع هو أن ينتفع بها فى الآخرة قال الماوردى رحمه الله تعالى:" وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ، ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس

له عمل في الأرض يبقى ، ولا ذكر في السماء يرقى ." [701]فبعد هذاالخيب المحشو فى قلوب الكفار نستطيع أن نعرف يأسهم عن المنافع التى كانوايرجونها فى الآخرة وندمهم على اعتقادهم الفاسد والكلمة الزائلة التى كانت لديهم.

- وقرب هذه الشجرة من الأرض يشير إلى كل الأدناس والقذر التى يمكن أن يتعلق بفروعها وأثمارهاكما أن ارتفاع الأغصان كان وقاية للثمار والفروع من كل الأدناس والقذر.

ويصور الله تعالى الحالة النفسية للكفار وقت ضياع أعمالهم حين كانوا فى حاجة شديدة إليها فى صورة الظمآن إذارآى سرابا فحسبه ماء ولكن إذاجاءه لم يجد شيئا وأهلكه الله تعالى.فقال:"وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [702] فشبه الله تعالى أعمال الكفار بسراب متصف بالأوصاف المذكورة فى الآية فالمشبه مفرد إذاروعى ظاهره والمشبه به مركب من السراب وكونها بقيعة ثم حسبانه الظمآن ماء ثم عدم وجدانه أياه شيئا وإتيان عذاب الله تعالى عنده فيُرى من تشبيه المفرد بالمركب ولكن التشبيه فى الحقيقة لحالة المشبه بحالة المشبه به وهما مركبان أماحالة المشبه به فقد ذكر وأما حالة المشبه فهى مركبة من "كدهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها مع ظنهم أنها تقربهم إلى رضى الله ثم تبيّن أنها لا تجديهم بل يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز"[703] فهو من التشبيه المركب بالمركب ’ثم نرى الحالة المشبهة مركبة من الأعمال والحرص على الاستكثار وظنهم أنها وسيلة للتقرب وبعض هذه الأجزاء يدرك بحاسة البصر مثل أعمال الخير التى يعملونها من سقاية الحاج وغيرها وبعضها غير مدركة بإحدى الحواس فتركيب هذه الأجزاء من المعقول وأما أجزاء الحالة المشبه بها فقد جعلها العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى من الحسية فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس’[704] فلعله جعل حسبان الظمآن ذلك السراب ماء تحت بيان الحقيقة من أن هذاالسراب شأنه أن الظمآن يحسبه ماء وإلا فهذا من أعمال القلب التى لاتدرك بالحواس.والله تعالى أعلم. ووجه الشبه هو ضياع شيئ فى وقت يكون صاحبه شديد الحاجة إليه وهذاالوجه قد انتزع من عدة أموركمامرت فى بيان تفكيك أجزاء المشبه والمشبه به.فالآن أمامنا صورة الظمآن فى فلاة لايرجى هناك ماء وفجأة هو ينظر أمامه فيرى سرابا ويحسب أنه ماء فيذهب إليه بسرعة مع ماكان معه من شدة العطش والعطشان كما هو واضح لايستطيع المشى فى تلك الحالة إلا بجهد ولكن الأمل الذى هو عنده من وجود الماء هناك يجعله يصل إلى الماءفإذاوصل هناك لم يجد الماء وبقى العطشان كماكان على أنه أصيب بعذاب من الله تعالى فمن هذه الصورة نحن نستطيع أن نفهم حزنه و يأسه من الماء إلى الأبد لأنه لايمكن له الرجوع من شدة الضعف من العطش.وفى ضوء هذه الصورة تتراآى أمامنا صورة أخرى صورة المشبه

وهى صورة الكفار وهم قد عملواأعمالاتعد صالحة وكانوا يظنون فى الدنيا أنهم سيثابون على ماعملوا فى الدنيا فهذه الأعمال التى هى بمنزلة السراب بدون الأساس وهوالإيمان بالله تعالى كانت تتراآى أمامهم كأنهم أعمال منجية من عذاب الله تعالى وهم فى حاجة شديدة إلى قبولية تلك الأعمال ولكنهم لما قدموا إلى موقف الحساب علموا أن ما زعموه أعمالا منجية من عذاب الله تعالى ماكانت كذلك وكانواقدقدموا أعمالا داعية لعذاب الله تعالى فأدخلهم الله تعالى إلى عذاب بئيس فتُرى على وجوههم آثار الهم واليأس لأنه لايمكن لهم الرجوع إلى الدنيا كى يعملواصالحا.قال العلامة ابن كثيررحمه الله تعالى:" فأما الأول من هذين المثلين: فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام." [705]وبعد أن درسنا الصورة العامة لهذاالتمثيل نأتى إلى الأسرار البلاغية التى مازالت متعلقة بأهداب هذه الصورة:

- كان من الممكن أن يقال وأعمال الذين كفرواكسراب أوعبارة مثل هذا أن تضاف كلمة الأعمال إلى الكفار لأنهاهى المشبه به فى الحقيقة لا الكفار ولكن الله تعالى جعلهم المسند إليهم ثم بنى عليه مسند إليه آخر وهو أعمالهم لأمرين:الأول أن يفيد التشويق فى قلوب المخاطبين إلى معرفة ماسيذكر من شؤونهم ليتقررفى النفس كمال التقرر والأمر الثانى ان يظهر أن للذين كفروا حظاً في التمثيل بحيث لا يكون المشبه أعمالهم خاصة .[706]
- وربما فى التشبيه بالسراب يكون إشارة إلى أنهم فى احتياج شديد إلى الأعمال فهم يشفون صدورهم بالأمانى الكاذبة من شدة احتياجهم وإلا فقد أخبرهم الله تعالى بواسطة الأنبياء أن أعمالهم لن تنفعهم فى الآخرة وهم قد علموا أن كل شيئ وعدهم الله تعالى أنبياء الله قدتحقق فيتحقق لامحالة خبره عن عدم نفعهم أعمالهم ولكن فى وقت الحاجة الشديدة يشفى الناس صدورهم بأمانى كاذبة.

ثم يوضح الله تعالى حال أعمالهم يوم القيامة بتمثيل آخر فيقول:"أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ" [707]شبه الله تعالى حال الكافرين و أعمالهم بحال من هو فى الظلمات الكائنة فى بحر غائر بعيد القعر فتكون فيه ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة القعرفظلمة الأمواج فظلمة السحاب فالمشبه مفرد إذاروعى ظاهره والمشبه به مركب من الظلمات وكونها فى بحر بعيد القعر وتغشية الأمواج إياه ثم تغشية السحاب للأمواج فيُرى من تشبيه المفرد بالمركب ولكن التشبيه فى الحقيقة لحالة المشبه بحالة المشبه به وهما مركبان أماحالة المشبه به فقد ذكر وأما حالة المشبه فهى

مركبة من ظلمة إيثارهم الباطل بعد ظهور الحق وظلمة الطبع وظلمة وظلمة النفوس وظلمة الجهل'قال ابن قيم الجوزية:" مثل الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع الغي والهوى"(الأمثال فى القرآن) وقد سلك المفسرون فى تعيين ظلمات الكفارمسالك شتى فمنها مابينته ومنها ما ذكره ابن عاشور فى تفسيره فقال:

> وهذا التمثيل صالح لاعتبار التفريق في تشبيه أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها؛ فالضلالات تشبه الظلمات ، والأعمال التي اقتحمها الكافر لقصد التقرب بها تشبه البحر ، وما يخالط أعماله الحسنة من الأعمال الباطلة كالبحيرة ، والسائبة يشبه الموج في تخليطه العمل الحسن وتخلله فيه وهو الموج الأول . وما يرد على ذلك من أعمال الكفر كالذبح للأصنام يشبه الموج الغامر الآتي على جميع ذلك بالتخلل والإفساد وهو الموج الثاني ، وما يحف اعتقاده من الحيرة في تمييز الحسن من العبث ومن القبيح يشبه السحاب الذي يغشى ما بقي في السماء من بصيص أنوار النجوم ، وتطلّبُه الانتفاع من عمله يشبه إخراج الماخر يده لإصلاح أمر سفينته أو تناول ما يحتاجه فلا يرى يده بله الشيء الذي يريد تناوله"[708]

وأيماكانت الأجزاءفهو من التشبيه المركب بالمركب ثم نرى الحالة المشبهة مركبة من الأعمال والحرص على الاستكثار وظنهم أنها وسيلة للتقرب وبعض هذه الأجزاء يدرك بحاسة البصر مثل أعمال الخير التى يعملونها من سقاية الحاج وغيرها وبعضها غير مدركة بإحدى الحواس فتركيب هذه الأجزاء من المعقول وأما أجزاء الحالة المشبه بها فهى حسية فهومن تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه عدم الاهتداء إلى المقصود وعدم الحصول على نتيجة سعيه أما فى المشبه فلعدم اهتداء الكفار إلى طريق الحق وعدم رؤيتهم أثر أعمالهم فى الآخرة لأنها جعلت هباء منثورا فكما أن الذى خاض البحرالمظلم فى الظلمات بعضها فوق بعض لحصول هدفه ولكنه لايرى شيئا فى هذه الظلمات فكذلك الرجل الذى يعمل فى تلاطم أمواج الشكوك والعلوم الفاسدة فى قلوبهم لن يرى لأعمالهم أثرا فى الآخرة ولن يهتدى إلى الطريق النيرفى الدنيا.[709]ولاحظنا أن وجه الشبه منتزع من عدة أمور.فالآن أمامنا صورة من خاض البحر البعيد قعره ومحاط بالظلمات من كل جانب وهو يسعى لحصول هدفه ولكن أمام عينيه الظلمات المتراكمة ولا يرى شيئا حتى يده وهو أقرب من كل شيئ إلى صاحبهاوتتكون من هذه الصورة تصويرا مهيبا أمام ذلك السابح مع اليأس الذى فى قلبه لعدم انتفاعه بسعيه فى وجود هذه الظلمات وهذه الصورة تعكس علينا صورة المشبه وهى صورة الكافر الذى يسبح فى ظلمات الكفر والجهل وعدم علمه بجهله فهى صورة مخوفة ومخيبة لصاحبها ثم نرى

فى ضوء هذه الصورة أنه ليس هناك طريق الاهتداء له لانسداد الطرق الموصلة إلى الحق المبين .ثم نأتى إلى المزايا الأخرى لنرى:

- استخدم الله تعالى صيغة الجمع للظلمة وهى تدل على كثرة الظلمات والمرادمنه الشدة أى ظلمات شديدة ففى استخدام صيغة الجمع مبالغة. قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" والجمع مستعمل في لازم الكثرة وهو الشدة ، فالجمع كناية لأن شدة الظلمة يحصل من تظاهر عدة ظلمات . ألا ترى أن ظلمة بين العشاءين أشد من ظلمة عقب الغروب وظلمة العشاء أشد مما قبلها".[710]
- ثم أوصاف البحر من كونه بعيد القعر وترادف الأمواج وفوقية السحاب تزداد الظلمة ألاترى أن البحراللجى يكون قعره مظلما بسبب غمورة الماء ثم ترادف الأمواج والسحاب فوقه تزيد فى هذاالوصف فكل هذه الأشياء تدل على شدة الظلمة ثم لايخفى أن اليد أقرب إلى الإنسان من كل شيئ فلاتخفى اليد على صاحبها فعدم رؤيتها تدل على أن الظلمة شديدة إلى حد أنه لايرى فيها حتى الأشياء القريبة .[711]
- ونتيجة لهذا نستطيع أن نقول إن الكفار تخفى عليهم حتى الأشياء القريبة لشدة إصرارهم على الكفروكونهم فى الظلمات الشديدة وهم لايستفيدون بأظهر الدلائل إذاذكرت عندهم.[712]

***

الفصل الثانى

التشبيه البليـــــغ

التشبيه البليغ وهو مالم يذكرفيه من وجه الشبه وأداة الشبه ومن بلاغة هذاالقسم أن فيه دعوى الاتحاد فكأنه لافرق بين المشبه والمشبه به وهما فى الحقيقة شيئ واحد ولايخفى ما فيه من المبالغة وقد مر بعض التفصيل فى التشبيه غير التمثيل فليراجع هناك. وسأذكر المزايا البلاغية بالتفصيل فى دراسة كل آية إن شاء الله تعالى. وكما ذكرت فيما سبق أن هذاالقسم يتفرع إلى أربعة أقسام وهى:

- البليغ الحسى
- البليغ العقلى
- البليغ الحسى العقلى
- البليغ العقلى الحسى

وسأشرح هذه الاقسام فى أربعة مباحث فى ضوء النصوص القرآنية إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

البليغ الحسى

يبين الله تعالى حال المكذبين وحيرتهم وضلالهم فى الظلمات فلا يرون شيئا ولايسمعون شيئا' فيقول:''وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[713]ومعناه: أن الذين يكذبون بالآيات الدالة على ربوبيته تعالى وكمال علمه وعظم قدرته هم صم عن سماع هذه الآيات سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لاينطقون بالحق وهم خابطون فى ظلمات الكفر والعناد والتقليد. [714]شبه الله تعالى المكذبين بالصم البكم الكائنين فى الظلمات فهذا من قبيل تشبيه المفرد بالمركب لأن هذا تشبيه المكذبين بالذين اتصفوا بهذه الأوصاف الثلاثة لاأ نهم مشبهون بكل واحد من الصم والبكم والكائنين فى الظلمات [715]وكل من المشبه والمشبه به مدركان بحاسة البصر أما المشبه به فظاهر وأما المشبه وهو المكذبون فإن كان التكذيب شيئا معنويا لايدرك بإحدى الحواس الخمسة ولكن المشبه هو ذواتهم المتصفة بهذه الأوصاف وذواتهم من الأشياء المحسوسة' ووجه الشبه هنا هو عدم الانتفاع بالسمع والبصر والنور أما المشبه به فهم حرموا عن هذه المواهب فلا يستطيعون أن ينتفعوا بها وأما المشبه فهم وإن تيسر لهم هذه المواهب ولكنهم لا ينتفعون بها فكأنهم حرمواأيضا.[716]والآن نأتى إلى التصوير الفنى الذى رسمه الله تعالى لتفهيم العباد.

فى ضوء التصوير الفنى الذى رسمه الله تعالى لتفهيم عباده نرى أن جماعة من الناس قد جمعوا فى الظلمات فلا يُرى لهم شيئ ولايستطيعون أن يتحركوا للخوف عن الانزلاق والسقوط فى المهالك فقوتهم الباصرة لاتفيدهم فى هذه الظلمات ثم هذه الجما عة غير قادرة أن يهتدوا بأى هاد ليخرجواعن هذاالضلال لأنهم حرموا عن قوة السمع وقوة التكلم فلايسمعون كلام غيرهم ولايُسمعون كلامهم الغير فقد انسد عليهم طرق الهداية.قال أبوالسعود:

> والمراد به بيانُ كمالِ عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصمَّ الأبكمَ إذا كان بصيراً ربما يَفهم شيئاً بإشارةِ غيره وإن لم يفهَمْه بعبارته ، وكذا يُشعِرُ غيرَه بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولاً عن العبارة ، وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسدّ عليه بابُ الفهم والتفهيم بالكلية[717]

فلا يمكن لهؤلاء الناس أن يخرجوامن هذه الظلمات فإذاأرادوا أن يخرجوامنها وتحركوا وقعوا فى وديان الهلاك ثم بجانب هذه الجماعة تتراآى لناجماعة المكذبين بآيات الله تعالى فتظهر أمامهم الآيات البينات الدالة على قدرة

الله تعالى وعظمه وهى تدعوهم إلى التفكر فيها كى يصلوا إلى الهداية ولكنهم لكونهم فى ظلمات الشرك والكفرلايُرى لهم هذاالنورثم جاءهم الرسل ووجههم إلى قبول هذه الآيات ولكنهم صاروا كأنهم لايسمعون شيئا وجعلواالمسموع كغير المسموع فبقى لهم شيئ واحد وهو أن يتواصوا بالحق ولكنهم أُخرسواعن التكلم بالحق فانسد عليهم باب الفهم والتفهيم'وهذاهوالختم الذى بينه الله تعالى فى قوله:"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم"[718].ثم نجنى الثمرات الآتية من فروع الشجرة المصورة فى هذه الآية:

- عد الله تعالى الذين لم يقبلوا آيات الله تعالى للتذكر ولم ينتفعوا بمشاعرهم الموهوبة من الله تعالى ممن فقدوا هذه المواهب مبالغة وهذه المبالغة أفادت أن عدم النفع بهذه المشاعر وفقدها سواء فهؤلاء فى الحقيقة فقدوا مشاعرهم.
- وفيه أيضا إشارة إلى أن المقصود الأصلى من موهبة هذه المشاعر هو معرفة الله تعالى بالتفكر فى خلق الله تعالى ولهذادعا الله تعالى المؤمنين مرارا أن يتفكروا فى خلق السموت والأرض كى يصلوا إلى دلائل قدرة الله تعالى.
- فى تشبيههم بمن هم فى اليأس الكامل من النجاة والتطرق إلى الضياء وفى تضايق النفسى إشارة إلى اليأس الكامل من النجاة والتطرق إلى نور الهداية والمعرفة الإلهية وإلى أنهم فى ظلمات بعضها فوق بعض وأنهم قد وصلوا فى الضلال إلى حد لايمكن لهم الرجوع ولذا فهم فى اليأس الأبدى من النجاة من أمواج بحر الكفر والشرك إلى شاطئه فهم يستمرون فى طغيانهم.
- وظهر مما بينته من عناد الكفرة وغض بصرهم عن دلائل الحق أنهم تسببوا للختم الذى طبع على قلوبهم وليس الله تعالى أن يختار من عباده من يشاء لجهنم فيطبع على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ويختار للجنة من يشاء ويهديهم إلى الصراط المستقيم لأن الله تعالى لايظلم عباده.
- وفيه إشارة إلى الوصول إلى الانتهاء فى الكفر والعناد فلا يُرجى رجوعهم إلى الحق قال أبوالسعود:"والمراد به بيانُ كمالِ عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصمَّ الأبكمَ إذا كان بصيراً ربما يَفهم شيئاً بإشارةِ غيرِه وإن لم يفهَمْه بعبارته ، وكذا يُشعِرُ غيرَه بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولاً عن العبارة ، وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسدّ عليه بابُ الفهم والتفهيم بالكلية"[719]

***

المبحث الثانى

التشبيه البليغ العقلى

وهوما يكون طرفاه عقليين.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.ومن بلاغة التشبيه العقلى أن فيه توضيح المشبه العقلى الذى يكون بعيدا باعتبار الفهم عن ذهن المخاطب فيوضحه بربطه مع الشيئ العقلى الذى لايكون بعيدا عن ذهن المتكلم فيفهمه المتكلم فى أقل وقت بطريقة كاملة لأن الوصف الذى يريد المتكلم أن يُثبته للمشبه يكون معلوما لدى المخاطب بطريقة جيدة مع التفاصيل التى يقصد تفهيمها فلا يضيع المتكلم وقتا فى تحصيل الحاصل ولا يترك شيئا منها بدون التوضيح. وبما أن هذاالقسم لم يوجد فى القرآن الكريم وبحثى يدور فى ضوء النصوص القرآنية فلا أعالج التفاصيل المتعلقة بهذاالقسم وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه والمشبه به كلاهما عقليين لا يُدركان بإحدى الحواس الخمسة.
- ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه .

***

المبحث الثالث

التشبيه البليغ الحسى العقلى

ما يكون المشبه فيه حسيا والمشبه به عقليا.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.ومن المعلوم أن التشبيه يكون لتوضيح غير المعلوم بربطه بالمعلوم وأما ربط الحسى وهو يكون معلوما بالعقلى وهو لايكون معلوما أوعلى الأقل لايكون أسهل الفهم لدى المخاطب فلا يوضح شيئا بهذه الطريقة ولهذا لم يوجد له مثالا فى القرآن العظيم كما قاله العلامة السيوطى رحمه الله تعالىفى كتابه:الإتقان:" ومثال الرابع: لم يقع في القرآن بل منعه الإمام أصلاً، لأن العقل مستفاد من الحس، فالمحسوس أصل للمعقول وبشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وهوغير جائز"[720] وبما أن هذاالقسم لم يوجد فى القرآن الكريم وبحثى يدور فى ضوء النصوص القرآنية فلا أعالج التفاصيل المتعلقة بهذاالقسم وكان من المفروض أن يدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا.
- وأن يكون محذوف الأداة ووجه الشبه .

***

المبحث الرابع

التشبيه البليغ العقلى الحسى

هوما يكون فيه المشبه عقليا والمشبه به حسيا.ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.وكما قلت سابقا أن التشبيه يكون لتوضيح غير المعلوم بربطه بالمعلوم والعقلى لايكون معلوما فى معظم الأحيان ولهذا فيشبه بالأشياء التى تكون فى إطار الأشياء المحسوسة كى يوضح ذلك العقلى و سيدرس فى هذه المجموعة الآيات التى يكون التشبيه فيهاموصوفا بالصفات الآتية:

- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
- ويكون محذوف الأداة ووجه الشبه.

الآن إليك دراسة الآيات التى وردت بهذه الصورة:

يشبه الله تعالى من أسلم وجهه إلى الله تعالى فى حالة الإحسان بمن استمسك بالعروة الوثقى فيقول تعالى:"ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور"[721] أى"ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه ويفوض إليه جميع أمره - وهو محسن فى عمله - فقد تعلق بأقوى الأسباب التى توصله إلى رضا الله ، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها."[722]

شُبِّه من اتّجه إلى الله تعالى مع الإحسان فى عمله بمن أراد الصعود إلى قمة جبل فتمسك بأوثق حبل.[723] نرى أن المشبه والمشبه به قدركبا من أكثر من أمرأما الأول فقدركب من الذات المسلمة ذاتها مع الاتجاه إلى الله تعالى والإحسان فى عملها وتفويض كل أمورها إليه تعالى وأما الثانى فقد ركب من الذات المستمسكة مع الصعود إلى الجبل فقمته ثم التمسك بأوثق حبله.فهو تشبيه مركب ثم الأجزاء التى ركب منها المشبه عقلية إلا الذات المتصفة بتلك الأوصاف التى ولكنهالم تقصد منفردة عن تلك الصفات وأما الأجزاء التى ركب منها المشبه به تدرك بحاسة البصر فهذامن قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.ولم تذكر فيه أداة التشبيه ولاوجه الشبه فهو من التشبيه البليغ.ووجه الشبه هوالأمن أما فى المشبه فالأمن من السقوط فى مهاوى النار وأما فى المشبه به فالأمن من انقطاع الحبل فالسقوط فى مهاوى الموت.ولايخفى أن هذاالوجه قد انتزع من عدة أمورإذانزع منها واحد اختل المعنى ولن يحصل الهدف المرجو من التشبيه. ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية مايلى:

- فى هذاالتشبيه إشارةإلى أن الطريق الوحيدالواصل إلى الأمن من السقوط فى مهاوى الضلال أوالتزلزل هو أن يفوض أحد كل أموره إلى الله تعالى

عاملا بأحكامه مع الإخلاص وحسن النية.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" والمعنى : ومن يسلم إسلاماً لا نفاق فيه ولا شك فقد أخذ بما يعتصم به من الهُوِيّ أو التزلزل ."

- فأفاد هذاالتشبيه أن الشرط للأمن من الوقوع فى المهالك هو العمل الصالح[724] وإخلاص النية لأن معنى الإحسان : العمل الصالح والإخلاص في العبادة. [725]
- ثم فى اختيار صلة "إلى" مكان "ل" إشارة إلى أن المراد بالتفويض هو التفويض الكامل الذى لايشوبه التردد واتباع النفس أن يتبع نفسه فى بعض الأمور ويتبع دين الله فى البعض الأخرى'لأن التعدية بحرف إلى مجاز فى الفعل بتشبيه نفس الإنسان بالمتاع الذي يدفعه صاحبه إلى آخر ويَكِلُه إليه. [726]
- فيه تشبيه الذهاب على طريق الإسلام بالصعود على الطريق الجبلى لأن استمساك بأوثق عروة يوحى أنه على طريق صعب يقتضى غاية الاحتياط فكما أن الطريق الجبلى الذى يحتاج فيه صاحبه التمسك بأوثق عروة طريق صعب ذوالخطرات الكثيرة فكذا فى السير على طريق الإسلام خطرات من قبل الشيطان فلا بد أن يحتاط فى السير على هذاالطريق.قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى: " مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق ، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه"[727]
- السين والتاء فى استمسك للتأكيد لأنه لامعنى لطلب التمسك بعد كونه فى الإسلام فهما للتأكيد والمبالغة.[728]
- هذاالتشبيه قد وضع أمام المخاطب صورة حية وكأنه ينظر إليها فيستقصى كل الأجزاء التى تشتمل عليها هذه الصورة فهو يرى أن أحدا يصعد الجبل وهو على طريق وعر ملتف بالمخاوف إن نجامن هنا سقط هناك وفجأة هو يرى أن فى يده عروة من حبل متين فتتيقن أنه لن يضيع ثم أمامك صورة أخرى صورة المسلم وهو يسير على طريق الإسلام وهومحاط من كل جانب فالنفس تدعوه إلى هواها والشيطان يدعوه إلى طريقه والمجلس السيئ لايدعه يسير على صراط مستقيم فظلال الخوف تهوم على رأسه من كل جانب فأنت متأكد من أنه سيضل بعد قليل ولكن فجأة أنت تنظر أن فى يده الحبل الموصل إلى الله تعالى وأنه يتحرك بتحريك الله تعالى فتتأكد من أنه سيصل إلى هدفه بدون أى خطر.فكل هذه الأشياء رأيتها فى ظل التشبيه التمثيلى 'فهوقدم المفهوم فى صورة المشاهد وكأنه أمام عينيك.

ومثل هذاالتشبيه يصوراللهتعالى صورة حية فى آية سورة البقرة:[729] "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

ففيه أنه لايجوز لأحد أن يجبر أحد على أن يعتنق الإسلام لأن طريق الهداية والضلال واضحان فمن شاء فليؤ من ومن شاء فليكفر فمن كفر بالشيطان وآمن بالله تعالى فقد تمسك بأوثق عروة من حبل متين. ففيه تشبيه من كفر بالشيطان وآمن بالله تعالى بمن تمسك بأوثق عروة من حبل متين فهو من تشبيه المركب بالمركب والمعقول بالمحسوس ولعدم ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه فهو من التشبيه البليغ.ووجه الشبه كما مر الأمن أما فى المشبه فالأمن من السقوط فى مهاوى النار وأما فى المشبه به فالأمن من انقطاع الحبل فالسقوط فى مهاوى الموت.ولايخفى أن هذاالوجه قد انتزع من عدة أمورإذانزع منها واحد اختل المعنى ولن يحصل الهدف المرجو من التشبيه.ثم من الأسرار البلاغية التى تنفرد بها هذاالأسلوب كمايلى:

- الفاء فى فمن يكفر للتفريع على قوله : قد تبيّن الرشد من الغي ومستدله أنه بعد التبيين لايسع أحدا إلاّ الكفرُ بالطاغوت والإيمان بالله تعالى وفيه بيان لنفي الإكراه في الدين؛ إذ قد تفرّع عن تميّز الرشد من الغي ظهور أنّ متّبع الإسلام مستمسك بالعروة الوثقى فهو ينساق إليه اختياراً.[730]وهذاأيضاأفاد أن بعد تبين الشيئ المفيد لا يحتاج أحد للدواعى التى تثيره على ذلك الشيئ المفيد لأن الذى يكون فى الخوف من السقوط من الجبل لايحتاج أحدا يحضه على أن يتمسك بأوثق العروة من الحبل المتين بل هو بنفسه يفعل هذا حتى ولو نهى عن ذلك كذلك بعد تبين الحق من الباطل المسلم بطبيعته يختار الحق وطريق الهداية حتى ولو يصرفه صارف عن طريق الهداية.[731]

***

الفصل الثالث

الصورة غير المعروفة للتشبيه

التشبيه الضمنى والتشبيه المقلوب:

كماقلت سابقا أن هناك صورا معروفة للتشبيه وهى التى تكون المشبه به أصلا والمشبه فرعا, ولكنه قد ينحرف عن صوره المعروفة إلى صور غير معروفة فإحداهما التشبيه المقلوب وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به، وهذه الصورة من التشبيه وهى منحرفة عن الصور المعروفة التى يكون المشبه به أصلا والمشبه فرعا.ولايخفى مافى هذه الصورة من المبالغة فى الادعاء والتوبيخ وقد درسناه فى التشبيه غير التمثيل وما وجدت له مثالا فى التمثيل.وثانيتهما التشبيه الضمنى وهو قسم من التشبيه الذى تدل عليه العبارة دلالة ضمنية دون أن يكون هناك أسلوب التشبيه المعهود من ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه أحيانا وعدم ذكرهمافى بعض الأحيان.

فأما التشبيه المقلوب فنرى فى الآية التالية:

صور الله تعالى قيام أكلة الربامن قبورهم يوم القيامة فى صورة من يتخبطه الشيطان من المس ' فقال تعالى:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[732]

فى هذه الآية تشبيهان: الأول تشبيه أكلة الربا بالذى يتخبطه الشيطان من المس والتشبيه الثانى فهو تشبيه البيع بالربا.أما التشبيه الأول فقد درسناه فى موضعه وندرس هنا التشبيه الثانى وهو تشبيه البيع بالربا فكل من المشبه والمشبه به مفرد وكلاهما مما لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو من التشبيه المفرد بالمفرد وتشبيه المعقول بالمعقول ووجه الشبه هو أخذ الفضل. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" وكانت شبهتهم أنهم قالوا : لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز ، فكذلك إذا باع درهماً بدرهمين"[733] وهذاالتشبيه يعد من التشبيه المقلوب لأن الكلام فى الربا لافى البيع وكان المفروض أن يقال:إنما الربا مثل البيع لأنهم جعلوا الربامثل البيع

فالأصل هو البيع لاالربا ولكن الأمر على عكس ذلك تماما وشبه البيع بالربافما هو السر البلاغى فى هذاالقلب؟

- جعل الربا أصلا ومشبها به وجعل البيع فرعا ومشبها للمبالغة وتفصيله أنهم قد بلغوا فى أكل الربا إلى أقصى حد وكأنهم قد جعلوه أصلا فى الحل فشبهواالبيع به وكأن الربا من الأشياء التى تشبه به الأشياء الأخرى.[734]
- فيه تقبيح حالهم وهو أنه كان ينبغى لهم أن لايأكل الربا ولكنهم استحلواالرباوجعلواحله علة لحل البيع فمعناه:أن البيع حلال لأن فيه فضل مثل الربا فكما أن الرباحلال أكله فكذلك البيع.ولايخفى أن استحلال الربا وجعله أصلا لحل البيع شيئ بعيد من شان المسلم.

ويرد الله تعالى قول الكفرة "عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله تعالى إن صح أنانبعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا ولم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا[735]فيقول تعالى:"أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ "[736] المشبه هنا المسلمين والمشبه به هوالمجرمين وكل من المشبه والمشبه به مفرد وحسى فهذا من قبيل تشبيه المفرد بالمفرد والمحسوس بالمحسوس ووجه الشبه هو الأجر والثواب فى الآخرة. وقدم الله تعالى هذا فى صورة التشبيه المقلوب لأن الأصل تشبيه المجرمين بالمسلمين فى الأجر والثواب لا العكس لأن الكلام فى ثواب المجرمين بأنهم لن يثابوا فى الآخرة لا فى ثواب المسلمين لأن المسلمين ادّعوا ذلك والكفار قالوا إن كان هذا هو الحق لكنا مثلهم فى الآخرة فرد الله تعالى عليهم فى صورة الاستهام الإنكارى بأنهم لن يكونوا مثلهم فى الآخرة.واختار الله تعالى أسلوب التشبيه المقلوب للوجوه الآتية:

- أسلوب التشبيه المقلوب أبلغ لأن هذا يعكس علينا خبيئة الكفرة وهو أنهم يجعلون أنفسهم أصلا والمسلمين فرعا فكأنهم يزعمون إن كان هذا هو الحق فهم يكونون أول من يثاب فى الآخرة ثم بعدهم يثاب المسلمون.قال صاحب التفسير المنير:" تشبيه مقلوب ليكون أبلغ وأروع لأن الأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين فى الأجر والثواب.[737]
- ويمكن أن تكون الإشارة إلى أن المساواة المزعومة لديهم إن كان حقا فمعنى ذلك أن المسلمين يكونون مثلهم فى العقاب والعذاب لأنهم ليسوا أن يثابوا وينعموا فى الآخرة فى أى صورة لأنهم أعداء الله تعالى وخالفوه فى كل لحظة من لحظات حياته فرد الله تعالى عليهم بأن الله تعالى لن يعذب أولياءه مثلهم.

ومن التصوير البديع هو تصوير النور الله الذى يلقيه فى قلب المؤمن فشبهه بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة [738]فقال تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[739]

قبل أن آتى إلى دراسة هذاالأسلوب أود أن أتعرض لبعض من الأقوال التى قيلت فى معنى هذاالتمثيل فقال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:

واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل، فقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس لكعب الأحبار: أخبرني عن قوله تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار[740]ونقل رأيا آخر فقال:

وقال بعضهم: وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن. روى أبو العالية عن أُبَيّ بن كعب قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان، والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده، فمثله كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر، وإن حكم عدل، وإن قال صدق، يكاد زيتها يضيء أي: يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور. قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار: قوله نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة [741]

وهناك أقوال أخرى لامجال لنقلهاولكن أياماكان فقد اشترك فيها وصف مشترك وهو تلألأ الضياء هو داخل الصدر سواء كان صدر النبى صلى الله عليه وسلم أوكان صدر المؤمن وهذه الآية من الآيات التى هى فى نفسها بحر من بحور المعرفة "فقد شبه نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن (أو النبى صلى الله عليه وسلم على اختلاف القولين)بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة، إما بوضعه في مشكاة وهي الطاقة التي لا تنفذ وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر. وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الدري في صفائها، ودهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً لأنه من زيت شجرة في وسط

السراج، لا شرقية ولا غربية ولا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها الشمس أعدل إصابة." [742]فالمشبه فى هذاالتشبيه هو النور وهو مفرد والمشبه به هو المصباح الملحوظ فيه الصفات المذكورة فى هذه الآية فهو مركب من عدة أمور فهذا من تشبيه المفرد بالمركب ثم المشبه وهو النور أمر عقلى لايدرك بإحدى الحواس الظاهرة وأما المشبه به فهو مركب من هيئة مركبة من أمور كلها محسوسة بحاسة البصر فهذامن تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشبه هو الصفاء والإضاءة وهو منتزع من عدةأمور.وفى هذاالتشبيه رسم الله تعالى تصويرابارعا لإفهام عباده مفهوم النور فنرى صورة الكوة التى لامنفذ لها وعليها زجاجة صافية نقية لاتمنع الأعين من الرؤية وهى تزيد ضوء المصباح والزيت الذى يستعمل فى المصباح من أصفى الأدهان وتصيبها الشمس لامن الشرق مباشرة ولا من الغرب مباشرة فيكون الضوء لبعض الوقت ولايكون لبعض الوقت بل تصيبها طول النهار و بأعدل إصابة فلاتضر صفاءها ونورها.ثم نرى فى ضوء هذه الصورة صورة الإيمان والهداية فى قلب المؤمن فهو يتلألأ وبهذاالنور هو يرى كل شيئ خلق صاحب ذلك النور لأجله فهو يعرف نفسه ويعرف ربه وهو يعلم سرهذاالكون وأن الله تعالى لم يخلق شيئا فى هذه الدنيا عبثا بل فى كل شيئ مصلحة عاجلة أو آجلة وإذاتركنا صورة عامة لهذاالتشبيه مع الاعتراف بقلة العلم أن أقتنص معظم لؤاليه و أتينا إلى الأسرار البلاغية فنرى:

- قيد الله تعالى المصباح بكونه فى الزجاجة لأن النوروضوءالنار يكون أبين فى الزجاجة وهى تزيد فى ضوء النار فبهذاالتقييد أفاد أن نور الله تعالى الموضوع فى قلب المؤمن هو ليس نوراعاديا بل هو يتلألأإلى أقصى الغاية ففيه مبالغة بالنسبة إلى فهم المخاطب وإلا فنورالله تعالى لانسبة له بضوء المصباح ونوره.ولهذا فهذايعد من التشبيه المقلوب الذى يكون فيه وصف التشيه فى المشبه أكثر وأبين من المشبه به.[743]
- وشبه الزجاجة بكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر، لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف فيزول نورهما وأما الكواكب فلا يلحقها الخسوف ولا الكسوف فهذا يشير إلى استمرار الضوء وعدم انقطاعه فالنور الذى وضعه فى قلب المؤمن من الأضواء التى لاتزول فى وقت من الأوقات.ثم وصف الكوكب بالدرى وهو إما بضم الدال من الدر والدر معروف بالتشبيه به الأشياء التى تكون مبالِغة فى الحسن والصفاء وإلا فالكوكب أكثر ضوءا من الدر' فمعناه هنا كوكب شديد الإنارة 'وإما بكسر الدال فعيل من الدرء وهو الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء، وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أَضْوَأَ وأنورَ. [744]وإيقادها من الشجرة المباركة يوحى أن هذاالنور أضوء وكثير البركة كما أن الشجرة التى يوقد منها هذاالمصباح ذات بركة ومنافع كثيرة وضوأها أصفى

الأدهان وأنها مورقة من أعلاها إلى أسفلها.فهكذا الإيمان الموضوع فى قلب المؤمن أضوأ وأنفع للناس ومورق بالأعمال الصالحة.[745]

- كما أشرت فى الصورة العامة لهذاالتمثيل أن وصفه بلاشرقية ولاغربية يفيد أن الضوء يصل إليها طول النهارلأنها ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل هي ضاحية الشمس طول النهار، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها. [746]وإذالخصنا الكلام فنقول إن المؤمن قلبه منور بنور الله تعالى فهو يعرف منخفضات الطريق ومرتفعاته إذاسار إلى الله تعالى فلا ينزلق ولايتعثر ولاتتزلزل قدمه فى ذلك الطريق وهو يقطع طرق المعرفة بمعونة النورالذى وضعه الله تعالى فى قلبه فهو يرى بنور الله تعالى.

وأما التشبيه الضمنى فنرى فى الآية التالية فيبين الله تعالى فيهاالحالة النفسية لمن ضاع عمله فى وقت هو شديد الحاجة إليهافقال تعالى:"أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [747]*

قدم الله تعالى هذه الحالة النفسية فى صورة التشبيه الضمنى وهو قسم من التشبيه الذى تدل عليه العبارة دلالة ضمنية دون أن يكون هناك أسلوب التشبيه المعهود ففيه تشبيه حال عمل المنافق والمرائى الذى يتبع ماأنفقوا المن والأذى بحال من له جنة ملتفة بأشجار النخيل والأعناب المثمرة وتجرى تحتها الأنهار وهى تثمر أنواعامن الثمار وهو ينتفع به ولكن إذا ضعف عن العمل وكان ذاعيال فهو وعياله فى حاجة شديدة إلى هذه الجنة ولكن ما بقت تلك الجنة بصفتها المذكورة بل أحرقتها الريح الشديدة الحارة وبقى هو وأولاده فى عسر وكانوا أشدحاجة لها مماكانواقبل الضعف لأنه ضعف عن العمل وأولاده لايستطيعون أن يعملوا شيئا.قال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:

> هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث لهما ولا توبة ولا إقالة[748]

ونرى فى هذاالتشبيه أن المشبه وهو حال عمل المنافق بما وصف من الأوصاف المذكورة فهو مركب من العمل وعدم الإخلاص ثم إتباعه إياه المن والأذى والمشبه به مركب من الجنة وكونها ذات الأنهار والنخيل والأعناب ثم ضعف صاحبها ووجود الأولادعنده ثم هب الريح الشديدة الحارة عليها واحتراقها فهو من التشبيه المركب بالمركب ثم الأجزاء التى ركب منها المشبه لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما الأجزاء التى ركب منها المشبه به فهى تدرك بحاسة البصر فهومن تشبيه المعقول بالمحسوس.ووجه الشبه "هو حصول خيبة ويأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج."[749] وهو منتزع من عدة أمور. فإذادخلنا من مدخل هذاالتصوير لتترآى أمامناصورتان:صورة المشبه به وصورة المشبه أما الصورة الأولى فأمامنا صورة بطل قوى غنى بالجنات المثمرة بأنواع الثمرات وهو فى لذات الدنيا لايرى من الأمور المفزعة شيئا وفى هذه المرحلة من عمره هو يستطيع أن يكتسب له ولأولاده مزيدامن الدنيافهو ذوقوة ومهنة وسرعان ما يتبدل الأمر فعنده أولاد صغار يعولون عليه فلا يقدرون على الكسب وهو قد تجاوز مرحلة القوة والمتانة فهو ضعيف لايقدر على الكسب وهم يعيشون على تلك الجنة لكن تهب الريح الشديدة على جنته وهى مع شدتها حارة لاتبقى شيئا من النبات تمر عليه إلا أحرقته وقدحرمواعن الجنة التى هى الوسيلة الوحيدة لعيشه ولأولاده وهم ينظرون إلى بقايا جنتهم بحسرة ويأس ما بقى لهم شيئ يعيشون به ولاهم يستطيعون أن يكتسبوالهم فيالهم من الحسرة والحزن'ثم نسرى من هذه الصورة إلى صورة أخرى التى تُرى فى مرآة هذه الصورة وهى صورة من عمل عملا ليس فيه إخلاص ولاصدق النية فهو إما نتيجة الرياء أوالنفاق ثم يمن بذلك العمل على من منّ عليه ويؤذيه فيضربه تارة ويشتمه تارة أخرى وكان فى الدنيا فى هذه الحالة كان فى وسعه أن يتوب من عمله الخبيث وأن يعمل عملا صالحا غير ذلك فالدنيا مزرعة الآخرة ولكن قضى حياته هكذا ثم بعث من قبره ليوم الحساب وتقدم إلى الله تعالى ولكن ما وجد عمله الذى عمله فى الدنيا فقد أحرق بنار النفاق والرياء فليس له عمل يتوسل به فيدخل الجنة ولا يستطيع أن يرجع إلى الدنيا فيتوب من عمله الخبيث أويعمل عملا صالحا غير ذلك فبقى حيران فى حالة اليأس من النعم التى قد أعدت للمتقين.و فى هذاالتصوير الذى رسمه الله تعالى لعباده تترآى أمامنا الأسرار البلاغية الآتية:

- قد صور الله تعالى الحالة النفسية للذين عملوالالذات الله تعالى بل لأغراض أخرى بأنهم فى حرمان شديد واليأس الشديد لأن الحاجة فى جانب المشبه به قد وصفت بأقصى الحاجة قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" ثم وصف صاحبها بأقصى صفات الحاجة إلى فائدة جنّته ، بأنّه ذو عيال فهو في حاجة إلى نفعهم وأنهم ضعفاء أي صغار"[750] ومن الواضح جدا أن الحرمان من النفع المأمول فى وقت الحاجة الشديدة يكون

جدا فهذا حرمان ليس بعده حرمان خاصة إذاانقطع الأمل من حصوله فى المستقبل.

- وأطلق الله تعالى النار على الريح الحارة التى أرسلها عليهم مبالغة فى صورة التشبيه البليغ فقد جعل النار والريح شيئاواحدا فالريح مع الشديدة كانت حارة أيضا.وهاتان الصفتان فى الريح تزيدان من هيبة الريح وشدتها.لأنها كانت تقلع الأشجار والنبات بشدتها وتحرقها بحرارتها.
- ولايخفى ما فى هذاالتشبيه إشارة إلى حسن عمل المنافق فى الظاهر لأنه شبه بالجنات التى كانت حسينة المنظر تسر الناظرولكن هو فى مآل الأمر عمل كلاعمل ولايوضع له الميزان يوم القيامة.
- وفى هذه الآية نسب الحرق إلى الجنة نفسها فكأنما احترقت بنفسها دون أن أحرقها المحرق فهذاالإحتراق من داخله وفيه إشارة إلى أن هذه الأعمال تنطوى فى داخلها على ما يمحقها. [751]

يمثل الله تعالى آلهة دونه فى صورة أضعف المخلوقات ويبين أنهم ليسوا فى شيئ من دفع الحاجة لعابديهم حتى ولايقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم الأشياء المضرة فيقول تعالى:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ "[752] وهذامن التشبيه الضمنى لأن التشبيه فيه ليس على أسلوبه المعهود فالمشبه هو حال الأصنام المتعددة فى قبائل العرب وهو مركب من عبادة المشركين إياهم ودعائهم إياهم وعدم استجابة دعائهم وعجزهم وكل هذه الأشياء من الامور التى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة والمشبه به هو حال ضعاف الناس وهو مركب من عجزهم عن خلق أضعف مخلوق وهو الذبابة وعدم نصرأحد من الناس وعدم قدرتهم على الدفع من أنفسهم وكل هذه الأشياء أيضا لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة فهذامن تشبيه المركب بالمركب وتشبيه المعقول بالمعقول.ووجه الشبه هو الضعف فى المشبه والمشبه به وهو منتزع من متعدد ونرى فى هذاالتصوير الذى رسمه الله تعالى أن بعض الناس يدعون لحاجاتهم بعض الناس ويرجون أنهم سيقضون حاجاتهم ويستمرون فى حالتهم هذه وبعد مدة هم يكتشفون أن الذين كانوايرجون منهم النصر ضعاف إلى حد أنهم لايستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم الأشياء المضرة ولكنهم مع ذلك يستمرون على دعائهم ورجاء الحاجات فيالهم من حماقة ثم نرى فى ضوء هذه الصورة صورة أخرى وهى صورة المشركين الذين نحتواأصناما بأيديهم ثم بدءوا يعبدونها مع الرجاء أنهم ينفعون ويضرون ثم ينظرون أنهم لايقدرون على دفع الذباب من أنفسهم ولاعلى إنقاذ الشيئ من تلك الذبابة ولكن لايقفون عن شركهم ويستمرون فيه.وفى هذاالتشبيه نجد من الأسرار البلاغية مايلى:

- جهالة المشركين لاستمرار هم على الشرك مع أنهم يشاهدون عجز آلهتهم ليلا ونهارا وكان من المفروض أن ينتهوا منه إذارأوا عجزهم وعدم استجابتهم دعاءهم.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وشبهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تعذّر عليهم خلق أضعف المخلوقات وهو الذباب ، بلْهَ المخلوقات العظيمة كالسماوات والأرض" [753]
- وفى "ولواجتمعواله" إشارة إلى ضعف الآلهة إلى أقصى حد لأن الإله هوالذى يكون قادرا على كل شيئ ولكن هؤلاء الآلهة لايقدرون على إيجاد شيئ هين ولوعاون بعضهم بعضا. فهذا عجز ليس فوقه عجز فكيف توصف بالإلهية وكيف يرجى منها أن تنصر عابديها.

وبين الله تعالى استحالة دخول المكذبين لآيات الله تعالى بتعليقه بولوج الجمل فى سم الخياط فقال تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"[754] قدم الله تعالى هذه الاستحالة فى صورة التشبيه الضمنى لأن الصورة المعهودة للتشبيه غير موجودة هنا بل هى مستخرجة من هذاالأسلوب قال صاحب التفسير المنير:" فيه تشبيه ضمنى أى لا يدخلون الجنة إلا إذادخل الجمل فى ثقب الإبرة وهو تمثيل للاستحالة."[755] والمشبه فيه هوحال عدم إمكان دخول المكذبين الجنة وهو مركب من تكذيب المكذبين واستكبارهم عن آيات الله تعالى وعدم الفتح أبوب السماء لهم وعدم إمكان دخولهم الجنة ونرى أن كل هذه الأشياء لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة والمشبه به هو عدم إمكان ولوج الجمل فى سم الخياط وهو أيضامركب من محاولة الجمل الولوج ورجوعه خائبا وهذان الأمران من الأمور التى تدرك بحاسة البصر فهذا من تشبيه المركب بالمركب وتشبيه المعقول بالمحسوس. ووجه الشبه هو عدم الإمكان.وفى ضوء هذاالتصوير المرسوم الذى رسمه الله تعالى لعباده نرى صورة الجمل وهويحاول أن يلج فى سم الخياط ولكنه أمر محال فلم يفز بالولوج وأخيرا رجع خائبا ثم فى ضوء هذه الصورة نرى صورة أخرى وهى صورة المكذبين بآيات الله تعالى فهم يردون كل نصيحة ملقاة لهم من الرسل ويستكبرون عنها ويغمضون أعينهم من آيات الله تعالى ويعملون الصالحة ويرجون أنها سيصل إلى الله تعالى ولكن أبواب السماء مغلقة لاتفتح لها وهى تُلقى إلى الأرض لأن الشرط الأساسى لقبولية الأعمال مفقود فيها وهو الإيمان ثم لما انتهت حياتهم وقد قضواها حسب هواهم فلن يدخلون الجنة.ونرى من الأسرار البلاغية مايلى:

- عدم تفتح أبواب الجنة أفادت خسرانهم الكامل وأن لن يرجو من نعمة قليلة ولاكثيرة لأن السائل الذى لايريد صاحب البيت أن يعطيه شيئ ممايسأله فلايفتح له الباب فإذا فتح الباب فمعنى هذا أنه سيعطيه قليلا كان أو كثيرا.فهؤلاء الكفرة خاسرون خسرانا كاملا وواضحا.

- وفيه إشارة إلى حرمانهم من كل الخيرالإلهى الروحى وهذايشمل عدم قبولية الدعاء والأعمال الصالحة وحرمانهم من النعم التى تعطى للمتقين يوم القيامة.قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"وأضيفت الأبواب إلى السّماء ليظهر أنّ هذا تمثيل لحرمانهم من وسائل الخيرات الإلهيّة الروحية ، فيشمل ذلك عدم استجابة الدّعاء ، وعدم قبول الأعمال والعبادات ، وحرمان أرواحهم بعد الموت مشاهدة مناظر الجنّة ومقاعد المؤمنين منها" [756]
- ومن هنا فنيلهم من نعم الله تعالى فى هذه الدنيا لاينافى هذا لأن هذه النعم تعطى للمؤمن والكافر والفاسق بل تعطى للكافر والفاسق أكثر من المؤمن الصادق فنرى أن الكفار ينالون من نعم الله الجثمانية فيغاثون بالمطر ويأتيهم الرزق من الله تعالى.[757] وهنا علق الله تعالى دخولهم الجنة بشيئ محال وهو ولوج الجمل فى سم الخياط لأن هذا لن يكون أبدا ففيه إشارة إلى أن دخولهم ليس ممتنع فقط بل محال والشيئ المحال لن يقع فى وقت من الأوقات. وهذاالأسلوب أبلغ من النفى مطلقا.وإياسهم من دخول الجنة فى هذاالأسلوب أكثر من الأساليب الأخرى العادية.قال العلامة الماوردى رحمه الله تعالى:"ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً ، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي ، والعرب تضرب هذا للمبالغة"[758]

***

البــاب الثالث

ظاهرة الاستعارة غير التمثيلية

الصورة الموجزة للاستعارة:

الاستعارة نوع من المجاز اللغوى وقسيمه المجاز المرسل وأصله التشبيه وإن احتوى على المبالغة ما لا توجد فى التشبيه ففيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ففى قولنا رأيت أسدا فى الحمام دعوى الأسودية لمن كان داخل الحمام فكأنه مع كونه إنسانا وصل فى الشجاعة إلى حد يصح إطلاق الأسد عليه فهناك فرق بين أن يقال رأيت زيدا فى الحمام وهو كالأسد وبين أن يقال رأيت أسدا فى الحمام ففى الثانى دعوى كون زيد من جنس الأسود وأما فى الأول كونه مثل الأسود ومن البديهى أن هناك فرق بين الأصل والمثل. وقد ذكرنا فى الباب الأول أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها "واتفق البلغاء على أن الإستعارة أبلغ منه لأنها مجاز وهو حقيقة والمجاز أبلغ فإذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة."[759] ولايعنى الأبلغية أن يكون هناك زيادة فى نفس المعنى بل يعنى الزيادة فى كمال التشبيه فافهم.[760]

وهو من باب الاستفعال ومعناه لغة: طلب الإعارة' قال صاحب تاج العروس[761]:" واسْتَعَارَه الشَّيْءَ واسْتَعَارَه منه : طَلَبَ منه إعَارَتَه أيْ أنْ يُعِيرَه إيّاه."[762] وأما فى اصطلاح البلاغيين فهو استخدام اللفظ فى المعنى المجازى لعلاقة المشابهة قال الثعالبى:" ومن سنن العرب الاستعارة، وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مسْتعارة من موضع آخر"[763]وقال العلامة الجرجانى رحمه الله تعالى:" اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعاريَّة". [764]

ويلاحظ فيها الخطوات الآتية:

- يجب أن يكون التشبيه المعنوى - وهو المضمر فى النفس- موجود (سيشرح هذاالتشبيه فى الفرق بين التشبيه والاستعارة إن شاء الله تعالى).
- يجب أن يتناسى التشبيه لدعوى الاتحاد بين المستعارله والمستعار منه.
- ينقل اسم المشبه به للمشبه ويطلق عليه.
- تلاحظ العلاقة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه .
- لابد أن تكون القرينة الصارفة للمتكلم عن إرادة المعنى الحقيقى.[765]

الفرق بين التشبيه والاستعارة:

قد ذكرت أن الاستعارة تبنى على علاقة التشبيه فتكون المشابهة بين المستعارله والمستعارمنه موجودة فقولك رأيت أسدا فى الحمام يدل على أنك تريد إنسانا شجاعا فالمشابهة موجودة بين ذلك الإنسان والأسد وهما فى الحقيقة مشبه ومشبه به وهذان ركنان أساسيان للتشبيه أيضا فماهو الفرق بين التشبيه والاستعارة؟ قال الشيخ الجرجانى رحمه الله تعالى فى كتابه مجيبا على هذاالسؤال:

> اعلم أنّ الوجهَ الذي يقتضيه القياس، وعليه يدلّ كلام القاضي في الوساطة، أن لا تُطْلَق الاستعارة على نحو قولنا زيد أسَدٌ وهند بدرٌ، ولكن تقول: هو تشبيه، وإذا قال هو أسدٌ، لم تقُلْ استعار له اسم الأسد، ولكن تقول شَبَّهه بالأسد، وتقول في الأول إنه استعارة لا تتوقف فيه ولا تتحاشى البتّة، وإن قلت في القسم الأول: إنه تشبيه كنتَ مصيباً، من حيث تُخبر عمّا في نفس المتكلم وعن أصل الغرض، وإن أردت تمام البيان قلت أراد أن يشبّه المرأةَ بالظبية فاستعار لها اسمها مبالغةً. فإن قلت فكذلك فقل في قولك زيد أسد، إنه أراد تشبيهه بالأسد، فأجرَى اسمه عليه، ألا ترى أنك ذكرته بلفظ التَّنكير فقلت زيد أسد، كما تقول زيد واحد من الأسود، فما الفرْقُ بين الحالين، وقد جرى الاسم في كل واحد منهما على المشبَّه. فالجواب أن الفرق بيّنٌ وهو أنك عزلت في القسم الأول الاسمَ الأصليَّ عنه واطّرحته، وجعلته كأن ليس هو باسم له، وجعلت الثانيَ هو الواقعَ عليه والمتناولَ له، فصار قصدُك التشبيهَ أمراً مطويّاً في نفسك مكنوناً في ضميرك، وصار في ظاهر الحال وصورة الكلام ونِصْبَته، كأنه الشيء الذي وُضع له الاسم في اللغة وتُصُوّر - إن تَعَلَّقَهُ الوهمُ - كذلك، وليس كذلك القسم الثاني، لأنك قد صرّحت فيه بذكر المشبَّه، وذكرُك له صريحاً يأبَى أن تَتوَّهم كونَهُ من جنس المشبَّه به"[766]

وقال الدكتور أحمد عبد السيد الصاوى فى كتابه فن الاستعارة:

> ونحن عند ما نقول إن الاستعارة تقوم على التشبيه وتبنى عليه كما يبنى البيت على أسسه ويقوم على عمده فإننا نعنى أن المراد منه التشبيه الذى يضمره المستعير فى نفسه وهو بخلاف التشبيه الاصطلاحى الذى يكون بطرفين ومشبه ومشبه به وأداة ووجه وربما اشتبه على كثير من الدارسين أن الاستعارة تقوم على التشبيه وتناسى التشبيه فى آن واحد هو كلام كالمتناقض والحق أننا نستحضر فى الذهن نسبا

> ومصاهرة وارتباطا بين لفظ المستعار والمستعار له ليصح إطلاق الأول على الثانى واستعماله فى معناه خطوة أولى للاستعارةثم بعدذلك نتناسى التشبيه لتصح دعوى الاتحادالتى تهدف إلى المبالغة[767]

فعلم أن فى الاستعارة يُطوى ذكر التشبيه فينعزل فيه عن ذكر الاسم الأصلى فكأنه ليس له اسما وهذاهوالتشبيه الذى يضمره المستعير فى نفسه ولايظهره على صورة التشبيه المعهود فيذكر الركنين الأساسيين والأداة والوجه.وأما فى التشبيه فهو على عكس ماذكر تمامافلايطوى ذكر التشبيه ولايتناسى بل يقدمه المستخدم فى الصور المعهودة للتشبيه .

هذا الفرق من وجه وهناك فرق بينهما من وجه آخر وهو أن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة فى الظاهر وأما فى التشبيه فلا يمكن حمل الكلام على الحقيقة ففى زيدأسد لايمكن حمل الكلام على الحقيقة لأن الإنسان لايمكن له أن يكون سبعا وأما فى رأيت أسدا فى الحمام فيمكن حمله على الحقيقة. ولكن رد بعض العلماء هذه الفكرة ومبنى هذاالرد هو أن الاستعارة مرادة بالقرينة وهذه القرينة تكون صارفة عن إرادة الحقيقة فكيف يمكن حمله على الحقيقة؟ [768]

وهناك وجه ثالث للفرق بينهما وهو أن الاستعارة وإن كان معنى التشبيه فيها موجودا ولكن تقدير أداة التشبيه فيها لايجوز لأن ذكر التشبيه يكون مطويا فى الاستعارة وأما فى التشبيه فيكون حرف التشبيه ملحوظا.[769]

أركان الاستـــــــعارة:

اعلم أن أركان الاستعارة ثلاثة وهى:المستعار والمستعار منه والمستعار له فالمستعارهو الوصف الذى نقل من شيئ لآخر والمستعار منه هو الشيئ الذى نقل منه ذلك الوصف لشيئ آخر وذلك الشيئ الآخر هو المستعار له فالاشتعال المستفاد من اشتعل فى قوله تعالى:" واشتعل الرأس شيبا"هو الوصف المنقول فهو المستعار وقدنقل هذاالاشتعال من النار فهو المستعار منه وقد نقل إلى الشيب فهو المستعارله' والجامع بين المستعارمنه والمستعارله مشابهة ضوء النار لبياض الشيب.[770] ونرى ان فى هذه الآية تشبيه الشيب بالنار فى اشتعال كل منهما فالشيب هو المشبه والنار هو المشبه به والاشتعال هو وجه الشبه.قال الدكتور أحمد عبد السيد الصاوى:

> وبعد أن عرفنا أن الاستعارة مبنية على التشبيه نقول إن أركان الاستعارة ثلاثة'المستعارمنه'والمستعارله (المشبه به والمشبه)وهما الطرفان والمستعاروهو اللفظ المنقول'ولابدمن

إهمال أداة التشبيه ووجه الشبه حتى يمكن تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به'ولهذالاتقع الاستعارة فى العلم الشخصى لأن الجنس يقتضى العموم'والعلم ينافى ذلك نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشيئ المستعار من أحدهما إلى الآخر.[771]

ومن الضرورى أن يكون للفظ المنقول أصل فى الوضع اللغوى وتكون الشواهد دالة على أنه موضوع لذلك الأصل ثم يستخدمه المستخدم فى غير ذلك لعلاقة المشابهة بين المنقول إليه والمنقول عنه.قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه:"اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعاريَّة".[772]

ومن الضرورى أيضا إهمال أداة التشبيه ووجه الشبه لأن التشبيه وإنكان أصلا فى الاستعارة ولكنه يُتناسى وتناسى التشبيه لايمكن إلابعد إهمال أداة التشبيه ووجه الشبه وأيضا فى الاستعارة يدّعى المستعير أن المشبه من جنس المشبه به وهذاالدعوى لايمكن مع ذكرهما.[773]

الاستعارة بين المجاز اللغوى والمجاز العقلى:

هناك خلاف فى أن الاستعارة مجاز لغوى أو عقلى؟ فقيل إنه مجاز عقلى لأن التصرف فيها لايكون إلا فى أمر عقلى لان من استعارشيئا لشيئ آخر ادعى الاتحاد بين المستعارله والمستعارمنه وهذاأمر عقلى مثلا من استعار الأسد للرجل الشجاع ادعى المشابهة بين الأسد وذلك الممدوح وهذه أمور ترتب فى العقل والقول الثانى وهو الأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأعم منهما فأسد في قولك رأيت أسدا يرمى موضوع فى اللغة للسبع لا للشجاع ولا لمعنى أعم منهما كالحيوان الجريء فاستعارة هذه الكلمة من الحيوان المفترس الذى هو المصداق الأصلى لها للرجل الشجاع مجاز لغة.[774]

السر البلاغى فى استخدام الاستعارة مكان الحقيقة:

كما ذكرنا أن الاستعارة من المجاز اللغوى والمجاز يكون أبلغ من الحقيقة فإذاتأملنا فى أبلغية الاستعارة نرى أنها أبلغ من الحقيقة لوجوه:

منها: أن فيها اتضاح غير الواضح لأن فيها تكون استعارة الكلمة من الشيئ المعروف بتلك المعنى إلى الشيئ غير المعروف بهاففيها اتضاح غير الواضح كما فى:"وإنه في أم الكتاب" ومعناه وإنه في أصل الكتاب ففيه استعارة

لفظ الأم للأصل ومن الواضح لدى الناس أن الأم أصل للأولادلأنها تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول وهذه الحقيقة واضحة ومرئية لدى عامة الناس لاتخفى على أحد ولايحتاج الاستخبار عنها أحد فإذااستعير هذااللفظ لمعنى الأصل صار معناه واضحا كالحقيقة المرئية الواضحة التى لاخفاء فيها فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان وذلك أبلغ في البيان.[775]

ومنها: تقديم الأشياء العقلية فى صورة الأشياء الحسية كمافى قوله تعالى:" واخفض لهما جناح الذل" فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة فاستعير للذل أولا جانب ثم للجانب جناح ومعنى هذاالكلام : اخفض جانبك ذلا فالائتمار من قبل الولد أمر عقلى وهو غائب عن منصة الشهود وبالاستعارة جاء فى معر ض الوجود وصار سهلا للفهم.قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:

> وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقي الولد من الذل لهما والاستكانة ممكنا احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب لأن من يميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه والمراد خفض يلصق الجانب بالأرض ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالطائر" [776]

ومنها أن فى الاستعارة من المبالغة ما ليس فى الكلام العادى كما فى قوله تعالى:" واشتعل الرأس شيبا" وأصل الكلام أن يقال واشتعل شيب الرأس "وإنما قلب للمبالغة لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ولو جاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم ولا يخفى أنه أبلغ من قولك كثر الشيب في الرأس وإن كان ذلك حقيقة المعنى"[777] قال العلامةالسكاكى رحمه الله تعالى:

> مثال ذلك أن يكون عندك شجاع وأنت تريد أن تلحق جرأته وقوته بجرأة الأسد وقوته فتدعي الأسدية له بإطلاق اسمه عليه مفردا له في الذكر فتقول رأيت أسدا كيلا يعد جراءته وقوته دون جراءة الأسد وقوته مع نصب قرينة مانعة عن إرادة الهيكل المخصوص به كيرمي أو يتكلم في الحمام [778]

ومنها:أن للاستعارة من التأثير ما ليس لغير الاستعارة من الكلام العادى حتى وللتشبيه فقول الله تعالى: " يوم يكشف عن ساقٍ " أبلغ وأحسن وأدق تعبيراعلى مرامه من قول القائل: يوم يكشف عن شدة الأمرمع أن المعنيين واحد

ولكن للأول تأثير ليس للثانى لأن من يحتاج أمرا ويريد أن يبذل فيه جهده يشمر عن ساقه كى لايعوقه عائق عن المضى فى سبيله .[779]

ومنها: أن فيها من دعوى الاتحاد بين المستعار له والمستعارمنه بطريق أتم وقد درسنا فى التشبيه أن فى التشبيه البليغ مبالغة لدعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ولكن ذلك الاتحاد ما كان إلى درجة أن يطوى ذكر المشبه على الاطلاق بل سماه أولا ثم أطلق عليه اسم المشبه به وهذايدل على ان ذكر المشبه ملحوظ فيه قال الشيخ الجرجانى فى كتابه اسرار البلاغة:

> فكما أنك لو خلعْتَ من الرجل أثواب السوقة، ونَفَيْتَ عنه كل شيء يختصُّ بالسوقة، وألبستَهُ زِيَّ الملوك، فأبديته للناس في صورة الملوك حتى يتوهّموه مَلِكاً، وحتى لا يَصِلوا إلى معرفة حاله إلا بإخبار أو اختبار واستدلال من غير الظاهر، كنتَ قد أعرتَهُ هيئة المَلِك وزِيَّه على الحقيقة، ولو أنك ألقيت عليه بعض ما يلبسه المَلِك من غير أن تُعَرِّيَهُ من المعاني التي تدل على كونه سُوقَةً، لم تكن قد أعرتَهُ بالحقيقة هيئة الملك، لأن المقصود من هيئة الملك أن يحصُل بها المَهابةُ في النفس، وأن يُتَوَّهم العظمة، ولا يحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالّة على أن الرجل سُوقة."فهناك فرق بين الصورة الأولى(رأيت ملكا) وهى صورة الاستعارة والصورة الثانية (رأيت زيدا وهو ملك) وهى صورة التشبيه فلايخفى مافى الصورة الأولى من المبالغة وحصول الهدف فالسوقة تبدى فى صورة الملك بأكملها فحصل له ما حصل للملك من الرعب والتعظيم وغير ذلك.[780]

هذا ما ذكرت من الأسرار الإجمالية للاستعارة وسأشرح بالتفصيل فى الدراسة التطبيقية ضمن دراسة الآيات المشتملة على الأنواع المختلفة من الاستعارة إن شاء الله تعالى.

شروط حسن الاستعارة

هناك شروط لحسن الاستعارة فعلى المستعير أن يراعى هذه الشروط وإلا لكانت الاستعارة عارية عن الحسن. ومن هذه الشروط:

الأول أن يكون الشبه بين الطرفين واضحا سواء كان هذاالوضوح بنفسه أوكان بواسطة المعرفة بين الناس فحينما استخدم المستعير أسلوب الاستعارة فهمه السامع لوضوح الاسلوب أولتداوله بين الناس وإلا لكانت الاستعارة من الألغاز التى لاتنحل بل تزعج المخاطب كما أراد أحد أن يبين صفة الأبخرية لأحد فشبهه بالأسد وقال رأيت أسدا وأراد أن يقول إنه أبخر فهذاالمفهوم غير

واضح من هذاالأسلوب لأن التشبيه بالأسد معهود فى الشجاعة لافى الأبخرية وإن كان هذاالوصف موجودافيه فتعد هذه الاستعارة وأمثالها قبيحة.[781]

والثانى وهو فى الحقيقة شرط لتعيين أن يكون استخدام الاستعارة فيه مستحسنا فلا يستحسن فيه استخدام التشبيه وهو أنه إذا قوي الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة كما أن الشبه بين العلم والنور قوى فلا يستحسن التشبيه العلم بالنور فلايقول من فهم المسألة كأن نورا حصل في قلبي بل يقول حصل فى قلبى نوروهكذا الشبه بين الظلمة والشبهة قوى فلايستحسن أن يقول من أوقعه أحد فى الشبهة كأنك أوقعتني في ظلمة بل يقول أوقعتنى فى ظلمة. [782]

أنواع الاستعارة:

هناك أنواع كثيرة للاستعارة وهذه الأنواع تتولّد من عدّة تقسيمات وهى كما تلى:

باعتبارذاتهاوباعتبار اللازم لها أوملائمها أوالأمر الخارج عنهاوباعتبار اللفظ وباعتبار الطرفين و باعتبار الجامع وباعتبار الحس والعقل و باعتبار الإفراد والتركيب:الآن أناآتى بهذه التقسيمات بقدرمن التفصيل'وهى كمايلى:

التقسيم الأول

وهو تقسيم الاستعارة باعتبارذاتها فهى تنقسم إلى حقيقية وخيالية فالحقيقية ماذكر فيها اللفظ المستعار مطلقا كقولك رأيت أسدا والتفصيل فى ذلك أن "الضابط لها أن يكون المستعار له أمرا محققا حسا أو عقلا بأن يكون اللفظ منقولا إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية أو عقلية"[783] ومثله قول زهير بن أبى سلمى: لدى أسد شاكى السلاح مقذف:له لبد أظفاره لم تقلم. فالمستعار له هنا هو الرجل الشجاع وهو محقق يدرك بالحس.[784] قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> في الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع هي إذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة هو في أحدهما أقوى منه في الآخر وأنت تريد إلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما أن تدعى ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى بإطلاق اسمه عليه وسد طريق التشبيه بإفراده في الذكر توصلا بذلك على المطلوب لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها[785]

ومن هنا ظهر أن بلاغة هذاالتشبيه هى أن الوصف الذى وجد فى كلا المستعار منه والمستعارله يكون قويا فى الأول وضعيفا فى الثانى فمقصود المستعير أن يقوى ذلك الوصف فى المستعارله كقوته فى المستعارمنه فيدعى أنه كالمستعار منه فى القوة ولهذا فيطوى ذكر التشبيه وهذاايفيد المبالغة إذا قارناه بالتشبيه لدعوى الاتحاد بين المستعار له والمستعارمنه لأن فى التشبيه لايطوى ذكر التشبيه فلايدعى الاتحاد بينهما

والخيالية ماكان المستعار فيها غير محقق لابالحس ولابالعقل بل يكون صورة وهمية ولايكون فى التحقيق من شيئ كما فى: وإذاالمنية أنشبت أظفارها. فأظفار المنية لاوجود لها لا عقلا ولا حسا بل هو شيئ مفترض موهوم.[786] قال العلامةالسكاكى رحمه الله تعالى:

> في الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع هي أن تسمى باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفردا في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه على الفهم من كون مسماه شيئاً متحققا، وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم ومساس بقياس على ذي فضيلة تشبيها بليغا حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها وفي صورة السبع واختراع ما يلازم صورته ويتم بها شكله من ضروب هيئات وفنون جوارح وأعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب، ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة على سبيل الإفراد بالذكر وأن تضيفها على المنية قائلا مخالب المنية أو أنياب المنية الشبيهة بالسبع ليكون إضافتها إليها قرينة مانعة من إجرائها على ما يسبق على الفهم منها من تحقق مسمياتها[787]

وهناك نوع آخر ما تحتمل فيه التحقيقية والتخييلية كليهما كما فى قول زهير بن أبى سلمى[788]:صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ::وعرى أفراس الصبا ورواحله.

> فيجوز أن تكون الأفراس والرواحل استعارة تحقيقية إن أريد بها دواعى النفس وشهواتهاوالقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات وأريد بها أسباب اتباع الغى من المال والأعوان بتحقيق معناها عقلا إن إريد منها الدواعى أو حسا إن أريد به الأسباب وعلى هذا فالمراد بالصبا زمان الشباب ويجوز أن تكون تخييلية عنده أيضا إن جعلت

الأفراس والرواحل مستعارة لأمر وهمى تخيل للصبا من الصورة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة.[789]

يقول العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

في الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل هي كما ذكرنا أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من وجه وعلى ما لا تحقق له من وجه آخر، ونظيره قول زهير صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله أراد أن يبين أنه أمسك عما كان يرتكب أوان الصبا وقمع النفس عن التلبس بذاك معرضا الإعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال: وعرى أفراس الصبا ورواحله أي ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج إليها في الركوب والارتكاب قائمة كأنما نوع فرضت من الأنواع حرقة أو غيرها متى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب رأسا عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه فيقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات والأدوات فترى يد التعطيل تستولي عليها فتهلك وتضيع شيئاً فشيئاً حتى لا تكاد تجد في أدنى مدة أثرا منها ولا عثيرا فبقيت لذلك معراة لا آلة ولا أداة، فحق قوله أفراس الصبا ورواحله أن يعد استعارة تخييلية لما يسبق على الفهم ويتبادر على الخاطر من تنزيل أفراس الصبا ورواحله منزلة أنياب المنية ومخالبها، وإن كان يحتمل احتمالا بالتكلف أن تجعل الأفراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو عن الأسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي وجر أذيال البطالة إلا أوان الصبا[790]

التقسيم الثانى:

وهو تقسيمها باعتبارذاتها أيضا فتنقسم إلى التصريحية والمكنية. أماالتصريحية:فهى أن يكون المشبه به مذكورا ولم يذكر المشبه كما فى قولك رأيت أسدا فى الحمام فالأسد هو المشبه به وأريد به الممدوح الشجاع وهو لم يذكر هنا.[791] فالطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به.وأماالمكنية: فهى أن يكون المشبه مذكوراكما فى قول أبى ذؤيب الهذلي "وإذا المنية أنشبت أظفارها" يجعلون المنية استعارة عن السبع فالمشبه به هو السبع وهو غير مذكور والمشبه هو المنية وهو المذكور.[792]

التقسيم الثالث

وهو تقسيمها باعتبار اللازم لها أوملائمها أوالأمر الخارج عنها.فبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى المرشحة أ والموشحةوالمجردة والمطلقة

أما المرشحة ويقال لها الموشحة أيضا فهى أن تُذكر ملائمات المستعار منه أىالمشبه به و لوازمه وتُثبت تلك الملائمات للمستعارله أى المشبه قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:" ومتى عقبت بصفات ملائمة للمستعارمنه أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه سميت مرشحة"[793] ومثّل هذاالنوع من الاستعارة فقال:" ومثالها في الترشيح ...وجاورت بحرا زاخرا لا يزال يتلاطم أمواجه ولا يغيض فيضه ولا يدرك قعره"[794] ففى هذاالمثال ذكرت ملائمات المشبه به وهى زخر البحر وتلاطم الأمواج وعدم غيض الفيض وعدم إدراك القعر.وقد نرى أن مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه ولذا فتثبت ملائمات أحد الجزئين للآخر.ووجه تسمية هذاالنوع بالترشيحية فهو أن معنى الترشيح هو القوة يقال رشحت الصبى إذا ربيته باللبن قليلا قليلا حتى يقوى على المص.والاستعارة الترشيحية مقواة بمعنى يناسب المستعارمنه فيبعد خطور التشبيه على البال فيكون مقويا للتشبيه لما قصده المتكلم من تناسى التشبييه ودعوى الاتحاد. وأما تسميته بالتوشيحية فهو أن معنى التوشيح هو التزيين وهذا النوع من الاستعارة قد زين بذكر لازم اللفظ المستعار.[795]

وأماالمجردة فهى أن تذكر ملائمات المستعارله أى المشبه أو لواز مه قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:" فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له سميت مجردة"[796] ومثّل هذاالنوع من الاستعارة فقال:" مثالها في التجريد أن تقول ساورت أسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العضب وجاورت بحرا ما أكثر علومه وما أجمعه للحقائق وما أوقفه على الدقائق"[797]ففى المثال الأول أثبتت السلاح وطول القناة وصقل السيف للأسد مع أنها لاتلائمه بل هى تلائم الإنسان وهو المستعارله وهذادليل على أن المراد بالأسد ليس أسدا بل إنسانا شجاعا. وفى المثال الثانى أثبتت كثرة العلوم وجمع الحقائق والوقوف على الدقائق للبحر مع أن هذه ليست من ملائمات البحر بل من ملائمات الإنسان وهذادليل على أن هنا استعارة.ووجه تسمية هذاالنوع بالمجردة "لأنك إذا قلت رأيت أسدا يجادل الأبطال بنصله ويشك الفرسان برمحه فقد جردت قولك:أسدا عن لوازم الآساد وخصائصها,إذ ليس من شأنها تجديل الأبطال ولاشك الفرسان بالرمح والنصال".[798]

وأماالمطلقة فهى ما اجتمع فيها ملائمات المستعارله والمستعارمنه أوخلت من ملائماتهما.[799]كما فى قول الشاعر: رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر::ظواهر جلدى وهو للقلب جارح. فالمستعارله فى هذاالشعر هو الطرف

والمستعارمنه هو السهم والجامع هو أثركل واحد منهما فالقتيل المضرج بالدموع هو فوق القتيل المضرج بالدماء والريش من ملائمات المشبه به والكحل من ملائمات المشبه.فكل من ملائمات المشبه والمشبه به مذكورة هنا.[800] وأما ما خلت من ملائماتهما جميعا فهو كل مثال الاستعارة لم تعقب بهذه الملائمات قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:" اعلم أن الاستعارة في نحو عندي أسد إذا لم تعقب بصفات أو تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة وإنما يلحقها التجريد أو الترشيح إذا عقبت بذلك" [801] وقد أطلق هذاالنوع من الاستعارة من الميل إلى ملائمات أحد من الطرفين بل إما يجتمعان وإما ينتفيان.ولهذايسمى بالمطلقة.

التقسيم الرابع

وهو تقسيمها باعتبار اللفظ وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى الأصلية والتبعية.

أماالأصلية فهى أن يكون الاستعارة فيها باعتبار أمره فى نفسه فيكون المستعار اسم جنس مثل الرجل والاسد والقيام والقعود فالاستعارة فيها بدون توسط شيئ آخر.قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:"أصلية وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية بحبل الله من الظلمات إلى النور في كل واد"[802]

وأماالتبعية فهى ما لم يكن فيها الاستعارة باعتبار أمره فى نفسه بل بتوسط شيئ آخر فيكون المستعار غير اسم جنس كالفعل والمشتقات. قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد على التشبيه والتشبيه يعتمد على كون المشبه موصوفا والأفعال والصفات المشتقة منها والحروف عن أن توصف بمعزل فهذه كلها عن احتمال الاستعارة في أنفسها بمعزل وإنما المحتمل لها في الأفعال والصفات المشتقة منها مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري فيها"[803]

التقسيم الخامس:

وهو تقسيمها باعتبار الطرفين:وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى الوفاقية والعنادية.

أما الوفاقية فهى ما يصح فيها اجتماع الطرفين فى شيئ واحد كما فى قوله تعالى:"أومن كان ميتا فأحييناه" أي ضالا فهديناه[804] ففى هذه الآية استعير الإحياء للهداية فالإحياء مستعار والهداية مستعارله ومن المعلوم أن الإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء فالإنسان الواحد يكون حيا ويكون مهديا.[805]

وأما العنادية فهى ما لايصح اجتماع الطرفين فيها فى شيئ واحد كما إذاسمى شيئا موجودا باسم المعدوم لجامع عدم النفع فيهما ولايخفى أن الموجود والمعدوم لايجتمعان فى حال من الأحوال.[806]

ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض نحو فبشرهم بعذاب أليم فالبشارة هى من الأخبار السارة للإنسان وهى لاتكون بالعذاب الأليم فأما هنا فقد استخدم فى معنى الإنذار وهذا المعنى مضادة للمعنى المستعار تماما فهو استخدم فى هذاالمعنى على سبيل التهكم والاستهزاء .[807]

التقسيم السادس

وهو تقسيمها باعتبارالجامع وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى قسمين:قسم يكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين'وقسم لايكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين.

أماما يكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين فكمافى استعارة الطيران للعدو فى قوله عليه السلام "خير الناس ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها" فالجامع فى الطيران والعدو هو قطع المسافة بسرعة وهذه السرعة كثيرة فى الطيران وقليلة فى العدو ولهذا استعير الطيران للعدو للمبالغة.[808]

وأما ما لم يكن الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين فكما فى استعارة البدر للمرأة الحسناء فى قول القائل:رأيت بدرا تستحيى فالجامع وهو الحسن غير داخل فى مفهوم الطرفين بل هو شيء إضافى على معناهما.

التقسيم السابع:

وهو تقسيمها باعتبارحكم الاستعارة وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى قسمين'وهما الخاصية والعامية أوالحسنة والقبيحة:

فالأولى وهى الخاصية أو الحسنة ما خفى فيها التشبيه وكلما ازدادت الاستعارة خفاء ازدادت حسنا ومثالها قوله تعالى:"ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا"[809] نلاحظ أن فكرة مد العين لإحراز محاسن الدنيا والشغف بحبها والتهالك فى جمع حطامها والشح بما ظفر به منها تفوح بلذة لاتساويها لذة وتجول بالمخاطب فى ميدان الفكرات الساحرة.[810]

والثانية وهى العامية أو القبيحة ما لم يخف فيها التشبيه وكلما ازدادت الاستعارة ظهورا ازدادت قبحا'ومثالها رأيت أسدا فى الحمام فوجه الشبه واضح لايخفى على أحد وإذا تأملنا فى هذه الحقيقة وصلنا إلى نتيجة أنه لاينبغى أن يكون وجه الشبه واضحا كل الوضوح لافى التشبيه ولافى الاستعارة لأن حسنهما إنما يكون فى التأمل والتفكر والوصول إلى التصوير الفنى الذى يتجول فيه المخاطب فإذااتضح أول الأمر فات كل شيئ.[811]

التقسيم الثامن:

وهو تقسيمها باعتبارالحس والعقل وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى خمسة أقسام:قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:"ولما أن الاستعارة مبناها على التشبيه تتنوع على خمسة أنواع تنوع التشبيه إليها. استعارة محسوس لمحسوس واستعارة معقول لمعقول و استعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول لمحسوس" [812] وهذه فى الحقيقة أربعة أقسام ولكنها تصير إلى خمسة أقسام إذاضم إليها مراعات وجه الشبه فيهاوهى كما يلى:

القسم الأول استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس كما فى قوله تعالى: واشتعل الرأس شيبا ففى هذه الآية استعير الاشتعال للشيب من النار وكل من الشيب والنار حسى ووجه الشبه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب وكل ذلك محسوس وغرض التشبيه من مثل هذه التشبيهات هو إلحاق المشبه بالمشبه به فى وصف يكون أقوى فى المشبه به منه فى المشبه فلاشك أن وصف الاشتعال والنار والشيب كلها من الأشياء الحسية ولكن نرى أن وصف الاشتعال فى النارأقوى من وصفه فى الشيب فالتحق الشيب بالنار فى هذاالوصف فيكتسب من المبالغة ما فى المشبه به.[813]

القسم الثاني استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي فيكون المستعارمنه والمستعارله من الأشياء المحسوسة وأما وجه الشبه فيكون عقليا كما فى قوله تعالى:" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار" نرى أن المستعار منه هو السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان ووجه الشبه هوترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل وهذاالترتب أمر لايدرك بالحواس الخمسة فهو أمرعقلي.[814]

والقسم الثالث استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي فالمستعارمنه والمستعارله ووجه الشبه كلها من الأشياء التى لاتدرك بالحواس الخمسة بل بالعقل ولايؤخذ عليه أنه لافائدة فى تشبيه المعقول بالمعقول لأن المعقول يكون أبعد فهما فتشبيه الأبعد بالأبعد لايجدى شيئا لأن هنا ك فرق بين المعقول والمعقول فهناك معقول لايأتى فى الذهن إلا بعد الجد والكد وهناك معقول يأتى فى الذهن بأدنى تفكر فيشبه الأول بالثانى فيقرب إلى الذهن ومثاله قوله تعالى:" من بعثنا من مرقدنا"[815] ففى هذه الآية استخدمت كلمة مرقد والمراد منه الموت فالمستعار منه الرقاد أي النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل وكل من المستعار له والمستعار منه والجامع لايدرك بإحدى الحواس الخمسة.[816]

والقسم الرابع استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي فيكون المستعارله من الأشياء المعقولة والمستعارمنه من الأشياء التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والجامع بينهما أيضا يكون من الأشياء العقلية كما فى قوله تعالى: "مستهم البأساء والضراء"فاستعير المس لمقاساة الشدة فالمس شيئ يدرك بالحواس وأما مقاساة الشدائد فلايدرك إلا بالعقل والجامع بينهما أن كل واحد من المس ومقاساة الشدائد يلحق الإنسان وهذااللحوق أيضا من الأشياء المعقولة.[817]

والقسم الخامس استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلي أيضا فيكون المستعار له من الأشياء الحسية والمستعارمنه من الأشياء المعقولة والجامع بينهما أيضا يكون من الأشياء التى تدرك بالعقل ومثاله قوله تعالى:" نحو إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية" فاستعير الطغيان لكثرة الماء والطغيان بمعنى التكبروهو من الأشياء المعقولة أما كثرة الماء فيدرك بحاسة البصر والجامع بينهما هو الاستعلاء وهو أيضا أمر عقلى.[818]

التقسيم التاسع

وهو تقسيمها باعتبار الإفراد والتركيب وبهذاالاعتبار هى تنقسم إلى قسمين:وهما الاستعارة المفردة والاستعارة المركبة.أما الاستعارة المفردة فكما مر بأقسامها المختلفة

وأما المركبة أوالاستعارة التمثيلية

فهى ما كان وجهه منتزعا من متعدد كما درسناه فى التشبيه التتمثيلى قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف الأخرى مثل أن تجد إنسانا استفتى مسألة فيهم

تارة بإطلاق اللسان ليجيب ولا يهم أخرى فتأخذ صورة تردده
هذا فتشبهها بصورة تردد إنسان قام ليذهب في أمر فتارة يريد
الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى[819]

فالتشبيه هنا ليس بين المفردين بل بين الهيئتين على سبيل الاستعارة التمثيلية فشبه من تردد فى أمر- ففى بعض الأحيان يريد أن يعمل عملا وأحيانا لايريده- بشخص يقدم رجلا ويؤخر أخرى. "ومثله ما كتبه الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه يتوقف فى بيعته له أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخرأخرى فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت. والسلام." [820]

وهذه الاستعارة من أبلغ أنواع الاستعارة لوجوه:

منها:أن هذه الاستعارة تقدم الأشياء المعنوية فى صورة حية فتكون هذه الصورة أما م المشاهد فهو يراها بتفاصيلها المختلفة ويقتطف منها مآربه مع ما يأخذها من الأمور البلاغية الأخرى التى ما جاء لاقتطافها.

ومنها: أن فيه الحث على التفكير فى أمور مشاهدة أمام المشاهد فهو يتفكر بنفسه فى جزئيات الأمور المشاهدة ويحصل أشياء جديدة لأن بعض المعالم المتاحة فى الصورة المشاهدة دانية فتقطتف بسرعة و بعضها بعيدة فيرسل المشاهد تفكير لاصطياد تلك المعالم.

ومنها أن هذاالنوع يبث اللذة فى نفس المشاهد ما لايمكن فى الكلام العادى فهو يشاهد كل شيئ بنفسه ويتجول فى مجال الفكر والخيال ويقف أمام علم متاح وقفة فيأخذ منه مأربته ثم يطلق فكره حتى يأتى إلى علم متاح فى الصورة المشاهدة فيقف لاقتطافه مرة أخرى فيأخذ مأربته وهكذا.

بعض القواعد المتعلقة بالاستعارة التمثيلية:

القاعدةالأولى

ذهب صاحب فن الاستعارة إلى أن الاستعارة التمثيلية لاتكون إلا مصرحة كما فى قول الشاعر:

رأيت عرابة الأوسى يسمو... إلى العلياء منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين.

ففى هاتين البيتين شبه الشاعر هيئة ممدوحه فى كسب المحامد بهيئة من يحصل الشيئ بيمينه فهنا استعارة المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.[821] ولكن سنرى فى الناحية التطبيقية أن الاستعارة التمثيلية تكون

تصريحية ومكنية لأن الهيئة المذكورة قد تكون مستعارامنها وقد تكون مستعارا لها.

القاعدة الثانية:

لابد أن تكون هناك قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلى وهذه القاعدة غير مختصة بالاستعارة التمثيلية بل هى ملحوظة فى كل الاستعارات.[822]

القاعدة الثالثة:

تكون الاستعارة مرشحة ومجردة ومطلقة.أما المرشحة وهى ما ذكر فيها مايلائم المشبه به فكما فى"أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخرأخرى" فالعبارة التى تليها وهى" فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت. والسلام." تلائم المشبه به.وأما المجردة وهى ما ذكر فيها مايلائم المشبه كماإذا بدلت العبارة الأخيرة بهذه العبارة"حتى كددت ذهنك" فهذه العبارة تلائم المشبه.وأما المطلقة وهى ما خلت عن ملائمات المشبه والمشبه به كما إذا أطلقت العبارة السابقة من العبارتين المذكورتين.[823]

أبلغ أنواع الاستعارة:

اعلم أن المراد بالأبلغية إفادةزيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه لا زيادة في المعنى فالمبالغة التى توجد فى هذاالنوع لا توجد في غير ذلك ومما لاشك فيه أن أبلغ أنواع الاستعارة هى التمثيلية [824] للوجوه الاتية:

الاستعارة التمثيلية ترسم الصورة الحية للمعانى فالمخاطب يفهم المعانى بسهولة كما أنها مرسومة فى صورة الاستعارة التمثيلية ومن المعلوم أن الأشياء المقدمة فى التصوير أقرب فهما من غيرها.

هذه الاستعارة تجعل المخاطب يتفكر فى الصورة المشاهدة وهى تعطيها المعانى الكثيرة بسهولة وبأكثر تفصيل من الاستعارة غير التمثيلية وأى كلام عادى.

فى هذاالأسلوب يكون إيجازا لأن التصوير يُرسم بألفاظ قليلة وهو يكون محتويا بالمعانى الكثيرة.

ولايخفى التلذذ فى الفكر فى محتويات الصورة المرسومة فالمخاطب يقتطف من الأثمار المتعلقة بتلك الصورة من هنا وهناك ويأتى بأشياء جديدة وهو يجد لذة لاتساويها لذة فى الدنيا.والتى تليها من الاستعارة غير التمثيلية هى

الاستعارة المكنية [825] لأن فيها يطوى ذكر المشبه به ويقام المشبه مكانه فيُنسى التشبيه فنلاحظ أن الضلالة والهدى فى قوله تعالى "أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى"مشبهان وقد حذف المشبه بهما وهما السلعة الرديئة والجيدة. ولكنهما محذوفان منسيان.والقرينة الدالة على حذف المشبه به تزيد قوة الاستعارة لأن فيها يطوى ذكر المشبه به ويقام المشبه مكانه فيُنسى التشبيه.

ولايخفى ما فى إثبات لوازم المشبه به للمشبه من دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به لأن فى إثبات هذه اللوازم استمرار الاستعارة وتقويتها.

ثم أبلغ الاستعارة من حيث ذكر ملائمات المشبه أو المشبه به هى الترشيحية فهى أبلغ من المجردة والمطلقة لأن ذكر ملائمات المشبه به يرمز إلى وجود المشبه به قال العلامة الصابونى رحمه الله تعالى:" وهذا هو الترشيح الذى يبلغ بالاستعارة الذروة العليا"[826] وأبلغها من حيث التحقيق والتخييل هى الاستعارة التخييلية فهى أبلغ من التحقيقية لأن التخييلية قريبة من المجازوأما التحقيقية فقريبة من الحقيقة والمجاز أبلغ من الحقيقة.[827]

الاستعارة غير التمثيلية فى ضوء النصوص القرآنية:

بعد أن ألقيت ضوءا سريعا على الاستعارة وأنواعه والأغراض البلاغية لأسلوب الاستعارة أريد أن أدرس الاستعارة فى ضوء النصوص القرآنية وهو الهدف الأصلى لبحثى وسأحاول أن يكون بحثى فى إطار الناحية البلاغية للأنواع المختلفة للا ستعارة ولذا فسأترك النواحى الأخرى للاستعارة وأقدم الاستعارة غير التمثيلية على الاستعارة التمثيلية لأنها استعارة بسيطة وأما الاستعارة التمثيلية فهى مركبة من الأشياء الكثيرة لأن وجه الشبه فيها يكون منتزعا من عدة أمور وأماغير التمثيلية فما لم تكن كذلك. وهى كما بيّنت فى التمهيد تكون مصرحة ومكنية وتكون أصلية وتبعية وتكون استعارة المحسوس للمحسوس وللمعقول واستعارة المعقول للمعقول وللمحسوس.وبما أن الآيات القرآنية تضم أكثر من قسم واحد لأن هذه الأقسام نتيجة للتقسيمات المختلفة وهى تجتمع فى نص واحد فيمكن أن تكون الاستعارة مصرحة وفى نفس الوقت أصلية أو تبعية وفى نفس الوقت استعارة المحسوس للمحسوس فإنى سأناقش كل هذه الأقسام فى الآيات القرآنية فى موضع واحد دون أن أكررها لمناقشة كل قسم فأتعب القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض. فأدخلت بعض هذه الأقسام فى بعض وجعلت لغير التمثيلية قسمين:المصرحة والمكنية ولكل واحد منهما قسمين أصلية وتبعية ثم ينقسم باعتبار الحس والعقل إلى خمسة أقسام وجعلت لها خمسة أقسام باعتبار الحس والعقل وشرحت الأقسام الباقية فى ضمن هذه الأقسام فقسمتها باعتبار الحس والعقل وبهذاالاعتبارينشأ من الاستعارة المصرحة خمسة أقسام وهى:

- المحسوس للمحسوس بجامع حسى
- والمحسوس للمحسوس بجامع عقلى
- والمحسوس للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمحسوس بجامع عقلى

وهكذا ينشأ من الاستعارة المكنية خمسة أقسام وهى:

- المحسوس للمحسوس بجامع حسى
- والمحسوس للمحسوس بجامع عقلى
- والمحسوس للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمحسوس بجامع عقلى

فهذه عشرة أقسام وأدرسهافى هذااللباب فى فصلين: الفصل الأول فى الاستعارة المصرحة والفصل الثانى فى الاستعارة المكنية وناقشت كل واحد منهما فى خمسة مباحث حسب أقسام الاستعارة وهى خمسة لكل واحد من المصرحة والمكنية ويحصل من ضرب الإثنين فى الخمسة عشرة أقسام وهى: المصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى

والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمكنية من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى

***

الفصل الأول

الاستعارة المصرحة

سأبين هنا القسم الأول من الاستعارة غير التمثيلية وهى الاستعارة المصرحة أو التصريحية وهى ما ذكر فيها المستعارمنه ولم يذكر المستعار له وهى كما قلت تنقسم إلى خمسة أقسام وهى: المصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى ' فسنناقش هذه الأقسام الخمسة فى خمسة مباحث إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

المحسوس للمعقول بجامع عقلى:

فى هذاالمبحث سأناقش الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والمستعارله من الأمور المعقولة فلا تدرك بها والجامع أيضا من الأمور المعقولة ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وترشيحية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ كيف عبر الله تعالى عن إباء قلوب المنافقين عن قبول الحق وعدم استماعهم لقول الحق بالختم عليهما وعن عد م استخدامهم أعينهم فى رؤية الحق عن كونهم فى غشاوة فقال تعالى "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"[828] . اعلم أن فى هذه الآية استعارتان:

<u>الاستعارة الأولى</u>: وهى فى كلمة "ختم" شبه الله تعالى قلوب المنافقين وأسماعهم بالوعاء المختوم عليه والجامع بينهما هو عدم النفوذ إليهما أما إلى القلوب فلا ينفذ إليها الحق وأماإلى الوعاء المختوم فلا ينفذ إليه ما يضره فقد استعير لفظ الختم لعدم قبول القلوب الحق وهو مذكور فى هذه الآية فهذه استعارة تصريحية.[829] قال الإمام الطبرى رحمه الله تعالى:

> فإن قال لنا قائل: وكيف يختِمُ على القلوبِ، وإنما الختمُ طبعٌ على الأوعية والظروف والغلف؟قيل: فإن قلوبَ العباد أوعيةٌ لما أُودِعت من العلوم، وظروفٌ لما جُعل فيها من المعارف بالأمور . فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع - التي بها تُدرَك المسموعات، ومن قِبَلها يوصَل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المُغَيَّبات - نظيرُ معنى الختم على سائر الأوعية والظروف.[830]

وقال الشريف الرضى[831] :"وهذه استنعارة لأن الختم الحقيقى لايتأتى فى القلوب وإنما المعنى أنه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن والمصر والمقلع فيذمون العاصى لمعصيته ويمدحون الطائع لطاعته" [832] وقال العلامة القونوى: " حاصله أن لفظ الختم استعير من ضرب الخاتم على نحو

الأوانى لإحداث هيئته فى القلب والسمع بجامع عقلى هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه أن يقبله" [833]وبما أن ختم مشتق من الختم المصدر فالاستعارة تبعية. ونرى أن المستعار منه وهو ختم الوعاء مدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما المستعارله وهو عدم قبول الحق فلايدرك بالحواس الخمسة والجامع وهو عدم النفوذ فشيئ لايدرك بإحدى الحواس الخمسة. فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

والاستعارة الثانية: فى كلمة "غشاوة" فقد استعير من معناها الأصلية لحالة في أبصارهم مقتضية لعدم اجتلائها الآيات ففى هذه الآية استعارة تصريحية لأن المشبه به مذكور هنا وهو كلمة غشاوة ثم فى كونها استعارة أصلية أو تبعية احتمالان:الاول أنها أصلية إذا جعلت غشاوة اسم آلة والثانى أنها تبعية إذا أولت الغشاوة بمشتق. ونرى أن المستعار منه وهوغشاوة مدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما المستعارله وهى الحالة فى أبصارهم المقتضية لعدم الاجتلاء فلايدرك بالحواس الخمسة والجامع وهو عدم الاجتلاء فأيضا لايدرك بإحدى الحواس الخمسة. فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وكل من الاستعارتين الأولى والثانية خلت من ملائمات المستعارله والمستعارمنه فهما استعارتان مطلقتان.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- كما ذكر ان فى الاستعارة يطوى ذكر التشبيه فلا يذكر ولايُلحظ فيُنسى من القلوب فكأن المستعير يدعى أنه ليس هناك فرق بين المستعارله والمستعارمنه وهذا يفيد من المبالغة ما لايفيده الكلام العادى حتى أسلوب التشبيه نفسه.ففى قولك رأيت أسدا فى الحمام ادعاء أنه ليس هناك فرق بين الممدوح والأسد فكأن الممدوح أسد وكأن الأسد ممدوح وهذه الفكرة لا يعطيها " رأيت من هو مثل الأسد" لأنه ليس فيه دعوى الاتحاد بين المستعارمنه والمستعارله. فإذا أخذنا هذه الفكرة وجئنا بها إلى ما نحن فيه لنرى أن فى هذاالأسلوب قد طوى ذكر التشبيه فأوحى أن قلوب هؤلاء المنا فقين وأسماعهم مغلقة تماما وهى وصلت فى هذه الصفة إلى أنها تليق أن تسمى باسم الأوعية المختوم عليه وأعينهم وصلت فى هذه الصفة إلى أنها تليق أن تسمى بالأشياء التى التفت فى الغشاوة.
- ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من المبالغة لأن الأشياء المختوم عليها لاينفذها شيئ من الخارج وهكذا الأشياء المغشى عليها مصونة من نفوذالأشياء فهذه الاستعارة توحى أنه ليس من الممكن أن تنفذ الحق فى قلوب هؤلاء الناس ويتراآى أمام أعينهم ويُسمع لآذانهم.
- نسب الله تعالى الختم إليه وهذا يوحى أن الخيار قد سلب عنهم فالآن لايمكن لهم أن يعود وا من زيغهم وإن أراد وا ذلك لأن الله تعالى هو الذى سدلهم طريق الهد ية والوصول إلى نور اليقين.

- ومن مزية هذاالأسلوب أن فيه التصوير الفنى فى صورة كونها استعارة تمثيلية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "ولك أن تجعل الختم والغشاوة تمثيلاً بتشبيه هيئة وهمية متخيلة في قلوبهم أي إدراكهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمل في الأدلة كما تقدم بهيئة الختم ، وتشبيه هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة".[834] ففيه حث المخاطب على التفكر وقطف الأثمار من الشجرة المصورة أمامه. وأيضا يجد لذة حينما يسبح فى بحر المعرفة ويخرج اللآلى من قعره.

ويعبر الله تعالى عن عدم اتعاظ قلوب بنى إسرائيل بكونها قاسية صلبة مثل الحجرفيقول:"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" [835] فاستعير الصلابة والغلظ لعدم اتعاظ القلوب فالمستعارمنه هو القسوة والغلظ والمستعارله هو عدم اتعاظ القلوب والجامع بينهما هو عدم نفوذالشيئ فى كل واحد منهما أما فى المستعارمنه فلاينفذ شيئ فى الشيئ الغليظ وأمافى المستعارله فهو أن القلوب إذالم تكن قابلة للوعظ فلا ينفذ إليهاشيئ'نلاحظ أن المستعارمنه شيئ مدرك بحاسة اللمس والمستعارله لايدرك إلا بالعقل لأ ن عدم قابلية القلب لايدرك بالحس بل بالعقل.والجامع أيضا عقلى فهذا من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بوجه عقلى.ولذكر المستعارمنه وحذف المستعارله فهى استعارة تصريحية.[836] و يجوز فيه أن تكون الاستعارة فى قلوبكم استعارة مكنية لأن القلوب مستعارله والشيئ الصلب مستعارمنه ففى هذه الصورة رشحت بقوله قست لأن القسوة من لوازم الشيئ الصلب لا القلوب. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة المستخدمة فى هذه الآية مايأتى:

- فيه إشارة إلى أن الآيات الآتية من الله تبارك وتعالى كافية إلى أن تؤثر فى القلوب مثل آية البقرة خارقة للعادة فكان من المفروض أن تتعظ القلوب لها فالقلوب التى لاتتعظ بها خربة مريضة لاتنفذها شيئ من النصيحة. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:"والقسوةُ عبارةٌ عن الغِلَظ والجفاء والصَّلابة كما في الحَجَر استُعيرت لنُبوِّ قلوبهم عن التأثر بالعِظات والقوارع التي تميعُ منها الجبالُ وتلينُ بها الصخور"[837]
- الناس عادة يفهمون الأشياءالتى أمام أعينهم أوفى إحاطة حواسهم الخمسة فقرب الله تعالى إلى أفهامهم عدم اتعاظ القلوب بالآيات بتشبيههم بالشيئ الصلب.
- وفى ترشيح الاستعارة مبالغة وتأكيد لمراعاة ملحوظية المستعارمنه فى أسلوب الاستعارة لأن هذا أقرب إلى تناسى التشبيه.

- استخدم الفعل مع أن قلوبهم لم تزل قاسية إشارة إلى أن الاستمرار على الشيئ مع ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمر جديد'ونتيجة لهذا فهو قبح جديد لهم وهذا مما لاينبغى أن يكون وإليه أشير بكلمة "ثم" وهو لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة مايزيلها. [838]

ويبين الله تعالى نبذ ميثاق بنى إسرائيل بعد أن وعدوا بإنهم سيبينن أحكام الكتاب ولايكتمونها ولكن ما أوفوا بعهدهم وتركوا أحكام الكتاب وباعوها بثمن قليل فقال تعالى:"وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" [839] فى هذه الآية استعارتان : الأولى : استعارة الاشتراء للاستبدال وقد عالجتها فى استعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى فليراجع هناك وأما الاستعارة الثانية فهى فى نبذوه وراء ظهورهم ففيه تشبيه عدم التمسك بالميثاق بالشيئ المنبوذ الملقى قال صاحب التفسير المنير: "توجد استعارة فى النبذ والاشتراء إذشبه عدم التمسك بالميثاق بالشيئ المنبوذ الملقى وشبه العمل بالبديل باشتراء عوض قليل من أموال الدنيا مقابل كتم آيات الله". [840] ففى الاستعارة الثانية المستعارمنه هو النبذ والمستعارله هو ترك التمسك بالميثاق والأول من الأشياء الحسية وأما الثانى فهو لايدرك بالحواس الخمسة بل بالعقل فهنا استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى وهو عدم الاهتمام بالشيئ المنبوذ والمتروك. وبما أن المستعارمنه هو المذكور فالاستعارة تصريحية ولكونها فى المشتق هى تبعية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى نبذ الكتاب معنى الإهمال ما ليس فى الترك لأن الناس إذا لم يبالوا بشيئ نبذوه والناس المارون بذلك الشيئ المنبوذ لا يهتمون به فهو شيئ منسى من كل الوجوه.
- ليس النبذ فحسب بل هو مقيد بقيد وراء ظهورهم ففى هذاالقيد ذيادة فى عدم مبالاتهم وتركهم الكتاب لأن الشيئ إذا نبذ أمام الناس يمكن التفات الناس إليه ولكن إذا كان وراءهم لاتقع أبصارهم عليه.

ويعبر الله تعالى عن حب بنى إسرائيل عبادة العجل بكون الحب مشربا فى قلوبهم فيقول:"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[841] الاستعارة فى كلمة "اشربوا" فقد استعير الإشراب لجعل الشيئ متصلا بشيئ وداخلا فيه والجامع هو شدة الاتصال والسريان لأن الماء أسرى الأجسام فى غيره'نرى أن الإشراب شيئ محسوس وأما كون الحب متصلا بقلوبهم فلا يدرك بالحواس الخمسة والجامع أيضا أمر معقول فهذا من استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمذكورفى هذه الاستعارة هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وبما أن المستعارمنه هو الفعل فالاستعارة

تبعية.[842] ويجوز أن تجعل الاستعارة فى كلمة"العجل" فالمستعارمنه هو المشروب اللذيذ السائغ الشراب والمستعارله هو العجل بتقدير الحب أو بدون تقديره مبالغة.قال العلامةالآلوسى رحمه الله تعالى: "والكلام على حذف مضاف أي حب العجل ، وجوز أن يكون العجل مجازاً عن صورته فلا يحتاج إلى الحذف"[843] والجامع هو شدة الاتصال بشيئ آخر فهو من استعارة المحسوس لمحسوس بجامع عقلى وهذا بدون تقدير الحب وأما بتقدير الحب فهو استعارة المحسوس لمعقول بوجه عقلى وهى استعارة مكنية لذكر المشبه وقدرمز إليه بمايلازم المستعارمنه وهو الإشراب فالاستعارة ترشيحية.[844] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- للإشراب معنيان: الأول: جعل الغير شاربا والثانى تسرية الصبغ فى الثوب فبناء على المعنى الأول هناك مبالغة فى حب العجل الموجود فى قلوب بنى إسرائيل' كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال. وبناء على المعنى الثانى هناك مبالغة فى الحب لأنه شبه إذن بإدخال الصبغ فى الثوب والصبغ يتداخل الثوب حتى لايميز الصبغ من الثوب وكأنه جزء من الثوب هكذا حب العجل داخل فى أجزاء القلب حتى كأنه جزء من القلب. وفيه من المبالغة مالايخفى.[845]
- وكما أن الماء ينساغ فى البدن بسرعة ومبالغة هكذا الحب قد سرى فى قلوبهم بسرعة ومبالغة قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"ومن عادتهم أنهم إذا عبروا عن مخامرة حب أو بغض استعاروا له اسم الشراب إذ هو أبلغ منساغ في البدن ، ولذا قال الأطباء : الماء مطية الأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر به إلى أقطار البدن" [846]
- وفى هذاالتشبيه استعارة لطيفة وهي أنه كما أن شرب الأرض الماء مادة لحياة ما تخرجه من النبات والأشجاروما إلى ذلك فكذا حبهم العجل كان سببا للأعمال الصادرة عنهم.[847]

ورد الله تعالى زعم النصارى وهو أنهم كان فى كنا ئسهم أحواض الماء الصغيرة وكانوا يحسبون ماءها مباركا لأنه كان من بقايا الماء المهراق على عيسى عليه السلام حين عمده يحيى فكانوا يصبغون فيه أولادهم كى يتصفوا بصفة النصرانية فرد الله تعالى عليهم أن الصبغة ليست الصبغة الحاصلة من تلك الأحواض بل الصبغة الحقيقية هى الصبغة الحاصلة من الاتصاف بصفة الاسلام الحاصلة من قبول الاسلام.[848] فقال تعالى:"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ"[849]

أي إن كان إيمانكم حاصلاً بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله وتلوينه أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه ،

> فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة ، وإنما سماها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسموها استعارة وسموها المشاكلة ، وإنما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه.[850]

فسمى الله تعالى الدين بالصبغة بطريق الاستعارة حيث تظهر سمته على المؤ منين كما يظهر أثر الصبغ فى الثوب.[851] نلاحظ أن المستعارمنه هو الصبغة والمستعارله هودين الإسلام وقدذكر المستعارمنه فالاستعارة تصريحية ولأنه من الأسماء فهى أصلية ثم الصبغة من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر وأما الدين فلا يدرك بإحدى الحواس الخمسة فهو من استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى وقدأطلقت عن ذكر ملا ئمات المستعارمنه والمستعارله فهى استعارة مطلقة.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- كان هذا فى الحقيقة ردا لزعمهم الباطل فأجيب حسب زعمهم فما قيل إن الدين هو دين الله تعالى بل قيل إن الصبغة هى صبغة الله تعالى.
- الدين هو الشيئ المعقول ولايأتى فى الأذهان مفهومه مباشرة فشبه بالشيئ الذى هو مدرك بالحواس كى يقرب إلى الأذهان.
- قد انتقل العظمة التى كانت فى أذهانهم للنصرانية إلى دين الإسلام باستعارة الصبغة التى كانت مقد سة عندهم. فأفادت الاستعارة مبالغة مع الإيجاز. لأن المبالغة فى العظمة كانت موجودة فى أذهانهم فلما أستعيرت الصبغة التى كانت مباركة عندهم انتقلت صفة البركة مع المبالغة من النصرانية إلى دين الإسلام.

وقدم لله تعالى الإيمان والكفر فى صورة الظلمات والنور فى قوله تعالى:"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[852] فاستعار لفظ النور للإيمان والظلمات للكفر فالنور والظلمات مستعارمنه وأما الكفر والإيمان فمستعارله[853] والمذكور هنا المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وهنا استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى لأن النور والظلمات مدركان بحاسة البصر وأما الإيمان والكفر فلايدركان بالحواس بل هما شيئان مضمران فى قلب المؤمن والكافروالجامع هو تنور قلب المؤمن وإظلام قلب الكافر وهما شيئان مدركان بالعقل أيضا لاسبيل للحس إليهما ثم

النور والظلمات من الأسماء فالاستعارة أصلية. ولعدم الترشيح والتجريد هى مطلقة.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- لاشك أن التضوء فى الإيمان والإظلام فى الكفر شيئ معنوى لايصل إليهما إدراك الناس فإذا قدما فى صورة النور والظلمات صارا أمام الناس كأنهم يرونهما بكل أجزائهما فهما اتصفا بكل الأوصاف التى كانت للنور والظلمات فلا داعى للمتكلم أن يتكلم بتلك الأوصاف ففيه تقريب الأشياء المعنوية فى صورة حسية سهلة.
- فى استعارة النور للإيمان تزيين المستعار له وفى استعارة الظلمات للكفر تقبيح المستعارله لأن المخاطبين يستحسنون النور ويستقبحون الظلمات.
- فى ذكر المستعارمنه إشارة إلى أن النور والإيمان وصلا فى التشبيه إلى حد يجوز أن يطلق أحدهما على الآخر. فتناسى التشبيه.
- وفيه أيضا إشارة إلى أن الضوء يمكن فقط إذا كان القلب معمورا بضياء المعرفة واليقين فالمؤمن يميز الأشياء الجيدة عن الأشياء القبيحة بنور الإيمان ولايحصل هذاللشخص الذى وقع فى ظلمات الكفر والشك. ولايخفى مافى إفراد النور وجمع الظلمات من الإشارة إلى أن النور واحد وهو نور التوحيد وأما الظلمات فكثيرة قال أبوالسعودرحمه الله تعالى:" وإفرادُ النور لتوحيد الحق كما أن جمعَ الظلمات لتعدد فنون الضلال" 854
- يعنى إخراج الله تعالى أولياءه من الظلمات إلى النور أن الله تعالى سهل لهم طريق الهداية وألهمهم إياه لأن قبول الإيمان فى فطرة كل إنسان فإذا أطاع أولياءه الفطرة التى جبلوا عليها فهذا إطاعة الفطرة الموهوبة من الله تعالى وأما إخراج الشيطان أولياءه من النور إلى الظلمات فيعنى أنه يزينون لهم الطريق المحايد من طريق الفطرة وهى طريق ظلمات الكفر والشك والنفاق والضلال. وفيه إيضا إشارة إلى أن الذى يتبع الشيطان يترك الدلائل الواضحة والبينات الساطعة. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:

> أو الله وليّ المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها ، حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين { والذين كَفَرُواْ أوْلِيَاؤُهُمُ } الشياطين { يُخْرِجُونَهُم } من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة.[855]

وقال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> { يُخْرِجُونَهُم } بالوساوس وغيرِها من طرق الإضلال والإغواء { مّنَ النور } الفِطري الذي جُبل عليه الناسُ كافةً أو من نور البيناتِ التي يشاهدونها من جهة النبيِّ صلى الله عليه

وسلم بتنزيل تمكُّنِهم من الاستضاءة بها منزلة نفسِها { إلى الظلمات } ظلماتِ الكفر والانهماكِ في الغِل[856]

وعبر الله تعالى عن التمكن فى علم الكتاب ومعرفة محامله بالرسوخ فى العلم فى قوله تعالى:"وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"[857] والرسوخ فى كلام العرب الثبات والتمكن فى المكان واستعير للتمكن فى علم الكتاب ومعرفة محامله بجامع عدم التزلزل أما فى التمكن فى المكان فالذى يكون متمكنا فى المكان لاتتزلزل قدمه مهما كان الحال وأما فى التمكن فى العلم فالذى يكون لد يه علم لايتزلزل رأيه أمام الشكوك والشبهات قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

والرسوخ في كلام العرب : الثبات والتمكن في المكان ، يقال : رسخت القدم ترسخ رسوخاً إذا ثبتت عند المشي ولم تتزلزل ، واستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم بحيث لا تضلّله الشبه ، ولا تتطرّقه الأخطاء غالباً ، وشاعت هذه الاستعارة حتى صارت كالحقيقة.[858]

فهنا استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمذكور هنا هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وبما أن الاستعارة فى المشتق فالاستعارة تبعية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى كلمة الرسوخ من معنى القوة فاستعارته للتمكن فى العلم يفيده قوّتا لأن الرجل الذى لايكون على اليقين مما يعلمه يكون متزلزلا فيما يقوله ويفعله فهو يكون مثل الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى.
- ثم الرسوخ هو الثبات وهو من الأشياء الحسية أما التمكن فى العلم فهو لايدرك بالحواس الخمسة فإذا ألحق بالشيئ الحسى سهل على المخاطب فهمه. ولو تعمقنا النظر فى هذه الاستعارة لتتراآى أمامنا صورة رجل يكون واقفا وهو يقاوم الحالات المخالفة التى تزلزل الناس ولكنه ثابت فيها ولايتأثر بها فهذه الصورة ترينا صورة أخرى وهى صورة عالم يمضى بعلمه فيقول ويفعل كما يشاء وهو قوى العلم لايتأثر بالأحوال المخالفة فلايتشكك فى قوله وفعله.

وهكذاالتفصيل فى الراسخون فى العلم فى قوله تعالى:"لكنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا"[859]

وعبر الله تعالى عن تعاقب ضوء النهار وظلمة الليل بإيلاج الليل فى النهارو إيلاج النهار فى الليل فى قوله تعالى: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ

فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"[860] قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> وحقيقة «تُولج» تدخل وهو هنا استعارة لتعاقب ضوء النهار وظلمة الليل ، فكأنَّ أحدهما يدخل في الآخر ، ولازدياد مدة النهار على مدة الليل وعكسه في الأيام والفصول عدا أيام الاعتدال وهي في الحقيقة لحظات قليلة ثم يزيد أحدهما لكنّ الزيادة لا تدرك في أولها فلا يعرفها إلاّ العلماء[861]

فالمستعارمنه هوالإيلاج وقد اشتق منه تولج والمستعارله هو تعاقب ضوء النهار وظلمة الليل والجامع بينهما هو النقص والزيادة فكما أن بالإدخال ينقص أحدهما ويزيد الآخر فهكذا بتعاقب الليل والنهار ينقص أحدهما ويزيد الآخر. والمستعارمنه هو الحسى وأما المستعارله فهو العقلى والجامع أيضا عقلى فهذا من استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. والمذكور هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية ولذكر المشتق هى تبعية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الاية ما يلى:

- يبد وأن الله تعالى أشارإلى إعجاز علمى للقرآن الكريم فى هذه الآية فى وصف الطبيعة المتعلقة بزيادة الليل والنهار' ولكن اعترافامنى بقلة العلم خصوصا فى وصف الطبيعة أنا لا أستطيع أن أكشف الستار عن هذه الحقيقة.
- وبما أن الإدخال يكون شيئا فشيئا فلا يلتفت إلى ازدياد والنقص فالناس يحس بازدياد ونقص فى الفصول لافى الأيام قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"ولازدياد مدة النهار على مدة الليل وعكسه في الأيام والفصول عدا أيام الاعتدال وهي في الحقيقة لحظات قليلة ثم يزيد أحدهما لكنّ الزيادة لا تدرك في أولها فلا يعرفها إلاّ العلماء ، وفي الظاهر هي يومان في كل نصف سنة شمسية". [862]
- ويمكن أن يراد بالليل ظلمات الجهالة والإشراك والضلال وبالنهار إشراق نور التوحيد ففى هذا

> رمز إلى ما حدث في العالم من ظلمات الجهالة والإشراك ، بعد أن كان الناس على دين صحيح كدين موسى ، وإلى ما حدث بظهور الإسلام من إبطال الضلالات ، ولذلك ابتدىء بقوله : تولج الليل في النهار ، ليكون الانتهاء بقوله : وتولج النهار في الليل[863]

فكان فى البداية نهار الدين الصحيح فأولج به ليل الظلمات فسقط الناس فى الكفر والضلال ثم سطع نور الإسلام بمجيئ محمد صلى الله عليه وسلم.

واستعير الحبل للقرآن فى قوله تعالى:"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَاتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[864] روى عن رسول الله تعالى أن المراد بالحبل هو القرآن فكما أن الحبل يعصم آخذه عن الوقوع فى المهالك فهكذا القرآن الكريم يعصم المتمسك به عن الوقوع فى الضلالات. [865] فالمستعارمنه فى هذه الآية هو الحبل والمستعارله هو القرآن والجامع هو الإيصال إلى المطلوب والنجاة من الخوف والجزع قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى: "وأما"الحبل"، فإنه السبب الذي يوصَل به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان"حبلا"، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذّعر" [866] وقدذكر المستعارمنه وحذف المستعارله فهى استعارة تصريحية والاستعارة فى الاسم لا المشتق فهى أصلية ثم الحبل من الأشياء المدركة بحاسة البصر وأما القرآن فمعقول لأن المراد به أحكام القرأن والجامع أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول والاعتصام من لوازم الحبل لأن الحبل يتمسك به ففيه ترشيح للا ستعارة. قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تصريحية شبه القرآن بالحبل واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو القرآن بجامع النجاة فى كل منهما". [867]

هذا إذا لاحظنا الاستعارة فى المفردات وهناك احتمال آخر وهو أن تستعار الهيئة للهيئة من غير نظر إلى المفردات فتكون الاستعارة تمثيلية مكنية قال العلامة أبوسعود رحمه الله تعالى:

> إما تمثيلٌ للحالة الحاصلةِ من استظهارهم به ووثوقِهم بحمايته بالحالة الحاصلةِ من تمسك المتدلي من مكان رفيعٍ بحبل وثيقٍ مأمونِ الانقطاعِ من غير اعتبار مجازٍ في المفردات ، وإما استعارةٌ للحبل لما ذُكر من الدين أو الكتابِ و الاعتصامِ ترشيحٌ لها أو مستعارٌ للوثوق به والاعتمادِ عليه[868]

فتتراآى أمامنا هيئة المتدلى من مكان رفيع متمسكا بحبل وثيق فهو مأمون من السقوط فى الأودية وفى مرآة هذه الصورة نرى صورة من أطاع كلام الله تعالى فهو مأمون من السقوط فى مهالك الشرك والبدعة والأوهام. ومن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- قدمت صورة من يتمسك بالحبل المتين وهومحاط بالأخطار من كل جانب لو انفصل عن ذلك الحبل سقط فى المهالك ولكنه تمسك به ولايزال منه فهو مأمون من السقوط فى المهالك فيوصى الله تعالى المخاطب أن يكون مثل ذلك الرجل ويكون متمسكا بالقرآن الكريم فهو الحبل المتين لاانفصام له.

- وفيه إشارة إلى أن القرآن الكريم وسيلة لوحدة المسلمين لن يضلوا ولن يضعفوا مازالوا متعلقين بأهدابه.
- فى ترشيح الاستعارة بالاعتصام تقوية لذكر المستعارله لأن المستعارله لم يذكر لاهو ولا لوازمه فكأن المستعارمنه هو المستعارله.

ونهى الله تعالى المسلمين عن اتخاذ غير المسلمين أولياء لهم لأنهم لايقصرون جهدا فى عداوة المسلمين فقال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"[869] فى هذه الآية عبر الله تعالى عن الخصيص والصفى الذى يفضى إليه بالأسرار بالبطانة وهومأخوز من بطانة الثوب وهو داخل الثوب ويطلق أيضا على الثوب الذى يجعل تحت ثوب آخر فالمستعارمنه هو بطانة والمستعارله هو الخصيص والصفى والجامع بينهما هو الملازمة والقرب قال صاحب التفسير المنير:"استعارة شبه فيها خواص الرجل بالبطانة, لملازمتهم له ملازمة الثوب للجسم ."[870] المستعارمنه هو المذكور فى هذاالأسلوب فالاستعارة تصريحية وهى فى كلمة بطانة وهى اسم فالاستعارة أصلية ثم البطانة من الأشياء المحسوسة والخلة والاصطفاء من الأشياء المعنوية لاتدرك بالحواس الخمسة والجامع وهو الملازمة مع الخليل والقرب منه فمن الأشياء المحسوسة. فهذامن قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزاياالبلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- البطانة تكون ملازمة مع اللابس ومستورة من الناس ففى استعارتها للأصفياء إشارة إلى أنهم أقرب الناس بأصحابهم كما أن بطانة الثوب أقرب من كل شيئ حتى من الثوب نفسه فلا يستطيع لابسها أن يتقى من مضراتها ولايمكن له أن يوعظ بغيره لأن الناس لايعرفون من أمرهم شيئا. "ومعنى اتخاذهم بطانة أنهم كانوا يحالفونهم ويودّونهم من قبل الإسلام فلمَّا أسلم من أسلم من الأنصار بقيت المودة بينهم وبين من كانوا أحلافهم من اليهود ، ثُمّ كان من اليهود من أظهروا الإسلام ، ومنهم من بَقي على دينه".[871]
- إشارة إلى أن البطانة تقى صاحبها من البرد والمضرات الأخرى فلا بد أن تكون صافية ومفيدة للجسم لا أن تكون مضرة للجسم بنفسها. هكذا البطانة من الأصدقاء لابد أن يكونوا مخلصين يصونون أصحابهم من المضرات وينصحههم ما يهديهم إلى الخير لاأن يهديهم إلى الصراط الموصل إلى المهالك.
- العورة تكون منكشفة أمام البطانة أكثر من الظهارة فلا بد أن لا تكون دنسة ولاتحكى عيوب الجسم وهكذا لا بد أن يكون الأصحاب مخلصين صفاء القلب لايحكون معائبهم إلى الناس كى يستفيدوا من عيوبهم

وضعفهم فيضربوهم فأما اليهود فهم عارون عن الود والمحبة للمسلمين فلا يقصرون الجهد فى الإفساد وإهلاك المسلمين.

ونهى الله تعالى المؤمنين عن أخذ المهور من نسائهم إذاأرادوا أن ينكحوا بالزوجة الثانية بدون خطأ من الزوجة الأولى وإن كانت هذه المهور كثيرة ووبخ الذين يأخذون المهرلأن هناك أمرين مانعين عن أخذ المهور من النسوة أحدهما هوالاستمتاع بالأزواج لأن الأزواج سلمن أنفسهن أن يستمتعوابهن وثانيهما هو الميثاق الغليظ فى صورة النكاح فقال تعالى:" وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"[872] ففى هذه الآية صورتان بلاغيتان: الصورة الأولى فى الإفضاء وهى صورة الكناية وسنبينها فى الكناية إن شاء الله تعالى والصورة الثانية فى الميثاق الغليظ وهى صورة الاستعارة وفى المراد بالميثاق الغليظ ثلاثة أقاويل ذكرها العلامة القرطبى رحمه الله تعالى فأذكرها بقوله:

> (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) فيه ثلاثة أقوال.قيل: هو قوله عليه السلام: (فاتقو االله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله).قاله عكرمة والربيع.الثاني - قوله تعالى: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) قاله الحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي. الثالث - عقدة النكاح قول الرجل: نكحت وملكت [عقدة] النكاح، قال مجاهد وابن زيد".[873]

وبعد أن ذكرت المراد بالميثاق الغليظ آتى إلى بيان وجود الاستعارة فى هذه الاية وهى كما قلت فى الميثاق الغليظ لأن الغلظ لايكون إلا فى الذوات والميثاق من المعانى فلايمكن فيه الغلظ واللين فاستعيرت الغلاظة إلى صعوبة المعاني وشدّتها في أنواعها.[874] فالمستعارمنه فى هذه الآية هو الغلاظة والمستعارله هو صعوبة المعانى وشدتها والجامع بينهما هوالثبات أما فى الذوات الغليظة فظاهر وأما فى المعانى الصعبة فإنه تكون ثابتة فلاينقضها أحد بالسهولة. ومن المعلوم أن المستعارمنه هومن الأشياء المدركة بالحواس الخمسة مثل حاسة البصر وحاسة اللمس وأما المستعارله فلايدرك إلا بالعقل والجامع أيضامن الأمور العقلية فهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ثم الاستعارة فى المشتق لأن الغليظ من صيغ المبالغة فهى تبعية والمذكور هوالمستعارمنه فهى تصريحية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- وصف الثبات واضح فى المستعارمنه لأنه من الأشياء المحسوسة وهى تفهم بالسهولة لوجود أكثر من وسيلة واحدة للفهم أما فى المعقولات فوسيلة واحدة وهى وسيلة العقل فقط.

- ومن البديهى أن المبالغة فى وصف الغلاظة فى الأشياء الغليظة المحسوسة أكثر منها فى الأشياء المعقولة فإذا ألحق الميثاق بالأجرام الغليظة اكتسب نفس الوصف بطريق المبالغة.
- ومن هنا نستطيع أن نقول أن فيه تقريب المستعارله فى صورة محسوسة لأن فى صورة معقولة هو بعيد عن الأذهان لايفهم إلا بعد جد وكد أما فى الصورة المحسوسة الموجودة فى هذاالأسلوب فتقربت إلى الأذهان.

ويعبر الله تعالى عن اختلاف الناس فيما بينهم بالتشابك من الشجر فى قوله تعالى:"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"[875] فالمستعارمنه فى هذه الآية هو التشابك وهو أمر محسوس والمستعارله هو الاختلاف القائم بين الناس والتنازع بينهم وهو من الأمور المعقولة بجامع أن الأمور تكون متداخلة بين المتنازعين فهذا يختلف عن ذاك فى أمر وذاك من هذا فى أمر آخروهذه الأمور تكون فى تشابكها فيما بينهامثل أغصان الشجرالمتداخلة بعضها فى بعض.وهذاالأمر أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى وهى تصريحية لذكر المستعارمنه وهو التشابك فى قوله شجر وهذااللفظ مشتق من الشجر فهى تبعية.ونجد من المزايا البلاغية الكامنة فى هذاالأسلوب:

- لايخفى أن الأمورالمعنوية وهى الاختلافات بين الناس والتنازع بينهم قد قدمت فى صورة محسوسة وهى صورة تشابك الشجر وهى واضحة جدا أمام الناس ففى مرآة هذه الصورة سهل على المخاطب فهم الصورة المعنوية التى كانت بعيدة عن الفهم فهناك فرق بين أن يفهم أحد شيئا بقواعده وبين أن يفهم بالنظر إليه.
- وفى مفهوم التشابك يدخل الأمور المتشابهة فهذايعنى أن الامور مشتبهة بينهم فهؤلاء يظنون أنهم على الحق ومخالفوهم على الباطل ومخالفوهم يظنون هكذا وفى مثل هذه الأمور يصعب على الناس الرضا بقضاء الآخرين إلا أن يؤمنوا بديانة القاضى وإخلاصه ففرض الله تعالى أن يكونوا على يقين كامل حتى فى الأمور المتنازعة بينهم.

ويحث الله تعالى عباده على الجهاد فى سبيله لإعلاء كلمته لا لحصول المغا نم فعند الله تتعالى مغانم كثيرة فيقول تعالى:"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"[876] استعير لفظ السبيل للدين[877] بجامع أن كلا من السبيل والدين موصل إلى الهدف فكما أن الناس يستخدمون الطريق للمشى كى يصل إلى المطلوب فهكذا يختار الإنسان الدين كى يصل إلى هدفه الروحانى وهو الوصول إلى مرضات الله تعالى عند المؤمنين.ولاحظنا أن المستعار منه وهو

الطريق مدرك بحاسة البصر وأما المستعارله وهو الدين فلايدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل والجامع هو أيضا عقلى فهذه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى .وهى تصريحية لذكر المستعارمنه وأصلية لأن الاستعارة فى الاسم.ونجد من المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- الطريق شيئ محسوس يعرفه كل واحد من الناس ويعرف أن الطريق مهما كان من الصعوبة فيه لابد أن يمشى فيه الناس للحصول على هدفه وهو لايجدمخلصا من الذهاب فيه فوصف الوصول إلى المقصود واضح فى الطريق ونفس الوصف موجود فى الدين فالذى يريد أن يصل إلى المقصود لابد أن يسلك هذاالمسلك وإن كان طريق الدين صعبا ولكن وصف الوصول إلى المقصود فيه شيئ معقول وخفى على عامة الناس فاذا ألحق الدين بالطريق انتقل ذلك الوضوح إلى الدين وصار ذلك الوصف جليا فيه بعد أن كان خفيا.
- ومع تقريب الوصف الخفى إلى أذهان الناس فيه إشارة إلى أن الدين هو الطريق الوحيد للوصول إلى المطلوب وليس هناك طريق آخر لذلك الهدف ولذا فليس لمؤمن ولالمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة فى أمرهم.

بين الله تعالى خباثة الكفار من نقض الميثاق والكفر بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف فيقول تعالى:"فبما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا"[878] فى هذه الآية استعارتان: الأولى استعارة النقض لعدم العهد وتفصيلها قد مرت فى "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه".[879] فلاداعى لإعادتها. والاستعارة الثانية قلوبنا غلف قال صاحب التفسير المنير :"استعارة, استعار الغلاف لعدم الفهم."[880] والجامع هنا هو عدم النفوذ إلى الشيئ الذى يكون فى الغلاف فلايصل إليه شيئ نافع أوضارفيعنون بقولهم غلف أنه لايصل إلى قلوبهم شيئ من النصح وهذه الاستعارة مثل الاستعارة فى "وعلى أبصارهم غشاوة"[881] ثم رشحت هذه الاستعارة بقوله تعالى:" بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا" لأن الطبع من ملائمات المغلوف لأن"الطبع : إحْكام الغلق بجعل طين ونحوه على سدّ المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرج ما فيه إلاّ بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به ، وقد يَسِمُون على ذلك الغلق بسمة تترك رسماً في ذلك المجعول ، وتسمّى الآلة الواسمة طابعاً بفتح الباء فهو يرادف الخَتْم"[882] وهذه الاستعارة مثل الاستعارة فى قوله تعالى:"ختم الله على قلوبهم"[883] فلا أعيد التفاصيل التى سردتها هناك إلا شيئا واحدا أريد أن أذكره وهو أن المفهوم من كلامهم أن قلوبهم خلقت بحيث أنها لاتصلح أن تنتفع بمثل هذه النصح قال أبوسعود رحمه الله تعالى:" { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ } جمعُ أغلفَ أي هي مغشاةٌ بأغشية جِبِلّيةٍ لا يكاد يصل إليها ما جاء به

محمدٌ صلى الله عليه وسلم"[884] فرد الله تعالى بأنها ماخلقت هكذا بل الله تعالى جعلها هكذا بسبب كفرهم فالسبب راجع إلى فعلهم.

ونرى أن الله تعالى عبرعن الحرص فى الأمور الخيرية بالاستباق إليها فقال تعالى:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[885]

ففى هذه الآية استعير الاستباق للحرص على الأمور الخيرية قال صاحب التفسير المنير:" أى بادروا فعل الخيرات وفيه استعارة حيث شبههم بالمتسابقين على ظهور الخيل لأن كل واحد ينافس صاحبه فى السبق لبلوغ الغاية المقصودة"[886] واشتق منه استبقوا على الاستعارة التبعية وذكر هنا المستعارمنه ولم يذكر المستعارله فالاستعارة تصريحية ونرى أن الحرص وصف بالإنسان لا يدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما الاستباق بين المتنافسين فشيئ محسوس بحاسة البصر والجامع بينهما أن كلا من المتسابق والحريص يريد أن يصل إلى هدفه بسرعة وهذا أيضا لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهنا استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى اسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الحرص على الأمور الخيرية شيئ معقول لايدرك بإحدى الحواس الخمسة فإذا ألحق بالاستباق وهو شيئ حسى فخرج المعقول من الخفاء إلى منصة الظهور فصار الحرص فى صورة حية يراها الرائى أمام عينيه وهو يقضى بنفسه مدى الحرص فى الشدة والكثرة دون أن يبين له بطريق المبالغة. ثم نرى أن المبالغة تزداد لعدم ذكر المستعارله وهو الحرص فكأن الحرص فى شدته وكثرته هو الاستباق نفسه.
- وما لايخفى أن الحريص على الشيئ يبذل فى المنافسة أقصى جهده وهو لايريد الوصول إلى هدفه فحسب بل بصفة الأولية إليه ففى صورة المنافسة تكون غايتان الأولى الوصول إلى الهدف والثانية أن يكون الواصل أول من وصل. وأما فى الحرص فتكون أمام الحريص غاية واحدة وهى غاية الحصول على الهدف فقط. ففى الأمر بالاستباق إشارة إلى أن يبذل الناس أقصى جهودهم فى حصول أهدافهم.
- فى الاستباق بث روح الحرص فى الآخرين لأن من ينافس الآخرين يجعلهم أن ينافسوه أيضا فهم يبذلون جهودهم كما هويبذل جهده ففيه تعميم الأمور الخيرية فى المجتمع وإصلاحه وهذاهوالروح الذى يطلبه الإسلام

لأن الدين كله نصيحة فلا بد أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه' فهذاالأسلوب يوحى أن النصيحة بين أفراد المجتمع شيئ ضرورى لأن فيه السعى إلى الأمام دون أن يمنع الغير عن الاستباق قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> والاستباق : التسابق ، وهو هنا مجاز في المنافسة ، لأنّ الفاعل للخير لا يمنع غيره من أن يفعل مثل فعله أو أكثر ، فشابه التّسابق . ولتضمين فعل { استبقوا } بمعنى خذوا ، أو ابتدروا ، عدّي الفعل إلى { الخيرات } بنفسه وحقّه أن يعدّى بإلى ، كقوله { سَابقوا إلى مغفرة من ربّكم } [الحديد : 21][887]

وعبر الله تعالى عن عدم الإضاعة بالإقامة فى قوله تعالى:"وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ"[888] قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> إقامة الشيء جعْله قائماً ، كما تقدّم في أول سورة البقرة . واستعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لأنّ الشيء المضاع يكون مُلقى ، ولذلك يقال له : شَيْء لَقًى ، ولأنّ الإنسان يكون في حال قيامه أقْدَر على الأشياء ، فلذا قالوا : قامتْ السوق . فيجوز أن يكون معنى إقامة التّوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام ، أي لو أطاعوا أوامر الله وعملوا بها سلموا من غَضَبه فلأغْدَق عليهم نعمَه ، فاليهود آمنوا بالتَّوراة ولم يقيموا أحكامها كما تقدّم آنفاً ، وكفروا بالإنجيل ورفضوه ، وذلك أشدّ في عدم إقامَته ، وبالقرآن.[889]

فالمستعارمنه هو الإقامة واشتق منه أقاموا استعارة تبعية والمستعارله هو عدم الإضاعة والمذكور هنا هو الإقامة فالاستعارة تصريحية ثم جعل الشيئ قائما من الأمور المحسوسة وأما عدم الإضاعة فلايدرك بإحدى الحواس الخمسة والجامع بينهما هو عدم الالتفات إلى كل من المضاع والملقى على الأرض وهو أيضا من المعقولات فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- استخدام كلمةالإقامة يوحى أن المقام لايكون ذا أهمية عند المقيم فقط بل يكون ذا أهمية عند من يمر عليه فهكذا عدم إضاعة أحكام التوراة والإنجيل والقرآن يستنتج على إقبال من لم يضعها وإقبال الناس أجمعين.
- وفيه إشارة إلى أن سبب ضيق اليهود هو غضب الله تعالى عليهم وسبب غضب الله تعالى هو عدم إقبالهم على الأحكام المنزلة من جانب الله تعالى

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وقد أوْمأت الآية إلى أنّ سبب ضيق معاش اليهود هو من غضب الله تعالى عليهم لإضاعتهم التّوراة وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن ، أي فتحتّمت عليهم النقمة بعد نزول القرآن"[890]

وعبر الله تعالى عن الإعراض عن الهداية بالعمى والصمم ثم اشتق منهما عموا وصموا فقال تعالى:"وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"[891] ففى هذه الآية استعارة العمى والصمم للإعراض عن الهداية وقدذكر المستعارمنه ولم يذكر المستعار له فالاستعارة تصريحية ولذكرالمشتق هى تبعية ثم الإعراض عن الهداية من الأمور التى لاتدرك بالحواس فهى عقلية وأما العمى والصمم فمن الأمور الحسية والجامع بينهما أن كلا من الإعراض والعمى والصمم يوقع فى الضلال قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" واستعير { عَمُوا وصَمُّوا } للإعراض عن دلائل الرشاد من رسلهم وكتبهم لأنّ العمى والصمم يوقعان في الضلال عن الطريق وانعدام استفادة ما ينفع"[892] فهذا من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه تقريب الإعراض فى صورة المحسوس وهى صورة حية للأشخاص الموصوفين بصفة العمى والصمم فالإعراض صفة معنوية لا تدرك بالحواس وبالتالى ففهمها صعب بالنسبة إلى فهم صفة محسوسة.
- أشار الله تعالى أن الهدف الأصلى للقوة السامعة هو الاستماع للآيات الموصلة إلى معرفة الله تعالى والمقصد الأصلى لخلق الإنسان وهكذا الهدف الأصلى للقوة الباصرة هو رؤية الأشياء التى توصل إلى معرفة الله تعالى فالذين لايستخدمون قواهم هذه فى المقصود الأصلى فكأ نهم حرموا هذه النعمة' ففيه اهتمام شأن هذه الآيات وهذا الحكم قد نزل فى أهل الكتب قال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:

> { وَحَسِبُوا } ظنوا { ألا تَكُونَ فِتْنَةٌ } أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يُبتلوا ولا يُعذبهم الله، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي " تكون " برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله لا { فَعَمُوا } عن الحق فلم يبصروه، { وَصَمُّوا } عنه فلم يسمعوه، يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه، { ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ببعث عيسى عليه السلام، { ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ } بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، { وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }[893]

وعبر الله تعالى عن التكاليف الشاقة التى كانت على بنى إسرائيل فقال تعالى:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[894]

فهنا استعير الإصر والأغلال للتكاليف الشاقة لأن أصل الأصر الثقل الذى يأصر صاحبه عن الحراك والأغلال جمع غل وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه والجامع بينهما هو سلب الحرية فكما فى الإصر والأغلال تُسلب الحرية فلا يستطيع صاحبهما أن يتحرك حسب إرادته بل هو تابع لتحريك هذه الأشياء إياه هكذا الأعمال الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثواب أو منه ومن البدن ، واحراق الغنائم ، وتحريم السبت ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية تسلب حريته قال الآلوسى رحمه الله تعالى:

{ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والاغلال التى كَانَتْ عَلَيْهِمْ } أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثواب أو منه ومن البدن ، واحراق الغنائم ، وتحريم السبت ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية فإنه وان لم يكن مأموراً به في الألواح إلا أنه شرع بعد تشديداً عليهم على ما قيل ، وأصل الأصر الثقل الذي يأصر صاحبه عن الحراك ، والاغلال جمع غل بضم الغين وهي في الأصل كما قال ابن الأثير الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه ويقال لها جامعة أيضاً ، ولعل غير الحديد إذا جمع به يد إلى عنق يقال له ذلك أيضاً ، والمراد منهما هنا ما علمت وهو المأثور عن كثير من السلف ، ولا يخفى ما في الآية من الاستعارة .[895]

وقد ذكر المستعارمنه فهى استعارة تصريحية وهى فى الاسم فأصلية وبما أن الأصر والأغلال من الأشياء المحسوسة والأعمال الشاقة من المعقولة والجامع أيضا من الأمور المعقولة فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- قدم الله تعالى أعمالهم الشاقة فى صورة مشاهدة محسوسة كى يعرفها كل الناس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولايخفى مافى هذه المحسوسات من سهولة الفهم والأنسية مع الأسلوب.

- ولايخفى مافى هذه الصورة من التأذى الجسمية والروحية وهوينعكس على أحوال بنى إسرائيل إذا لم تكن هذه المشاق موضوعة عنهم. وهذاالبيان فى موضع الامتنان أنسب وأبلغ.

وعدّ الله تعالى وقعة بدر من آيات الله البينات وهى موجبة للإيمان فمن آمن بعد مشاهدة تلك الآيات فهو الإيمان عن بينة ومن كفربعد مشاهدتها فهو الكفر عن بينة فلن يكون له العذر يوم القيامة بأنه لم يفهم حقانية الإيمان قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله تعالى حجة بأنهم ما فهموا وجه الاعجاز كما فهمها من آمن فأعلمهم الله تعالى وهم في مهلة وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين"[896] فقال تعالى:" إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ"[897] والمراد بالهلاك الكفر وبالحياة الإيمان فمعنى الكلام ليكفر من كفر عن بينة ويسلم من أسلم عن بينة ففى هذه الآية استعارة الهلاك للكفر واستعارة الحياة للإيمان.[898] ولاشك أن الكافر لايعمل عملا يعبأ به فكأنه لايعمل شيئا كالميت وأما المسلم فهو يعمل للاستعداد لما بعد الموت وهو عمل مفيد يعبأ به فهو كالحى. فعلم أن الاستعارة فى هلك ويحيى وهما مشتقان فالاستعارة تبعية ولذكر المستعارمنه هى استعارة تصريحية ثم الهلاك والحيوة أمران مدركان بالحس وأما الإيمان والكفر فلايدركان إلا بالعقل وأما الجامع بينهما وهوارتكاب الأعمال الصالحة وعدم ارتكابها فهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه تقبيح الكفر وتحسين الإيمان لأن الكفرقد قدم فى صورة شيئ مكروه وهو الهلاك وأما الإيمان فقد قد م فى صورة مستحسن وهو الحياة.
- الإيمان والكفر من الأمور المعنوية العقلية لا يفهمهما إلا الخاصة فقد قربا فى صورة مفهومة أمام المشاهد فلايجد فى فهمهما مشكلة.
- وفيه أيضا إشارة إلى أن الكفار لايكفرون لعدم علمهم بحقانية الإيمان لأن هناك آيات كثيرة بينات التى تكفى للهداية إلى أن استحسان الإيمان حقيقة علمية ثابتة بالأدلة والبراهين وهكذا كراهة الكفر أيضا حقيقة علمية ثابتة بالأدلة والبراهين.
- فى تشبيه الكفر بالهلاك إشارة إلى عدم المبالاة بأعمال الكفار فهى كأشياء ساقطة لا يلتفت إليها أحد. لأن الشيئ المشترك بين الكافر والهالك هو أنهما لايعملان أعمالا نافعة' أما الهالك فلا يعمل أصلا وأما الكافر فيعمل أعمالا ولكنها لاتنفع فكأنه لايعمل شيئا.

ووصى الله تعالى عباده أن يطيعواالله ورسوله ولايناز عوا لأن المنازعة بين المسلمين سبب للفشل وزوال القوة وعبر عن زوال القوة بذهاب الريح فقال تعالى:" وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"[899] فمعنى تذهب ريحكم: تذهب قوتكم. وفيه استعارة الريح للقوة بجامع أن الريح لايمنع جريها ولا عملها شيئ فقيل: هبت رياح فلان: إذا دالت له الدولة ونفذ أمره.[900] وفيه استعارة تصريحية لذكر المستعارمنه وأصلية لأن الاستعارة فى الاسم وهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى لأن القوة والدولة شيئ لا يدرك بالحواس الخمسة. والجامع أيضا عقلى لأن عدم امتناع جرى الريح شيئ يدرك بالعقل. وقدرشحت الاستعارة بملائمات المستعارمنه وهو الذهاب الذى هو من ملائمات الريح لأن القوة لاتذهب بل تنتهى.والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الريح تنشر الأشياء فى بقاع مختلفة وإذا ركدت فالأشياء تكون قائمة فى مواضعها فهكذا الشهرة والقوة تكون مذاعة كإذاعة الأشياء فى الريح.
- هبوب الرياح ونشرها الأشياء المطارة فيها إلى بقاع مختلفة أمر مدرك بحاسة البصر وهو قريب إلى الأذهان فهمه فإذا ألحق به زوال القوة قرب إلى الأذهان فهمه أيضا.
- وفى هذه الاستعارة إشارة إلى أن القوة لايمنعها شيئ كما أن الريح تهب كسيلان الماء هكذا لافرق بين العائق والعائق فى سبيل الريح' بل الأشياء كلها تترك الطريق لها قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"والريح حقيقتها تحرّك الهواء وتموّجه ، واستعيرت هنا للغلبة ، وأحسب أنّ وجه الشبه في هذه الاستعارة هو أنّ الريح لا يمانع جَريها ولا عملّها شيء فشبه بها الغلب والحكم"901
- وربما فى هذه الاستعارة إشارة إلى أن القوة ليست فى قدرة أحد من الناس كما أن الريح ليست تحت سلطة أحد سوى الله تعالى فهكذا القوة قد منحت من قبل الله تعالى وليس فى وسع أحد أن يحرز القوة ويمنعها من الضياع.

ونلاحظ أن الله تعالى عبر عن انقضاء الشهر بالانسلاخ فقال تعالى:"فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[902] والانسلاخ معناه انخلاع جلد الحيوان فاستعير لانقضاء الشهر واشتق منه انسلخ فالاستعارة تبعية قال صاحب الصحاح فى اللغة:"سَلَخْتُ جلد الشاة أسْلَخُها وأَسْلُخُها سَلخاً. والمَسْلوخُ: الشاةُ سُلِخَ عنها جلدُها. وسَلَخَتِ المرأة دِرْعها: نزعتْه. ....وانْسَلَخَ الشهرُ من سنته، والرجلُ من ثِيابه، والحيَّةُ من قشرها، والنهار من الليل"[903] والمذكور هنا هو المستعارمنه فهى تصريحية وانقضاء الشهر من الأمور المعقولة لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما انسلاخ الجلد فأمر حسى والجامع بينهما هواشتمال كل واحد منهما على محتوياته فكما أن الجلد مشتمل

على الحيوان كذلك الزمان محيط بما فيه من الزمانيات قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:

> انسلاخ الشهر : تكامله جزءاً فجزءاً إلى أن ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه ، شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه ، وأصله الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده ، فاستعير لانقضاء الأشهر ، يقال : سلخت الشهر تسلخه سلخاً وسلوخاً بمعنى : خرجت منه[904]

وهذاالاشتمال فى المستعارله من الامور العقلية فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- إشارة إلى أان هذه الأشهر حرز عن القتال كما أن الشيئ الحاوى يكون حرزا لما فيه ويزول بزوال ذلك الشيئ هكذا الأشهر الحرم حرز فإذا زالت الأشهر زال الحرز قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وفي ذلك مزيد لطف لما فيه من التلويح بأن تلك الأشهر كانت حرزاً لأولئك المعاهدين عن غوائل أيدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها"[905]
- قدم انقضاء الشهور وهو من الأمور المعنوية بصورة حسية التى جاءت بهذه الفكرة قريبة إلى فهم المخاطب مع ما فيه من لذة السرح فى مسارح الفكر والخيال.

وهكذا الاستعارة فى قوله تعالى :"وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ"[906] قال صاحب التفسير لمنير:"وفى قوله تعالى نسلخ استعارة تصريحية صرح فيها بلفظ المشبه به حيث شبه إظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة واستعار كلمة السلخ للإزالة والإخراج".[907] وبما أن الاستعارة فى الفعل فهى استعارة تبعية. وهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- قدم الله تعالى إزالة ضوءالنهارمن ظلمة الليل فى صورة محسوسة مشاهدة التى قربت الشيئ المعنوى إلى أفهام المشاهدين.
- وأوحت هذه الاستعارة أن الأصل هى الظلمة ولكنها اختفت تحت ضوء النهار فإذا أزيل الضوء عاد الأمر إلى الأصل.

وقدم الله تعالى الإسلام فى صورة النور فى قوله تعالى:"يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[908] فاستعير كلمة النور للإسلا م والنور اسم فالاستعارة أصلية والمذكور هنا المستعارمنه فهى تصريحية وفى يطفئوااستعارة ترشيحية لأن الإطفاء من ملائمات

المستعارمنه لأن الإسلام لايُطفأ بل النور المستفاد من النار يطفأ ثم الإسلام بما فيه من الأحكام والأدلة من الأمور المعقولة وأما النور فمن الأمور المحسوسة وأما الجامع بينهما وهو الوضوح فى كل من الإسلام والنور فكما أن النور واضح أمام أعين الناس فهكذاالإسلام واضح أدلته وهى قطعية وهذاالوضوح من الأمور المعقولة أيضا فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهذا إذاأجريت الاستعارة فى المفردات'

> ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية بأن يشبه حالهم في محاولة إبطال نبوته صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ويكون قوله تعالى : { ويأبى الله إلاَّ أن يُتِمَّ نُورَهُ } ترشيحاً للاستعارة لأن إتمام النور زيادة في استنارته وفشو ضوئه فهو تفريع على المشبه به[909]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدمت هذه الاستعارة صورة حية للكفار وهم يحاولون أن يبطلوا نبوة النبى صلى الله عليه وسلم وبالتالى الإسلام فى صورة من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى كل الآفاق ومن المعلوم أن النافخ فى النور العظيم المنبث لايستطيع أن يضر النور بل ممكن أن يضر نفسه بإحراق ثيابه أو أجزاء جسده. فالقرآن الكريم لم يسرد هذه التفاصيل ولكن بتقديم الصورة المترائية أمام المخاطب أمكن له أن يلتقط من المعلومات التى يحتاجها.
- ثم فى إطفاء النور سرد ملائمات المستعارمنه وهو يوحى تناسى المستعارله وبالتالى فهو يقوى الاستعارة لأن تناسى التشبيه يوحى أن الإسلام هو النور نفسه وهذا يفيد المبالغة.
- فى تشبيه الإسلام بالنور إشارة إلى أنه ليس هناك خفاء فى حقانية الإسلام ونبوة النبى صلى الله عليه وسلم بل يعتقد فيه من له من العقل شيئ قليل لأن دلائله واضحة كالشمس فى نصف النهار.
- ثم فى إضافة النور إلى الله تعالى من التحسين ما لايخفى لأن النور الذى بثه الله تعالى فى الأفاق شيئ مستحسن لدى عباده ففيه تزيين الإسلام فى قلوب المسلمين لأن النور بنفسه شيئ مستحسن فإذا نسب إلى الله تعالى ازداد حسنا.
- وفى نسبة النور إلى الله تعالى رد إمكانيات زوال الإيمان بمحاولة الكفار لأن النور هو نور الله تعالى هو ناصره وحافظه قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"ونسب النور إلى الله تعالى العظيم الشأن ومن شأن النور المضاف إليه سبحانه أن يكون عظيماً فكيف يطفىء بنفخ الفم"[910]

وأسند الله تعالى زيادة رجس المنافقين إلى نزول الآية فى قوله تعالى:"وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ"[911] والرجس معناه القذر قال العلامة الخليل ابن أحمد الفراهيدى :

> كلُّ شيءٍ يُستقذر فهو رِجسٌ كالخنزيز، وقد رَجُسَ الرجل رَجاسةً من القَذَر، وأنَّه لرِجسُ مَرجُوسُ.والرِّجسُ في القرآن العذاب كالرِّجز، وكلُّ قَذَرٍ رِجسٌ.ورجسُ الشَّيطان وسوسته وهَمزه.والرِّجسُ، الصوت الشديد للرَّعدِ.والبعيرُ مِرجَسٌ ورَجّاسٌ.والرِّجسُ أيُّ صوتٍ.والسَّجابُ يَرجُسُ بصوته، والغمام الرَّواجِسُ الرَّواعدُ[912]

فقد عبر الله تعالى عن الشك والنفاق فى قلوب المنافقين بالرجس ولاشك أنه رجس يلوث قلوب المنافقين قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره:

> قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره:(وأما الذين في قلوبهم مرض)، نفاق وشك في دين الله، فإن السورة التي أنزلت =(زادتهم رجسًا إلى رجسهم)، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا، فكان ذلك زيادة شكٍّ حادثةٍ في تنزيل الله، لزمهم الإيمان به عليهم، بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نَتْنٍ من أفعالهم، إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق.[913]

فقد شبه الله تعالى الكفر والنفاق بالرجس على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- إلحاق الكفر والنفاق بالرجس يفيد المبالغة فى نجاسة عقيدة الكفر والشرك لأن الرجس شيئ يستقذره الناس فى حياتهم العامة ولاينكر هذه الحقيقة أحد.
- فيه تقريب النجاسة المعنوية إلى الأذهان لأن فى الكفر والشرك نجاسة معنوية قد بينها الله تعالى فى قوله تعالى إنما المشركون نجس ففى هذه الاستعارة قدقرب الشئ المعنوى إلى أفهام الناس.

وكذلك عبر الله تعالى عن الخبث الباطنى بالرجس فى قوله تعالى:" وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ"[914]

وكذلك فى قوله تعالى:"فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" [915]

وهكذا استعير الرجس للذنوب والمعاصى فى قوله تعالى:" وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[916] قال صاحب التفسير المنير:"استعارة استعار الرجس للذنوب والمعاصى والطهر للتقوى لأن عرض العاصى يتدنس وعرض التقى نقىكالثوب الطاهر وتطهيرا ترشيح للتنفير"[917]

وبُيِّن التعليل للتوكل على الله تعالى فقال تعالى:"إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[918] أى أتوكل على الله تعالى لأنه أهل لتوكلى قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"

> وجملة"إن ربّي على صراط مستقيم" تعليل لجملة "إنّي توكّلت على الله" ، أي توكّلت عليه لأنّه أهل لتوكلي عليه ، لأنّه متّصف بإجراء أفعاله على طريق العدل والتأييد لرسله . و "على للاستعلاء المجازي ، مثل أولئك على هدىً من ربهم"[البقرة : 5] مستعارة للتمكّن المعنوي ، وهو الاتّصاف الراسخ الذي لا يتغير[919]

فهنا استعار الطريق المستقيم للدلالة على كمال العدل بجامع وصول كل واحد منهما إلى الهدف الأصلى ففى "صراط مستقيم" استعارة تصريحية وفى كلمة "على" استعارة الاستعلاء للتمكن المعنوى وهى تبعية لأنها فى الحرف. والصراط المستقيم من الأشياء المحسوسة وأما التمكن على العدل فمن الأمور المعقولة والجامع أيضا من الأمور العقلية فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- التمكن على العدل من الأمور المعقولة فبتشبيهه بشيئ محسوس قرب إلى الأفهام.
- ولايخفى مافى استعارة الصراط المستقيم من المبالغة لأن الصراط المستقيم أكثر إيصالا إلى الهدف الأصلى فإذا ألحق به التمكن على العدل انتقلت إليه المبالغة فى نفس الوصف.
- ثم فى كلمة "على " إشارة إلى كما ل التمكن على وصف العدل لأنها للا ستعلاء وهو يدل على التمكن التام على ما تحته كالفرس وغيره.

وينقل الله تعالى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام وفيه تعبير عن تسرع الناس إلى ذريته حبا وشوقا ب "تهوى" وهو فعل مضارع من باب ضرب يضرب ومعناه النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط فيقول الله تعالى:"رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"[920] فاستعير لفظ الهوى للإسراع فى المشى على طريقة الاستعارة التصريحية وهذاالإسراع فى المشى فى حق القلوب كناية عن الميلان لأن القلوب لا تنتقل من مكان إلى مكان ثم اشتق منه تهوى على طريقة الاستعارة التبعية فالمستعارمنه هو الهوى وهو أمر مدرك بحاسة البصر والمستعارله وهو إسراع فى المشى وهو أيضا من الأمور المحسوسة ولكنه فى حق القلوب من الأمور المعقولة لأن ميلان القلوب لاتدرك بالحواس الخمسة. والجامع بينهما هو الوصول إلى الهدف بسرعة والوصول من المعانى التى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة لأن المدرك إما المشى بالسرعة أوالوجود عند الهدف ولكن الوصول مختلف تماما عن هذين الأمرين وهو الانتقال من مكان إلى مكان وهو أمر معنوى. فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ويمكن أن تكون الاستعارة فى الأفئدة استعارة مكنية وقرينتها استعارة تخييلية وهى فى " تهوى". ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى هذه الاستعارة مبالغة فى ميلان قلوب الناس إليهم لأن فى الهوى مبالغة فى الإسراع فى المشى وبما أن الإسراع فى المشى كناية عن الإسراع فى الميلان فانتقلت المبالغة من الإسراع فى المشى إلى ميلان قلوب الناس قال صاحب التفسير المنير: "تهوى فيه استعارة لأن حقيقة الهوىِّ النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط والمراد : تسرع إليهم شوقا وحبا من مكان بعيد"[921] فكأن إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يميل قلوب الناس على أولاده إلى حد كأنها تأتى من موضع مرتفع إلى مكان منخفض ولايخفى ما فى هذاالإتيان من المبالغة فى الإسراع.
- ولا يخفى أن الميلان أمر قلبى لا يدرك بالحواس وشرح هذه الكيفية فى الازدياد يحتاج إلى بيان كثير ومع ذلك لا يعطى الفكرة التى أعطاها هذه الاستعارة لأنها جاءت بهذه الفكرة إلى منصة الأمورالمدركة بالحواس بإلحاقها بامور محسوسة فهى قربتها إلى الأفهام مع المبالغة التى قد ذكرت.

وعبر الله تعالى عن الرسوخ فى الدين بثبوت القدم وعن الإنحراف عن الحق بزلل القدم فى قوله تعالى:"وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[922] فاستعير ثبوت القدم للرسوخ فى الدين على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية واستعير زلل القدم للإنحراف عن الحق على طريق الاستعارة التصريحية ثم اشتق من الزلل

صيغة المضارع على سبيل الاستعارة التبعية. وكل من الرسوخ فى الدين والانحراف عن الحق من الأمور العقلية وأما ثبوت القدم وزللها فمن الأمور الحسية والجامع بين الرسوخ فى الدين وثبوت القدم عدم التزلزل وبين الزلل والانحراف عدم التزلزل وهو من الأمور العقلية فهذه الاستعاة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- لثبوت القدم وتزلزلها أثر عظيم فى انقلاب الأحوال قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" قال في «البحر» وهو استعارة للوقوع في أمر عظيم لأن القدم إذا زلت انقلبت الإنسان من حال خير إلى حال شر"[923] فالقدم إذا كانت ثابتة فصاحبها لايزال يكون على الطريق الموصل إلى المطلوب ولكن إذا زلت انتهى الرجاء للوصول إلى المطلوب بل يضاف إليه وجود الضر كما فى زلل القدم من كسر القدم أو أى عضو من أعضاء الجسم.
- ذكرت القدم مفردة فى هذه الآية وهى منكرة بالتنوين ففيه إشارة إلى أن زلل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف إذا زلت أقدام كثيرة.[924]
- رسم الله تعالى الأمور المعقولة فى صورة الأمور المحسوسة للتقريب إلى الأذهان فالأمور المعقولة تكون بعيدة عن الأفهام وأما المحسوسة فتكون قريبة عنها.

وبين الله تعالى جزاء أهل قرية كفروا بأنعم الله تعالى بعد أن كانوا فى طمانية ويسر فسلط عليهم الجوع بدل اليسر والخوف بدل الأمن فقال تعالى:"وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"[925] فى هذه الآية أضيف اللباس إلى الجوع والخوف وفيه استعارتان؛ الأولى أنه شبه ما غشى الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر من حيث الاشتمال باللباس فاستعير له اسمه فالمذكور هنا المستعارمنه وهو اللباس فالاستعارة تصريحية وبما أن أثر الضررشيئ لايدرك بإحدى الحواس بل بالعقل وأما اللباس فشيئ مدرك بحاسة البصروالجامع وهو الإحاطة فأثرالجوع والخوف يحيط بصاحبهما وكذا اللباس يحيط بصاحبه وهذا أيضا من الأمورالمعقولة لأن إحاطة أثر الجوع والخوف لايدرك بالحواس. فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وشبه من حيث الكراهة بالطعم المر فاللباس مستعارله فالاستعارة مكنية وتكون الإذاقة تخييلاً لأنها من ملائمات الطعم المر وهو المستعارمنه.[926] وكل من الطعم المر واللباس من المحسوسات والجامع وهو الكراهة فهى من استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى استعارة اللباس لحالة طارئة عند الجوع والخوف مفهوم الإحاطة وهذا يعنى أن هذه الحالة تحيطه من كل جانب كما أن اللباس يحيط على لابسه من كل جانب فهكذا هذه الحالة طرأت عليه من كل جانب ثم يترشح من معنى الإحاطة عدم نفوذ أى شيئ إلى المحاط ففى الصورة المذكورة لا تنفذ إليه شيئ من الأمن والرخاء.
- ونلاحظ أن حالة طرأ الجوع والخوف التى كانت من الصورالمعقولة قدمت فى صورة محسوسة والمبالغة التى كانت فى الصورة المعقولة المفهومة لدى الناس قد انتقلت إلى الصورة المعقولة وصارت مفهومة ومشاهدة عندهم.
- وقداستخدمت الإذاقة مكان الإصابة وهى من ملائمات المطعومات وهى المستعارمنه فأثبتت للمستعارله والإذاقة أشد تأثيرامن الإصابة لأن للإذاقة أثر مباشر عند المصاب وأما الإصابة فليس أثرها مباشر' قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وأوثرت للدلالة على شدة التأثير التي تفوت لو استعملت الإصابة"[927]
- وآثر أذاقها على كساها لأن فى الأول استعارة ترشيحية لأنه من ملائمات المشبه به وفى الثانى استعارة تجريدية والاستعارة الترشيحية أبلغ من الترشيحية قال الآلوسى رحمه الله تعالى:" وإنما لم يقل : فكساها إيثاراً للترشيح لئلا يفوت ما تفيده الإذاقة من التأثير والإدراك وطعم الجوع لما في اللباس من الدلالة على الشمول"[928]

وعبر الله تعالى عن تقوية قلوب أصحاب الكهف بالربط عليها فقال تعالى:"وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا"[929] والربط لايمكن فى القلوب لأنها ليست من الأشياء التى تشد فالاستعارة إما فى الربط فاستعيرشد الأوعية بالأوكية لتقوية القلوب بجامع التقوّى فيهما. فالمذكور هنا المستعارمنه فالاستعارة تصريحية تبعية من سبيل استعارة المحسوس للمعقول قال صاحب التفسير المنير: استعارة تبعية أيضا لأن الربط هو الشد والمراد شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوكية.[930]وإما الاستعارة فى القلوب استعارة مكنية قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وجوز بعضهم أن يكون في الكلام استعارة مكنية تخييلية ، وعدي الفعل بعلي وهو متعد بنفسه لتنزيله منزلة اللازم"[931] فقد استعير الاوعية للقلوب بجامع أن كل واحد منهما مجمع للأ شياء حسية أو معنوية والقرينة على المكنية إثبات الربط لها والربط غير ممكن فى القلوب بل هو من ملائمات الأوعية التى هى مستعارة منها فهى استعارة تخييلية قرينة للمكنية وهذه الاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى لأن كون القلوب مجمع للأشياء لايدرك بالحواس الخمسة.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى معنى الربط معنى التقوّى لأن الشيئ إذا شد بالحبل أونحوه أمن من التزلزل والاضطراب ففى كون القلوب مربوطة إشارة إلى أنها آمنة من التزلزل والخوف كما صور الله تعالى حال الخوف فى آية سورة الأحزاب بتركها مكانها ووصولها إلى الحناجر فقال تعالى:" وبلغت القلوب الحناجر" قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"

> والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه ، فلما شاع إطلاق القلب على الاعتقاد استعير الربط عليه للتثبيت على عقده . كما قال تعالى: لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين القصص : 10 . ومنه قولهم : هو رابط الجأش . وفي ضده يقال : اضطرب قلبه ، وقال تعالى : { وبلغت القلوب الحناجر } [الأحزاب : 10] . استعير الاضطراب ونحوه للتردد والشك في حصول شيء".[932]

- قدم الله تعالى حالة القلوب وهى من الأمور المعقولة فى صورة الأمور المحسوسة وكأنها أشياء تدرك بحاسة البصر ومن هنا فسهل الفهم للمخاطبين لحالة قلوب أصحاب الكهف من الثبات واليقين وعدم الاضطراب وعدم الشك فى أمر من أمور الدين.
- وفى صورة الاستعارة المكنية تتقوى الاستعارة بالتخييل بالربط فإثبات ملائم المستعارمنه استمرار لاستعارة الأوعية للقلوب.
- أظهرت هذه الاستعارة الحالة النفسية الداخلية لهؤلاء الناس من عدم الخوف والاطمئنان الكامل قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { وَرَبَطْنَا على قُلُوبِهِمْ } قويناها بالصبر فلم تزحزحها عواصف فراق الأوطان وترك الأهل والنعيم والإخوان ولم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار ولم يرعها كثرة الكفار ، وأصل الربط الشد المعروف واستعماله فيما ذكر مجاز كما قال غير واحد[933].

وهكذا استعير الربط على القلب لإلقاء الصبر فى قلب أم موسى عليهما السلام فى قوله تعالى:"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[934] فشبه الله تعالى ما ألقى فى قلبها من الصبر بربط الشيئ قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى:" { إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ } أي: إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتُظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله ثَبَّتها وصبَّرها"[935] وقال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" { لَوْلا أن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا } بإلهام الصبر ، كما يربط على الشيء المنفلت ليقرّ ويطمئن"[936] والاستعارة فى هذه الآية مثل الآية السابقة بالتفصيل المذكور.

وعبر الله تعالى عن القذف باللسان بالرمى فى قوله تعالى:"وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[937] قال صاحب التفسير المنير:"استعارة , استعير لفظ الرمى (وهو الإلقاء بالحجارة ونحوها) لشيئ معنوى وهو القذف باللسان , بجامع الأذى فى كل منهما"[938] فالمستعارمنه هو الرمى ثم اشتق منه صيغة المضارع"يرمون" فالاستعارة تصريحية تبعية ثم الرمى من الأمور المحسوسة والقذف من الأمور المعقولة والجامع بينهما هو إلحاق شيئ بشيئ وهو أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الخيار فى الرمى لايكون إلا إلى وقت إطلاق الشيئ من اليد فإذا أطلقه من اليد انتهى خياره فيه وهولايستطيع أن يرده إلى يده مرة أخرى ولذامن الضرورى أن يطلق الشيئ من اليد بعد التفكر فى العاقبة ففى استعارة الرمى للقذف إشارة إلى أن الإنسان بالخيار مالم يتكلم فلابد أن يتفكر فى العاقبة ولايقذف المحصنات لأن عاقبته مذمومة.
- ثم فى الرمى إطلاق الحجارة أوالشيئ الآخر من بعيد دون أن يكون هناك ظن غالب بالإصابة الصحيحة فكذلك فى القذف بالزنا اتباع الظنيات دون أن يكون دليل يقينى على الإصابة الصحيحة ففيه تقبيح للقذف وإشارة إلى أن الإنسان العاقل لاينبغى له أن يتبع الظن لاسيما فى مثل هذه الأمور التى تتسبب لغضب الله تعالى.قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:" وفي التَّعبيرِ عن التَّفوهِ بما قالُوا في حقهنَّ بالرَّمي المنبىءِ عن صلابةِ الآلةِ وإيلامِ المَرميِّ وبعدِه عن الرَّامِي إيذانٌ بشدَّةِ تأثيره فيهنَّ وكونهِ رجماً بالغيبِ"[939]

وعبر الله تعالى عن هلاك من يحلل عليه غضب الله تعالى بكونهم ساقطين من العلو فى قوله تعالى:"كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى"[940] لأن الهوى من باب ضرب يضرب هو السقوط من العلو إلى الأسفل فالمستعارمنه هو الهوى والمستعارله هو الهلاك بجامع بينهما هو التنزل من الأمكنة العالية قال صاحب التفسير المنير:" استعارة, استعار لفظ الهوى وهو السقوط من علو إلى أسفل للهلاك والدمار"[941] فهذه الاستعارة تصريحية لأن المذكور هو المستعارمنه فى صورة المشتق وهو صيغة الماضى من الهوى ومن هنا فالاستعارة تبعية وبما أن المستعارمنه هو من الأمور المحسوسة وأما الهلاك فممكن فى الصور المختلفة فهى لاتدرك إلا بالعقل فهو أمر عقلى والجامع أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذاالأسلوب مبالغة فى الهلاك لأن الذى يسقط من مكان عال تتكسر اعظامه فلايستطيع أن يقوم بعده فهكذا الشخص الذى ينزل عليه عذاب الله تعالى يصل فى الهلاك إلى موضع تتعطل قواه فيصير كالعضو المعطل فلا يرجى منه النفع.
- الوقوع فى الهلاك المعنوى لايدرك بالحواس الخمسة فإذا ألحق بشيئ محسوس وهو صورة السقوط من العلو فقربه إلى أفهام المخاطبين لأن أثر السقوط خاصة إذا كان من المكان العالى ظاهر على كل من له فهم قليل.

وعبر الله تعالى عن القوة فى الطاعة بالأيدى وعن البصيرة فى الدين بالأبصار فى قوله تعالى: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ"[942] قال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى:"أُوْلِى الايدى والابصار أُولي القوَّةِ في الطَّاعةِ والبصيرةِ في الدِّينِ أو أولي الأعمالِ الجليلةِ والعلومِ الشَّريفةِ فعبَّر بالأيدِي عن الأعمالِ لأنَّ أكثرَها تُباشر بها ، وبالأبصارِ عن المعارفِ لأنَّها أقوى مباديها"[943] وفى هذه الآية استعاررتان أما الاستعارة الأولى ففى أولى الأيدى وهذه استعارة تصريحية تبعية ذكر فيها المستعارمنه وهو الأيدى ولم يذكر المستعارله وهو القوة فى الطاعة وهذا من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والاستعارةالثانية فى الأبصار للمعارف على سبيل الاستعارة التصريحية وكل من المستعارمنه والمستعارله من الأمورالمعقولة فهى استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى استعارة الأيدى للقوة فى الطاعة إشارة إلى أن السبب الأساسى للقوة هى الأيدى قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت ، فقيل : في كل عمل هذا مما عملت أيديهم ، وإن كان عملاً لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي ، أو كان العمال جذماً لا أيدي لهم"[944]
- وصف هؤلاء الأنبياء بهاتين الصفتين وهما ترشحان وصف الفكر والعمل وفكر الأنبياء وعملهم يدور حول مرضاة الرب لأنهم ماكانوا يعملون إلا مايوصلهم إلى مرضاة ربهم وما كانوا يتفكرون إلا ما مايوصلهم إلى مرضاة ربهم فهذا يوحى أن الذين لايتفكرون فى أمور الآخرة كأنهم لاأبصارلهم والذين لايعملون للآخرة كأنهم لاأيدى لهم قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:

> كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ، ولا يجاهدون في الله ، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي

العقول الذين لا استبصار بهم . وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ، ولا من المستبصرين في دين الله ، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما[945]

وصور الله تعالى تمكنه من كل ما فى السموت والأرض فى صورة من عنده مفاتيح خزائن السموت والأرض فى قوله تعالى:" لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[946] ففيه تشبيه "الخيرات والبركات والأرزاق بخزائن , واستعار لها لفظ المقاليد أى المفاتيح, والمعنى: خزائن رحمته وفضله بيده تعالى".[947] فالمقاليد استعارة دالة على تشبيه هذا بذك وإلا فلم يذكر هنا لا المستعارله ولاالمستعارمنه وأما فى الاستعارة الدالة فالمستعارمنه هو مقاليد وأما المستعارله فهو التمكن من فتح خزائن الخيرات والبركات والأرزاق فالاستعارة هنا تصريحية تبعية لذكر المستعارمنه فى صورة المشتق وهى استعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وإذا لاحظنا الصورة ا لمرسومة فى هذه الآية وهى صورة من بيده مفاتيح الخزائن فهو يقدر أن يفتحها كما شاء ومتى شاء وفى مرآة هذه الصورة تتراآى صورة تمكن الله تعالى من فتح خزائن السموت والأرض فلا يستبعد هنا الاستعارة التمثيلية التصريحية من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى تمكنه من التصرف فى خزائن كل شيئ موجود فى السموت والأرض فى صورة حية وهى صورة يقتطف منها المعارف التى يحتاجها فيرى فيها أن صاحب المفتاح يقدر على أن يفتح الخزائن متى شاء وأينما شاء ولفظ المقاليد يدل على أنها محفوظة من أيدى الغير فلن يصلوا إليها لأنها محفوظة مصونة من تصرف الغير.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وجوز أن يكون المعنى لا يملك التصرف في خزائن السماوات والأرض أي ما أودع فيها واستعدت له من المنافع غيره تعالى" [948]
- ووجود المفتاح يدل على أن صاحب المفتاح له شدة التمكن على الوصول إلى الأشياء المخزونة قال ابن عادل رحمه الله تعالى:" وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك : بيد فلان مفتاح هذا الأمر ، وليس ثم مفتاح ، وإنما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء"[949]
- وكلمة المقاليد يوحى أن الخزائن التى عند الله تعالى مقدسة لأن الشيئ المقفل يكون ثمينا فلا يترك مفتوحا لتصرف الناس يتصرفون فيها كما يشاءون بل هى مصونة مقفلة ومحفوظة عن تصرف الناس حسب هواهم. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:"ولما كانت تلك العناصر والقُوى شديدة النفع للناس وكان الناس في حاجة إليها شبهت بنفائس المخزونات"[950]

وعبر الله تعالى عن إنزال العذاب بالصب فى قوله تعالى:"فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ"[951] على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية بجامع الكثرة فى كل منهما وهو أمر عقلى فى إنزال العذاب فالاستعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى.قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:" والصب حقيقته : إفراغ ما في الظرف ، وهو هنا مستعار لحلول العذاب دَفعة وإحاطته بهم كما يصب الماء على المغتَسِل أو يصب المطر على الأرض ، فوجه الشبه مركب من السرعة والكثرة"[952] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى استعارة الصب للإنزال إشارة إلى أن العذاب كان نازلا دفعة واحدة وهو يستلزم الكثرة والشدة.
- وفى إضافة العذاب إلى السوط إشارة إلى الإيلام لأن الغرض من استخدام السوط هو إيلام المضروب ويترشح منه قهر الله تعالى وغضبه.قال صاحب التفسير المنير:"استعارة شبه العذاب الشديد النازل بهم بالسوط المؤلم واستعمل الصب للإنزال"[953]

***

المبحث الثانى

المحسوس للمحسوس بجامع حسى:

فى هذا المبحث سأناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعارله والجامع بين المستعارمنه وله من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وترشيحية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى يبين خسران المنافقين فى تجارتهم بأن اختاروا ماهو أخس فى نظر الله تعالى وما يوصل صاحبه إلى الظلمات وتركوا ما هو أفضل فى نظرالله تعالى وما يوصل صاحبه إلى النور والهداية فيقول تعالى:"أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى"[954] فى هذه الآية استعير لفظ الاشتراء لاستبدال الغى بالرشاد والكفر بالإيمان فلفظ الاشتراء مستعار ومفهوم الاشتراء مستعارمنه والاستبدال مستعارله والجامع بينهما هو أخذ أحد البدلين وترك الآخر فيهما وقد ذكر المستعارمنه فالاستعارة تصريحية .[955] قال العلامة الصابونى رحمه الله تعالى:

> الاستعارة التصريحية اشتروا الضلالة بالهدى المراد استبدلوا الغى بالرشاد والكفر بالإيمان فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم فاستعار لفظ الشراء للاستبدال ثم زاده توضيحا بقوله فما ربحت تجارتهم وهذا هو الترشيح الذى يبلغ بالاستعارة الذروة العليا [956]

وقد اشتق "اشتروا"من كلمة الاشتراء وهى مصدر له فالاستعارة تبعية.وقد ذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى فى هذه الآية احتمالين الأول كما ذكر والثانى إطلاق الاشتراء على الحرص لأن الاشتراء مستلزم للحرص على الشيئ فمعنى الكلام :حَرَصوا على الضلالة ، وزَهِدوا في الهدى ’وعلق على الاحتمال الأول أنهم لم يكونوا على الهدى والاستبدال يقتضى أن يكون فى ملكهم شيئ يتركونه فى بدل شيئ آخر.[957] ولكن أجاب العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى أن المنافقين كانوا قادرين على اختيار الهدى ولكنهم أعرضوا عيه واختاروا الكفرفلتمكهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم ، فإذا تركوه إلى

الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به.[958] ونرى أن المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور المحسوسة فهو من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه حسى. ومن الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب مايلى:

- فى معنى الاشتراء من الطلب والجد والكد ما ليس فى معنى الاستبدال وهذا يوحى أن اختيار الضلالة كان منهم بطلب صادق واجتهدوا فى ذلك لأن الإنسان يشترى الشيئ الذى يراه مفيدا فيطلبه من أعماق قلبه وأما الاستبدال فقد يكون اضطراريا من الإنسان فلايكون عنده طلباصادقا ولايجتهدفيه كل الاجتهاد ولايريده من أعماق قلبه.
- وفى اختيار كلمة بالهدى إشارة إلى أنهم مااختاروا الضلالة فقط بل تركوا فى عوضه ما كان أثمن وأحسن وهو الهدى وكأن الهدى كان فى أيديهم فتركوه وعبر عن هذاالترك بجعله ثمنا للهدى وهذه مبالغة فى شناعتهم وحماقتهم لأن اختيار الضلالة شيئ واخذه فى عوض الهدى شيئ آخر.
- وأيضا فى جعل الهدى ثمنا إشارة إلى أن الهدى ليس مقصودا عندهم لأن الثمن لايكون مقصودا وإنما المقصود هو الشيئ الذى يأتى فى مقابلة الثمن وأما الثمن فمقصوديته تكون باعتبار أن فيه صلاحية لكونه وسيلة للمقصود كما نرى فى حياتنا هذه أن المقصود هو التسهيلات المختلفة التى نستخدمها لا أثمانها وأما الأثمان فتطلب لأنها وسيلة للمقصود.ومن هنا أشير إلى فرط حماقتهم وشناعتهم. والله تعالى أعلم.

ثم تكميلا للمبالغة زيلت الاستعارة بلوازم المستعار منه فقال تعالى "فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين" فمن المزايا البلاغية فى هذاالترشيح مايلى:

- فى ترشيح الاستعارة بقوله فما ربحت تجارتهم من الحسن ما لايخفى لأن فى الترشيح ينسى المشبه بالكلية كأن المراد هو المشبه به ليس المشبه فيفصل المشبه به بترشيح الاستعارة.وهذااوحى أن هنا اشتراء وليس استبدالا فازدادت المبالغة. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:

> فإن قلت : هب أنّ شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال ، فما معنى ذكر الربح والتجارة؟ كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة . قلت : هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات ، إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقاً ، وهو المجاز المرشح.[959]

- وفى قوله ربحت تجارتهم إشارة أيضا إلى أنهم أضاعوا المال وهو الهدى وما حصلوا إلا الضلالة مع

أنّ الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان : سلامة رأس المال ، والربح . وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً ، لأن رأس مالهم كان هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة . وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة ، لم يوصفوا بإصابة الربح . وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية؛ لأن الضال خاسر دامر[960]

واستخدم الله تعالى نفس الأسلوب ونهى الناس عن أن يستبدلوا المنافع الدنيوية عوضا عن الآيات الإلهية فقال تعالى:"وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ"[961] والمراد بالثمن القليل فى هذه الآية إما الرياسة التي كانت لهم في قومهم ، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها ولا شك أن هذا شيئ حقير وقليل بالنسبة إلى آيات الله تبارك وتعالى بل كل كثير بالنسبة إليها قليل وكل كبير بالنسبة إليها حقير.وإما المراد بالثمن التسهيلات فى أمور الشريعة وكتمان الحق الذى يؤثر رئاسة الملوك لأن عامتهم كانوا يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ، ويهدون إليهم الهدايا ، ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم ، وتسهيلهم لهم ما صعب عليه من الشرائع . وكان ملوكهم يدرّون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرّفوا .[962]

فالاشتراء فى هذه الآية هو الاستبدال أى أخذ التسهيلات فى الأمور الشرعية أو التحريف فى كلم الله تعالى وترك اتباع الحق فالمستعارمنه هو مفهوم الاشتراء والمستعارهواللفظ الموضوع لذلك المعنى ولاحظنا أن المستعارمنه والمستعار شيئ واحد فى المآ ل ولذا فقد يطلق أحدهما مكان الآخر' والمستعارله هو الاستبدال. وبما أن المستعارمنه هو المذكور فالاستعارة تصريحية واشتق"اشتروا" من كلمة الاشتراء فالاستعارة تبعية كما مر فى قوله تعالى:اشتروا الضلالة بالهدى.[963] وكما مر فى نفس الآية أن المستعار منه والمستعارله والجامع كلها حسية فهى من استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسى.وقد ذكرت الأسرار البلاغية المتعلقة بهذه الآية فى الآية رقم 16 من هذه السورة فلاداعى أن أكررها بتفاصيلها إلا بإشارة خفيفة إليها'وهى:

- فى معنى الاشتراء من الطلب والجد والكد ما ليس فى معنى الاستبدال وهذا يوحى أن اختيار الضلالة كان منهم بطلب صادق.
- وفى اختيار كلمة بالهدى إشارة إلى أنهم مااختاروا الضلالة فقط بل تركوا فى عوضه ما كان أثمن وأحسن وهو الهدى.
- وأيضا فى جعل الهدى ثمنا إشارة إلى أن الهدى ليس مقصودا عندهم لأن الثمن لايكون مقصودا وإنما المقصود هو الشيئ الذى يأتى فى مقابلة الثمن.

- أضاف الله تعالى الآيات إلى ذاته تعالى اهتماما بشأنها وبالتالى سخرية بعقولهم لأن الثمن وصف بالقلة فى مقابلة الشيئ الذى هو من الله تعالى خالق الكون وخالق المخاطبين فيالحماقة من يختارون الشيئ الخسيس فى مقابلة الشيئ النفيس الذى لانسبة له به.قال البيضاوى رحمه الله تعالى: "وَلاَ تَشْتَرُواْ بآياتي ثَمَنًا قَلِيلاً ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا ، فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان".[964]

وهكذا يعبرالله تعالى عن الاستبدال بالاشتراء فى اختيارهم الضلالة المستوجبة لعذاب الله تعالى وتركهم الهدى المستوجب لغفران الله تعالى فى قوله تعالى:" أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ"[965] وأكتفى بالتفصيل الذى سردته هناك فلاداعى لتكراره.

وهكذا استخدم الاشتراء فى معنى الاستبدال فى قوله تعالى :"إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[966] على أن عهد الله تعالى وأيمانه فى هذه الآية بدل عن الهدى فى الآية السابقة ولكن الأسرار البلاغية فى هذه الآية مثل الأسرار البلاغية فى الآية السابقة فأكتفى بها.

وهكذا عبر الله تعالى عن الاستبدال بالاشتراء فقال تعالى :"أنَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [967] تفصيل الاستعارة وبلاغتها قد مر فلا إعيدها ولكن بالإضافة إلى ذلك المزية التى توجد هنا هى أن الله تعالى يبين أن الذى يتجر فى مثل هذه التجارة الكاسدة فيترك الإيمان ويختار الكفر فضرها لا يعود على الله تعالى أن كفر به ولم يؤمن به بل الضر عائد على نفسه.

وبين الله تعالى خباثة الكفار التى تجوّز القتال ضدهم وهو اختيار الحيوة الدنيوية وترك الحيوة الأخروية فقال تعالى:"فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[968] ولايخفى مافى هذه الآية من تقبيح حال هؤلاء الناس الذين يتجرون تجارة كاسدة وتحسين حال الذين يبذلون حياتهم الدنيوية للحياة الأبدية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وإسنادُ القتال المأمور به إلى أصحاب هذه الصلة وهي : {يشرون الحياة الدنيا بالآخرة } للتنويه بفضل المقاتلين في سبيل الله ، لأنّ في الصلة إيماء إلى علّة الخبر ، أي يبعثهم على القتال في سبيل الله بَذْلُهم حياتهم الدنيا لِطلب الحياة الأبدية ، وفضيحة أمر المبطّئين حتى يرتدعوا عن التخلّف ، وحتّى

يُكشف المنافقون عن دخيلتهم ، فكان معنى الكلام : فليقاتل في سبيل الله المؤمنون حقاً فإنّهم يشرون الحياة الدنيا بالآخرة[969]

وعبر الله تعالى عن بياض الصبح بالخيط الأبيض وعن سواد الليل بالخيط الأسود فى بيان انتهاء السحر فقال تعالى:"وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" [970] فالمستعارمنه فى هذه الآية هو الخيط الأبيض والخيط الأسود والمستعارله هوبياض الصبح وسواد الليل ونلاحظ أن المستعارمنه هو المذكور هنا فالاستعارة تصريحية ولذكر الاسمين هى أصلية ثم كل من بياض الليل والخيط الأبيض وسواد الليل والخيط الأسود من الأشياء المحسوسة والجامع وهو الاتضاح أيضا من الأشياء المحسوسة فهو من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى.

وهناك رأى آخر وهو أن هذاالأسلوب ليس من أسلوب الاستعارة بل من أسلوب التشبيه البليغ لأن ذكر قول "من الفجر" مناف لتناسى التشبيه وهو شرط فى الاستعارة فذكر ه قد أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذازدت " من فلان" رجع تشبيها .[971]وسنذكرهنا أسرار ها البلاغية التى تتعلق بالاستعارة وهى كما يلى:

- فيه تقريب المستعارله إلى الأذهان بتقديمه فى الصورة المحسوسة أكثر وضوحا منها فى المستعارله لأن هناك تفاوت بين المحسوس والمحسوس فى الوضوح.
- ثم فى تناسى التشبيه لعدم ذكر المستعارله من المبالغة ما لايخفى فكأن المستعارله هو نفس المستعارمنه.

وهكذا عبر الله تعالى عن ما تحت الجهنميين بالمهاد الذى يفترشه النائم[972] فى قوله تعالى:"هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ"[973] ففيه استعارة غير التمثيلية تصريحية وبما أن كلا من المستعارله والمستعارمنه من الأمور المحسوسة والجامع وهوالتغطية والإحاطة وهو أيضا من الأمور الحسية فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى.

وعبر الله تعالى عن السلاح بالشوكة فى قوله تعالى:"وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"[974] لأن الشوكة يقال لشوك الشجر قال صاحب المصباح المنير:"شَوْكُ الشَّجَرَةِ مَعْرُوفٌ الْوَاحِدَةُ شَوْكَةٌ فَإِذَا كَثُرَ شَوْكُهَا قِيلَ شَاكَتْ شَوْكًا مِنْ بَابِ خَافَ وَأَشَاكَتْ أَيْضًا بِالْأَلِفِ وَشَاكَنِي الشَّوْكُ مِنْ بَابِ قَالَ أَصَابَ جِلْدِي وَشَوَّكْتُ زَيْدًا بِهِ وَأَشْكَنْتُهُ إِشَاكَةً أَصَبْتُهُ بِهِ".[975] ففى هذه الآية استعارة الشوكة للسلاح بجامع الشدة والوخز والحدة بينهما[976] فمعنى الآية: أنكم أيها المسلمون كنتم تودون أن تلقَوا بالطائفة التى ليس معهم من السلاح وهى الطائفة التى كانت

تأتى من الشام تحت قيادة أبى سفيان رضى الله تعالى عنه وكانت هذه الطائفة غير مسلحة قال الإمام القرطبى رحمه الله تعالى:

> وتودون أي تحبون (أن غير ذات الشوكة تكون لكم) قال أبو عبيدة: أي غير ذات الحد. والشوكة: السلاح. والشوك: النبت الذي له حد، ومنه رجل شائك السلاح، أي حديد السلاح. ثم يقلب فيقال: شاكي السلاح. أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب." [977]

لاحظنا أن المستعارمنه هو المذكور هنا والمستعارله غير مذكور فالاستعارة تصريحية وكل من المستعارمنه وله والجامع بينهما من الأشياء التى تدرك بالحواس فهى استعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى والاستعارة هنا فى الاسم فهى أصلية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى كلمة الشوكة من الشدة والحدة مايوجب الوداد للقائهم والنفرة من لقاء الجماعة الأخرى قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> أي تحبون أنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشوكة تَكُونُ لَكُمْ من الطائفتين ، وذات الشوكة هي النفير ورئيسهم أبو جهل ، وغيرها العير ورئيسهم أبو سفيان ، والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير ، والشوكة في الأصل واحدة الشوك المعروف ثم استعيرت للشدة والحدة وتطلق على السلاح أيضاً؛ وفسرها بعضهم به هنا[978]

- والاستعارة هنا من المحسوس لمحسوس ولكن الشدة والحدة فى الشوك أكثر فهما عند عامة الناس لأنها فى الشوك تكون أمام عامة الناس وأما الشدة فى السلاح فلا تكون أمام أعين عامة الناس فإذا ألحقت بالشوكة صارت قريبة أمام عامة الناس فهو معين على فهمها.

***

المبحث الثالث

المحسوس للمحسوس بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعارله من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما الجامع فيكون من الأمور العقلية ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وترشيحية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نرى إخبار الله تعالى أن الذين لايستخدمون ماوهب لهم من الأسماع فى سماع قبول فهم كالموتى والذين يستخدمونه فى سماع قبول فهم الذين يسمعون فقال تعالى:" إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"[979] قال صاحب التفسير المنير:" فيه استعارة , أن الموتى عبارة عن الكفار لموت قلوبهم."[980] ففى هذه الآية استعارة الموتى للكفار والجامع بينهما أن القلوب غير عاملة فيهما أما فى الموتى فحقيقة لعدم وجود الحيوية فيها وأما فى الكفارفهى وإن كانت حية ولكنها غير مستخدمة فى أعمال الخير فكأنها ميتة.قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

> { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الذين يَسْمَعُونَ } تقريرٌ لما مر من أن على قلوبهم أكنةً مانعة من الفقه ، وفي آذانهم وَقراً حاجزاً من السماع ، وتحقيقٌ لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يُتصور منهم الإيمانُ البتة ، والاستجابةُ الإجابةُ المقارنة للقَبول ، أي إنما يَقبلُ دعوتَك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماعَ تفهمٍ وتدبُّر دون الموتى الذين هؤلاء منهم[981]

فالمستعارمنه هو الموتى والمستعارله هو الكفار وكلاهما من المحسوس والجامع معقول لأن كون القلوب عاملة أو غير عاملة أمر مدرك بالعقل لا بالحواس فهى استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلى ثم المذكور هنا هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وبما أنها جارية فى الأسماء المشتقة فهى تبعية ونلا حظ أنها رشحت بملائمات المستعارمنه وهو البعث الذى هو من ملائمات الموتى لا الكفار فالاستعارة فيه ترشيحية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن الله تعالى قادر على أن يخرجهم من ظلمات الكفر كما أنه قادر على أن يبعث الموتى يوم القيامة والكفرة مثل الموتى قال أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> وقوله تعالى : { والموتى يَبْعَثُهُمُ الله } تمثيلٌ لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور ، وقيل : بيانٌ لاستمرارهم على الكفر وعدمِ إقلاعهم عنه أصلاً على أن الموتى من القبور[982]

- ولايخفى أن فى ذكر البعث تقوية المستعارمنه لأنه من ملائمات الموتى لا من ملائمات الكفرة ففى ذكر ملائمات المستعارله تقوية للاستعارة. وفيه جعل ذكر الكفرة نسيا منسيا كأنه ليس هناك ذكر الكفرة.
- وذكر يبعثهم إما مبنى على الحقيقة فهو ترشيح الاستعارة كما مر فى المزية الثانية وإما مبنى على الاستعارة فالمراد منه الهداية بعد الكفر لأن الهداية مثل الحياة والكفر مثل الموت قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> { والموتى } استعارة لمن لا ينتفعون بعقولهم ومواهبهم في أهمّ الأشياء ، وهو ما يُرضي الله تعالى . و { يبعثهم } على هذا حقيقة ، وهو ترشيح للاستعارة ، لأنّ البعث من ملائمات المشبّه به في العرف وإن كان الحي يخبر عنه بأنه يبعث ، أي بعد موته ، ولكن العرف لا يذكر البعث إلاّ باعتبار وصف المبعوث بأنّه ميّت.[983]

وهكذا عبر الله تعالى عن الذين لاينتفعون بمواهبهم من الأسماع والأبصار بالموتى والصم العمى فى قوله تعالى:"إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ"[984] فى هذه الآية ثلاث استعارات : الأولى استعارة الموتى للكفار على سبيل الاستعارة التصريحية من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى لأن الجامع بينهما هو عدم الانتفاع والاستعارة الثانية هى استعارة الصم للكفار على سبيل الاستعارة التصريحية من المحسوس للمحسوس بجامع عدم الانتفاع فيهما وهوعقلى. والاستعارة الثالثة هى استعارة العمى للكفار على سبيل الاستعارة التصريحية من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى' والاستعارة فى كل واحدة من هذه الاستعارات أجريت فى الأسماء المشتقة فهى استعارات تبعية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- باستعارة الموتى للكفار حرموا من كل خير سواء حصل بالقوة الباصرة أوالشامة أو السامعة أو غير ذلك ' لأن الميت محروم من الخيركله حصل من أى مصدر من مصادر النفع' وباستعارة الصم لهم أظهر الله تعالى

حرمانهم عن الخير الآتى من القرأن بزريعة القوة السامعة لأن بالاستماع للقرآن يدلف أثر بلاغة القرآن من الأسماع إلى القلوب. وباستعارة العمى لهم أظهر الله تعالى حرمانهم عن الخير الآتى من القرآن بزريعة القوة الباصرة. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى

> و { الموتى } و { الصم } : مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحق ويكابرون من يقوله لهم . شبهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن ، وشبهوا بالصم كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم . وللقرآن أثران :أحدهما : ما يشتمل عليه من المعاني المقبولة لدى أهل العقول السليمة وهي المعاني التي يدركها ويسلم لها من تبلغ إليه ولو بطريق الترجمة بحيث يستوي في إدراكها العربي والعجمي وهذا أثر عقلي .والأثر الثاني : دلالة نظمه وبلاغته على أنه خارج عن مقدرة بلغاء العرب . وهذا أثر لفظي وهو دليل الإعجاز وهو خاص بالعرب مباشرة ، وحاصل لغيرهم من أهل النظر والتأمل إذا تدبروا في عجز البلغاء من أهل اللسان الذي جاء به القرآن ، فهؤلاء يوقنون بأن عجز بلغاء أهل ذلك اللسان عن معارضته دال على أنه فوق مقدرتهم؛ فالمشركون شبهوا بالموتى بالنظر إلى الأثر الأول ، وشبهوا بالصم بالنظر إلى الأثر الثاني ، فحصلت استعارتان . ونفي الإسماع فيهما ترشيحان للاستعارتين وهما مستعاران لانتفاء معالجة إبلاغهم[985]

- لم يكتف الله تعالى على عدم إمكان إسماع الموتى وهدايتهم بل أردف بعدم إمكان إسماع الصم وعدم إمكان هداية العمى مع أن القوى الباصرة والسامعة تتعطل بالموت فهذا يدل على كمال المبالغة. قا ل العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وما ذكر أولاً من أنهم أنفسهم شبهوا بالموتى هو الظاهر ، ووجهه أن على طريق التسليم والنظر لأحوالهم كأنه قيل : كيف تسمعهم الأرشاد إلى طريق الحق وهم موتى وهذا بالنظر لأول الدعوة ولو أحييناهم لم يفد أيضاً لأنهم صم ، وقد ولوا مدبرين وهذا بالنظر لحالهم بعد التبليغ البليغ ونفرتهم عنه ، ثم إنا لو أسمعناهم أيضاً فهم عمى لا يهتدون إلى العمل بما يسمعون.[986]

- فى تقييد كونهم بتولية الأدبار إشارة إلى أنهم مع سلب صلاحيتهم للقبول والسمع والرؤية منهم لايأتون قريبين إلى الداعى فانتفى إمكان القبول بالكلية' قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وتقييد النفي بقوله تعالى : { إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ } لتتميم التشبيه وتأكيد النفي فإنهم مع صممهم عن الدعاء إلى الحق معرضون عن الداعي مولون على أدبارهم ، ولا ريب في أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريباً منه ، فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه.[987]

وعبر الله تعالى عن مكة المكرمة بأم القرى فى قوله تعالى:"وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ"[988] ففيه تشبيه هذه البلدة بالأم وحقيقة الأم الأنثى التى تلد الطفل فيرجع إليها ويلازمها كما أن الأم أصل للأولاد هكذا مكة المكرمة أصل للمدن فى العالم[989] فالمستعارمنه هو الأم والمستعارله هو المكة المكرمة بجامع الأصلية فيهما والمذكور هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية ولجرى الاستعارة فى الاسم هى أصلية ثم نرى أن المستعارمنه من الحسيات والمستعارله أيضا منها وأما الجامع فمن الحسيات لأن كون الشيئ أصلا لايدرك بالحس بل بالعقل فهى من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى قدم هذه البلدة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وإنّما سمّيت مكّة أمّ القرى لأنّها أقدم القرى وأشهرها وما تقرّت القرى في بلاد العرب إلاّ بعدها ، فسمّاها العرب أمّ القرى"[990]
- ثم فى ذكر المستعارمنه وتناسى المستعارله من المبالغة فى تقوية الاستعارة كأن المكة المكرمة هى نفس الأم لأنه ليس هناك ذكر هذه البلدة بل فى ضمن ذكر المستعار منه.
- ومن المعلوم أن الإنذار إنما يكون لأهل البلدة لا للبلدة نفسها وهذا سنناقشه فى المجاز المرسل إن شاء الله تعالى .

وعبر الله تعالى عن جدب البلد وعدم نباته بالميت فى قوله تعالى :"وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[991] ففيه استعارة الميت لبلد جدب بجامع عدم النفع فيهما قال صاحب التفسير المنير:"استعارة إذ شبه جدب البلد وعدم نباته بالجسد الذى لاروح فيه , من حيث عدم الانتفاع به"[992] .فالمستعارمنه هو ميت وهو مذكور فالاستعارة تصريحية والمستعارله هو البلد الجدب ونرى أن كلا من المستعارله والمستعارمنه من الأشياء المحسوسة بجامع عقلى لأن عدم النفع لايدرك بحاسة البصر فهى استعارة محسوس لمحسوس بجامع عقلى. وبما أن الاستعارة فى الميت وهو

مشتق فالاستعارة تبعية. والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- شبه الله تعالى البلد الذى لاينبت نباتا بالجسد الذى لاروح فيه ومن المعلوم أن الأرض التى لا تكون صالحة للنبات يمكن لها أن تصير صالحة للنبات ففيه مبالغة فى عدم النفع من ذلك البلدالميت لايرجى منه النفع ولكن الله تعالى يجعله نافعا.ففيه إظهار قدرة الله تعالى وإحياء الموتى من صفات الله تعالى.
- فيه استعارة المحسوس للمحسوس ولكن الوصف الجامع فى المستعارمنه أكثر وضوحا منه فى المستعارله وأبلغ منه فيه لأن عدم النفع فى الميت أكثر وضوحا فى الأرض غير المنبتة.
- فيه إشارة إلى أن الشيئ إذا خلا من النفع لا يستحق أن يقال له حيا.
- وأسند الموت المجازى إلى البلد وهو مجاز عقلى لأن الميت إنما هو نباته وثمره وسأبينه فى المجاز العقلى إن شاء الله تعالى.

وعبر الله تعالى عن القوم والعشيرة بركن شديد فقال تعالى :"قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ"[993] فاستعير كلمة الركن للقوم والعشيرة والركن معناه ناحية من البيت أوالجبل فالجامع بين الركن والقوم هوالحفظ والمنعة فمعناه أو انضم إلى قومى أتمنع به عنكم وأنتصر به عليكم. [994] فالركن الشديد هو المستعارمنه والقوم والقبيلة هو المستعارله والمذكور هنا هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وبما أنها فى الاسم فهى أصلية وفى كلمة" آوى " ترشيح لأن اللجوء من ملائمات الركن وهى من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى لأن الركن والقوم من الأشياء المحسوسة وأما المنعة والحفظ فمن الأمور المعقولة.ومن المزاياالبلاغية فى اسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الإنسان حينما يحس بالخوف من الأعداء أو السبع فهو يريد أن يأوى إلى مكان محفوظ فهو إما ناحية البيت أو الناحية فى وسط الجبل فإذا آوى إلى ذلك المكان صار مصونا من هجمات الأعداء وافتراس السبع وهذه هى الحقيقة التى يعرفها الناس فى حياتهم العامة فاستعير هذاالاسم للقوم لأن القوم يدافع عن أفراده ولايسلمها للأعداء فهو مشابه مع الركن فى هذاالوصف ولكن هذاالوصف واضح فى الركن و ثابت بطريقة محسوسة لأن الركن يحيط بأهله من كل جانب فالرائى يرى أنه لايصاب بأى مصيبة من جانب الأعداء أو الحيوانات الموذية الأخرى. وهو غير واضح فى القوم إلى هذاالحد لأنه ينحصر على مدافعة القوم عنه.ففى هذه الاستعارة اتضاح هذاالوصف وتقريبه إلى أذهان المخاطبين.

- فى ترشيح الاستعارة يتقوى وصف الرصانة والصون فى القوم لأنه بإثبات صفة الركن للقوم صار القوم كأنه هو الركن فتحلى بأوصافه بطريقة كاملة.

وهكذاعبر الله تعالى عن الجنود والجموع بالركن فى قوله تعالى:"فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ"[995] فاستعير الركن للجنود بجامع التقوى بهما وكل من الركن والجنود من الأشياء المحسوسة وأما الجامع فمن الأشياء المعقولة وقدذكر هنا المستعارمنه فالاستعارة تصريحية أصلية من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. قال ابن عادل رحمه الله تعالى:" والمراد بالركن أي بجمعِهِ وجنوده الذين كان يَتَقَوَّى بهم كالرُّكْن الذي يَتَقَوَّى به البُنْيَان ، كقوله تعالى : أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ".[996] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية كما بينتها فى الآية السابقة:

وقسم الله تعالى القرى التى قصها فى القرآن الكريم فى قسمين؛ قسم قد بقى آثارها وقسم قد عفت آثارها فقال تعالى:"ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ"[997] كلمة قائم وحصيد صفتان لموصوفين المنويين وهما زرع وزرع أى زرع قائم وزرع حصيد وفيهما تشبيه بليغ وكل ما يهمنا هنا هو أسلوب الاستعارة فاستعير قيام الزرع لبقاء آثار القرى على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه كلمة قائم على سبيل الاستعارة التبعية واستعير حصد الزرع لمحو آثار القرى المذكورة على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه كلمة حصيد على سبيل الاستعارة التبعية والمستعارمنه هنا من الأمور المحسوسة لأن الزرع القائم والحصيد من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر والمستعارله أيضا من الأمور المحسوسة لأن بقاء الآثار ومحوها من الأمورالمدركة بحاسة البصر والجامع وهوتعلق رجاء النفع وعدم رجاءه من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى تشبيه القرى المدمرة بالزرع المحصود إشارة إلى أن الفناء من قبل الآخرين وهو نتيجة للأعمال الفاسدة التى ارتكبها أهلها كما أن حصد الزرع من أعمال الحصّاد نتيجة لعدم صلاح الزرع للقيام لعدم رجاء الناس النفع فى قيامه فهكذا تدمير القرى من أعمال المدمر نتيجة لفساد أعمال أهلها.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وضمير الغيبة في { ظلمناهم } عَائد إلى { القرى } باعتبار أهلها لأنّهم المقصود .وإنّما لم يظلمهم الله تعالى لأنّ ما أصابهم به من العذاب جزاء عن سوء أعمالهم فكانوا هم الظّالمين أنفسَهم إذ جرّوا لأنفسهم العذاب"[998] كما أن فى تشبيه القائم بالزرع القائم إشارة إلى أن قيام الأشياء راجع إلى الفضل الراجع إلى تلك الأشياء.

- وفى هذه الاستعارة إشارة إلى أن لأهل القرى المدمرة ليس نفع يرجى فأفناهم الله تعالى ومحا آثارهم كما أن الزرع الغير النافع يحصد إذا لم يرج الناس فى نفعه فى القيام.وأما الأشياء الباقية من القرى التى قصها الله تعالى فى القرآن ففيها النفع والنفع عام من الظاهرى والباطنى فالاتعاظ والاعتبار أيضا من الفوائد الباطنية الروحانية.

وأثبت الله تعالى السباحة للشمس والقمر مع أن الشمس والقمر من غير ذوى العقول والسباحة من صفات العقلاء فقال تعالى:"لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"[999] ومعنى يسبحون يسيرون ففيه تشبيه السير بالسباحة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية و كل من السير والسباحة من الأمور المحسوسة والجامع بينهما هو الا نبساط أي يسيرون فيه بانبساط لأن كل من بسط في شيء فهو يسبح فيه فالاستعارة هنا تصريحية تبعية من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الأجرام السابحة لاتكون تحتها إلا جسما لطيفا مثل الهواء والماء فكما أن الناس يسبحون على الماء هكذا تسبح هذه الأجرام الفلكية على الهواء. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" ولا مانع عندنا أن يجري الكوكب بنفسه في جوف السماء وهي ساكنة لا تدور أصلاً وذلك بأن يكون فيها تجويف مملوء هواء أو جسماً آخر لطيفاً مثله يجري الكوكب فيه جريان السمكة في الماء"[1000]
- وبما أن السباحة من صفات العقلاء فاستخدم لها الصيغة الخاصة بالعقلاء وهى صيغة جمع المذكر السالم وهذه الصيغة تدل على أن الله تعالى وهب هؤلاء الأجرام من العقل بحيث تؤدى فريضتها قا ل العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وجعل لها في عالم سيرها وسباحتها في هذه السموات حركات مقدرة لا تزيد ولا تنقص وجعلها عاقلة سامعة مطيعة وأوحى في كل سماء أمرها ثم أنه عز وجل لما جعل السباحة للنجوم في هذه السموات حدثت لسيرها طرق لكل كوكب طريق[1001]

- ونلاحظ أن الصورة المستعارة وإن كانت محسوسة ولكنها قريبة إلى المعقولة لأن سيرها على فلكها لايحسه إلا العلماء المتخصصون فى هذاالمجال. فإلحاقها بالصورة المحسوسة المشاهدة عند عامة الناس قربها إلى أفهام الناس.

***

المبحث الرابع

المعقول للمعقول بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعارله والجامع بينهما من الأمور التى لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة فتكون من الأمور العقلية ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وترشيحية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى عبرعما شرعه الله تعالى كدليل الهداية إلى رضوانه برضوان الله تعالى فقال تعالى:"أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"[1002]فالاستعارة هنا فى كلمة اتّبع فاستعير الاتباع للتطلب قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"والاتِّباع هنا بمعنى التطلّب : شبه حَال المتوّخي بأفعاله رضَى الله بحال المتطلّب لطِلْبَة فهو يتبعها حيث حلّ ليقتنصها ، وفي هذا التَّشبيه حسن التنبيه على أنّ التحصيل على رضوان الله تعالى محتاج إلى فرط اهتمام". [1003]

وكل من الاتباع والتطلب من الأمور المعقولة والجامع هوالتوجه فى كل من التطلب والاتباع فمن اتبع الشيئ توجه إليه ومن تطلب الشيئ توجه إليه. وهذا أيضا من الأمور المعقولة فهذا من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى وبما أن المستعارمنه مذكور فالاستعارة تصريحية والاستعارة فى الفعل فهى تبعية. ونجد من المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- تحسين الأسباب الموصلة إلى رضوان الله تعالى والتشويق إليها وكأنها نفس رضوان الله تعالى.
- وفيه تسلية للنفس من الله تعالى وتفصيله أن الأسباب لاتكون مقصودة فيمل فى اختيارها الإنسان وهو يشتاق لانتهاء هذه الأسباب كى يصل إلى المطلوب فجعلها رضوان الله تعالى إشارة إلى أن اختيار هذه الأسباب مقصودة بذاتها. وهذه الحقيقة يدركها من كان فى قلبه من حب الله تعالى أوعلى الأقل من حب المحبوب المجازى فالدنف الحزين فى فراق المحبوب يجد فى نفسه لذة لاتساويها لذة فى الدنيا إذااختار الأسباب

الموصلة إلى المقصود من تفكرالمحبوب والتكلم فيه والسمع فيه وغير ذلك من الأسباب الموصلة فى هذاالمجال.

وعبر الله تعالى عن استحقاق المير اث بالاكتساب فقال تعالى "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[1004] ففيه تشبيه الاستحقاق بالاكتساب بجامع حصول التملك فيهما وكل واحد من المستعارله والمستعارمنه والجامع من الأمور التى لاتدرك بالحواس بل بالعقل فهى من استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى وقد ذكر المستعارمنه فهى تصريحية وتبعية لذكر المشتق وهو اكتسبوا قال صاحب التفسير المنير:" فيه استعارة تبعية شبه استحقاقهم للإرث وتملكهم له بالا كتساب واشتق من لفظ الاكتساب: اكتسبوا".[1005] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الانسان يحب المال الذى يكتسبه بنفسه ويقدره فيكون نصيبه فيه قويا فى أعينه من المال الذى يرثه فإلحاق المال الذى يملكه بطريق الإ رث بالمال الذى يملكه بطريق الاكتساب يكسب التأكيد والمبالغة فى الملك والاستحقاق.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> والمعني لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده ، وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاه حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك ما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور انتهى[1006]

هنا استعارة معقول لمعقول ولكن المعقول المستعارمنه أكثر قوة وتأكيدا من المستعارله فإلحاقه به يفيد المبالغة كما مر والتقريب إلى الأذهان.فالتملك بطريق الاكتساب أقرب فهما من التملك بطريق الإرث.

- وبما أن الله تعالى ينهى المؤمنين من التمنى على مافضل الله تعالى البعض على البعض الآخرين وكان فى بادئ النظر أن هذاالنصيب بلا موجب وترجيح الناس بعضهم على بعض بلامرجح وهذا يثير الوساوس فى قلوب الناس بأن فلانا وفلانا قد ملك من المال دون الاستحقاق فرد الله تعالى ذلك الزعم وحاصله أن الإرث فى استحقاق المال مثل الاستحقاق بطريق الاكتساب' وتفضيل الله تعالى بعض الناس على بعض يحيط على كثير من حكم الله تعالى التى تتقاصر عنه أفهام الناس.

وعبر الله تعالى عن عدم تعرض الناس الناس بسبب موجب للموت أواستنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه بإحيائهم فى قوله تعالى:" مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ"[1007]

ففى هذه الآية استعير الاحياء للاستبقاء" لأن إحياء النفس حقيقة من مقدورات الله وحده"[1008] ثم اشتق أحيى من كلمة إحياء فالاستعارة تبعية ولذكر المستعارمنه هى تصريحية وبما أن المستعار منه من الأمور التى لاتدرك بالحس لأن إلقاء الروح فى الجسد لايدرك بالحواس والمستعارله وهو الإبقاء أيضا من الأمور المعقولة لأن الإبقاء عدم التعرض بسبب موجب للموت وهو لايدرك بالحس والجامع بينهما هوحصول الحياة لكل من المحيى والمستبقى وهو أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- الإحياء لايمكن من قبل الناس لأن الإحياء والإماتة من صفات الله تعالى فالمراد من الإحياء هنا أنه نهى القاتل عن قتل الناس أواستنقذ الناس من أسباب الهلكة قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وَمَنْ أحياها أي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد إما بنهي قاتلها عن قتلها . أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه" [1009] وكلمة الإحياء أبلغ من الاستبقاء لأن فى الاستبقاء عدم التعرض وأما فى الإحياء فبذل السعى فى سبيل إلقاء الروح فى الجسد فأفا د أحيى أنه استبقاهم على سبيل المبالغة.
- الاستعارةهنا من المعقول للمعقول ولكن الإحياء أكثر وضوحا من الاستبقاء لأن الإحياء شيئ يدركه الناس مباشرة دون توسط شيئ آخرلأنه نتيجة لشيئ إيجابى وأما الاستبقاء فلا يفهم إلا من البقاء وهو نتيجة لعدم التعرض لحياة الآخرين وهو شيئ سلبى ولايخفى أن الإيجابى أكثر فهما من الشيئ السلبى.
- فيه الحث على الاستبقاء لأن المفهوم من هذاالأسلوب أن استبقاء نفس واحدة يساوى استبقاء الإنسانية الكاملة وقتلها يساوى قتل الإنسانية الكاملة قال الآلوسى رحمه الله تعالى:" أو تأكيد ، وفائدة التشبيه الترهيب والردع عن قتل نفس واحدة بتصويره بصورة قتل جميع الناس ، والترغيب والتحضيض على إحيائها بتصويره بصورة إحياء جميع الناس" [1010]. ومن المعلوم أن الحث على هذه الطريقة أكثر أثرامن الأمر بالاستبقاء أو النهى عن القتل.

وعبر الله تعالى عن استحقاق الناس الفردوس بكونهم وارثين لها فقال تعالى:"أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ"[1011] مع أن الله تعالى جعل الجنة عوضا عن أنفس المؤمنين وأموالهم فى قوله تعالى:"إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجنة"[1012] وهذا يدل على أن الجنة ملك المؤمنين على سبيل العقد مع الله تعالى لا أنها موروثة وأما هذه الآية فتوحى أنها موروثة فعلم أن الإرث على سبيل الاستعارة استعير الإرث للاستحقاق على سبيل الاستعارة التصريحية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "واستعيرت الوراثة للاستحقاق الثابت لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال"[1013] واشتق منه اسم الفاعل "الوارثون" على سبيل الاستعارة التبعية وكل من الإرث والاستحقاق من الأمور المعقولة والجامع بينهما وجود الملك فيهما وثبوت الملك من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى اسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- علم من هذاالأسلوب أن الجهد الذى هو فى عوض الجنة لقليل كما أنه ليس دخل للجهد فى ثبوت الإرث سوى ثبوت القرابة وإعطاء القرابة من الله تعالى فكذلك الأنفس والأموال وتوفيق البذل من الله تعالى فحصول الجنة موقوف على مشيئة الله وتوفيقه.
- ربما فى ثبوت الإرث إشارة إلى ثبات الملك فالجنة تكون فى ملك المؤمنين أبدا ولن يخرج من ملكهم مرة ثانية لأنها موروثة والشيئ الموروث لايخرج من ملكه إلا أن يكون موروثا مرة ثانية وهو لايتصوردون موت صاحبه وأما الخروج من الملك بالبذل أو الضياع فأيضا غيرممكن لأن هذه الأشياء ممتنعة فى الآخرة فتكون مملوكة أبدا.
- ويمكن أن تكون الإشارة إلى خروج أبينا آدم عليه السلام فكأن الجنة قد انتقلت إلى أولاده ولايخفى ان إطلاق الإرث مجاز لأنها لم تخرج عن ملك آدم عليه السلام.قال العلامة ابن عادل رحمه الله تعالى:" فإن قيل : كيف سمى ما يجدونه من الثواب والجنة بالميراث؟ مع أنه سبحانه حكم بأنَّ الجنة حقهم في قوله : { إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجنة } [التوبة : 111] . فالجواب من وجوه : ..... الثالث : أنَّ الجنة كانت مسكن أبينا آدم - عليه السلام - فإذا انتقلت إلى أولاده كان ذلك شبيهاً بالميراث"[1014]
- الملك النهائى فى كل شيئ فى الدنيا هو للورثة وأما المورث فليس له إلا ما أكل فأفنى أولبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس. ولذا نسب الله تعالى ميراث السموت والأرض إلى نفسه فى قوله تعالى ولله ميراث السموات والأرض. فعلم من هذاالأسلوب أن الملك النهائى فى الجنة يكون للمؤمنين. فلن تنتقل منهم إلى أناس آخرين.

وبين الله تعالى نزول رحمته على كل من تاب وآمن وعمل صالحا واستمر على الهداية فى قوله تعالى:"وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى"[1015] ثم للتعقيب مع التراخى ومن المعلوم أن التراخى فى الوقت غير مراد هنا بل المراد هو التراخى فى الرتبة فاستعير هنا التراخى فى الوقت للتراخى فى الرتبة والجامع بينهماهو كون الشيئ بعد الشيئ فالاستعارة هنا هى التصريحية لأن المذكور هو " ثم" وهو للتراخى فى الوقت وهو المستعارمنه وبما أن الاستعارة فى الحرف فهى تبعية وبما أن كل واحد من المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور العقلية فهى استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة البقاعى رحمه الله تعالى :

> ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو ، عبر عنها بأداة التراخي فقال : { ثم اهتدى* } أي استمر على العمل الصالح متحرياً به إيقاعه على حسب أمرنا وعلى أقرب الوجوه المرضية لنا ، له إلى ذلك غاية التوجه كما يدل عليه صيغة افتعل[1016]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- بما أن الاستمرار على الهداية فى غاية العلو فكأنه بعيد كل البعد عن التوبة والإيمان والأعمال الصالحة باعتبار الرتبة عطف على هذه الأشياء بالعاطف الدال على التراخى ومن المعلوم أن التراخى فى هذاالمقام ليس تراخى الوقت بل تراخى الرتبة كما فى قوله تعالى:" إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[1017] لأن الاستقامة على ماقال من الأمور العظيمة بعيدة الرتبة فعطف بـ"ثم"الذى يدل على التراخى.
- التراخى فى الوقت والرتبة كلاهما من الأمور المعقولة ولكن الوقت والأشياء المتعلقة إليه قريب فهمها إلى الأذهان فبهذه الاستعارة قرب التراخى فى الرتبة إلى الأذهان.

وعبر الله تعالى عن الموت بالنحب فى قوله تعالى :"مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"[1018] ففى هذه الآية شبه الموت بالنحب وهو النذر ' قال صاحب التهذيب:

> قال الليث: النَّحبُ النَّذرُ. قال الله جل وعز فمنهم من قضى نحبه(قُتلوا في سبيل الله فادركوا ما تمنوا فذلك قضاء النحبِ. وقال أبو اسحاق في قول الله جل وعز فمنهم من قضى نحبه أي أجله وكذلك قال الفرَّاء. وقال شمر: النَّحْبُ النَّذرُ، والنحْبُ الموتُ، والنحبُ الخطرُ العظيمُ[1019]

وقا ل صاحب المصباح المنير:" (ن ح ب) : نَحَبَ نَحْبًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ بَكَى وَالِاسْمُ النَّحِيبُ وَنَحَبَ نَحْبًا مِنْ بَابِ قَتَلَ نَذَرَ "[1020] والجامع بينهما هو لزوم الوقوع فى كل واحد من النذر والموت. فالاستعارة هنا تصريحية تبعية من المعقول للمعقول بجامع عقلى. وهذا إذا روعى النذر فى معنى النحب وإذا روعى فيه معنى الموت كما هو فى موجود فى اللغة فليست فى هذه الآية استعارة بل هى مبنية على الحقيقة. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة تدل على المبالغة لأن النذر لازم وقوعه فكأن الموت من حيث أنه لازم وقوعه قد نذره ناذر فلا بد من أن يتم.
- ولايخفى أن فى إيفاء النذر دخل للناذر فكأن فى هذاالموت دخل للذى يموت فالذى يستشهد فى سبيل الله تعالى له دخل فى وقوع الموت وهو الاشتراك فى الجهاد والخوض فى الحرب وكأنها طاحنة تطحن الناس. فكان الشهيد نذرعلى نفسه أنه سيموت فى سبيل الله تعالى فقضى نحبه.

وعبر الله تعالى عن المعاملة مع الله تعالى بالتجارة فى قوله تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ"[1021] فشبهت المعاملة مع الله تعالى بالتجارة والقرينة على أن المراد ليست حقيقة بل المراد منه الاستعارة هى قرينة حالية وهو عدم إمكان التجارة الاصطلاحية مع الله تعالى والجامع بينهما هو حصول الشيئ فى عوض الشيئ لأن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة والتاجر فى تجارته يحصل المال فى عوض المال. والمعاملة مع الله تعالى والتجارة من الأمور المعقولة والجامع أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. وهذه الاستعارة تصريحيةأصلية لذكر المستعارمنه وكون إجرائها فى الاسم. وقدرمز إليه بما يلائم المستعارمنه وهو عدم الخسران فى التجارة فالاستعارة فى لن تبور استعارة ترشيحية. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" { تجارة } أي معاملة مع الله تعالى لنيل ربح الثواب على أن التجارة مجاز عما ذكر { والقرينة } حالية كما قال بعض الأجلة ، وقوله تعالى : { تجارة لَّن تَبُورَ } أي لن تكسد ، وقيل لن تهلك بالخسران صفة تجارة وترشيخ للمجاز"[1022] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- تتراآى صورة التجارة بكل أوصافها من حرص الناس فيه ورجاء النفع فيها وسهل تحمل مشاق الجوع والعطش والسهر فى سبيل المنفعة فيها ففى مرآة هذه الصورة يرى المخاطب صورة المعاملة مع الله تعالى بكل أوصافها من رجاء الجنة وحصول النعيم التى مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وسهل تحمل السهر ومشاق الوضوء فى ليلة شاتية فالقيام الطويل أمام الله تعالى.

- وإلى جانب تحمل هذه المشاق لايخفى ما يحسه التاجر من لذة جمع المال والسرور به ويحسبه التاجر هدفا وكأن المال مقصود بالذات هكذا يجد العارف بالله تعالى أن القيام أمام الله تعالى هدف ذاتى وليس وسيلة لأى هدف آخر فهو يحس باللذة فى عبادة الله تعالى لاتساويها لذة فى الدنيا فليس الأمر أن القائم فى نصف الليل أمام الله تعالى لايحس بالتعب والبرد والمشقة فقط بل هو يحس بلذة الوصل ويجد فى قلبه سرورا بأن الله تعالى يراه ويعلم حاله وهو يجيب الداعى إذا دعاه وهو أقرب إلى العباد من حبل الوريد.
- وفى ترشيح الاستعارة من تأييد الاستعارة قال صاحب التفسير المنير:" استعارة , استعار التجارة للمعاملة مع الله لنيل ثوابه وشبهه بالتجارة الدنيوية وأيدها بقوله لم يبور وهو الذى يسمى ترشيحا".[1023]

وعبر الله تعالى عن الموت بالمرقد وهو مصدرميمى بمعنى الرقاد أى النوم فقال تعالى:"قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ"[1024] شبه فيه الموت بالنوم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية وقدأشيرت إلى ملائمات المشبه فى بعثنا على سبيل الاستعارة التجريدية. وكل من الموت والنوم من الأمور المعقولة لأنهما لايدركان بإحدى الحواس الخمسة' والجامع وهو تعطل الحواس فى كل منهما أيضا من الأشياء المعقولة فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- لعل فى تشبيه الموت بالنوم إشارة إلى أن الإدراك لاينتهى من كل الوجوه بل فى الأجساد إدراك ما تدرك به عذاب القبر كما فى النوم علاقة للروح بالجسد وبها تدرك أثرألإ زعاج.
- وربما تكون الإشارة إلى أن الأحوال المتعلقة من الفرح والألم حسب الأعمال تنتهى بالبعث كما أن الأحوال المنامية تنتهى بالاستيقاظ.
- فبمشاهدة من أهوال القيامةِ يدعو الكفار بالويل فيقولون ذلك لأن عذاب القبر فى جنب أهوال يوم القيامة قليل وهو مثل النوم فإذا شاهدوا ذلك يقولون من بعثنا من مر قدنا حسرة فى قلوبهم.[1025]
- وقيل فيه إشعارٌ بأنَّهم لاختلاطِ عقولِهم لايفهمون شيئا من هذه الاحوال فإذا شاهدوا هذه الأهوال فجأة ظنوا أنَّهم كانوا نياماً.[1026]
- ولايخفى أن فى الاستيقاظ من النوم انقطاع الراحة لأن النوم يكون للراحة فموتهم راحة من المصاعب التى سيواجهونها فى القيامة بعد البعث بعد الموت. ومن المعلوم أن كون الكفار فى القبور ليست راحة من كل الوجوه لأن عذا ب القبر حق فحسبانهم الموت نوما يوحى أن عذاب القبر بالنسبة إلى عذاب يوم القيامة قليل جدا.

وعبر الله تعالى عن إقبال إبراهيم عليه السلام مخلصا بمن قدم على الملك بهدية ثمينة فهو رضى بها وقبلها[1027] فقال تعالى:"إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"[1028] فالاستعارة فى كلمة سليم وهو مشتق من السلامة فالقلب السليم ما يكون سالما من الأمراض والمراد هنا أن يكون سالما من الحالة غير المرضية وبالتالى فالقلب السليم ما كان متضمنا على الإخلاص فاستعير سلامة القلب للإخلاص على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"والمراد بمجيئه ربه بقلبه إخلاصه قلبه له تعالى على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية ، ومبناها تشبيه إخلاصه قلبه له عز وجل بمجيئه إليه تعالى بتحفة في أنه سبب للفوز بالرضا"[1029] وكل من سلامة القلب من الأمراض وإخلاص القلب من الأمور المعقولة والجامع بينهما هو صحة تصرف القلب وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ويمكن أن تكون الاستعارة تمثيلية "بأن تشبه الهيئة المنتزعة من إخلاص إبراهيم عليه السلام قلبه لربه تعالى وعلمه سبحانه ذلك الإخلاص منه موجوداً بالهيئة المنتزعة من المجيء بالغائب بمحضر شخص ومعرفته إياه وعلمه بأحواله"[1030] والمذكورة هنا الصورة المستعارلها ولم تذكر الصورة المستعارمنها فالاستعارة مكنية. والصورتان كلاهما لاتدركان إلا بالعقل والجامع هو الكشف عن الأحوال المخفية. فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى . ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- عبر عن الاخلاص بسلامة القلب وفيه من المبالغة مالايخفى لأن القلب السليم يتصرف بطريقة جيدة وهذه التصرفات تكون جيدة وأما القلب السقيم فلاتكون تصرفاته مما يعبأ بها.
- وعلم بهذاالتمثيل أن الأحوال المتعلقة بقلب إبراهيم عليه السلام متضحة أمام الله تعالى كما أن أحوال الشيئ الحاضر تتضح أمام الرائى. والمشابهة ليست فى مقدار المعرفة لأن المقدار الحاصل عندالله تعالى لايقاس بشيئ من أحوال الناس لأنه ليس كمثله شيئ بل المشابهة فى نفس المعرفة للتقريب إلى أذهان الناس.
- وفى الهيئات المستفادة من هذه الاستعارة التمثيلية من اللذة وتقريب الصورة إلى أذهان الناس ’لأن هذه المعانى قدمت فى صورحية.

وعبر الله تعالى عن خروج يونس عليه السلام بغير إذن ربه بإباق العبد فقا ل تعالى:"إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ"[1031] والإباق هرب العبد من سيده قال ابن دريد:" أَبَقَ الغُلامُ يأبِق أَبَقاً وأَبْقاً، وأَبِقَ يأبَق أَبَقاً، إذا هرب، والاسم الإباق، فهو آبِق."[1032] فاستعير الإباق للخروج بدون إذن الرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية من المعقول للمعقول بجامع عقلى لأن الخروج بدون إذن الرب سبحانه وتعالى وإباق العبد من الأمور العقلية والجامع وهو عدم وجود

الإذن أيضا من الأمور العقلية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى تشبيه الخروج دون انتظار الرب بالإباق مبالغة فى التوبيخ لأن الإباق أشد عصيانا من الخروج بدون الإذن لأن الإباق لايراعى فيه رضا المالك وأما الخروج بدون الإذن مبنى على عدم العلم بنتيجة العمل فكان حال يونس عليه السلام وصل إلى حد عبر عنه بالإباق وهذا من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وإلا فالنبى صلى الله عليه وسلم يريد رضا الرب فى كل حال.
- وفى هذه الاستعارة تقريب معنى مقدار المستعارله لأن الخروج دون انتظار الرب شيئ لا يعلم فإذا ألحق بالإباق علم مقداره وقرب إلى الأفهام.

وعبر الله تعالى عن حال طارئ قبل الموت بالسكرة لهول الموت وشدته وعن كراهية الإنسان الموت بالفرار منه فقال تعالى:" وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ"[1033] فى هذه الآية استعارتان؛ أما الاستعارة الأولى ففى كلمة سكرة قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تصريحية أصلية, استعار لفظ السكرة لهول الموت وشدته"[1034] ونلاحظ أن كلامن السكرة وشدائد الموت من الأمور العقلية والجامع هو عدم تصرف العقل تصرفا صحيحا فى السكرة والشدائد وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:" والسَّكرة : اسم لما يعتري الإنسان من ألم أو اختلال في المزاج يحجب من إدراك العقل فيختل الإدراك ويعتري العقل غيبوبة . وهي مشتق من السَّكر بفتح فسكون وهو الغلق لأنه يغلق العقل ومنه جاء وصف السكران"[1035]

وأما الاستعارة الثانية ففى كلمة تحيد وهى تعنى تفر وتهرب وهى مستعارة للكراهية والنفرة والجامع هو التجنب عن الشيئ فهى استعارة تصريحية تبعية ونلا حظ أن الفرار من الأشياء المحسوسة والكراهية من الأمور المعقولة والجامع أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة هنا من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى تعبير السكرة عن شدائد الموت مبالغة لأن السكرة توحى أن شدة الموت وصلت إلى حد أنها عطلت العقل فما بقى صالحا أن يتصرف تصرفا صحيحا ومن المعلوم أن تعطل صلاحية العقل لايكون إلا أن يكون الإنسان فى شدة ليست فوقها شدة.

- ثم فى تعبير بـ"تحيد" إشارة إلى شدة كراهية الموت فإن كان الخطاب للإنسان فكراهيته للموت مبنى على الفطرة لأن الإنسان بفطرته لايحب الموت بل يحب أن يعيش فى الدنيا عمرا طويلا ' وإن كان الخطاب للمشركين فلأنهم أشد كراهية للموت قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:"

> و تحيد تفرّ وتهرب ، وهو مستعار للكراهية أو لتجنب أسباب الموت . والخطاب للمقصود من الإنسان وبالمقصود الأول منه وهم المشركون لأنهم أشدّ كراهية للموت لأن حياتهم مادية مَحضة فهم يريدون طول الحياة قال تعالى: ومِن الذين أشركوا يَودّ أحدهم لو يُعَمَّر ألف سنة (البقرة : 96) إذ لا أمل لهم في حياة أخرى ولا أمل لهم في تحصيل نعيمها ، فأما المؤمنون فإن كراهتهم للموت المرتكزة في الجبلة بمقدار الإلف لا تبلغ بهم إلى حد الجزع منه". [1036]

- السكرة من الأشياء التى يدركها كل إنسان فيعلم الشدة التى يعيش فيها السكران وأما شدائد الموت فمن الأمور العقلية لا يعلمها إلا المبتلى فإذا ألحق بالشيئ المدرك بالحواس صار قريبا إلى أفهام المخاطبين.

وعبر الله تعالى عن المعاهدة على الجهاد بالأنفس بمبايعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتالى بمبايعة الله تبارك وتعالى فقال تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[1037] ففى كلمة يبايعونك استعارة تصريحية لذكر المستعارمنه وتبعية لإجراء الاستعارة فى المشتق لأنه قد اشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله تعالى.[1038] وعلى هذاالتقدير إثبات اليد لله تعالى استعارة ترشيحية لأن اليد من ملائمات المعاهدة والله تعالى منزه عن ذلك والاستعارة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى.

ويجوز إجراء الاستعارة فى كلمة الجلالة على سبيل الاستعارة المكنية وعلى هذاالتقدير إثبات اليد لله تعالى استعارة تخييلية وهى قرينة على الاستعارة المكنية. وهى من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله أكده على طريقة التخييل فقال تعالى : { يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } وانه سبحانه منزه عن الجوارح وصفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما . وفي المفتاح

> أما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها كما في قولك : فلان بين أنياب المنية ومخالبها ثم إذا انضم إليها المشاكلة كما في { يَدُ الله } الخ كانت أحسن وأحسن ، يعني أن في اسم الله تعالى استعارة بالكناية تشبيهاً له سبحانه وتعالى بالمبايع واليد استعارة تخييلية مع أن فيها أيضا مشاكلة لذكرها مع أيدي الناس ، وامتناع الاستعارة في اسم الله تعالى إنما هو في الاستعارة التصريحية دون المكنية لأنه لا يلزم إطلاق اسمه تعالى على غيره سبحانه[1039]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى المبايعة مبالغة فى التوثيق لأن المبايعة تكون فى عوض شيئ وأن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فيقتلون ويُقتلون فالمعاهدة قد ينقضها المعاهد لأنه ليس هناك شيئ آخر فى نظر المعاهد سوى أنه يحفظ عهده وأما فى المبايعة فهو يرى حفظ العهد والعوض الذى سيضعه فى صورة نقض العهد فهو يحفظ المبايعة أكثر من المعاهدة.
- ولايخفى أن فى اختيار هذاالأسلوب حث وتحضيض على إيفا ءالعهد لأن فى صورة النقض تقع عليهم المضرة لأنه سينتج على الحرمان من الثواب الذى وعده الله تعالى على إيفاء هذه المبايعة.
- وفى الاستعارة التخييلية تأكيد أصل الاستعارة باستمرار ها بإثبات ملائماتها للمستعارله. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:"وانتقل من هذا الادعاء إلى تخيل أن الله تعالى يبايعه المبايعون فأثبتت له اليد التي هي من روادف المبايَع بالفتح على وجه التخييلية مثل إثبات الأظفار للمنية"[1040]
- وجملة يد الله فوق أيديهم تؤكد التخييل الثابت بإثبات اليد للمستعارله والفوقية هنا إغراق فى التخييل قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى :

> ومما زاد هذا التخييل حسناً ما فيه من المشاكلة بين يد الله وأيديهم كما قال في «المفتاح» : والمشاكلة من المحسنات البديعية والله منزّه عن اليد وسمات المحدثات .فجملة { يد الله فوق أيديهم } مقررة لمضمون جملة { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله } المفيدة أن بيعتهم النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ، هي بيعة منهم لله في الواقع فقررته جملة يد الله فوق أيديهم وأكدته ولذلك جردت عن حرف العطف . وجعلت اليد المتخيلة فوق أيديهم : إمّا لأن إضافتها إلى الله تقتضي تشريفها بالرفعة على أيدي الناس كما وصفت في المعطي بالعليا في قول النبي صلى الله عليه وسلم " اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى

> واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة " ، وإما لأن المبايعة كانت بأن يمد المبايع كفه أمام المبايَع بالفتح ويضع هذا المبايَع يده على يد المبايع ، فالوصف بالفوقية من تمام التخييلية . ويشهد لهذا ما في «صحيح مسلم» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بايعه الناس كان عُمر آخذاً بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كان عمر يضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيدي الناس كيلاً يتعب بتحريكها لكثرة المبايعين فدلّ على أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت توضع على يد المبايعين . وأيًّا مَّا كان فذكر الفوقية هنا ترشيح للاستعارة وإغراق في التخيل". [1041]

وعبر الله تعالى عن التمليك بالإيراث فى قوله تعالى:"وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"[1042] قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:"عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوا مقراً ومتبوّأ وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون ، تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه ، وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضاً"[1043] شبه التمليك بالإيراث على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية من قبيل استعارة المعقول بالمعقول بجامع عقلى. لأن الإيراث والتمليك من الأمور العقلية والجامع وهو التمكين من التصرف أيضا من الأمور العقلية.[1044]ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- لعل فى الإيراث إشارة إلى أن تملك الجنة ناشئ من رحمة الرب وليس ناشئا من أعمال العباد لأن فى حرز المال الموروث ليس دخلا لعمل الوارث وإنما هو من اجل سعى المورث فهكذا تمليك الله تعالى المؤمنين الجنة ليس من أجل الأعمال بل رحمة من رب المؤمنين.
- تترشح الرحمة والشفقة من كلمة الإيراث لأن المورث يسعى لأجل الورثة فهكذا خلق الله تعالى الجنة لأجل المؤمنين رحمة بهم.

المبحث الخامس

المعقول للمحسوس بجامع عقلى:

سنناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه من الأمور المعقولة والمستعارله من الأمور المحسوسة والجامع بينهما من الأمور العقلية ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وترشيحية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة التصريحية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

قدم الله تعالى غيبة النسوة فى صورة المكر والمؤامرة فى قوله تعالى:" فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"[1045] استعير المكر للغيبة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية لذكر المستعارمنه وإجراء الاستعارة فى اسم الجنس. فالمستعارمنه هو المكر والمستعارله هو الغيبة والجامع هو الخفاء فى كل واحد من المكر والغيبة ومن المعلوم أن الغيبة من الأشياء التى تدرك بحاسة السمع وأما المكر فهو أمر يدرك بالعقل والجامع وهوالخفاء أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من المعقول للمحسوس بجامع عقلى. ولكن لو تأملنا فى معنى المكر فهو لاينحصر فى الغيبة فقط بل يتجاوز إلى كل شيئ يوصل إلى مخالفة المحسود من القول والفعل والنية والمؤامرة فهى من الأمور العقلية فالاستعارة إذا من المعقول للمعقول بجامع عقلى. وكما ناقشنا فى بحث التشبيه أن تشبيه المحسوس بالمعقول لافائدة له فهكذ لافائدة له فى الاستعارة. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- من المكر والمؤامرة يترشح مفهوم الحسد ففهم منه أن الغيبة كانت مترشحة من الحسد ولم تكن النصيحة موجودة فى قلوبهم' قال العلامة السمرقندى رحمه الله تعالى:"قوله تعالى : { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ } يعني : سمعت زليخا بمقالتهن . وإنما سمَّي قولهنّ مكراً والله أعلم ، لأن قولهن لم يكن على وجع النصيحة ، والنهي عن المنكر . ولكن كان على وجه الشماتة والتعيير"[1046]
- فى كلمة المكر إشارة إلى أن الغيبة كانت مكرا من تلك النسوة فكانت مكرا ضد يوسف عليه السلام وضد زليخا لأن إفشاء السر لم يكن خيرا لزليخا ولا ليوسف عليه السلام' قال العلامة البيضاوى رحمه الله

تعالى:"{ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ } باغتيابهن ، وإنما سماه مكراً لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره ، أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لأنها استكتمتهن سرها فأ فشينه عليها"[1047]

***

الفصل الثانى

الاستعارة المكنية

القسم الثانى من الاستعارة غير التمثيلية هى الاستعارة المكنية أو بالكناية وهى ما ذكر فيها المستعارله ولم يذكر المستعار منه وهى كما قلت تنقسم إلى خمسة أقسام وهى: المكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمكنية من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. وسأناقش هذه الأقسام الخمسة فى المباحث الخمسة إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

المحسوس للمعقول بجامع عقلى:

سأناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والمستعارله من الأمور المعقولة فلا تدرك بها والجامع أيضا من الأمور المعقولة ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وتخييلية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة المكنية من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى يبين من صفات الفاسقين الذين يضل بضرب الأمثال بمثل البعوضة فيقول تعالى إنهم هم "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[1048] أى لايوفون ماعاهدوا الله تعالى شبه الله تعالى العهد بالحبل وحذف المشبه به فالاستعارة مكنية والجامع بينهما ثبات الصلة بين الشيئين أما فى الحبل فبين الشيئين المربوطين بالحبل وأما فى العهد فبين المتعاهدين. والمستعارمنه وهو الحبل فمحسوس وأما المستعارله فهو المعقول والجامع وهو ثبات الصلة فأيضا عقلى فهو من استعارة المحسوس للمعقول بوجه عقلى.ثم نرى أن المستعار منه مرموز له بشيئ من لوازمه وهو النقض فالاستعارة ترشيحية.[1049] والاستعارة فى اسم جنس فهى الاستعارة الأصلية. ونرى فى هذه الآية من المزايا البلاغية ما يلى:

- فى تشبيه العهد بالحبل تقريبه إلى الأذهان لأن الحبل من الأشياء المحسوسة والأشياء المحسوسة أكثر فهما بالنسبة إلى الأشياء المعقولة.فرسخ فى ذهن السامع أن الأشياء تشد بالعهد كماهى تشد بالحبل.فشدها بالحبل أمام مشاهدة الناس وهم لايشكون فيه فإذا أريت لهم الأشياء المشدودة بالعهد فى تلك المرآة لايشكون فيها أيضا.
- ثم فى التشبيه به إشارة إلى أن الهدف الأصلى من شد الشيئ بالحبل توثيقه ومقتضاه أن يكون ذلك الشيئ المشدود وثيقا فكذلك الهدف الأصلى من العهد توثيقه فلا ينقض ومن نقضه فيكون مثل من يبنى بناء فإذا وصل إلى مايرام هدمه.

- قد ذكر من لوازم المستعارمنه وهو النقض لأن النقض من لوازم الحبل لاالعهد لأن فى ذكر لوازم المستعارمنه تأكيده ومبالغة فى تناسى التشبيه قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه نحو قولك : عالم يغترف منه الناس ، وشجاع يفترس أقرانه".[1050]
- فى حذف المستعارمنه من المبالغة ما ليست فى ذكره لأن مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه وهو يتحقق فى حذف المشبه به أكثر منه فى حذف المشبه ففى الصورة الموجودة ذكر العهد وهو المستعارله وحذف الحبل وهو المستعار منه فكأن العهد هو نفس الحبل قام مقامه ووصف بلوازمه.

و عبر الله تعالى عن غلبة السيئات على الحسنات بإحاطة الخطيئة فى قوله تعالى:"بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[1051] فاستعير لفظ الإحاطة لغلبة السيّئآت على الحسنات "حيث شبه الخطايا بجيش من الأعداء نزل بقوم من كل جانب"[1052] فالمستعارمنه هو الخطيئة والمستعارله هو الجيش والجامع هو سلب القوة فى أعمال الخير كما أن المحاط بالعدو لايستطيع أن يتحرك لأعماله الخيرية هكذا المحاط بالخطايا لايستطيع أن يعمل أعمال الخير.فهذا من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بوجه عقلى.ولأن المذكورهنا هو المستعارله فهى استعارة مكنية ورمز لها بلوازم المستعارمنه وهى الإحاطة لأن الإحاطة لاتكون إلا فى الأجسام المحسوسة لافى الخطايا فالاستعارة تخييلية.ويمكن أن تكون الاستعارة فى أحاطت استعارة تصريحية فكثرة الخطايا تشبه بإحاطتها بصاحبها أى كما أن الجيش تحيط عدوه ولا تترك له سبيل النجاة فهكذ تحيط الخطايا" من جميع جوانبه بحيث لم يبقَ له جانبٌ من قلبه ولسانه وجوارحِه إلا وقد اشتملت واستولت عليه "[1053] وبما أنها فى الفعل فهى تبعية لأن كلمة "أحاطت" قداشتقت من المصدر وهو الإحاطة. ومن المزايا البلاغية فى أسلو ب الاستعارة فى هذه الآية:

- التعبير عن كثرة الشيئ بالإحاطة يفيد المبالغة فى الكثرة لأن الشيئ لايحيط الشيئ إلا إذاكان المحيط غالبا بالمحاط. قال الإمام الرازى رحمه الله تعالى:

> ومعلوم أن لفظ الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر كإحاطة السور بالبلد والكوز بالماء وذلك ههنا ممتنع فنحمله على ما إذا كانت السيئة كبيرة لوجهين . أحدهما : أن المحيط يستر المحاط به والكبيرة لكونها محيطة لثواب الطاعات كالساترة لتلك الطاعات ، فكانت المشابهة حاصلة من هذه الجهة ، والثاني : أن الكبيرة إذا أحبطت ثواب الطاعات فكأنها

استولت على تلك الطاعات وأحاطت بها كما يحيط عسكر العدو بالإنسان ، بحيث لا يتمكن الإنسان من التخلص منه ، فكأنه تعالى قال : بلى من كسب كبيرة وأحاطت كبيرته بطاعاته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .[1054]

- وفى تخييل الاستعارة ايضا مبالغة لأن ذكر الإحاطة يدل على ملحوظية الجيش الذى استعير منه.
- حذف المستعارمنه وهو الجيش يعاون فى تناسى التشبيه وهذا أبلغ من أن يكون التشبيه ملحوظا لدى المتكلم والمخاطب.
- وفى استخدام كلمة الكسب إشارة إلى سخافة عقولهم وإلى وجه استحقاقهم النار وهو أن الكسب استجلابُ النفع وكل ذى عقل يحب أن يكسب نفعا لنفسه فهم أيضا أرادواأن يكسبواالنفع لأنفسهم ولكنهم أضاعوا أعمارهم فى كسب السيئات وزعموا أنهم يحسنون صنعا.وهذاالصنع وهذاالزعم أوجب لهم النار المؤبدة فى جهنم.
- ومن المعلوم أن لفظ الإحاطة حقيقة في المجسمات وهى مدركة بحاسة البصر فإلحاق كثرة الخطايا بها قد قربها إلى الأذهان لأن كثرة الخطايا شيئ معنوى لاتدرك إلا بالعقل.[1055]

وعبر الله تعالى عن حمل الذنوب يوم القيامة بحمل الحِمل الثقيل فقال تعالى:" مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا *خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا"[1056] وفى التفسير المنير:"استعارة تصريحية , شبه الوزر بالحمل الثقيل , مصرحا بلفظ المشبه به"[1057] والمشبه به فى هذه الصورة ليس الوزر بل الحمل الثقيل وهو غير مذكور فالاستعارة مكنية والقرينة عليها الاستعارة التخييلية وهى الحمل فاشتق منه فعل المضارع ونلاحظ أن المستعارمنه وهو الحمل الثقيل من الأشياء الحسية والمستعارله وهو الذنب من الأمور العقلية والجامع بينهما هو الانزعاج والتعب ماديا أو روحيا وهذا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ويمكن فيه الاستعارة التصريحية التبعية وهى فى يحمل استعارة الحمل للمعاناة. فالمستعارمنه هو الحمل واشتق منه فعل المضارع على سبيل الاستعارة التبعية. والمستعارمنه فى هذه الاستعارة التصريحية من الأمور المحسوسة وأما المستعارله فمن الأمور المعقولة والجامع أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- تترشح المعاناة من صورة الحمل لأن فى الحمل يكون التعب وهو سبب المعاناة جسميا وزهنيا ففى استخدام الحمل من المبالغة ماليس فى المعاناة وهذه حقيقة يعرفها عامة الناس.

- أراد الله تعالى أن يقرب معاناة الوزر وهى من الأمور العقلية إ لى أفهام الناس بتقديمها فى صورة حسية لأن عامة الناس يعرفون المعاناة الحاصلة من حمل الحمل الثقيل لأن به يحصل المعاناة مع ما فيه من تعب الجسد.
- وفى تخييل الاستعارة فى يحمل من المبالغة وتأكيد الاستعارة مالايخفى لأن فيه إثبات ما يلائم المشبه به للمشبه أو بألفاظ أخرى إثبات مايلائم المستعارمنه للمستعارله وبه تتقوى الاستعارة.

ولننظر إلى شناعة المشركين الذين يستمعون إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الكلام لايسرى إلى قلوبهم وعبر الله تعالى عن حالهم هذه بأنه تعالى جعل عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا فقال تعالى:" وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"[1058] والأكنة جمع كنان وهو الغطاء قال أبوجعفر الطبرى رحمه الله تعالى:"وهي جمع"كنان"، وهو الغطاء، مثل:"سِنان"،"وأسنة". يقال منه:"أكننت الشيءَ في نفسي"، بالألف،"وكننت الشيء"، إذا غطيته، ومن ذلك: بَيْضٌ مَكْنُونٌ ، سورة الصافات: 49 ، وهو الغطاء،."[1059] والوقر فى الآذان هو الثقل والصمم عن فهم ما يتلى عليهم من الكتاب[1060] فحال قلوب المشركين فى عدم سراية النصح التى يسمعونها إليها حال الأشياء المحجوبة عن شيئ فذكر هنا المستعارله فالاستعارة مكنية وبما أن الأستعارة فى الاسم فهى تبعية ثم أثبتت لها الأكنة تخييلا وهى من ملائمات المستعارمنه فهى تخييلية. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"وهي هنا تخييل لأنّه شبَّهت قلوبهم في عدم خلوص الحقّ إليها بأشياء محجوبة عن شيء . وأثبتت لها الأكنّة تخييلاً ، وليس في قلب أحدهم شيء يشبه الكنان"[1061] ثم نلاحظ أن عدم سراية النصح إلى القلوب من الأشياء العقلية لأنه لايدرك بالحواس الخمسة ولكن الأشياء المحجوبة عن شيئ من الأشياء المحسوسة لأنها تدرك بحاسة البصر والجامع بينهما أيضا عقلى وهو عدم النفوذ فالاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهكذا حال أسماعهم فى عدم التقاطهم أشياء نافعة بعد سمعهم إياها حال أسماع صماء التى لاتسمع شيئا والجامع بينهما هو عدم حصول النفع المترتب على السماع وكل من المستعارمنه وله والجامع من الأشياء المعقولة لأن المقصود ليست قطعا لحمية بل القوة السامعة التى لا تُرى فهى من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى والمستعارمنه هو المذكور هنا فالاستعارة تصريحية. ومن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب الاستعارتين فى هذه الآية مايلى:

- إشارة إلى أن الهدف الأساسى من القلوب أن تكون مفتوحة للدلائل الموصلة إلى الطريق المستقيم فتكون واعية للكلام الذى ألقاه النبى صلى الله عليه وسلم لهم فإذا لم تكن على هذه الصفة فكأنها مغلقة لكل شيئ

وهكذا الهدف الأساسى من الأسماع هو أن تكون سامعة للآيات الملقاة من قبل النبى صلى الله عليه وسلم لهم وأن تكون واعية لهم فإذا لم تكن على هذه الصفة فكأن بها صمما فلا تسمع شيئا.

- ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من المبالغة لأن الله تعالى وصف الآذان الكائنة على هذه الصفة بالصمم الكامل والقلوب الكائنة على هذاالصفة بالغلق التام فهى تأبى أن تسرى إليها شيئا.
- ثم تزداد هذه المبالغة فى صورة التخييل والترشيح بأن أثبت للقلوب أكنة مع أن القلوب ليست لها أكنة بل خيلت لها وإنها من ملا ئمات المستعارمنه ففى إثبات ملائمات المستعارمنه للمستعارله تأكيد الاستعارة من المستعارمنه إلى المستعارله لأنه وصف بملائمات المستعارمنه فكأن الملحوظ هو المستعارمنه لا المستعارله.
- أسند الله تعالى جعل تلك الحالة إليه مع أن الإنسان هوالذى تسبب لهذه الحالة ولذا فهو المسؤل عن أعماله السيئة وفيه إشارة إلى أنهم كانوا على الخيارو كان من الممكن لهم أن يستمعوا إلى الأعمال الخيرية فتدلف من الآذان إلى القلوب ولكنهم اختاروا أن لايستخدموا الجوارح الموهوبة لهم فالآن نفى الله تعالى عنهم الخيار فليس فى وسعهم الآن أن يستخدموها لأن الله تعالى سلب عنهم الصلاحية لتلك الأعمال وهذه مبالغة فى التهديد والتوبيخ.قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وأسند جعل تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى لأنّه خلقهم على هذه الخصلة الذميمة والتعقّل المنحرف ، فهم لهم عقول وإدراك لأنّهم كسائر البشر ، ولكن أهواءهم تخيّر لهم المنع من اتّباع الحقّ ، فلذلك كانوا مخاطبين بالإيمان مع أنّ الله يعلم أنّهم لا يؤمنون إذ كانوا على تلك الصفة ، على أنّ خطاب التكليف عامّ لا تعيين فيه لأناس ولا استثناء فيه لأناس[1062]

وقدم الله تعالى الأمور الغيبية فى صورة الأشياء الثمينة المخزونة فى الخزائن فقال تعالى:"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"[1063] وأثبت لها المفاتح وهى من لوازم الخزائن فلذكر المستعارله هى استعارة مكنية ولذكر ملائمات المستعارله هى استعارة تجريدية ثم هذاالإثبات فى التخييل لأنه لاوجود للمفاتح للأمور المغيبة إلا فى الخيال فهى استعارة تخييلية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> و { مفاتح الغيب } هنا استعارة تخييلية تنبني على مكنية بأن شُبِّهت الأمور المغيّبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدّخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما

فيها إلاّ الذي بيده مفاتحها . وأثبتت لها المفاتِح على سبيل التخييلية[1064]

ونلاحظ أن الأمور الغيبية من الأمور المعقولة والخزائن من الأمور المحسوسة وأما الجامع بينهما فهو إمكان الوصول

لأنّ المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال . ومن علم مفاتحها وكيف تفتح ، توصل إليها ، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها ، فهو المتوصل إلى ما في المخازن[1065]

فهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهناك احتمال آخر وهو أن المفاتح قد استعير للعلم بجامع أن كلا من المفاتح والعلم سبب للوصول إلى الشيئ المغلق فالاستعارة تصريحية وذكر الغيب وهو من ملائمات العلم فالاستعارة تجريدية ونرى أن المفاتح من المحسوسات والعلم من الأمور العقلية والجامع هو التسبب للوصول وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى تجريد الاستعارة التصريحية أوالمكنية زيادة المبالغة فى كون أصل الاستعارة متقوية بها فلما ذكر الغيب مشبها بالمتاع المخزون ولم يذكر ما يلائمه بل ذكر مايلائم المتاع المخزون فنُسى المستعارله ولوحظ المستعارمنه فكأنه ليس هناك تشبيه بل كأن المستعارله هو المستعارمنه.
- ذكرالمفتاح يدل على أن الشيئ المخزون لايصل إليه إلا صاحب المفتاح فالوصول إلى المغيبات من خاصية الله تبارك وتعالى وليس لأحد أن يصل إليه وسد الناس عن الد خول فيه قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: " و مفاتح الغيب هنا استعارة تخييلية تنبني على مكنية بأن شُبِّهت الأمور المغيّبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدّخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلاّ الذي بيده مفاتحها"[1066]
- الأمور المغيبة من الأشياء التى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل فهى بعيدة عن الفهم ولكن بعد إلحاقها بالاشياء المخزونة صارت كأنها بمرآى عين فصارت جلية بعد أن كانت خفية ثم يتقوى الاستعارة بتجريدها ازدادت المبالغة كما مر فى المزية الأولى.
- وفيه أيضا إشارة إلى غموض الأمور المغيبة كما أن الأشياء المخزونة المقفلة تكون وراء الأعين الإنسان فهكذا المغيبات مقفلة وهى تكون غامضة حتى يفتحها فاتح فيعلمها وينبئ عنها غيره.

ووصف الله تعالى عذاب جهنم بالغلظ مع أن الغلظ يوصف به الأجرام الصلبة كالأرض وغيرها فقال تعالى:"وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ"[1067] نلا حظ أن العذاب وهو من الأشياء المعقولة قد وصف بوصف لايوصف به إلا الأجرام الحسية الصلبة قال سيبيويه:" وقالوا: غلظ يغلظ غلظاً وهو غليظٌ، كما قالوا: عظم يعظم عظماً وهو عظيمٌ، إلا أن الغلظ للصلابة والشدة من الأرض وغيرها"[1068] فهنا شبه العذاب بالأجرام الصلبة على سبيل الاستعارة المكنية وفى الغليظ استعارة تخييلية لأن الغلظ من ملائمات المستعارمنه وقد ثبت للمستعارله. وفيه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى لأن الجامع هو الشدة على النفس وعدم الطاقة على احتماله وهو أمر مدرك بالعقل فقط لا الحواس. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- المبالغة فى الشدة لأن الأشياء الغليظة تلقى النفوس فى المشقة والتكاليف.قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:"والغليظ : من صفات الأجسام وهو القوي الخشن ، وأطلق على الشديد من الأحوال على وجه الاستعارة بجامع الشدة على النفس وعدم الطاقة على احتماله"[1069]
- وتزداد هذه المبالغة فى إثبات ملائمات المستعارمنه للمستعارله على سبيل الاستعارة التخييلية لأن الاستعارة التخييلية تقوى الاستعارة المكنية كما هى قرينة عليها.

وهكذا وصف الميثاق بوصف الغلظ فى قوله تعالى :"وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"[1070] ففيه استعارة مكنية تخييلية على سبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهذه الاستعارة أيضا تدل على قوة الميثاق ومتانته.قال صاحب التفسير المنير:"استعارة, استعار الغلظ فى الأجسام الحسية للشيئ المعنوى وهو بيان صرمة الميثاق وخطورته وعِظمه للوفاء به"[1071]

ووصف الله تعالى فرعون بذى الأوتاد فى قوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ"[1072] والأوتاد جمع وتد وهو ما رُزّفى الأرض أوالحائط من خشب وفى القاموس المحيط:" الوَتْدُ، بالفتح، وبالتحريكِ، وككتِفٍ مارُزَّ في الْأَرْضِ أو الحائِطِ من خَشَبٍ، وما كان في العَروضِ على ثَلاثَةِ أحْرُفٍ، كَعَلَى، والهُنَيَّةُ النَّاشِزَةُ في مُقَدَّمِ الْأُذُنِ، ج أوْتادٌ. وَوَتِدٌ واتِدٌ تَأْكِيدٌ. وأوْتادُ الْأَرْضِ جِبالُها، ومن البِلادِ رُؤَسَاؤُها، ومن الفَمِ أسْنانُهُ. وَوَتَدَ الوَتِدَ يَتِدُهُ وتْداً وتِدَةً ثَبَّتَه، كأَوْتَدَهُ. وَوَتَدَ هو، وَوَتَّدَ، والْأَمْرُ منه تِدْ. والمِيتَدُ والمِيتَدَةُ المِرْزَبَّةُ يُضْرَبُ بها الوَتِدُ"[1073] وقد استعير كونه ذا الأوتاد لثبات ملكه ورسوخه ففيه استعارة مكنية تخييلية أو استعارة تصريحية .قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

فقيل إنه شبه هنا فرعون في ثبات ملكه ورسوخ سلطنته ببيت ثابت أقيم عماده وثبتت أوتاده تشبيهاً مضمراً في النفس على طريق الاستعارة المكنية ووصف بذي الأوتاد على سبيل التخييل ، فالمعنى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الثابت ملكه وسلطنته وقيل : شبه الملك الثابت من حيث الثبات والرسوخ بذي الأوتاد وهو البيت المطنب بأوتاده واستعير ذو الأوتاد له على سبيل الاستعارة التصريحية على سبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى قيل وهو أظهر مما مر نهايته أنه وصف بذلك فرعون مبالغة لجعله عين ملكه ، والمعنى على وصفه بثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر[1074]

والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- الخيمة تكون راسخة إذا كانت حبالها مشدودة بالأوتاد وتكون مأمونة من التطير فى الهواء فهكذا يثبت ثبات الملك إذا ألحق بشيئ راسخ مثل الخيمة المشدودة حبالها بالأوتاد انتقل الرسوخ إلى المستعارلها. فأوحت هذه الاستعارة أن فرعون كان ذا ملك راسخ ثابت.
- ومع ثبات ورسوخ أفادت الاستعارة الديمومة والشدة فى الملك لأن "العرب تقول هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون دائما شديدا"[1075]

وعبر الله تعالى عن عدم الاتعاظ بكون القلوب مقفلة فقال تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"[1076] ففى كلمة أقفال استعارة مكنية لأن فيه تشبيه القلوب بالأبواب المقفلة فهى لاتفتح لوعظ واعظ وقرينة هذه الاستعارة كلمة الأقفال لأنها من ملائمات الأبواب وهى المشبه به فالاستعارة فيه التخييلية وهى استعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى لأن الأبواب مشبه به وهو من الأشياء المحسوسة وأما القلوب فمن المحسوسة ولكن المراد هنا ليس مضغة اللحم بل الكيفيات الحاصلة للقلب وهى من الأمور المعقولة وأما الجامع فهو عدم الانفتاح فى كل من الأبواب المقفلة والقلب غير المتعظ.قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:"والأقفال : جمع قُفْل ، وهو استعارة مكنية إذ شبهت القلوب ، أي العقول في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المغلقة ، والأقفال تخييل كالأظفار للمنية في قول أبي ذؤيب الهذلى: وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع"[1077] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى تعبير كون القلوب مقفلة عن عدم الاتعاظ مبالغة لأن الشيئ إذا كان مقفلا لا يمكن نفوذ شيئ إليه حتى ولو حاول أحد ذلك فمعنى هذاالكلام أن

نفوذ وصول الحق إلى قلوب المعاندين صعب إلى درجة أنه لايمكن أن يصل إليه.

- وهذاالأسلوب دل على أن مواعظ القرآن تصل إلى أعماق القلوب فمن تدبر فيها وصل إلى النتيجة إلا إذا كانت القلوب فى أكنة فلا تنفذ إليها المواعظ. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان } أي لا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا تمثيل لعدم وصول الذكر إليها وانكشاف الأمر لها فكأنه قيل : أفلا يتدبرون القرآن إذ وصل إلى قلوبهم أم لم يصل إليها[1078]

- فى اختيار كلمة الأقفال أيضامبالغة لأن الطبع والران أيسر منه قال العلامة ابن الجوزى رحمه الله تعالى :" قال مجاهد : الرّان أيسرُ من الطَّبْع ، والطَّبْع أيسرُ من الإقفال ، والإقفال أشَدُّ ذلك كُلِّه"[1079]

ووصف الله تعالى الدعاء بالعرض مع ان الدعاء منزه عن أن يكون طويلا أوعريضا فهذاالوصف على سبيل الاستعارة قال تعالى:"وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ"[1080] ففيه تشبيه الدعاء بشيئ يوصف بالعرض والطول مثل المكان والثوب على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة عليها وصفه بالعرض وفيه استعارة تخييلية تبعية وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس بجامع عقلى لأن الجامع هو الكثرة والاستمرار وهو شيئ يدرك بالعقل.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة تفيد المبالغة فى الكثرة والاستمرار لأن عرض الشيئ يستلزم طوله فالشيئ إ ذا كان عريضا فلابد أن يكون طويلا ' والشيئ الطويل العريض يستلزم كثرة المساحة واتساعها وهذاالأسلوب دل على أن الإنسان يدعوالله تعالى لدفع الشر من أعماق قلبه. قال العلامة البيضاوى رحمه الله تعالى:"{ وَإِذَا مَسَّهُ الشر فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره ، وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين ، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله؟"[1081]

***

المبحث الثانى

المحسوس للمحسوس بجامع حسى:

سنناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعار له والجامع بينهما من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وتخييلية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى يبين كيفية ستر العظام باللحم فى قصة عزير عليه السلام فيقول تعالى:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[1082]

ففى هذه الآية شبه اللحم باللباس بجامع الستر فيهما قال صاحب التفسير المنير:"فيها استعارة الكسوة للحم الذى غطى العظم كما يستر الجسد باللباس ثم حذف المشبه به وهو الثوب وأتى بشيئ من لوازمه وهو الكسوة على سبيل الاستعارة المكنية"[1083] فالمذكور فى هذه الاستعارة هو المستعارله فهى مكنية وقدرشحت بلوازم المستعارمنه وهو اللباس لأن الكسوة من ملائمات الثوب لامن ملائمات اللحم فالاستعارة ترشيحية. والاستعارة فى المشتق لأن نكسو مشتق من الكسوة فهى تبعية ثم نرى أن اللحم واللباس والستر كلها من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر فهى من قبيل استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- ربما فى تشبيه اللحم باللباس إشارة إلى أن اللحم مثل اللباس قديكون على العظام وقدلايكون فهو يتلاشى فى القبر ويزول من جسد الإنسان ولكنه سيكسى مرة أخرى يوم القيامة ثم يحترق فى نار جهنم فيتجدد مثل الثوب

وأصل الإنسان هو الروح الذى يجمع كل أجزاء الإنسان فإذاانعدم فلا عذاب ولاعقاب.

- المستعارمنه والمستعارله كلاهما حسيان ولكن الصفة المقصود بيانها فى هذه الآية أكثر وضوحا فى المستعارمنه فألحق به المستعارله كى يحصل تلك الصفة فتكون واضحة عند الناس فيفهمونها بأدنى تأمل.
- الكسوة قرينة على أن اللحم مستعارله وأما المستعارمنه هو الثوب وهذا هو البيان بكل أوصافه فكأن اللحم هو الثوب نفسه كى تتأكد المبالغة فى المستعارمنه لأنه إذااستعير بكل أوصافه كان أكثر مبالغة.
- ولايخفى ما فى الاستعارة من الحسن و أداء المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة وكأنها مقدمة فى صورة حية مرئية.

وبين الله تعالى حال حياة الدنيا وفنائيتها فشبهها بماء أنزله من السماء فاختلط به نبات الأرض وتحسنت الأرض وازينت ولكن سرعان ما انتهى حسنها فقال تعالى:

> إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[1084]

قد مر التفصيل المتعلق بالتشبيه فى موضعه وأما هنا فسنناقش الأمور المتعلقة بالاستعارة' قال صاحب تفسير البحر المحيط:

> وقوله : أخذت الأرض زخرفها وازينت ، جملة بديعة اللفظ جعلت الأرض آخذة زخرفها متزينة ، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون ، فاكتست وتزينت بأنواع الحلى ، فاستعير الأخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الأرض على بهجة ونضارة وأثواب مختلفة ، واستعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب ، لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس . وازينت أي : بنباتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والأزهار ، ويحتمل أن يكون قوله : وازينت تأكيداً لقوله : أخذت الأرض زخرفها . واحتمل أن لا يكون تأكيداً ، إذ قد يكون أخذ الزخرف لا لقصد التزيين ، فقيل : وازينت ليفيد أنها قصدت التزيين . ونسبة الأخذ إلى الأرض والتزيين من بديع الاستعارة[1085]

فالمستعارمنه فى هذه الآية هو العروس المتزينة باللباس الفاخرة وهو غير مذ كور هنا والمستعارله هو الأرض الآخذة زخرفها وهو مذكور فالاستعارة مكنية وإثبات أخذ الزخرف للأرض على سبيل التخييل وإلا فليست للأرض يد فلا أخذ لها و قوله" وازينت" تأكيد لقوله"أخذت الأرض زخرفها" فهو تتمة للتخييل أو هو ترشيح لقوله" أخذت الأرض زخرفها". وكل من المستعارله ومنه والجامع من الأمور الحسية لأن أخذ الأرض النبات والأشجار وغيرها وهكذا أخذ العروس الحلى من الأمور التى تدرك بالحواس والجامع هوبينهما هو التزيين فى كل منهما وهو أيضا من الأمور المدركة بحاسة البصر ' فالاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى استعارة حال العروس لحال الأرض وتزينها بأنواع مختلفة من الأعشاب والأشجار والنبات مبالغة فى التحسين لأن فيه دعوى الاتحاد بين الأرض والعروس وكأنها هى ولايخفى أن العروس معروفة بالحسن والتزين بطريق المبالغة فإذا ألحق بها الأرض صارت مثلها فى الحسن والزينة.
- ومن هنا علم أن فى هذه الاستعارة تحسين المستعارله لتشبيهه بالعروس لأنه كما قلت أن العروس معروفة بالحسن والتزين حتى أنها تضرب بها المثل فى الحسن وأخذالمحسنات المختلفة ' فبالتشبيه بها ينتقل الحسن إلى المشبه.
- ثم فى تخييل الاستعارة من تقويها وتأكيدها لأنه حينما يثبت من لوازم المشبه به للمشبه صار المشبه فى الأوصاف الثابتة له إلى حد يجوز أن يطلق عليه اسم المشبه به فيثبت له من لوازمه قال صاحب التفسير المنير:"شبه الأرض حينما تتزين بالنبات والأعشاب والأزهار,بالعروس المزينة بالحلى والثياب,ثم حذف المشبه به وأشير إلى شيئ من لوازمه وهو الزخرف على سبيل الاستعارة المكنية".[1086]
- فى نسبة الأخذ إلى الأرض مبالغة فى التزيين لأن فيه نسبة التزيين إليها فهى تزين نفسها والإنسان إذا زين نفسه يبالغ فى التزيين بخلاف إذا كان المزيِّن والمزيَّن مختلفين.
- فى تشبيه الأعشاب والنبات بالذهب مبالغة لأنه كما أن العروس شهيرة بالتزيين فهكذا الذهب معروف كأداة التزيين عند الناس قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> والزخرف : اسم الذهب . وأطلق على ما يتزين به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي .وإطلاق أخذ الأرض زخرفها على حصول الزينة فيها استعارةٌ مكنية . شبهت الأرض

بالمرأة حين تريد التزين فتُحضر فاخر ثيابها من حلي وألوان[1087]

وعبر الله تعالى عن البلدة التى تكون خالية عن النماء والنبات بالميت فى قوله تعالى:"وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ"[1088] ففى هذه الآية تشبيه البلدة القفراء بالميت بجامع عدم وجود النماء فيهما والمذكور هنا المستعارله فالاستعارة مكنية تبعية وفى أنشرنا استعارة ترشيحية تبعية' وبما أن المستعارله ومنه والجامع من الأمور الحسية فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة تولدت المبالغة فى تعطل آثار الحياة وعدم ظهور النماء لأن هذا الوصف موجود فى الميت بطريقة كاملة لأن هذه الآثار وإن كانت معطلة فى الأرض الجدباء ولكنها غير معدومة لأن هذه الآثار تعود بإزالة الأسباب العائقة لها ' وأما فى الميت فلايرجى إعادتها.
- فى الترشيح تأييد الاستعارة لأن فيه استمرار الاستعارة بإثبات أوصاف المستعارمنه للمستعارله وهذا يقتضى تناسى المستعارمنه وإثبات المستعارله.
- إظهار قدرة الله تعالى فى البعث بعد الموت لأن إخراج النبات من الأرض الجدبة بسبب إنزال الماء من السماء من قدرة الله تعالى فهكذا البعث بعد الموت. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

أي مثل ذلك الإنشار الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض وهو صفة مصدر محذوف أي إنشاراً كذلك { تُخْرَجُونَ } أي تبعثون من قبوركم أحياء ، وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث ، وفي ذلك من الرد على منكريه ما فيه[1089]

***

المبحث الثالث

المحسوس للمحسوس بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعار له من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما الجامع بينهما فيكون من الأ مور العقلية ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وتخييلية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة المكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى أجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء مع أنها لاتعقل فقال تعالى:"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"[1090] فشبه الله تعالى هذه الأجرام الفلكية بإنسان عا قل على سبيل الاستعارة المكنية لذكر المستعارله وحذف المستعارمنه وبما أن هذه الأجرام من اسماء لأجناس فالاستعارة أصلية وفى كلمة "ساجدين" تخييل لأن السجود من أفعال الناس لا من أفعال الأجرام الفلكية وهى استعارة تخييلية وهى قرينة للمكنية وكل من المستعارمنه وله من الأمور المحسوسة والجامع بينهما وهو تخييل أن لكل واحد من المستعارمنه والمستعارله صفة السجود وهو أمر عقلى فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.قال البقاعى رحمه الله تعالى:" وألحقه ضمير العقلاء لتكون دلالته على كل من عجيب أمر الرؤيا ومن فعل المرئى الذي لا يعقل فعل العقلاء من وجهين فقيل : { رأيتهم لي } أي خاصة { ساجدين } أجراهم مجرى العقلاء لفعل العقلاء "[1091] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى إلحاق ضمير العقلاء تقوى الاستعارة لأن المراد بهذه الأجرام ناس ساجدون لأن تعبير هذه الأجرام أبوايوسف وإخوته قال العلامة السمرقندى رحمه الله تعالى:" يعني : رأيت في المنام كأن أحد عشر كوكباً ، نزل من السماء والشمس والقمر نزلا من السماء يسجدون لي . وروي عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر أبواه"[1092] فإذا ثبت لها ضمائر ذوى العقول صارت كأنها هى ناس ساجدون.

- ثم فى تخييل الاستعارة بإثبات السجدة لهم ازدادت قوة الاستعارة لأن فيه دعوى أن للمستعار له صفات ثابتة للمستعارمنه وكأنه هو عين المستعارمنه. ففيه دعوى الاتحاد بين المستعارمنه والمستعارله.

وهكذا عبر الله تعالى عن الريح الشديدة بالعقيم فى قوله تعالى:"وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ"[1093] شبه الله تعالى الريح الشديدة بامرأة لاتلد والجامع هوعدم تضمن المنفعة فيهما فكما أن المرأة العقيم لا ترجى منها المنفعة من الولادة فهكذاالريح العقيم تكون خالية من المنافع التى ترجى لها الرياح من إثارة السحاب وسوقه ومن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذكر من ثمار إلى الإناث من أشجارها[1094].فالمذكور هنا هو المستعارله فالاستعارة مكنية أصلية وفى العقيم استعارة تخييلية وهى قرينة للمكنية. ونلاحظ أن المستعارمنه والمستعارله من الأمور المحسوسة وأما الجامع فهو عقلى فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة تنفير الناس من شدة الريح كما أنهم ينفرون من المرأة القيم لعدم وجود الخير فيها فكذا الريح الشديدة ينفر منها الناس.ثم عقم المرأة مفهوم بالنظرالبادى وأما عقم الريح فيفهم بإلحاقه بالمرأة العقيم فهذاالإلحاق أوالتشبيه يجعل الفهم سهلا.
- فى تخييل الاستعارة بالعقم تُقوّى الاستعارة لأن بهذاالوصف يتقرب اليوم إلى المرأة فتكتمل الاستعارة وينسى التشبيه بل كأن اليوم هو المرأة نفسها.
- فى التعبير بالعقيم إشارة إلى انقطاع المنفعة فى الريح مع أن الناس يرجون منها المنفعة من إلقاح الأشجار وإنزال الغيث كما أن الناس يرجون من المرأة الولادة ولكن بالعقم ينقطع ذلك الرجاء' قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا"على طرز ما تقدم "عَلَيْهِمُ الريح العقيم"الشديد التي لا تلقح شيئاً كما أخرجه جماعة عن ابن عباس وصححه الحاكم ، وفي لفظ هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة[1095]

وأسند الله تعالى إرادة السقوط إلى الجدار فى قصة موسى وخضر عليهما السلام فقال تعالى:"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا"[1096] مع أن الإرادة من صفات العقلاء ففيه تشبيه الجدار بالإنسان المتحرك بالإرادة على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة عليه الاستعارة التخييلية وهى فى يريد لأن

الإرادة من ملائمات المستعارمنه وقد ثبتت للمستعارله. والجامع بينهما هوالإشراف على السقوط والميل إليه. وكل من المستعارمنه والمستعارله من الأمور المحسوسة والجامع هو من الأمور المعقولة فهى استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" أو على سبيل الاستعارة بأن يشبه قرب السقوط بالإرادة لما فيهما من الميل ، ويجوز أن يعتبر في الكلام استعارة مكنية وتخييلية"[1097] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى نسبة الإرادة إلى الجدار مبالغة فى الإشراف على السقوط لأن هذا يوحى أنه ليس هناك مانع من السقوط إلا دفاع الساقط نفسه فإذا أراد الساقط ذلك بنفسه لم يبق هناك مانع بعده فهذا يوحى أن الجداركان قريبا جد إلى السقوط. قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:" { فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أن يَنقَضَّ } أي يداني أن يسقُط فاستعيرت الإرادةُ للمشارفة للدِلالة على المبالغة في ذلك"[1098]
- وفى كلمة الانقضاض مبالغة فى الإسراع لأن معنى الانقضاض الإسراع فى السقوط فهذا يدل على إرادة السقوط على الأرض قال العلامة ابوالسعود رحمه الله تعالى :" والانقضاضُ الإسراعُ في السقوط وهو انفعالٌ من القضّ ، يقال : قضّه فانقضّ ، ومنه انقضاضُ الطير والكوكبِ لسقوطه بسرعة" [1099]
- وفى تخييل الاستعارة فى الإرادة تتأكد استعارة لإرادة من الإنسان للجدار لأن فى إثبات ملائمات المستعارمنه للمستعارله استمرار المعنى المراد فى الاستعارة .

وعبر الله تعالى عن مسجل الأعمال التى ارتكبها صاحبه فى الدنيا بالكتاب الناطق فى قوله تعالى:"لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"[1100] قال العلامة ابن عادل رحمه الله تعالى:" فشبّه الكتاب بمن يصدر عنه البيان ، فإن الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب وينطق الناطق إذا كان مُحِقًا"[1101] فالكتاب لايكون ناطقا إنما النطق من خصوصيات الإنسان وأما الكتاب فيقرأفيه صاحبه أعماله التى عملها فى الدنيا قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" والنطق به مجاز عن إظهاره أي عندنا كتاب يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً ووصفاً ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هناك جلائل الأعمال ودقائقها ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[1102] ففيه تشبيه المسجل بالإ نسان على سبيل الاستعارة المكنية لذكر المستعارله ورمز إلى لوازمه وهو النطق واشتق منه ينطق ففيه استعارة تخييلية تبعية وكل من الكتاب والإ نسان من الأشياء المحسوسة والجامع بينهما هو إظهار البيان وإعلان الأحكام قال صاحب التفسير المنير:" استعارة شبه الكتاب بمن له لسان ينطق مبالغة فى وصفه بإظهار البيان وإعلان الأحكام"[1103]

وإظهار البيان وإعلان الأحكام من الأمور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- تتولد المبالغة من هذاالأسلوب لأن إظهار البيان بسبب النطق أكثر من الإظهار بسبب آخر فالناطق يستطيع أن يبين كل نواحى الخبر ويمكن الاستخبار إذا لم يعلم السامع الخبر فيفهِّم الناطق السامع بطريقة أخرى قال العلامة الآلوسى رحمه الله:

> والنطق به مجاز عن إظهاره أي عندنا كتاب يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً ووصفاً ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هناك جلائل الأعمال ودقائقها ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر[1104]

- وفى قوله تعالى "لدينا" إشارة إلى أن هذه الأعمال محفوظة من الزيادة والنقصان فلايستطيع أن يغير فيها من قبيل نفسه قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وفي قوله { لدينا } دلالة على أن ذلك محفوظ لا يستطيع أحد تغييره بزيادة ولا نقصان"[1105]
- وفى تخييل الاستعارة أيضا من تقوى الاستعارة لأن فيه استمرار خصوصيات المستعارمنه وهو الإنسان فيرد المستعارله إلى ركن مهجور لايلتفت إليه.

وهكذا عبر الله تعالى عن القرآن بالذى يقص فى قوله تعالى:"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"[1106] قال صاحب التفسير المنير:"فى هذاالفعل المضارع استعارة تبعية ,استعار ما يتكلم به الإنسان الناطق إلى القرآن لتضمنه نبأ الأولين فكان كالإنسان الذى يقص على الناس الأخبار".[1107] ففيه تشبيه القرآن بالإنسان القاص على سبيل الاستعارة المكنية وفى يقص استعارة تخييلية تبعية وكل من القرآن والإنسان القاص من الأمور المحسوسة والجامع هو إظهار البيان وإعلان الأحكام وهو من الأمور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.

أثبت الله تعالى وصف السيف للسان وهو الحداد فى قوله تعالى : "أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا"[1108] فهنا شبه اللسان بالسيف القاطع بجامع وجودأثرشديد لكل واحد من اللسيف واللسان على سبيل الاستعارة المكنية وكل من اللسان والسيف من الأمور المحسوسة فالاستعارة من المحسوس

للمحسوس بجامع عقلى. وقدذكر من ملائمات المستعارله والمستعارمنه أما مالاءم المستعارله فهو السلق لأن معنى السلق هو شدة القول باللسان قال العلامة ابن دريد رحمه الله تعالى:" والسَّلْق: مصدر شدّة القول باللسان؛ سلقه يسلُقه سَلْقاً، ومنه قوله جلّ وعزّ: " سَلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ "[1109] وقال العلامة الخليل ابن أحمد الفراهيدى رحمه الله تعالى:" سلق: سلقته باللسان: أسمعته ماكره فأكثرت عليه.ولسان مسلق: حديد ذلق"[1110] فشدة القول وإسماع مايكرهه المخاطب من ملائمات اللسان وهوالمستعارله فالاستعارة تخييلية وأما مالاءم المستعارمنه فهو الحداد لأن الحدة من ملائمات السيف وهو المستعارمنه فالاستعارة ترشيحية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى إلحاق اللسان بالسيف تقريب الأثر الذى حصل من أجل اللسان لأن السيف معروف فى التأثير فى المجروح بالجراحات وهذه الجراحات من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر ولاينكرها أحد وأما تأثير اللسان فى الذى أوذى بها فلايرى بل يحسه الذى ابتلى به
- وفى هذاالإلحاق مبالغة فى الإيذاء لأن السيف يضرب به المثل فى الإيذاء لأن بها يقتل الناس ويجرحون بها وأما فى الإيذاء باللسان وإنه وإن كان أكثر من الإيذاء بالسيف ولكنه كان كثيرا وقليلا باختلاف الأقوال والأحوال فإذا شبه بالسيف فعلم أن الإيذاء وصل إلى حد كأنه جرح بالسيف أحد فيجد ألم الجراحة أو قتل بها فيجد أقرباؤه التلهف والتأسف بفوته.
- وتزداد هذه المبالغة بإثبات مايلائم المستعارمنه وهو الحدة للمستعارله.

وعبر الله تعالى عن إقبال النهار وانتشار الصبح بتنفس الصبح فى قوله تعالى:"وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ" [1111] ففيه تشبيه الصبح بالإنسان الآتى من مسافة بعيدة على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية وإثبات التنفس له استعارة تخييلية.والجامع بينهما هو أن كلا من الإنسان والصبح يحسان بالراحة هذا بالتنفس وذاك بالتخلص من الظلام قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وكما أنه يجد راحة بالتنفس كذلك تخلص الصبح من الظلام وطلوعه كأنه تخلص من كرب إلى راحة"[1112] فالجامع عقلى فالاستعارة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.ويمكن أن تجرى الاستعارة فى تنفس فهى تصريحية تبعية كما ذهب إليه صاحب التفسير المنير فقال:"استعارة تصريحية شبه إقبال النهار وانتشار الضياء بنسمات الهواء العليل واستعار لفظ التنفس لإقبال النهار بعد الظلام الدامس"[1113] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- إثبات التنفس للصبح يدل على ترويح النفس بكشف الظلمات كما أن التنفس يزيل الهموم عن قلب المغموم.

- ثم لايخفى أن التنفس من صفات الإنسان ففى إثبات صفات الإنسان للصبح تقوية الاستعارة لأنه يؤكد وجود المستعارمنه.
- وتنفس الصبح يدل على سراية الحياة بظهور النهار قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وجوز أن يقال إن الليل لما غشي النهار ودفع به إلى تحت الأرض فكأنه أماته ودفنه فجعل ظهور ضوئه كالتنفس الدال على الحياة"[1114]

***

المبحث الرابع

المعقول للمعقول بجامع عقلى:

سنناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة غير التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعار له والجامع بين المستعارله والمستعارمنه من الأمور التى لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة بل تدرك بالعقل فتكون من الأ مور العقلية ومما لايخفى أن هناك أقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وهى أصلية وتبعية من جانب ومطلقة وتخييلية وتجريدية من جانب آخر فسأناقش كل هذه الأقسام فى ضمن الاستعارة المكنية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

أشار الله تعالى إلى شدة العذاب بكونه عقيما فى قوله تعالى:"وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ"[1115] والمراد به عذاب يوم القيامة شبه يوم القيامة بامرأة لاتلد والجامع هو عدم تعقب شيئ بعدهما أما المرأة العقيم فلأنها لا أولاد بعدها وأما يوم القيامة فلا ليل بعده ولانهار. فالمرأة العقيم مستعارمنها ويوم القيمة مستعارله فالمذكور هنا هو المستعارله فالاستعارة مكنية وفى العقيم استعارة تخييلية الى هى قرينة للمكنية. قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:"{ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ } وهو يوم القيامة؛ لأنه لا يوم بعده ، فكان بهذا الاعتبار عقيماً ، والعقيم في اللغة من لا يكون له ولد ، ولما كانت الأيام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة ، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم ، وصف بالعقم . "[1116] والاستعارة فى المشتق فهى تبعية وبما أن العقم من الأمور المعقولة وهو ملحوظ فى المستعارمنه وله فهما من الأمور العقلية والجامع أيضا عقلى فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة تنفير الناس من شدة هول يوم القيامة كما أنهم ينفرون من المرأة القيم لعدم وجود الخير فيها.ثم عقم المرأة مفهوم بالنظرالبادى وأما عقم اليوم فيفهم بإلحاقه بالمرأة العقيم فهذاالإلحاق أوالتشبيه يجعل الفهم سهلا.
- فى تخييل الاستعارة بالعقم تُقوّى الاستعارة لأن بهذاالوصف يتقرب اليوم إلى المرأة فتكتمل الاستعارة وينسى التشبيه بل كأن اليوم هو المرأة نفسها.

والقسم الخامس من هذه الأقسام هو الاستعارة غير التمثيلية المكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى: وهى غير موجودة فى القرآن ولذا لن أناقشها.

***

الباب الرابع

الاستعارة التمثيلية فى ضوء النصوص القرآنية

الاستعارة التمثيلية وأنواعها:

بعد أن ناقشت الاستعارة غير التمثيلية سأحاول أن أناقش الاستعارة التمثيلية فى ضوء النصوص القرآنية وسأحاول أن يكون بحثى فى إطار الناحية البلاغية للأنواع المختلفة للا ستعارة التمثيلية ولذا فسأترك النواحى الأخرى للاستعارة ’وهى كما بيّنت فى التمهيد تكون مصرحة ومكنية وتكون استعارة المحسوس للمحسوس وللمعقول واستعارة المعقول للمعقول وللمحسوس.وبما أن الآيات القرآنية تضم أكثر من قسم واحد لأن هذه الأقسام نتيجة للتقسيمات المختلفة وهى تجتمع فى نص واحد فيمكن أن تكون الاستعارة مصرحة وفى نفس الوقت استعارة المحسوس للمحسوس فإنى سأناقش كل هذه الأقسام فى الآيات القرآنية فى موضع واحد دون أن أكررها لمناقشة كل قسم فأتعب القارى بتكرار كل التفاصيل المتعلقة بتلك الآية أوأنسيه إياها بعدم تكرارها فيفوت الغرض. فأدخلت بعض هذه الأقسام فى بعض وجعلت للتمثيلية قسمين:المصرحة والمكنية وجعلت لها خمسة أقسام باعتبار آخر وهو اعتبار الحس والعقل فينشأ من الاستعارة المصرحة خمسة أقسام وهى:

- المحسوس للمحسوس بجامع حسى
- والمحسوس للمحسوس بجامع عقلى
- والمحسوس للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمحسوس بجامع عقلى

وهكذا ينشأ من الاستعارة المكنية خمسة أقسام وهى:

- المحسوس للمحسوس بجامع حسى
- والمحسوس للمحسوس بجامع عقلى
- والمحسوس للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمعقول بجامع عقلى
- والمعقول للمحسوس بجامع عقلى

فهذه عشرة أقسام وأدرسهافى هذااللباب فى فصلين: الفصل الأول فى الاستعارة المصرحة والفصل الثانى فى الاستعارة المكنية وأقسم كل واحد منهما فى خمسة أقسام فيحصل من ضرب الإثنين فى الخمسة عشرة أقسام وهى: المصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمصرحة من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمصرحة من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى. والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمكنية من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى فسأعالج هذه الأقسام فى المباحث العشرة خمسة منها فى المصرحة وخمسة منها فى المكنية.

***

الفصل الأول

الاستعارة المصرحة

سأبين هنا القسم الأول من الاستعارة التمثيلية وهى الاستعارة المصرحة أو التصريحية وهى ما ذكر فيها المستعارمنه ولم يذكر المستعار له وهى كما قلت تنقسم إلى خمسة أقسام وهى كما ذكرت فيما قبل وفيما يلى تفصيل هذه الأقسام فى المباحث الآتية:

المبحث الأول

المحسوس للمعقول بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والمستعارله من الأمور المعقولة فلا تدرك بها والجامع أيضا من الأمور المعقولة وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى نقل دعاء المؤمنين الذين كانوا يقاتلون مع جالوت وجنوده تحت قيادة داود عليه السلام فقال تعالى:"وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" [1117] فدعوا الله تعالى لإفراغ الصبر عليهم وتثبيت الأقدام ففى هذه الآية استعارتان: أماالاستعارة الأولى أن الله تعالى عبر عن إلهامهم الصبر بالإفراغ عليهم فالمستعارمنه هنا هو أفرغ وهو المذكور فالاستعارة تصريحية وهو فعل الأمر مشتق من الصبر فهى استعارة تبعية وإلهام الصبر أمر معقول لايدرك بالحواس وإما الإفراغ وهو المستعارله فهو أمر مدرك بحاسة البصر والجامع هو الكثرة والإسباغ وهو أيضا من الأمر المعقول فهو من استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلى. ونلاحظ أن فى هذه الاستعارة تشبيه حالهم "والله تعالى يفيض عليهم بالصبر بحال الماء الذى يصب على الجسم كله".[1118] فوجه الشبه وهو الجامع فى الاستعارة قدنزع من متعدد فهى استعارة تمثيلية. فنرى صورة من يفرغ على كل جسمه الماء بكثرة وهو يسيل من أعلاه إلى أسفله ثم نرى فى ظل هذه الصورة صورة أخرى وهى صورة من يحتاج الصبر فى ميدان القتال وهو يدعو أن يلهم فى قلبه بكثرة.ونجد فى هذاالأسلوب من المزايا البلاغية مايلى:

- فى كلمة الإفراغ من معنى الإسباغ بطريقة المبالغة فإذااستعيرت لإلهام الصبر انتقلت تلك المبالغة من المستعارمنه إلى المستعارله فجاءت فيه المبالغة كما كانت فى المستعارمنه. ومن المعلوم أن الألفاظ المستخدمة لحصول هذه المبالغة قليلة جدا لأن التشبيه والاستعارة تبنى على المعلومات السابقة التى تكون موجودة لدى المخاطب.
- قد قربت إلى المخاطب الصورة المنتزعة من الاستعارة التمثيلية بكل تفاصيلها التى سهلت له أخذ المعلومات من تلك الصورة التى قدمت له فى صورة حية. فهو يصلح أن يقف أمامه ويجنى من شجرة تلك الصورة المفاهيم التى يحتاجها .

- وقد حثت الصورة المقدّمة لدى المخاطب على التفكير فى أجزاء الصورة الحية وفى نفس الوقت هى تهيئ له من اللذة ما لاتساويها لذة فى الدنيا.

عبر الله تعالى عن التمسك بدين الإسلام بالتمسك بالحبل المحكم فى قوله تعالى:"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [1119] " شبهت هيئة المؤمن فى ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وثقى من حبل وهو راكب على صَعب أو في سفينة في هَول البحر"[1120]لاحظناأن الهيئة المستعارمنها قدذكرت فالاستعارة تصريحية ثم نرى أن الهيئة المستعارمنها من الهيئات التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والهيئةالمستعارلها لا تدرك بالحواس الخمسة والجامع وهو الثبات على الإيمان وهو أيضامن الأمور العقلية فهذه من استعارة المحسوس للمعقول بوجه عقلى. وبما أن الجامع قدانتزع من أمور متعددة فهى استعارة تمثيلية. فنرى فى هذاالأسلوب صورة حية للمتمسك بدين الإسلام فنراها فى صورة مستعارة وهى صورة من يركب على صعب وهويخاف السقوط فيمسك بالعروة الوثقى وهو يأمن السقوط ففى هذه الصورة التى هى فى الحقيقة مرآة للصورة الثانية وهى صورة من يدخل فى دائرة الإسلام وهو يخاف التزلزل والسقوط فيتمسك بدين الله تعالى الذى يجعله مطمئنا عن كل شيئ يخافه. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيلي ، شبهت هيأة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وثقى من حَبل وهو راكب على صَعب أو في سفينة في هَول البحر ، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة ، ولذلك قال في «الكشاف» «وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر ، بالمشاهَد» وقد أفصح عنه في تفسير سورة لقمان إذ قال «مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه» ، فالمعنى أنّ المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا وهو ناج من مَهاوي السقوط في الآخرة كحال من تمسك بعروة حبل متين لا ينفصم[1121]

ثم رشحت هذه الاستعارة بقوله تعالى لاانفصام لها لأن الانفصام من ملائمات المستعارمنه لأنه يتصورفى الحبل لافى الدين فهذه استعارة ترشيحية.[1122] ومن المزايا البلاغية التى كمنت فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية:

- قد قربت الصورة المعقولة فى الصورة المحسوسة فسهل فهمها لأنها مؤيدة بتجربة النا س فهم يفهمون أن من تمسك بالعروة الوثقى يأمن من

السقوط فى المهالك فباستعاة هذه الصورة للصورة المعقولة صارت المستعارلها مفهومة أيضا

- وفى صورة الاستعارة التمثيلية قدم الله تعالى هذه الصورة صورة حية فالمخاطب يستطيع أن يفهما بنفسه متلذذا حال كونه متفكرا فى تفاصيل هذه الصورة.
- وفى ترشيح الاستعارة مبالغة لأن هذا يبنى على تناسى استعارة الحبل للدين فلم يبين ملائمات ما هو المقصود من البيان وذكرت من ملائمات المستعارمنه.

ومثل هذه الآية استعارة فى قوله تعالى:"وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ"[1123]

ويمن الله تعالى على المسلمين أن هداهم للإيمان بعد أن كانوا قدوصلوا فى الضلالة إلى أقصاها وما كان بينهم وبين السقوط فى حفرة الضلالة إلا الموت فى حالة الكفر ولكن الله تعالى أبعدهم من شفا حفرة النارفيقول تعالى:"وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[1124] استعير حال من يكون على حرف حفرة النار- وليس بينه وبين السقوط فى تلك الحفرة إلا أن تأتى الريح الشديدة فتسقطه فيها أو تأخذه السنة أو الغفوة فتسقط فيها- للمسلمين الذ ين كانوا فى الجاهلية قائمين على الكفر وكادوايسقطون فى حفرة الضلالة وبالتالى فى حفرة النيران لو أتتهم غفوة الموت ولكن الله تعالى من عليهم وهداهم للإيمان.وفيه استعارة الهيئة للهيئة فالاستعارة تمثيلية. قال صاحب التفسير المنير:" استعارة تمثيلية شبه حالهم فى الجاهلية بحال المشرف على حفرة عميقة".[1125] وبما أن الهيئة المستعارمنها مذكورة فالاستعارة تصريحية. والهيئة المستعارمنه من الصورالتى تدرك بحاسة البصروأما الهيئة المستعارلها فهى من الصور التى لاتدرك إلا بالعقل والشعور لأن القيام بالكفر أو الاهتداء للإيمان شيئان معنويان والجامع هو الإنقاذ بعد كون المنقذ فى أقصى حد من الهلاك فهذا من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ونجنى من هذه الهيئة من المزايا البلاغية ما يأتى:

- قدم الله تعالى صورة حية لقرب هلاك الذين كا نواقريبين جدامنه وكانوا على وشك الهلاك فأنقذهم منقذ وأبعدهم من ذلك المقام وفى هذه الصورة حال المسلمين واضح قبل الإسلام ففى الصورة المتاحة للهلاك القريب منهم يستطيع المخاطب أن يفهم خوف السقوط لا فى الحفرة فقط بل فى حفرة النيران وهذاالقيد يضاعف الخوف واليأس على الذى يكون قريب السقوط فيها ثم يفهم اليأس عن الخروج عن تلك الحفرة وهذه الصورة

تقدم الخوف واليأس المخيمين على الكفار الذين استمروا فى كفرهم وأما خروج المسلمين عنهما فبرحمة الله تعالى.

- فى هذا الأسلوب إيحاء أن هلاكهم كان قريبا وما كان بينهم وبين الهلاك إلا غفوة الموت قال العلامة أبو سعود رحمه الله تعالى:"وَكُنتُمْ على شَفَا حُفْرَةٍ مّنَ النار شفا الحفرةِ وشفَتُها حَرْفها أي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنَّم لكفركم إذ لو أدرككم الموتُ على تلك الحالةِ لوقعتم فيها { فَأَنقَذَكُمْ } بأن هداكم للإسلام { مِنْهَا } الضميرُ للحفرة أو للنار أو للشَفا والتأنيثُ للمضاف إليه" [1126]
- فى هذه الاستعارة إشارة إلى أن الوصول إلى شفا حفرة بأعمالهم كالذى يتقرب إلى الهلاك باختيار أسباب الهلاك ثم نسب الله تعالى الإنقاذ إلى ذاته العالية إشارة إلى أنهم كانوا هالكين لولا أدركتهم رحمة الله تعالى' وهذا يوحى أنه ما كان هناك موجب لإذلتهم عن أسباب الهلاك سوى رحمة الله تعالى.

وهكذا يبين الله تعالى نفس المفهوم فى قوله تعالى:"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"[1127]

> فهنا أيضا استعير الانقلاب على العقبين عن الارتداد لأن الانقلاب على الأعقاب فى الأصل الرجوع القهقرى وأريد به الارتداد والرجوع إلى ما كانوا عليه من الكفر في المشهور ، والغرض إنكار ارتدادهم عن الدين بخلوه صلى الله عليه وسلم بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به[1128]

والتفصيل والمزايا البلاغية قد ذكرت فلا داعى أن أعيدها.

ونفس الاستعارة قد استخدمت فى قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ"[1129] واكتفى بالتفصيل المذكور.

و عبر الله تعالى عن الكفر بالموت والحياة بالإيمان وعبر عن الهدى بالنور وعن الضلال بالظلمات فى قوله تعالى"أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[1130]

ففى هذه الآية استعار أربع أشياء لأربع أشياء ففى الاستعارة الأولى استعار الله تعالى الموت للكفر بجامع عدم السراية أما فى القلب الميت فلايسرى

إليه شيئ لعدم الإدراك وأما فى القلب الكافر فلايسرى إليه المواعظ فالاستعارة فيه تصريحية لذكر المستعارمنه وتبعية لجرى الاستعارة فى المشتق وهى من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى وفى الاستعارة الثانية استعار الله تعالى الحياة للإيمان بجامع قبول الأشياء أما فى الحياة فللإدراك وأما فى الإيمان فلإدراك الأشياء النافعة وهى أيضا من التصريحية التبعية ومن قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى كما مر فى الاستعارة الأولى وأما الاستعارة الثالثة فاستعار الله تعالى النورللهداية بجامع رؤية الطريق فيهما لأن الناس يرون الطريق فى الضياء وهكذا الطريق الموصل إلى الله تعالى يرى بنور الهداية وهى أيضا تصريحية أصلية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى وأما فى الاستعارة الرابعة فاستعار الله تعالى الظلمات للضلال بجامع عدم رؤية الطريق فيهما فهى استعارة تصريحية الأصلية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

ثم اعلم أن هنا استعارتين تمثيليتين مع الاختلاف اليسير فى تعينهما أو تعين التشبيهين لذكر أداة التشبيه وقد فضل ابن عاشور رحمه الله تعالى قول كونهما استعارتين فقال:

> ولكنّ وجودَ كاف التّشبيه في قوله : { كمن مثله } مع عدم التّصريح بذكر المشبَّهَيْن في التّركيبين أثارَا شُبهة : في اعتبار هذين التّشبيهين أهو من قبيل التّشبيه التّمثيلي ، أم من قبيل الاستعارة التّمثيلية؛ فنحا القطب الرّازي في «شرح الكشاف» القبيلَ الأول ، ونحا التفتزاني القبيلَ الثّاني ، والأظهر ما نحاه التفتزاني : أنَّهما استعارتان تمثيليتان ، وأمّا كاف التّشبيه فهو متوجّه إلى المشابهة المنفيّة في مجموع الجملتين لا إلى مشابهة الحالين بالحالين ، فمورد كاف التّشبيه غير مورد تمثيل الحالين[1131]

فهما استعارتان تمثيليتان: الأولى استعارة حال من كان ميتا فأحياه الله تعالى وجعل له نورا يمشى به فى الناس للكفار الذين كانوا فى الكفر والشرك فهداهم الله تعالى ودخلوا فى الإسلام وحملوا نورالإسلام حيثما صاروا فالهيئة المستعار منها مذكورة وهى حسية أما الهيئة المستعارلها غير مذكورة وهى عقلية والجامع بينهما هى رؤية الطريق والوصول إلى الهدف وهو أيضا عقلى فالاستعارة تصريحية وهى من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى . والثانية استعارة حال من كان فى الظلمات ومكث فيها فلم يخرج منها لحال الكفار الذين لم يهدهم الله تعالى فلم يخرجوا منها إلى نورالهداية فالهيئة المستعار منها مذكورة وهى حسية أما الهيئة المستعارلها غير مذكورة وهى عقلية والجامع بينهما هى عدم رؤية الطريق وعدم الوصول إلى الهدف وهو أيضا عقلى

فالاستعارة تصريحية وهى من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وإذا تأملنا فى هاتين الصورتين نرى فيهما من المزايا البلاغية ما نرى:

- قد م الله تعالى الموازنة فى صورة الاستفهام الإنكارى الذى يوحى عدم المساواة بين هذا وذاك وهذاالإيحاء يذهب بنا إلى حقيقة أن أصحاب الهداية أصحاب الدرجات العلى فلا يصل إليها الكفرة الذين حرموا هذاالنور فكما أن أصحاب النور وأصحاب الظلمات لايتساويان فهكذا لايستوى أصحاب الهداية وأصحاب الضلالة والكفر.
- قدم الله تعالى أحوال الكفرة الباقين فى كفرهم فى صورة تمثيلية حية ففى هذه الصورة تتراآى لنا أحوال الأموات الذين بقوا فى قبورهم ميتين كالمرآة لمعرفة أصحاب الكفر الذين بقوا فى كفرهم ولم تُرزق لهم حلاوة الإيمان فماتوا على تلك الحالة وهكذا قدم أحوال الكفرة الخارجين من كفرهم فى صورة تمثيلية حية ففى هذه الصورة تتراآى أمامنا أحوال الأموات الذين خرجوا من قبورهم أحياء بتوفيق الله تعالى وهذه الصورة كالمرآة لصورة أخرى وهى صورة المسلمين الذين كانوا فى ظلمات الكفر فخرجوا منها. وبما أن التصوير أمام المخاطبين فليس لهم حجاب من أن يفهموا التفاصيل التى أراد الله تعالى أن يفهّمهم.
- هذه الاستعارة أفادت أن المسلم حى عند الله تعالى وأما الكافر فميت وليس فى أعمال الكفار صلاح لا لهم ولا للناس الآخرين قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> ولقد جاء التّشبيه بديعاً : إذ جعل حال المسلم ، بعد أن صار إلى الإسلام ، بحال من كان عديم الخير ، عديم الإفادة كالميّت ، فإنّ الشرك يحول دون التّمييز بين الحقّ والباطل ، ويصرف صاحبه عن السّعي إلى ما فيه خيره ونجاته ، وهو في ظلمة لو أفاق لم يعرف أين ينصرف ، فإذا هداه الله إلى الإسلام تغيرّ حاله فصار يميّز بين الحقّ والباطل ، ويعلم الصّالح من الفاسد ، فصار كالحي وصار يسعى إلى ما فيه الصّلاح ، ويتنكّب عن سبيل الفساد ، فصار في نور يمشي به في النّاس . وقد تبيّن بهذا التّمثيل تفضيل أهل استقامة العقول على أضدادِهم[1132] .

- وهذه الاستعارة من أعلى الاستعارة لأنها صالحة للتجزئة أى لتشبيه الأجزاء بالأجزاء كما ذكرتها بالتفصيل فى استعارة أربع أشيئاء لأربع أشياء فاليراجع هناك.

وعبر الله تعالى عن تحمل أثقال الذنوب بتحمل أثقال الحمل فى قوله تعالى:"قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[1133] وفيه

استعارة تمثيلية استعير حال من يحمل أثقال الحمل لمن يحمل أثقال الذنوب [1134] والمذكور هنا الهيئة المستعارمنها فلاستعارة تصريحية وهى هيئة مدركة بحاسة البصر لأن الناس يدركون من يحمل أثقال الحمل ويحسون تعبه وأما الهيئة المستعار لها فهى غير مدركة بالحواس لأن حمل الآثام لاتدرك بالحواس والجامع بينهما ثقل الحملين أما حمل الأثقال فمن المحسوسات واما حمل الآثام فتخيل ثقله على نفس المؤمن وهو أيضا أمر عقلى لايدرك بالحواس فهذه الاستعارة من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ونلاحظ أن تحمل ثقل الذنوب شيئ متخيل وليس له وجود فى الخارج فهى استعارة تخييلية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الاية ما يلى:

- قدم الله تعالى المشقة الحاصلة من تحمل ثقل الذنوب فى صورة حية وهى صورة إنسان يحمل ثقل الحمل فكما أن ذلك الإنسان يحس بالتعب والمشقة فكذلك المذنب يحس بالحزن والتعب فهذه الصورة جاءت أمام المشاهد بكل تفاصيلها وتركت المجال للمتفكر أن يقتطف التفاصيل.
- وفى تقديم المعقول فى صورة المحسوس تقريب الصورة إلى الأذهان فالمشاهدون لايستطيعون أن يشاهدواحال الإنسان يحمل ثقل الذنوب فإذا ألحقت هذه الصورة بصورة محسوسة قربت إلى المشاهد لأ ن هذه الصورة جعلت ممكنا له أن يشاهد الصورة المتخيلة فى مرآة هذه الصورة المشاهدة بدون حائل .
- فى تسمية الإثم بالوزرإشارة إلى أن الإثم يكون ثقيلا على نفس المؤمن ويكون حزينا لهذاالثقل قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> وأمَّا تسمية الإثم وزراً فلأنَّه يتخيّل ثقيلاً على نفس المؤمن . فمعنى { لا تزر وازرة } لا تحمل حاملة ، أي لا تحمل نفس حين تحمل حمل أي نفس أخرى غيرها ، فالمعنى لا تغني نفس عن نفس شيئاً تحمله عنها ، أي كلّ نفس تزر وزر نفسها ، فيفيد أنّ وزر كلّ أحد عليه وأنَّه لا يحمل غيرُه عنه شيئاً من وزره الذي وزَره وأنَّه لا تَبعة على أحد من وزر غيره من قريب أو صديق ، فلا تغني نفس عن نفس شيئاً ، ولا تُتَّبع نفس بإثم غيرها ، فهي إن حَمَلت لا تحمل حِمل غيرها.[1135]

ويعبرالله تعالى عن هيئة عنة من تحملوا ذنوبهم بهيئة من يحمل حملا ثقيلا "قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى جاءتهم الساعة بغتة قالوا يحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما يزرون"[1136] فهذه استعارة تمثيلية فيه استعارة هيئة حمل الأثقال لهيئة حمل الذنوب بجامع الشدة والعنت فيهما. وقد ذكرت الهيئة المستعارمنها فهى استعارة تصريحية وهى صورة تدرك بحاسة البصر وأما الصورة المستعارلها فهى لاتدرك إلا بالعقل

والجامع هو احساس الشدة والعنت فيهما فهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى وبما أن حمل الأوزار من الأشياء المتخيلة ليس لها وجود فى الخارج فهى استعارة تخييلية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فيه تقريب الهيئة المتخيلة فى صورة الهيئة المتحققة لتقريبها إلى الأذهان فالناس عادة يميلون إلى الأشياء المتحققة فيفهمونها وأما الأشيئاء المتخيلة فلا يفهما إلا قليلون فالتعب الذى يجده المذنب ليس قليلا من الثقل الذى يتعب الوازر وهو يمر بهذه المرحلة المتعبة والله تعالى يريد أن يبين هذه الهيئة للناس كى يمتنعوا عن ارتكاب الذنوب فبينها فى الصورة المفهومة.
- ولايخفى توضيح الصورة فى صورة الاستعارة التمثيلية ففيها يتبين كل أجزء الهيئة أما م المشاهد فكأنها أمام أعين المشاهدين.
- وقد ازدادت الشدة فى تلهف المذنب ببيان حال حمل الأوزاربعد مشاهدة قيام الساعة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وجملة : { وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم } في موضع الحال من ضمير { قالوا } ، أي قالوا ذلك في حال أنّهم يحملون أوزارهم فهُم بين تلهّف على التفريط في الأعمال الصالحة والإيمان وبين مقاساة العذاب على الأوزار التي اقترفوها ، أي لم يكونوا محرومين من خير ذلك اليوم فحسب بل كانوا مع ذلك متعبين مثقلين بالعذاب.[1137]

- وفى هذاالتمثيل إحساس بالجمع بين المشقة الظاهرية بمشاهدة الصورة الهائلة وبين المشقة الروحية بمشاهدة حرمانه واستيجابه للجزاء الربانى.

وعبر الله تعالى عن طريق الهداية الموصل إلى الجنة بالصراط فى قوله تعالى:" قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"[1138] فاستعير الصراط لطريق الهداية بجامع الوصول إلى المطلوب فكما أن الناس يمشون على الطريق كى يصلوا إلى هدفهم فهكذا يُختار الهداية للوصول إلى معرفة الله تعالى ورضاه ومن المعلوم أن الطريق من الأشياء المحسوسة وأما طريق الهداية فشيئ يدرك بالعقل فقط ولا دخل للحس فيه وأما الجامع فأيضا لايدرك بالحواس فهو عقلى أيضا فهذه استعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى ولذكر المستعارمنه هى تصريحية وبما أن الاستعارة فى الاسم فهى أصلية. وفيه تشبيه حال الشيطان فى كونه حريصا فى المنع عن الوصول إلى الله تعالى فلا يكتفى بإلقاء الوساوس فى صدور الناس بل يسدالطريق الموصل إليه تعالى بالقعود فى وسط الطريق بحال من يقعد فى الطريق كى يمنع الناس عن الوصول إلى أهدافهم فهذه استعارة تمثيلية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- قرب طريق الهداية إلى أفهام الناس مع كونه معنويا لايدرك بالحس بإلحاقه بشيئ حسى وهو الصراط المشاهد عند عامة الناس.
- فى هذه الاستعارة مبالغة فى الحرص على منع الشيطان الناس عن الوصول إلى الله تعالى لأن الشخص يكتفى فى الحالات العادية بالمنع عن أى عمل باللسان والتفهيم ولكن إذا أراد أن يحرص كل الحرص فى المنع عن ذلك العمل قعد له فى الطريق الذى يُتوقع ذهابه من ذلك الطريق.
- قدم حرص الشيطان على منع خلق الله تعالى عن الوصول إليه تعالى فى صورة حية مشاهدة وكأنها أما م أعين الناس فيفهم أجزائها بكل تفاصيلها.

ثم قدم حرص الشيطان على منع الناس عن الوصول إلى الله تعالى فى صورة من يحيط عدوه من الجوانب الأربعة فيمنعه عن الحركة إلى أى جانب فقال تعالى:" ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ"[1139] فاستعير حال من يهجم على عدوه من الجوانب الأربعة فلا يترك لهم مخلصا للشيطن الذى يحيط الناس بوساوسه من الجوانب الأربعة فلا يترك لهم مخلصا كى يتخلصواإلى الله تعالى والجامع فيهما هوالمنع عن الوصول إلى الهدف. والهيئة المستعارمنها من الهيئآت المحسوسة وأما الهيئة المستعارلها فهى من الهيئآت المعقولة والجامع أيضا من الأمور المعقولة فهذه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. والمذكورهنا هى الهيئة المستعارمنه فالاستعارة تصريحية. وهذه الاستعارة تمثيلية لأن فيها استعارة الهيئة للهيئة رسم الله تعالى فيها حرص الشيطان فى صورة حية فتتراآى أمامنا صورة الناس يسدون الطريق لأعدائهم فيمنعونهم عن التحرك إلى أى جانب فيأتى عليهم من كل جانب من الجوانب الأربعة لمنعهم من وصولهم إلى أهدافهم وهذه الصورة فى الحقيقة مرآة لصورة أخرى وهى صورة حال الشيطان وهو حريص كل الحرص على أن يمنع خلق الله تعالى عن الوصول إلى الله تعالى فيأتى عليهم من الجوانب الأربعة ولا يترك لهم الطريق الموصل إلى الله تعالى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- رسم الله تعالى حرص الشيطن على منع العباد من الائتمار بأوامر الله تعالى فى صورة حية فجاء بصورة من يريد أن يمنع عدوه من التحرك فى أى جانب للوصول إلى هدفه فيهجم من هنا ومن هناك. وهذه صورة حية لأن الله تعالى يريد أن يبين شدة حرص الشيطان وهذه صورة مشاهدة أمام الناس يستطيعون أن يفهموا التفاصيل التى يريدون أن يفهموها بدون الحاجة إلى شرح صورة حال الشيطان لأن الصورة المستعارمنها واضحة جدا.
- ولايخفى ما فى هذه الصورة من المبالغة فى حرص الشيطان على منع العباد من عبادة الله تعالى لأن الذى يأتى على عدوه من كل جانب يكون

حريصا على منع العدو من الحركة بالحرية فهكذا الشيطان يوسوس فى قلوب الناس ويبالغ فى جده وكده. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وكما ضُرب المثل لهيئة الحرص على الإغواء بالقعود على الطريق ، كذلك مُثلت هيئة التّوسل إلى الإغواء بكلّ وسيلة بهيئة الباحث الحريص على أخذ العدوّ إذ يأتيه من كلّ جهة حتّى يصادف الجهة التي يتمكّن فيها من أخذه ، فهو يأتيه من بين يديه ومِن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتّى تخور قوّة مدافعته ، فالكلام تمثيل ، وليس للشّيطان مسلك للإنسان إلاّ من نفسه وعقله بإلقاء الوسوسة في نفسه ، وليست الجهات الأربع المذكوره في الآية بحقيقه ، ولكنّها مجاز تمثيلي بما هو متعارف في محاولة النّاس ومخاتلتهم ، ولذلك لم يذكر في الآية الإتيان من فوقهم ومن تحتهم إذ ليس ذلك من شأن النّاس في المخاتلة ولا المهاجمة.[1140]

- ثم فى استعارة المحسوس للمعقول إدناء الشيئ الصعب إلى أفهام الناس لأن المحسوس أقرب فهما من المعقول.

وقدم الله تعالى تمكنه من قلوب العباد وتصريفها كما يشاء فى صورة من يحول بين الشيئ والشيئ فى قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"[1141] ومعنى الحول انفصال الشيئ عن غيره وهو يستلزم أن يكون الذات الفاصل بين الشيئين من الأجسام والله تعالى منزه عن الأحوال اللازمة للأجسام وبالتالى فهو منزه من أن يفصل بين الشيئ والشيئ فهو من المجاز وبيانه أن هيئة من يحول بين الشيئ والشيئ قد استعيرت لتمكن الله تعالى من قلوب العباد وتصريفها كما يشاء فالاستعارة تمثيلية ومن أن المذكور هنا هى هيئة المستعارمنه ولم يذكر هيئة المستعارله فالاستعارة تصريحية. ومن المعلوم أن المستعارمنه من الهيئات المحسوسة وأما المستعارله فمن المعقولة لأن تمكن الله تعالى من قلوب العباد وتصريفها لا يدرك بإحدى الحواس الخمسة والجامع بينهما هو القرب لأن من يكون قريبا من شيئ يكون متمكنا من التصرف فيه والقرب عام من قرب جسمى وقرب معنوى فهو أيضامن الأمور المدركة بالعقل لا بالحس فهذه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. [1142] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- حيلولة الإنسان بين الشيئ والشيئ من الأمور التى تفهم بسهولة فإذا الحق بها الهيئة المعنوية التى لايعرفها عامة الناس صارت شيئا مفهوما بسهولة لديهم.

- قد م تمكن الله تعالى من قلوب العباد فى صورة حية فقربت إلى المشاهد بكل تفاصيلها بحيث يعرفها بنفسه دون أن يفهِّمه أحد وأيضا فيه حث وتحضيض على الفكر فى تفاصيل الصورة المتاحة الذى يعطى للمشاهد من اللذة لا تساويها لذة.
- الحيلولة بين الشيئين يستلزم القرب منهما وبالتالى فالحائل يستطيع أن يطلع عليهما ففى بيان إثبات الحيلولة حث على الإخلاص فى العمل قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"

> وجوز أن يكون المراد من ذلك الحث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها ، فمعنى يحول بينه وبين قلبه يميته فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهو التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله تعالى ، فكأنه سبحانه بعد أن أمرهم بإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام أشار لهم إلى اغتنام الفرصة من إخلاص القلوب للطاعة[1143]

ووازن الله تعالى بين المسجد الذى بُنى على صدق النية والإخلاص والمسجد الذى بنى للتفريق بين المسلمين فقال تعالى:"أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"[1144] شبه التقوى بالأرض الصلبة على الطريقة المكنية لأن من شأن الأساس أن تطلب له صلابة الأرض لدوامه واستقامته ورمزإلى المشبه به المحذوف وهو الأرض الصلبة بشيئ من ملائماته وهو التأسيس ثم اشتق منه "أسس" ففيه استعارة ترشيحية تبعية.قال صاحب التفسير المنير:"استعارة مكنية , حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يقوم عليها البناء , ثم حذف المشبه به و أشير إلى شيئ من لوازمه وهو التأسيس".[1145] والمستعار منه وهو الأرض الصلبة من الأشياء المحسوسة وأما المستعارله وهو التقوى فمن الأمور القلبية وهى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة فهى أمور عقلية وأما الجامع بينهما وهوالدوام والصلاحية لإقامة شيئ آخرأماالأرض الصلبة فصالحة لإقامة البنيان وأما التقوى فصالح لإقامة عمارة الدين عليه فهو أيضا من الأمور العقلية فهذه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

ثم فى الجملة الثانية من هذه الآية فهم بطريق المقابلة بين هذين المبنيين أن النفاق ونية الضرار والتفريق بين المسلمين مستعار له والجرف الهار مستعارمنه بطريق الاستعارة التصريحية و"فانهار ..." من ملائمات المشبه به فهو ترشيح ' وفيه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى' لأن النفاق من الأمور العقلية وأما رخاوة الأرض فمن الأمور المعقولة. والجامع بينهما هو عدم الثبات وعدم صلاحية شيئ لآخروهو أيضا من الأمور العقلية'قال العلامة

الآلوسى رحمه الله تعالى:" وفيه استعارة تصريحية تحقيقية حيث شبه الباطل والنفاق بشفا جرف هار في قلة الثبات ثم استعير لذلك والقرينة المقابلة ، وقوله تعالى : { فانهار بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ } ترشيح"[1146]

وتترتب على هذه الاستعارة الأخيرة استعارة تمثيلية وفهمت استعارة تمثيلية أخرى فى الجملة الأولى من هذه الآية بطريق المقابلة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وفرع على هذه الاستعارة الأخيرة تمثيل حالة هدمه في الدنيا وإفضائه ببانيه إلى جهنم في الآخرة بانهيار البناء المُؤسس على شفَا جُرف هارَ بساكنه في هوّة . وجعل الانهيار به إلى نار جهنم إفضاء إلى الغاية من التشبيه . فالهيئة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول وكذلك الهيئة المشبه بها . ومقصود أن البنيان الأول حصل منه غرض بانيه لأن غرض الباني دوام ما بناه . فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضى الله تعالى ولم يُذكر ما يقتضي خيبتهم فيه كما ذُكر في مقابله عُلم أنهم قد اتقوا الله بذلك وأرضوه ففازوا بالجنة ، كما دلت عليه المقابلة ، وأن البنيان الثاني لم يَحصل غرضُ بانيه وهو الضرار والتفريق فخابوا فيما قصدوه فلم يثبت المقصد ، وكان عدم ثباته مفضياً بهم إلى النار كما يفضي البناء المنهار بساكنه إلى الهلاك[1147]

فعلم من هذاالكلام أن فى هذه الآية استعارتين تمثيليتيين:

أما الاستعارة الأولى استعارة حال من يبنى عمارة رصينة على أساس رصين كى تكون دائمة وثابتة لحال من بنوا المسجد للتقوى وحصول رضوان الله تعالى فهى استعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

وأما الاستعارة الثانية فهى استعارة حال من يبنى بناء على أرض غير مستمسكة قريبة السقوط وهى تكون على جانب البئر غير المطوية فسرعان ماسقط البنيان ببانية فى تلك البئر لحال المنافقين الذين بنوا مسجداضرارا على أساس النية السيئة والنفاق وبما أن هذاالأساس ليس أساسا ثابتا بل أساسا هارافما ثبت هذاالبناء بل سقط ببانيه فى نارجهنم. فهذه استعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- قدم الله تعالى فلاح المؤمنين وهلاك المنافقين فى صورة حية ومن الممكن جدا للمخاطب أن يفهم الفلاح والهلاك من تلك الصورة وكأنهما أمام عينيه ولايخفى أن هذاالإفهام من الله تعالى ثابت بالدليل وهو أن ثبات المبنى المؤسس على الأرض الصلبة وعدم ثبات المبنى المؤسس على

الأرض المشرفة على السقوط خاصة إذا كانت مبنية على حرف مشرف على البئر غير المطوى أمر يعرفه عامة الناس فهكذا الصورتين الملحقتين بهاتين الصورتين.

- وفى هذه الاستعارة إشارة إلى حماقة المنافقين من بنائهم على أساس غير رصين لأن الناس يتفكرون أولا فى الأساس وصلبيته قبل البناء وأما المنافقون فقد بنوا مبناهم على الأساس الضعيف المشرف على السقوط.
- وهذه الاستعارة زادت أهمية النية فى الأعمال الصالحة لأنه لافرق بين العمارة والعمارة إلا بالنية فلحسن النية قد أفلح المؤمنون ولسوء النية خاب المنافقون.
- فى الترشيح فى الاستعارتين المتقدمتين من تقوّى الاستعارة لأن التأسيس من مقوى الأرض الصلبة والانهيار من مقوى الجرف الهار.

وبين الله تعالى من خباثات المنافقين أن من عادتهم أنهم لايمتنعون عن السعى بالنمائم بين المسلمين فخروجهم إلى الغزوة لايزيد إلا فسادا فقال تعالى:"لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"[1148] وقد عبر الله تعالى عن السعى بالنمائم بين المسلمين بالإيضاع وأصل العبارة ولأوضعوا ركائبهم بينكم بالنميمة ومعنى الإيضاع حمل الإبل على سرعة اليسر قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" الايضاع سير الابل يقال : أوضعت الناقة إذا أسرعت وأوضعتها أنا إذا حملتها على الإسراع"[1149] ففى هذه الآية" شبه سرعة إفسادهم ذات البين بالنميمة بسرعة سير الراكب ثم استعير لها الإيضاع وهو للإبل"[1150] فالاستعارة فى كلمة أوضعوا حسب كلام التفسير المنير ومن هنا فالاستعارة تصريحية وأما حسب كلام العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى فهى مكنية قال رحمه الله تعالى:" وفي الكلام استعارة مكنية حيث شبهت النمائم بالركائب في جريانها وانتقالها وأثبت لها الأيضاع على سبيل التخييل ، والمعنى ولسعوا بينكم بالنميمة وإفساد ذات البين"[1151] فكلمة"الركائب" وإن لم تذكر ولكنها ملحوظة ثم خُيِّل الإيضاع للنمائم مع أن الإيضاع لايكون إلا للركائب وهو غير محقق فى النمائم فالاستعارة هنا تخييلية.

ولكن إذا وضعنا كلام ابن عاشوررحمه الله تعالى فالاستعارة تمثيلية لأن فيها تشبيه حال المنافقين بحال من يحمل ناقته على سرعة السير وبما أن المذكور هنا حال الحامل ناقته على السرعة وهو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وهو هنا تمثيل لحالة المنافقين حين يبذلون جهدهم لإيقاع التخاذل والخوف بين رجال الجيش ، وإلقاء الأخبار الكاذبة عن قوّة العدوّ ، بحال من يُجهد بعيره بالسير لإبلاغ خبر مهمّ أو إيصال تجارة لسوق" [1152] وهذه الحالة حالة محسوسة وأما السعى بالنمائم فحالة لاتدرك بالحواس فهى عقلية والجامع بينهما هو الكد العظيم لحصول الغاية وهو أيضا من الأمور

العقلية فهذه الاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة من المبالغة فى السعى مالايخفى لأن من يسرع ركائبه للوصول إلى الغاية المحدودة فيبذل كل جهده فى هذاالمطلوب فإذااستعير هذه الهيئة لحال النمام حصل له نفس الوصف فهو يرى كأنه يسرع ركائب النميمة إلى أقصى حد ويبذل فيه كل الجهد.
- ثم فى استعارة تمثيلية قدم حال المنافقين فى صورة حية بحيث يمكن للمشاهدين التقاط المعلومات التى يحتاجونها بدون احتياج إلى أى تفصيل آخر من المتكلم فالصورة أمامه وعنده قوة التفكير فيحصل من المعلومات بقدر تفكيره مع ما فيه من اللذة أى لذة التفكير مالاتساويها لذة فى الدنيا.
- ولايخفى مافى هذه الصورة من هوان المنافقين وبالتالى هوان النمام لأنه يعدو هناوهناك مع معاناة مشقة سحب مطايا النميمة معه وسحب هذه المطايا وبذل الجهد فى سبيل هذاالسحب أمر مستقبح عند الناس.
- وفى تخييل الاستعارة من قوة الاستعارة وتأكيدها ما لايخفى لأن فيه تناسى المستعارله وهو ركائب النمائم لأنه قد أثبت لها ملائمات المستعارمنه فكأن المستعارله هو المستعار منه.
- وتوحى كلمة"خلالها" أن النمامين يكونون بينهم قريبون جدامنهم لاأنهم ينمون من بعيد ولايخفى أن النميمة من قريب أكثر خطرا بالنسبة إلى النميمة من بعيد.

وصور الله تعالى كون كل الدواب الموجودة على الأرض فى قبضة الله تعالى فى قوله تعالى:"إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[1153] فصوره فى صورة من يقود دابة بناصيتها وهى مقدورة له ففيه استعارة تمثيلية قد استعير صورة من يقود دابة بناصيتها لصورة الخلق وهم فى قبضة الله والجامع بينهما هو المقدورية فى كل واحد منهما. وبما أن المذكور هى صورة الأخذ بالنواصى وهى صورة مستعارمنها فالاستعارة تصريحية. وثم صورة الأخذ بالنواصى من الصور الحسية وأما صورة مقدورية الدواب على الأرض من الأمور العقلية والجامع أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.[1154]

- المبالغة فى الانقياد لأن الدابة التى تكون ناصيتها فى يد القابض تكون منقادة كل الانقياد فإذاألحق المخلوقات الموجودة على الأرض بتلك الدابة انتقل الانقياد منها إليها بطريق المبالغة ولايخفى أنه لاخيرة للمخلوقات فى أعمالهم بل لابد أن تكون تابعة لأوامر الله تعالى كما لاتختار الدابة المنقادة للآخذ.

- وهذاالانقياد وهذه المقدورية قد قدمها فى صورة حية موجودة أمام المشاهد فيتفكر فيها ويلتقط التفاصيل الموجودة فى تلك الصورة.
- ولايخفى أن الله تعالى قرب الصورة المعقولة إلى أفهام الناس بإلحاقها بصورة محسوسة وهذاالتقريب على سبيل المبالغة كما مر.

وبين الله تعالى قيادة فرعون قومه إلى ما يهلكهم فيقذفهم فى نارجهنم فقال تعالى:" يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ"[1155] فيه استعارة الماء الذى يورد فى مورده للنار فهذه استعارة مكنية ورمز له بشيئ من لوازمه وهو الورود على سبيل التخييل ففى أورد استعارة تخييلية تبعية والجامع هو الورود قال صاحب التفسير المنير:"استعارة مكنية شبه النار بماء يورد وحذف المشبه به ورمز له بشيئ من لوازمه وهو الورود , وشبه فرعون فى تقدمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إلى الماء للرى من العطش".[1156] ولاحظنا أن كلا من النار والماء والورود من الأمور العقلية فهى استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ويمكن أن تكون الاستعارة تمثيلية تصريحية لأن وجه الشبه منتزع من متعدد وهو تقدم القائد على قومه وإيرادهم إلى أى موضع. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وجوز أن يقال : إنه شبه فرعون بالفارط وهو الذي يتقدم القوم للماء ففيه استعارة مكنية ، وجعل اتباعه واردة وإثبات الورود لهم تخييل ، وجوز أيضاً جعل المجموع تمثيلاً"[1157] فالصورة المستعارمنها هى صورة تقدم القائد على قومه وإيرادهم إليه والصورة المستعارلها هى صورة تقدم فرعون على قومه وإيرادهم إلى النار لأنه تسبب لهلاكهم. والجامع بينهما قيادة القوم فى أمر وإيصالهم إليه. فالصورة المستعارمنها هى المحسوسة والصورة المستعارلها هى المعقولة والجامع أيضا عقلى فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى . وهذه استعارة تهكمية لأن الإيراد لايكون إلا إلى الماء للرى من العطش وبالتالى فهو إلى الموضع الذى يكون مفيدا للقوم وهذا يدل على إخلاص القائد ولكن هنا يقذفهم فرعون فى المهلكة. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة تهكم بهم وبفرعون لأن من فرائض القائد قيادتهم إلى ما يفيدهم ولكن هنا قاد فرعون قومه إلى موجبات الهلاك ولذا نسب الإيراد إليه.
- وعلم من هذه الاستعارة أن سبب ضلال قوم فرعون وهلاكهم هو فرعون فهو أرشدهم إلى الأمور التى صارت سببا لضلا لهم وبالتالى لوصولهم إلى نارجهنم.
- فى تخييل الورود من تقوى الاستعارة مالايخفى.
- والإيراد يكون فى الآخرة لأنه هو الإيراد إلى نار جهنم وهو سيكون فى المستقبل فالبلاغة فى إيراد صيغة الماضى هو تحقق الوقوع قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" والمراد من أوردهم يوردهم ، والتعبير به دونه

للإيذان بتحقق وقوعه لا محالة ، والقول : بأنه باق على حقيقته والمراد فأوردهم في الدنيا النار أي موجبها وهو الكفر ليس بشيء"[1158]

ويبين الله تعالى أنه ذوقدرة واسعة ولايخرج شيئ من قدرته وسلطانه "ويشبه قدرته تعالى على كل شيئ بالخزائن المودع فيها الأشياء ويخرج منها كل شيئ على وفق حكمته"[1159] فيقول تعالى:"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ"[1160] فى هذه الآية استعارتان؛ الاستعارة الأولى فى " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ" والاستعارة الثانية فى" وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ". أما الاستعارة الأولى فشبه فيها الأحوال والأمور التى يتصرف فيها الله تعالى بالأشياء المخزونة على سبيل الاستعارة المكنية والجامع بينهما هو وجود القدرة والتصرف فى الشيئ ورمز إلى المشبه به بـ"الخزائن" على سبيل الاستعارة التخييلية والمستعارمنه وهو الأمور المتصرف فيها من الأمور العقلية لاتدرك بالحواس وأما الأمور المخزونة فتدرك بحاسة البصر والجامع من الأمور المعقولة فهذه استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وتتولد من هذه الاستعارة هيئة مشبهة بهيئة أخرى فالاستعارة تمثيلية قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" والخزائن تمثيل لصلوحية القدرة الإلهية لتكوين الأشياء النافعة . شبهت هيئة إيجاد الأشياء النافعة بهيئة إخراج المخزونات من الخزائن على طريقة التمثيلية المَكنية ، ورُمز إلى الهيئة المشبّه بها بما هو من لوازمها وهو الخزائن"[1161] وفى صورة الاستعارة التمثيلية هى استعارة تصريحية.

وأما الاستعارة الثانية فهى فى الضمير فى " ننزله" على سبيل الاستعارة المكنية والتنزيل تخييل لها واشتق منه"ننزل" على سبيل الاستعارة التخييلية التبعية وتتزتب عليها استعارة تمثيلية شبه فيها تمكين الناس من الأمور التى خلقها الله تعالى لنفعهم بإنزال شيئ من علو باعتبار أنه من العالم اللدنى والجامع بينهما هو إمكان التصرف من الأمور والأشياء فهى استعارة تمثيلية شبهت فيها الهيئة بالهيئة. والهيئة المشبه بها من الأمور المحسوسة وأما الهيئة المشبهة فمعقولة والجامع أيضا من الأمورالمعقولة فهى استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهى استعارة تصريحية لأن المذكور هو المستعارمنه. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدمت التفاصيل المقصودة فى صورة حية التى جعلت المشاهد أن يقتطفها فتتراآى أمامه صورة حجز الإنسان عن التصرف فى الأمور التى جعلها الله تعالى خاصة لنفسه وجعلها فى خزانة قدرته المقفلة واختار نفسه لمفاتيحها ثم أزال ذلك العائق بفتح تلك الخزائن ونقل المخزونات إلى حيث أمكن للعباد الوصول إليها وأجازلهم أن يتصرفوا فيها.
- فى ذكر تنزيل الأشياء المخزونة إشارة إلى إمكان التصرف فى الأشياء التى كان التصرف فيه صعبا لأن كون الشيئ فى الخزائن المغلقة يوحى

أنها مصونة من التصرف فيها ثم بما أن الخزائن مع الله تعالى فهى تعد كأنها فى الأعالى فإذا نزّلها الله تعالى صارت مع الناس وهذا أمكن لهم أن يتصرفوا فيها.

- والهيئة المذكورة أوحت أن الله تعالى قادر على الأشياء كلها والناس عنها بحيز كما أن صاحب الكنز لايبعد عنه شيئ فهو يقدر على التصرف فيها كما شاء ومتى شاء وأما الناس الآخرون فهم لايستطيعون إلا أن يفتح لهم صاحب الكنز ومفتاحه وتنزيل هذه الآشياء مثل فتح الكنز.قال صاحب التفسير المنير:" استعارة تخيلية وتمثيل لكمال قدرته , شبه قدرته تعالى على كل شيئ بالخزائن المودع فيها الأشياء ويخرج منها كل شيئ على وفق حكمته"1162
- وإطلاق الخزائن يوحى أن الأشياء التى هى عند الله تعالى غالية لأن الأشياء المخزونة تكون غالية غالبا ولذا فهى تكون مصونة عن تصر ف الآخرين وهو لايجيز لهم أن يدخلوها فيتصرفوا فيها كما يشاء.

منع الله تعالى نبيه من التحديق بالنظر نظر الإعجاب إلى الكفار مما هم فيه من حسن الحال فى رفاهية عيشهم مع كفرهم فقال تعالى:"لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ"[1163] فعبر الله تعالى عن التحديق المذكوربمد العينين إلى ما متع الله تعالى به أزواجا منهم وفى هذه الآية استعارتان تمثيليتان؛ الأستعارة الأولى فى قوله " لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ" والاستعارة الثانية فى قوله" وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ"

أما الاستعارة الأولى فشبه فيها العينين باليد بجامع وصول كل واحد إلى الهدف على سبيل الاستعارة المكنية وثبت لها المد على سبيل التخييل لأن المد فى الأصل "الزيادة وأطلق على بسط الجسم وتَطويله . يقال : مَدّ يده إلى كذا ، ومدّ رجله في الأرض . ثم استعير للزيادة من شيء . ومنه مدد الجيش ، ومدّ البحر ، والمد في العمر . وتلك إطلاقات شائعة صارت حقيقة"[1164] واشتق من المد فعل النهى على سبيل الاستعارة التبعية وتتكون هنا استعارة تمثيلية باستعارة الهيئة بالهيئة فاستعيرت فيها هيئة مد اليد إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيها له بمد اليد للمتناول بجامع وصول كل واحد إلى الهدف وكل واحد من المستعارله والمستعارمنه من الأمور المحسوسة وأما الجامع فهو من الأمور العقلية فهى من استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى. وبما أن الهيئة المستعارمنها هى المذكورة فالاستعارة تصريحية.

وأما الاستعارة الثانية فهى استعارة الجناح للجانب على سبيل الاستعارة التصريحية ورمز إليه بما يلائم المشبه به على سبيل الترشيح وهو إثبات الخفض ثم اشتق منه فعل الأمر على سبيل الاستعارة التبعية. وبما أن فيها

استعارة الهيئة بالهيئة فهى استعارة تمثيلية شبهت فيها صورة اللين مع الأبوين والمسالمة معهما بصورة طائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو وإذا إراد أن يلاعب أنثاه والجامع بينهما هو اللين والمسالمة قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع خفض جناحه يريد الدنوّ ، وكذلك يصنع إذا لاعب أنثاه فهو راكن إلى المسالمة والرفق ، أو الذي يتهيأ لحضن فراخه"[1165] وبما أن المذكور هنا هى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى صورة الاستعارة التمثيلية قدمت النصيحة بصورة حية التى تقرب صورة المستعارله إلى أفهام المخاطب فتريه أن مد اليد يكون للحصول على الشيئ المطلوب مع التمنى الراسخ فى قلب الماد فهو يصر على طلب ذلك الشيئ ففى مرآة هذه الصورة يرى أن الكفار عندهم من الأموال الموهوبة من الله تعالى وهى زينة الحيوة الدنيا فلا ينبغى لأحد أن يمد العينين مد الطموح والإصرار على حصول ذلك الشيئ. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> واستعير المدّ هنا إلى التّحديق بالنظر والطموح به تشبيهاً له بمدّ اليد للمتناول ، لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم ، أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتّبعوا ما آتيناك ولكنّهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم[1166]

- ونلاحظ أن إثبات المد للعينين وهو من ملائمات المستعارمنه وإثبات الخفض للجناح وهما من ملائمات المستعارمنه يقوى الاستعارة لأن فيه تناسى المستعارله من كل الوجوه فكأن المستعارمنه هو المستعارله.
- وهكذا قدمت النصيحة باللين والمسالمة مع الأبوين فى صورة حية تترشح منها المطالب التى قصدت من الله تعالى فيتراآى أما م مشاهد هذه الصورة أن الطائر حينما يخفض جناحه يكون قلبه معمورا بحب الأفراخ وهكذا عند الملاعبة مع الأنثى يخفض جناحه ومن حين الملاعبة تترشح نزعة الحب فإذا استعيرت هذه الصورة لخفض الجانب انتقلت هذه الأشياء بتمامها' فلابد أن يكون قلب المخاطب معمورا بحب المؤمنين ويكون خاليا من الشدة والشقاوة. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع خفض جناحه يريد الدنوّ ، وكذلك يصنع إذا

> لاعب أنثاه فهو راكن إلى المسالمة والرفق ، أو الذي يتهيأ لحضن فراخه . وفي ضمن هذه التمثيلية استعارة مكنية ، والجناح تخييل . وقد بسطناه في سورة الإسراء في قوله :"واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة" [سورة الإسراء : 24] وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثَل في التواضع واللّين في المعاملة . وضد ذلك رفع الجناح تمثيل للجفاء والشدّة[1167]

- وأيضا أن الأفراخ تكون محتاجة إلى عون الطائر فهو معين لها مع الحب هكذا المؤمنون محتاجون إلى العون المشوب بالحب ولذا قال تعالى حينما أوصى الأولاد بإطاعة الوالدين "إما يبلغن عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما" لأن زمن الكبريكون محاطا بالمصائب لعجز الوالدين وهما يحتاجان العون وفى نفس الوقت تأتى فى طبيعتهما الشدة والغضب والحرمان.

وهكذاالاستعارة فى قوله تعالى:"وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"[1168] كمافى الاستعارة التمثيلية الثانية فلا داعى أن أعيد شرحها. و جاءت نفس الاستعارة فى قوله تعالى:" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[1169] وقدمر التفصيل المتعلق بشرح الاستعارة وأكتفى ببعض الأمور المتعلقة بالمزايا البلاغية وأضيف فيها بعضا آخر.

- فى هذه الآية ذكرت كلمة الذل وهى تدل على المبالغة فى التواضع قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> ثم ارتقى في الوصية بالوالدين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعاً يبلغ حد الذل لهما لإزالة و حشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما.والقصد من ذلك التخلق بشكره على أنعامهما السابقة عليه .وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللا[1170]

- قد صور التواضع فى هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذيخفض جناحه متذللا ' وهى صورة حية تترشح منها كل الأجزاء المطلوبة.

وبين الله تعالى حال قوم قد مكروا لحصنهم وجمعوا قوتهم واطمئنوا على ذلك ولكن لا اطمئنان من عذاب الله تعالى فدمر ديارهم وخرب بنيانهم فقال تعالى:" قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ

فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ"[1171] شبه الله تعالى نفسه قاصدا للانتقام بالجائى نحو المنتقم منه مع أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لا حاجة إلى أن يذهب إلى المنقم منه فاستعير المجيئة نحو المنتقم منه للقاصد للانتقام على سبيل الاستعارة التصريحية واشتق منه "أتى" على سبيل الاستعارة التبعية والإتيان من الأمور المحسوسة وأما القصد فمن الأمور المعقولة لأن الإرادة من أعمال القلوب والجامع بينهما هو الارتكاز على الشيئ المقصود وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وبما أن فى هذه الآية استعارة الهيئة للهيئة فالاستعارة تمثيلية قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية شبه حال الماكرين بحال قوم بنوا بنيانا ثم انهدم عليهم وأهلكهم ووجه الشبه أن ما ظنوه سببا لحمايتهم كان سببا فى فنائهم"[1172] وقال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"

> ومن مجموع هذه الاستعارات تتركّب الاستعارة التمثيليّة . وهي تشبيه هيئة القوم الّذين مكروا في المنعة فأخذهم الله بسرعة وأزال تلك العزّة بهيئة قوم أقاموا بنياناً عظيماً ذا دعائم وآووا إليه فاستأصله الله من قواعده فخرّ سقف البناء دفعة على أصحابه فهلكوا جميعاً . فهذا من أبدع التمثيليّة لأنها تنحلّ إلى عدّة استعارات"[1173]

فالبنيان مستعار للقوة والعزة والمنعة وعلو القدر. والخرور : السقوط والهويّ وهو مستعارلزوال ما به المنعة واشتق من فعل ماض"خر" والسّقف : حقيقته غطاء الفراغ الذي بين جدران البيت ، يجعل على الجدران ويكون من حَجر ومن أعواد ، وهو هنا مستعار لما استعير له البناء. وذكر القواعد وهو الأسس والأساطين التى تجعل عمدا للبناء يقام عليها السقف تخييل أو ترشيح. والمذكور فى هذه الاستعارة الهيئة المستعار منها فالاستعارة تصريحية. والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- من ذكر المكر يترشح الاطمئنان فمن مكر خلاف الآخر يكون مطمئنا بنفسه من شرور ذلك الآخر لأنه يكون غافلا فى معظم الأحيان فهكذا فى هذه الصورة الماكر مطمئمن من عذاب الله تعالى ووجود الاطمئنان فى قلوبهم يزيد فى الهيبة والهول فى الصورة لأن الذى يرجو العذاب لايكون ثقيلا عليه وأما الذى لايرجوه يثقل عليه.
- قد م الله تعالى الزوال فى صورة حية التى قد أمكنت للمشاهد أن يفهم كل هدفه بكل سهولة فهو يرى صورة من بنى لوقايته وللمكر ضد الآخرين بنيانا رصينا الذى لايمكن لأحد أن يهدمه ويضر أهله فهو آمن كل الأمن من هجمات العدوولكن صدفة يتضعضع قواعده وينهدم على أهله فيهلكون تحت سقفه وهو يرى أن البنيان الذى قد بنى للوقاية صار سببا

للهلاك وهكذا قد تآمر الأعداء ضد المسلمين ورسل الله تعالى وكانوا مطمئنين من عذاب الله تعالى مع أنه لا يمنع عذاب الله تعالى مانع فأمر الله تعالى بهلاكهم فهلكوا وصارت مؤامراتهم سببا لهلاكهم فى الدنيا والأخرة.

- قد صورالله تعالى قصده لتدمير قوم وصب العذاب عليهم فى صورة محسوسة فقد قربها إلى أفهام العباد مع بيان ما فيها من الهيبة والخوف فكأن المشاهد لهذه الصورة يرى كل شيئ من عذاب الله تعالى ونقمته أمام عينيه ففيه تقريب إلى أفهام المخاطبين وفى نفس الوقت فيه تخويف مشاهدة قدرة الله تعالى فى صورة حية.
- وفى ترشيح القواعد من تقوى الاستعارة كما لايخفى فامتدت الصورة المستعار لها بإثبات ملائمات المستعارمنه.
- وفى هذاالتمثيل إشارة إلى أن الإنسان يبحث فلاحه فى الوسائل الدنيوية ولكن نفس الوسائل تصيرسببا لهلاكهم قال العلامة النسفى رحمه الله تعالى:"

> وهذا تمثيل يعني أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين ، فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ، والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بني الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا"[1174]

وصورالله تعالى جعل أمر الدين قطعا فى صورة جماعة تتوزع الشيء وتقسمه فيما بينهم فقال تعالى:" وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ"[1175] ففيه استعارة هيئة جماعة وزعت الشيئ وقسموه فيما بينهم للذين جعلوا أمردينهم قطعا فالاستعارة تمثيلية قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:

> والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً ، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه ، فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب ، تمثيلاً لاختلافهم فيه ، وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى . ثم توعدهم بأنّ هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون ، فهو محاسبهم ومجازيهم"[1176]

والهيئة المستعارمنها هى صورة جماعة قسمت الشيئ والمستعارلها هى صورة الذين قسموا أمردينهم والجامع هو التفرق فى الأمور والمذكور هنا الصورة المستعارة فهى استعارة تصريحية. نلاحظ أن التفرق فى أمور الدين من الأمور المعقولة وأما توزع الجماعة فمن الأمور المحسوسة والجامع أيضا

عقلى فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم التفرق فى أمر الدين فى صورة حية فلفتت أنظار المشاهد إليها فصارت سهلة الفهم فهى أمام الرؤية ومن الممكن جدا للرائى أن يلتقط النقاط التى يحتاج إليها.
- ثم هذاالتقديم فى صورة محسوسة بعد أن كان فى صورة معقولة ففهم الصورة المحسوسة أقرب فهما من المعقولة.
- وفى تفريق الجماعة الشيئ لايمكن أن يصير الشيئ المتفرق راجعا إلى حالته الأصلية فكذا فى أمور الدين لا يمكن أن يتفقوا على أمر بعد التفرقة فيه.

وبين الله تعالى الجزاء للكفار فى نارجهنم وعبر عن العذاب المحيط بهم كإحاطة الثوب بلابسه فقال تعالى:"هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ"[1177] ففيه "استعارة عن إحاطة النار بهم كإحاطة الثوب بلابسه" [1178] فالاستعارة هنا تمثيلية شبهت الهيئة بالهيئة أما الهيئة المستعارمنها فهى هيئة إحاطة الثوب بكل بدن لابسه وأما الصورة المستعارلها فهى صورة إحاطة النار بالكفار أما إحاطة الثوب باللابس فشيئ محسوس بحاسة البصر ولكن إحاطة النار بمن فيها من الأمور المعقولة والجامع بينهما هو الإحاطة وهو أيضامن الأشياء المعقولة لأنها لاتدرك بالحواس فى إحاطة النار بمن فيها فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. والصورة المستعارمنها هى المذكورة لأن المذكور صورة ثياب النار والنار مشبه بمايتخذ منه الثياب على سبيل الاستعارة المكنية وثياب تخييل لأنه من ملائمات المشبه به ولكن كونت من هذاالتركيب صورة المستعارمنه فالاستعارة تصريحية. والاستعارة هنا تهكمية لأن اللباس يكون لإراحة البدن وأما هنا فلتعذيب البدن قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وكأنه شبه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثتهم ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكمية"[1179] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى هذه الاستعارة تهكم بالذين يعذبون فى النار لأن مقصد اللباس هو إراحة البدن كما قلت وهنا لتعذيب البدن ثم فيه إشارة إلى أن أقرب شيئ إلى جسم هو اللباس وهو الذى يمنع الجسم عن أثر الحر والبرد والتأذى فكذا ثياب النار لن تترك الشيئ المريح إلى الجسم ثم هذه الثياب تكون مؤذية للجسم لأنه لاحائل بينها وبين الجسم فلا مانع من حرارته شيئ فيأتى حرها مباشرة إلى الجسم. وفى كونها لباسا للجسم أيضا إشارة إلى

أنها لاتنفك عن الجسم فى وقت من الأوقات فالعذاب يكون متواصلا بدون الانقطاع.

- ثم لايخفى أن الثوب يكون واحدا فصيغة الجمع للإيذان بتراكم النار المحيطة بهم وكون بعضها فوق بعض.ففيه مبالغة فى شدة العذاب.

ويبين الله تعالى قباحة اليهود بأنهم يتهمون على الله تعالى بالبخل ويعبر عن اتهامهم بالبخل بمغلولية اليد فى قوله تعالى:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ[1180]

اعلم أن فى هذه الآية استعارتان تمثيليتان:الاستعارة الأولى فى قوله تعالى يد الله مغلولة فاستعيرت صورة من شدت يده لصورة من يبخل فلايبذل ماله فى الأمور الخيرية وبما أن هنا استعارة صورة لصورة فالاستعارة تمثيلية ولذكر الصورة المستعارمنها وهى صورة غل اليد فهى استعارة تصريحية وهذه الصورة من الصور المحسوسة وأما الصورة المستعارلها وهى صورة إمساك اليد عن البذل فى الأمور الخيرية فهى الصورة المعقولة والجامع وهو عدم إنفاق المال وهوأيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- وفى هذه الاستعارة من المبالغة ماليست فى الكلام العادى لأن قولك "فلان بخيل" يختلف عن قولك "يداه مغلولة " لأن فى الصورة الأولى يمكن أن يبذل فى الأمور الخيرية ولولم يكن بطيب نفسه منه لأن البخيل قد يضطر إلى بذل المال فيبذل ولولم يشأ ذلك وأما فى الصورة الثانية فاليدان محبوستان عن الحركة فهو لايستطيع أن يحرك يديه ولوأراد ذلك فإذا وصف أحد بغل اليد فهذا وصفه بالبخل على طريق المبالغة.
- فيه تقبيح اليهود وإشارة إلى سخافة عقولهم لأنهم وصفوا الله تعالى بأقبح صورة من البخل لأن الذى تشد يده لايستطيع أن يبذل ماله ولو شاء ذلك فكأن الله تعالى فى زعمهم محبوس إلى حد أنه تعالى لايستطيع أن يبذل المال ولوشاء ذلك.
- وفى التعبير بالجملة الاسمية إشارة إلى الاستمرار فكأنهم يصفون بالبخل المستمر الذى يكون من الأخلاق الذاتية التى لاتنفك فى حال من الأحوال.

وأما الاستعارة الثانية ففى إثبات البسط لليدين ردالزعم اليهود فقال تعالى:"بل يداه مبسوطتان" وهى أيضا تصريحية ومن المحسوس للمعقول

بجامع عقلى مثل الاستعارة الأولى تماما. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه مبالغة فى وصف الله تعالى بالكرم لأن المذكور هنا هو البسط الذى لابسط بعده وهو يدل على استمرار البذل والإنفاق لأن فيه انتفاء الإمساك على الإطلاق.
- رد الله تعالى زعم اليهود فى غل يد الله تعالى فى نفس الأسلوب وهوالتعبير بالجملة الاسمية ففيه إشارة إلى ان البخل ليست من صفات الله تعالى بل الكرم والجود الذى ليس فوقه كرم وجود من الصفات المستمرة لله تعالى فهى من الأخلاق الذاتية التى لاتنفك فى حال من الأحوال.

وهكذا قدم الله تعالى البخل والإسراف فى استعارتين تمثيليتين فى قوله تعالى:"وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[1181] قال صاحب التفسير المنير:" استعارة تمثيلية مثل للبخيل الذى حبس يده عن العطاء بمن شدت يده إلى عنقه, بحيث لا يستطيع مدها وشبه السرف ببسط الكف , حيث لاتمسك شيئا".[1182] فأما الاستعارة الأولى ففى غل اليد إلى العنق فقداستعيرت صورة من غل يده إلى عنقه بحيث لايستطيع بسطها لصورة من أمسك عن إنفاق المال فالصورة المستعارمنها هى المذكورة هنا فالاستعارة تصريحية وهى صورة محسوسة وأما الإمساك عن الإنفاق فصورة معقولة والجامع بينهما وهو عدم الإنقاق أيضا من الأمورالمعقولة فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

وأما الاستعارة الثانية ففى إثبات البسط لليدين ففيه استعارة بسط اليدين لبذل الإنسان المال على سبيل الإسراف وهى أيضا تصريحية ومن المحسوس للمعقول بجامع عقلى مثل الاستعارة الأولى تماما. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة من المبالغة ماليست فى الكلام العادى لأن قولك "فلان بخيل" يختلف عن قولك "يداه مغلولة " لأن فى الصورة الأولى يمكن أن يبذل فى الأمور الخيرية ولولم يكن بطيب نفسه منه لأن البخيل قد يضطر إلى بذل المال فيبذل ولولم يشأ ذلك وأما فى الصورة الثانية فاليدان محبوستان عن الحركة فهو لايستطيع أن يحرك يديه ولوأراد ذلك فإذا وصف أحد بغل اليد فهذا وصفه بالبخل على طريق المبالغة.
- صور الله تعالى البخل فى أقبح الصور لأن البخل وصف أقبح من أول الأمر وأما الإسراف فهو قبيح باعتبار النتيجة وهى التحير والحزن لأجل الفاقة' قال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى:

وحيث كان قبحُ الشحِّ مقارناً له معلوماً من أول الأمر رُوعيَ ذلك في التصوير بأقبح الصور ، ولمّا كان غائلةُ الإسراف في آخره بُيِّن قبحُه في أثره فقيل : { فَتَقْعُدَ مَلُومًا } أي فتصيرَ ملوماً عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك إذا احتجتَ وندِمْت على ما فعلت { مَّحْسُوراً } نادماً أو منقطعاً بك لا شيءَ عندك من حسَره السفرُ إذا بلغ منه[1183].

- وتزداد المبالغة فى الشح والبخل بغل اليد إلى العنق لأن بشدها إلى العنق يتعذر التصرف بها قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

فإذا غُلت اليد إلى العنق تعذر التصرف بها فتعطل الانتفاع بها فصار مصدر البذل معطلاً فيه ، وبضده مُثِّلَ المسرف بباسط يده غاية البسط ونهايته وهو المفاد بقوله : كل البسط } أي البسطَ كله الذي لا بسط بعده ، وهو معنى النهاية[1184]

- قدم الله تعالى كراهة الإسراف فى صورة حية كأنها أمام الناس وهم ينظرونها بكل تفاصيلها لأن فيه تشبيه

حال من أنفق كلَّ ماله بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته؛ لأنَّ ذلك المقدار من المال ، كأنَّه مطيَّة تحمل الإنسان إلى آخر السَّفر ، كما أن ذلك البعير يحمله إلى آخر منزله ، فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطَّريق عاجزاً متحيِّراً ، فكذلك إذا أنفق الإنسان مقدار ما يحتاج إليه في مدَّة شهر ، بقي في وسط ذلك الشهر عاجزاً متحيراً ، ومن فعل هذا ، لحقه اللَّوم من أهله والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره ، وترك الحزم في مهمَّات معاشه"[1185].

ويمثل الله تعالى حال صرف قوة الشيطان ومقدرته على الإضلال بحال قائد الجيش يجمع فرسانه ورجالته فقال تعالى:"وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا" [1186] قال صاحب التفسير المنير:

استعارة تمثيلية , شبه حال الشيطان فى تسلطه على الغا وين بالفارس الذى يصيح بجنده للهجوم على الأ عداء للغارة عليهم"[1187] ومعنى الاستفزاز طلب الفز وهو الخفة وترك التثاقل وأما معنى الإجلاب فهو جمع الجيش وسوقه وهو مشتق من الجَلَبة بفتحتين ، وهي الصياح ، لأن قائد الجيش إذا أراد جمع الجيش نادى فيهم للنفير أو للغارة والهجوم.[1188]ففى هذه الآية تشبيه الهيئة المنتزعة من عدة أمور بالهيئة المنتزعة من عدة أموروالهيئة المستعارمنها هى هيئة قائد الجيش إذا أراد جمع الجيش نادى فيهم للنفيرأوالهجوم وعبر الله تعالى عن هذه

الهيئة بطلب القائد الخفة من الجند بسبب الصوت عليهم وهذه الهيئة مدركة بالحواس وأما الهيئة المستعارلها فهى هيئة إغراء الشيطان أولياءه بالأعمال السيئة بوسيلة إلقاء الوسوسة فى صدورهم فيجمعهم للذنوب'وهذه الهيئة محسوسة والجامع بينهما هو الإغراء وثبوت القدرة على الشيئ ' وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وبما أن المذكور الهيئة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- القدرة والإغراء يترشحان من هذاالأسلوب لأن الصورة المستعارة لها قد ألحقت بصورة القائد الذى له قدرة كاملة على قيادة الجند فهويقودهم إلى حيث يشاء وهم تابعون لأوامره ونواهيه فهكذا أعطيت للشيطان القدرة على قيادة أوليائه إلى حيث يشاء وهم يتبعون أوامره ونواهيه. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وجوز بعضهم أن يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكأنه مغواراً وقع على قوم فصوت بهم صوتاً يزعجهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم ، ومراده أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية .[1189]

- قدم الله تعالى قدرة الشيطان على إغراء أوليائه على الأعمال السيئة التى تتسبب لنارجهنم فى صورة حية وهى صورة القائد وله قدرة كاملة على قيادتهم مع ما يحثهم على الهجوم بالحصول على الجوائز القيّمة لأن الشيطان يزين لأوليائه الأعمال السيئة وله قدرة على إلقاء الوساوس فى صدور الناس لأنه يجرى من الإنسان مجرى الدم ' ففيه إلحاق الصورة المعقولة بالصورة المحسوسة الواضحة المفهومة.
- ونستنتج من الموازنة بين الهيئتين أن الشيطان يقذف أولياءه إلى المهالك لأن القيادة إذا لم تكن مخلصة فهى تقود الناس إلى المهالك وبما أن الشيطان غير مخلص بل هو عدو مبين للناس فهو يقودهم إلى مواضع الهلاك لامحالة.

وشبه الله تعالى الجهالة والضلالة بالماء الذى يغمر الإ نسان برمته فى قوله تعالى:"فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ"[1190] فالمستعارمنه هنا هو الماء الغامر والجهالة والضلالة هوالمستعارله "والجامع هو تضييع الوقت بعد الكدح في العمل"[1191] فالاستعارة هنا هى التصريحية التبعية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ويمكن ان تكون الاستعارة تمثيلية ففيه تشبيه حال الإنسان المغمور بالماء فى كيفية الاضطراب واليأس من الحياة بالذى يكون محاطا بالجهالة والضلالة العاليتين عليه والجامع بينهما هو اليأس عن النجاة والمغلوبية أمام الشيئ

الغالب. والصورة المذكورة هنا هى صورة الغمرة وهى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه معنى الاستعلاء ومغلوبية المبتلى كما أن المغمور فى غمرات الماء مغلوب أمام الماء فهو يبتلعه إلى الأسفل ويعليه إلى سطح الماء وهولايقدر أن يمسك نفسه مع ما يخفيه فى قلبه من خوف الغرق والموت يعوم على رأسه هكذاالمحاط فى بحرالجهالة والضلالة مغلوب وهو لايقدرأن يخرج منه وأمامه مهلكات مرئية وغيرمرئية.
- صورة الغمرات تطلق الهول والخوف على المشاهدين فتتراآى أمامهم صورة مخوفة للجهالة والضلالة فقدمتهما فى صورة بشعة متنفرة وهذه الصورة توحى أن المنغمس فى بحرالجهالة ينغمس باختياره ولكن إذا أراد أن يخرج منه لايستطيع باختياره حتى ألقته الأمواج إلى الماء القليل وهكذاتلعب به الأمواج ويبتليه فى القلق والحيرة والخوف.
- وبالإضافة إلى ماقلت سابقا قدمت هذه الاستعارة كونهم فى حالة الجهالة والضلالة فى صورة حية مشاهدة أمام الناس بطريقة محسوسة فشاهدوا بأنفسهم المعلومات التى أعطتها هذه الصورة فأرتهم المغلوبية أمام الشيئ الغالب.

وهكذا عبر الله تعالى المعاناة بالخطايا بحملها على ظهورهم فقال تعالى:"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"[1192] ففيه إما الاستعارة التصريحية لاستعارة الحمل للمعاناة والتبعية باشتقاق"لنحمل" وإما الاستعارة المكنية لاستعارة الأحمال الثقيلة للخطايا بقرينة الاستعارة التخييلية فى الحمل باشتقاق "لنحمل" على سبيل الاستعارة التبعية وهى أيضا من استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى كما مر فى الآية المذكورة.

وبما أن فيه تشبيه حال الملتزم بمشقة غيره بحال من يحمل متاع غيره فالاستعارة تمثيلية فالصورة المستعارمنها هى صورة حمل متاع الغير والمستعارلها هى صورة الملتزم بمشقة غيره والمذكورة هنا هى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى .ومن المزايا البلاغية سوى المزايا التى مرت فى الآية السابقة فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدمت فيه الصورة المستعارمنها فى صورة حية وفى مرآة هذه الصورة تتراآى أمامنا صورة المستعارلها فى صورة حية كأنها أمام أعيننا نقتطف منها التفاصيل التى نحتاجها بسهولة بطريقة كاملة فنعرفها معرفة جيدة.

ونفس الاستعارة جاءت فى قوله تعالى:"وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ"[1193] فهنا أيضا إما الاستعارة التصريحية لاستعارة الحمل للمعاناة والتبعية باشتقاق"ليحملن" وإما الاستعارة المكنية لاستعارة الأثقال للخطايا بقرينة الاستعارة التخييلية فى الحمل باشتقاق "ليحملن" على سبيل الاستعارة التبعية وهى أيضا من استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى كما مر فى الآية المذكورة.

وبما أن فيه تشبيه حال المبتلى بمشقة غيره بحال من يحمل متاع غيره فالاستعارة تمثيلية فالصورة المستعارمنها هى صورة حمل متاع الغير والمستعارلها هى صورةالمبتلى بمشقة غيره والمذكورة هنا هى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى . وأكتفى بالمزايا المذكورة فى الآيات السابقة ولاأعيدها.

ويبين الله تعالى عدم ثبا ت الباطل بعد مجيئ الحق فقال تعالى:"بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ"[1194] الحق والباطل مستعارلهما والمستعارمنهما هما الصلب للحق بجامع عدم قبول الأثر من شيئ آخر والرخو للباطل بجامع قبول الأثر من شيئ آخر ' وبما أن المذكور هو المستعارلهما فالاستعارة مكنية بقرينة القذف والمراد منه الإيراد وهو من ملائمات المستعارمنهما فالاستعارة تخييلية واشتق منه صيغة المضارع "نقذف" على سبيل الاستعارة التبعية. ثم المستعارمنهما هما من الأجرام الحسية والمستعارلهما من الأشياء العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.وفى يدمغه استعارة تصريحية تبعية لأن الدمغ كسر الشيئ الرخوالأجوف فاستعير لمحق الشيئ وأفاد هذا أن الحق يمحق الباطل. ومن بين هذه الاستعارات تتكون استعارة تمثيلية قال صاحب التفسير المنير:" فى قوله (نقذف) استعارة تمثيلية , شبه الحق بشيئ صلب جامد , والباطل بشيئ رخو واستعير لفظ القذف لغلبة الحق على الباطل بطريق التمثيل, كما يرمى الإنسان شيئا فيتلفه"[1195] ففى هذه الاستعارة تتراآى صورة من يقذف الأجرام الصلبة على الأشياء الرخوة فيكسرها ويمحقها وهذه الصورة المستعار منها وفى مرآة هذه الصورة نرى صورة إيراد الحق على الباطل ومحق الباطل به والجامع بين هاتين الصورتين هو اختيار شيئ آخر فيأخذ مكانه. فالصورة المذكورة هنا هى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية وبماأن المستعارمنه هو المحسوس والمستعارله هو المعقول والجامع عقلى فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة توحى إتلاف الباطل بسبب الحق على الطريقة المحسوسة لأن القذف وهو الرمى البعيد سبب لإتلاف الشيئ الرخو المرمى بالشيئ

الجامد الصلب وهذه من الأمور المحسوسة فإذا ألحقت بها صورة معقولة وهى صورة إير اد الحق على الباطل صارت كأنها حسية سهلة للفهم.

- نلاحظ أن الصورة المستعارمنها قد أوضحت الصورة المستعارلها فى صورة حية وكأنها أمام أعين المخاطبين بل المشاهدين' وبوسعهم أن يأخذوا من الصورة أمام أعينهم كل مايحتاجونهم فيزيدون معرفتهم ويتلذذون بالخوض فى بحر المعرفة فللغواص درر ولآلى فيه يمكث فيه ماشاء فيتلذذ فيه ويأتى بالأشياء إذا خرج منه.
- ويستفاد من هذه الاستعارة أن الحق شيئ باق وأن الباطل هو شيئ زائل لأن الحق يأتى مكان الباطل فلايمكن بعد مجيئة أن يستقر معه بل هو زائل' قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وجوز أن يكون هناك تمثيل لغلبة الحق على الباطل حتى يذهبه برمي جرم صلب على رأس دماغه رخو ليشقه ، وفيه إيماء إلى علو الحق وتسفل الباطل وأن جانب الأول باق والثاني فان"[1196]

وعبر الله تعالى عن الخلق بمن يعمل أمرا بيديه فى قوله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ"[1197] فهنا استعارة تمثيلية قا ل صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية , شبه قيامه بالخلق والتكين بمن يعمل أمرا بيديه ويتقنه بذاته واستعار لفظ العمل للخلق".[1198] فالعمل بالأيدى مستعارمنه وخلق الأنعام مستعارله والأول من الأمور المحسوسة وأما الثانى فهو من الأمور المعقولة لأن خلق الله تعالى مكون بأمر الله تعالى لأن أمره إذا أرادشيئا أن يقول له كن فيكون.والجامع بينهما هو ترتب وجودالشيئ على الشيئ وهو ترتب وجود المخلوق على الصنع أو الخلق ' وهو أيضا من الأمور العقلية فهذه الاستعارة تصريحية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن خلق الأنعام ليس لها سبب سوى صنع الله تعالى وإرادته قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"

> واستعير عمل الأيدي الذي هو المتعارف في الصنع إلى إيجاد أصول الأجناس بدون سابق منشأ من توالد أو نحوه فأسند ذلك إلى أيدي الله تعالى لظهور أن تلك الأصول لم تتولد عن سبب كقوله : { والسماء بنيناها بأيد } [الذاريات : 47] ، ف (من) في قوله : { مما عَمِلَتْ } ابتدائية لأن الأنعام التي لهم متولدة من أصول حتى تنتهي إلى أصولها الأصلية التي خلقها الله كما خلق آدم"[1199]

- فيه تقريب الخلق الخفى البديع إلى أفهام المخاطبين لأن خلق الله تعالى أمر خفى فعبر عنه بالصنع وهو شيئ واضح ومشاهد أمام أعين

المخاطبين. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" فعبر عن ذلك الخلق بأنه بيد الله استعارة تمثيلية لتقريب شأن الخلق الخفيّ البديع"[1200]

وعبر الله تعالى عن عدم صلاحية الأرض والجبال والسموت لحمل الأمانة بعرضها على هذه الموجودات وإبائها عن قبولها والخوف من قبولها وعن صلاحية الإنسان لها بقبوله إياها وتحملها فقال تعالى:"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [1201] ففيه استعارة تمثيلية فشبهت حالة صرف تحميل الأمانة عن السموات والأرض والجبال ووضعها فى الإنسان بحالة من يعرض الشيئ على الناس المختلفين فيقبله بعضهم وير فضه البعض هذه استعارة وعدم صحة الحقيقة حالية وهي عدم صحة تعلق العرض والإباء بالسماوات والأرض والجبال لانتفاء إدراكها فأنّى لها أن تختار وترفض ، وكذلك الإنسان باعتبار كون المراد منه جنسه وماهيته لأن الماهية لا ترفض ولاتختار. ولذلك فأفعال { عَرضنا ، أبَيْن ، يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها } أجزاء للمركب التمثيلي . وهذه الأجزاء صالحة لأن يكون كل منها استعارة مفردة بأن يشبه إبداع الأمانة في الإنسان وصرفها عن غيره بالعرض ، ويشبه عدم صلاحية السماوات والأرض والجبال لإيداع الأمانة فيها بالإباء ، ويشبه الإيداع بالتحميل والحمل ، ويشبه عدم التلاؤم بين مواهي السماوات والأرض والجبال بالعجز عن قبول تلك الكائنات إياها وهو المعبرعنه بالإشفاق ، ويشبه التلاؤم وصلاحية القبول لإيداع وصف الأمانة في الإنسان بالحمل للثقل. وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات لأنها قابلة للانحلال بأجزائه.[1202] ونلاحظ أن فى هذه الاستعارة تشبيه الهيئة غير المدركة بالحواس بالهيئة المدركة بالحواس فهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهى استعارة تصريحية لأن المذكورة هى الهيئة المحسوسة.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة توحى بتعظيم أمر هذه الأمانة فإنها بلغت من العظمة إلى حد أنه لا يطيق تحملها ما هو أعظم ما يبصره الناس من أجناس الموجودات.وخص الله تعالى { السماوات والأرض } بالذكر من بين الموجودات العظيمة لأنهما أعظم المعروف للناس من الموجودات وهكذا ذكر الله تعالى الجبال بعد ذكر الأرض مع أن الجبال من أجزاء الأرض لأن الجبال أعظم الأجزاء المعروفة من ظاهر الأرض وهي التي تشاهد الأبصارُ عظمتها.[1203]
- قدم الله تعالى عظم الأمانة فى صورة الهيئة المحسوسة الحية وهى مشاهدة أمام الناس فلايحجزها من أبصارهم حاجز فالمشاهد على قدرة كاملة أن يقتطف الجنى المتعلقة بأهداب هذه الهيئة بدون أى صعوبة مع ما فى هذه الاستعارة من حسن موازنة الأجزاء بالأجزاء.

- وفى قبول الإنسان لهذه المسئولية الكبرى وتحملها يمهد الطريق إلى ظلم الإنسان وجهالته فى صورة عدم وفاء المسئولية التى تحملها وقبلها فى صورة عدم الائتمار بأوامر الله تعالى لأن الأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضَيَّعُوهَا عذبهم فلم تقبل هذه المسئولية وقبلها الإنسان وفى تعيين الأمانة آراء أخرى للمفسرين قال ابن عادل رحمه الله تعالى:

> قوله : وأراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضَيَّعُوهَا عذبهم ، قاله ابن عباس . وقال ابن مسعود : الأمانة أداءُ الصَّلَوَاتِ وإيتاءُ الزكاة وصَوْمُ رَمَضَانَ وحَجُّ البيت وصدقُ الحديث وقضاءُ الدِّيْنِ والعدلُ في المِكيال والميزانِ وأشدُّ من هذا كلَّه الودائعُ . وقال مجاهد : الأمانة الفرائض وحدود الدين . وقال أبو العالية : ما أُمِرُوا به ونهوا عنه ، وقال زيد بن أسلم : هي الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة اسْتَوْدَعْتُكَها فالفرج أمانة والأذنُ أمانة والعينُ أمانة واليدُ أمانة والرِّجْلُ أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة لَهُ ، وقيل : هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق كل مؤمن أن لا يغشَّ مؤمناً ولا معاهداً[1204]

وبين الله تعالى امتناع الكفار عن الإيمان ومنع الله تعالى إياهم عن الاهتداء فقال تعالى:"إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ*وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"[1205] فى هذه الآية استعارتان تمثيليتان ففى الاستعارة الأولى تشبيه حال الكفار فى امتناعهم عن الإيمان بمن جعلت أغلالا فى أعناقهم وصاروا رافعى رؤسهم لأن "طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطىء ويوطىء قذاله فلا يزال مقمحاً لا سيما إذا كان الغل عظيما"[1206] فهى استعارة تمثيلية تصريحية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى لأن حال المغلول من الصور المحسوسة وحال الكفار من الصور المعقولة والجامع وهو الامتناع عن التصرف بحرية أيضا من الأمور العقلية. وأما الاستعارة الثانية ففى تشبيه حال الكفار فى عدم الاهتداء إلى الطريق بمن وجد بين سدين لايستطيع النفاذ والاهتداء لطريقه فهى استعارة تمثيلية تصريحية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. والغل يتضمن العنق واليد'قال صاحب التفسير المنير:" استعارة تمثيلية , شبه حال الكفار فى امتناعهم عن الايمان بمن غُلّت يده إلى عنقه

بالقيود, فصار مرفوع الرأس خافض البصر لايستطيع مقل شيئ ولاالالتفات إلى غيره وكذلك شبه حالهم بمن وجد بين سدين لايستطيع النفاذ والاهتداء لطريقه[1207] ومن المزايا لبلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى امتناع الكفار عن التصرف بحرية فى صورة محسوسة حية التى مكنت المشاهد أن يقتطف منها المعلومات التى وجدت فى تلك الصورة فتتراآى أمامه صورة من كانت يداه مغلولة إلى الآذان فهو مرفوع الرأس لايستطيع أن ينظر إلى هنا وهناك فهو ممنوع من التصرف ففى مرآة هذه الصورة نرى صورة أخرى وهى صورة الكفار وهم قد منعوا عن الإيمان فلا يرون الآيات الدالة على الإيمان كى يتطرقو بها إلى الإيمان.
- وهكذا فى الصورة الثانية قدم حال الكفار فى عدم الاهتداء إلى الطريق الإيمان فقدم فى صورة من حصر بين السدين'سد إلى الأمام وسد إلى الخلف. وهذه أيضا صورة حية مترائية أمام المشاهد وهو يرى عجز المسدود بين السدين فلا يستطيع أن يتحرك إلى أى جانب وإن شاء التحرك وفى مرآة هذه الصورة تتراآى صورة أخرى وهى صورة حال الكفار وعجز هم عن الاهتداء إلى طريق الإيمان.
- وفى هذه الاستعارة تقبيح حال الكفار لأن هاتين الصورتين من الصور التى تستقبح لدى الناس' وهى صورة التشديد والتعذيب قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم}جمع عنق بالضم وبضمتين وهو الجيد ويقال عنيق كأمير وعنق كصرد { أغلالا } جمع غل بالضم وهو على ما قيل ما يشد به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد ، وفي البحر الغل ما أحاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب والأسر ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة[1208]

- وبين الله تعالى حالتين فى هاتين الاستعارتين لأن المانع عن النظر في الآيات قسمان قسم يمنع عن النظر في الأنفس فشبه ذلك بالغل الذي يجعل صاحبه مقمحاً لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه وقسم يمنع عن النظر في الآفاق فشبه ذلك بالسد المحيط فإن المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق فلا يظهر له ما فيها من الآيات فمن ابتلي بهما حرم عن النظر بالكلية فكأن الكفار قد حرموا عن كل وسائل المعرفة بآيات الله تعالى.[1209]

وعبر الله تعالى عن أثر الذكر فى القلوب بإحياء الأرض بالغيث فقال تعالى:"اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[1210] فهى استعارة تمثيلية استعير إحياء الأرض بالنبات لإحياء القلوب القاسية

بالقرآن وتلاوته على سبيل الاستعارة التصريحية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وقوله : { أن الله يحي الأرض بعد موتها } استعارة تمثيلية مصرّحة ويتضمن تمثيلية مَكْنية بسبب تضمنه تشبيه حال ذِكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها . وطُوي ذكر الحالة المشبه بها ورُمز إليها بلازمها وهو إسناد إحياء الأرض إلى الله لأن الله يحيي الأرض بعد موتها بسبب المطر كما قال تعالى : { والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها } [النحل : 65][1211]

> ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- هذه الاستعارة تقتضى أن الإحياء يكون بسبب شيئ من الخارج كما أن سبب إحياء الأرض هو إنزال الماء من السماء فهكذا سبب إحياء القلوب ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن.
- إحياء الأرض بعد الموات يدل على أنه لايأس من رحمة الله تعالى فكما أن الأرض تحيى بعد أن تكون جدبة غير صالحة للزراعة هكذا تحيى القلوب بذكر الله تعالى بعد أن كانت معطلة من كل الخير. والموت انتهاء لانقطاع من كل خير فإذا كانت الأرض تصير صالحة بعد أن كانت غيرصالحة من كل الوجوه فالقلوب تصير صالحة أيضا بعد أن كانت ميتة.
- ويظهر احتياج القلوب إلى ذكر الله تعالى كما أن الأرض تحتاج إلى المطر للحياة قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وهو هنا يشير إلى أن الكلام الذي بُعده مغزى عظيم غير ظاهرٍ ، وذلك أنه أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلى ذكر الله بحال الأرض الميتة في الحاجة إلى المطر ، وحال الذكر في تزكية النفوس واستنارتها بحال الغَيث في إحياء الأرض الجدبة[1212]

ومثّل الله تعالى حال الكفرة الذين يريدون إبطال دين الله تعالى وهم قاصرون عن تأدية غرضهم فقال تعالى:"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[1213] قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" تمثيل لحالهم في اجتهادهم في إبطال الحق بحالة من ينفخ الشمس بفيه ليطفئها تهكماً وسخرية بهم كما تقول الناس : هو يطفىء عين الشمس"[1214] فالاستعارة تمثيلية

وبما أن الصورة المذكورة هى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية وهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- رسم الله تعالى صورة لمن يسعى لإبطال دين الله تعالى ليلا ونهارا فقدم حالهم فى صورة من ينفخ الشمس بفيه وهذا تقديم سعيهم لإبطال دين الله تعالى فى صورة حية فالمشاهد لهذه الصورة يرى النفرة فى قلوبهم لدين الله تعالى ولذا فإنهم يسعون لشيئ لايقدرون عليه ولكن لشدة نفرتهم لدين الله تعالى لايتركون السعى لذلك.
- وفيه تهكم وسخرية بعقول من يسعى لما لايطيقه.قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" وإطفاء نور الله بأفواههم : تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن : هذا سحر ، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه"[1215]
- وإضافة النور إلى الله تعالى يؤكد حماقتهم لأن النور الذى منسوب إلى الله تعالى لا يمكن إبطاله فالسعى لشيئ غير ممكن يدل على أن فى عقل الساعى فتور ما ولهذا فهو لايقف عن السعى فى الإبطال.

شبه الله تعالى المؤمن بمن يمشى سويا على صراط مستقيم وشبه الكافر بمن يمشى مكبا على وجهه إلى طريق جهنم فى قوله تعالى:"أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [1216] قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية مثل المؤمن بمن يمشى سويا على صراط مستقيم ومثل الكافر بمن يمشى مكبا على وجهه إلى طريق جهنم"[1217]

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى:"

> وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبّا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى { أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا } أي: منتصب القامة { عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } أي: على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم، مُفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم[1218]

فهاتان استعارتان تمثيليتان وقد ذكرت الصورة المستعارمنها فيهما فهما مصرحتان من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قد ذكرت شناعة الكفار فى صورة حية لأن المشى إذا كان مع سقوط الوجه إلى الأرض يتعثر صاحبه ولايكون على بصيرة من الأشياء فى الطريق فيسقط هنا وهناك.
- وهكذا ذكرت هداية المؤمنين ووصولهم إلى هدفهم فى صورة حية لأن المشى إذاكان سويا يصل صاحبه إلى هدفه ويكون على بصيرة تامة فيبصر امامه.
- فيه إشارة إلى أن وصول الكفار إلى هدفهم غير ممكن لأن المشى على صورة لايبصر أمامه موقع فى المهالك والمصائب.قال العلامة ابوالسعود رحمه الله تعالى:

> وقولُه تعالى : { أفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً على وَجْهِهِ أهدى } الخ مثلٌ ضُرِبَ للمشركِ والموحدِ توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأنِ مذهبيهما ، والفاءُ لترتيبِ ذلكَ على ما ظهرَ من سوءِ حالِهم وخرورِهِم في مهاوِي الغرورِ وركوبِهم متنَ عشواءِ العتوِّ والنفورِ ، وعدمِ اهتدائِهم في مسلكِ المُحاجَّةِ إلى جهةٍ يتوهمُ فيها رشدٌ في الجملةِ[1219]

- وهكذا فيه إشارة إلى أن المشى للكفار لاينبغى فى طريق غير موصل إلى المطلوب فمشيهم فى هذاالطريق حماقة وغض البصر عن الحقيقة.
- ومن هنا وضح الفرق بين اهتداء المؤمنين وضلال الكفار لأن هناك فرق كبير بين هذاالمشى وذلك قال العلامة أبوالسعودرحمه الله تعالى:"

> والمُكِبُّ الساقطُ على وجهِهِ يقالُ أكبَّ خرَّ على وجهِهِ وحقيقتُهُ صارَ ذا كبَ ودخلَ في الكبِّ كأقشعَ الغمامُ أي صارَ ذا قشعٍ والمَعْنَى أفمنْ يمشِي وهو يعثرُ في كلِّ ساعةٍ ويخرُّ على وجهِهِ في كلِّ خُطوةٍ لتوعرِ طريقِه واختلالِ قُواه أهدَى إلى المقصدِ الذي يؤمُّه .{ أمَّنْ يَمْشِى سَوِيّاً} أي قائماً سالماً من الخبطِ والعثارِ { على صراط مُّسْتَقِيمٍ } مستوِي الأجزاءِ لا عوجَ فيهِ ولا انحرافَ" أى بينهما فرق كبير فى الدنيا والآخرة.[1220]

***

المبحث الثانى

المحسوس للمحسوس بجامع حسى :

سنناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعار له والجامع بين المستعارمنه والمستعارله من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ أن الله تعالى يبين مظاهر قدرته فى مد الأرض وخلق الجبال وأنواع الثمرات وتبديل الليل والنهار متعاقبين فيقو ل تعالى:"وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[1221] والنكتة االبيانية الملفتة لأنظارنا فى قوله تعالى"يغشى الليل النهار" ففيه تعبير عن إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية ففيه استعارة تبعية لإجراء الاستعارة فى المشتق وتمثيلية لاستعارة الهيئة المنتزعة من الأشياء الكثيرة فالمستعارمنه هنا هو تغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية والمستعارله هو إزالة نور الجو بالظلمة والجامع بينهما هو إزالة الشيئ بوجود شيئ آخر ونرى أن كلا من صورة المستعارمنه وصورة المستعارله والجامع من الصور المحسوسة فهذه استعارة من قبيل استعارة المحسوس لمحسوس بجامع حسى والمذكور هنا هى صورة التغشية وهى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- ربما فى تغشية الليل النهار إشارة إلى إعجاز علمى متعلق ببيان الفطرة ولعلماء الطبيعة مجال واسع فى اكتشاف اللدرر المكنونة فى بحر المعرفة المستنبطة من القرآن الكريم وأنا كطالب الدرر المتعلقة بأهداب الصور البيانية ومفرداتها أعيد الاعتراف بقلة علمى فى المجال المتعلق بوصف الفطرة وأترك هذاالمجال لأصحابها موصيهم أن لايتركوا هذه الخزائن مغشية كتغشية الليل النهار بل يخرجوها ويقسموها فى مستحقيها.
- قدم الله تعالى صورة حية لتغشية الليل النهار وجعل علمها قريبا إلى أفهام الطلاب فيمكن لهم أن يقتطفوا مطالبهم من الصورة المشاهدة بأعينهم بكل تفاصيلها دون الاحتياج إلى أى واحد من المفهِّمين.

وعبر الله تعالى عن حال الماء المنزل من السماء بكثرة بانفتاح أبواب السماء بماء منصب فقال تعالى: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ"[1222] فالله سبحانه وتعالى" شبه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء"[1223] وفى هذاالكلام استعارة تمثيلية استعيرت صورة انفتاح أبواب السماء وانشقاق أديم السماء لنزول المطر بكثرة بجامع وصول الماء بكثرة فيهما ونرى أن كلامن الصورة المستعارمنها والصورة المستعارلها والجامع من الصور المحسوسة وقدذكرت الصورة المستعارمنها فالاستعارة مصرحة من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس بجامع حسى. وهذا مبنى على قول من قال إن الكلام مبنى على الاستعارة وهناك رأى آخر وهو أن الكلام مبنى على الحقيقة.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وفي الكلام استعارة تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهاء انفتحت بها أبواب السماء وانشق أديم الخضراء . وهو الذي ذهب إليه الجمهور ، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته وهو ظاهر كلام ابن عباس./ أخرج ابن المنذر . وابن أبي حاتم عنه أنه قال : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم[1224]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذاالاسلوب مايلى:

- المبالغة فى نزول الماء بكثرة لأن هذاالأسلوب يدل على أن السماء لم تحمل ثقل الماء فانفتحت أبوابها فنزل الماء دون ترتيب وطمانية.
- ثم فى جمع كلمة الأبواب ضاعفت المبالغة لأن الأبواب الكثيرة إذا انفتحت يكون خروج الماء بكثرة.
- وقدم الله تعالى خروج الماء فى صورة حية قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:" مركب تمثيلي لهيئة اندفاق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار على طريقة"[1225]

***

المبحث الثالث

المحسوس للمحسوس بجامع عقلى :

سنناقش إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعار له من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة وأما الجامع بين المستعارمنه والمستعارله فمن الأمور العقلية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

نلاحظ كيف عبر الله تعالى عن تربيته مريم عليها السلام بإنباتها نباتاحسنا فى قوله تعالى:" فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"[1226] ففى هذاالكلام استعارة شبه إنشاؤها وشبابها بإنبات النبات بطريقة الاستعارة التمثيلية لأن الجامع قد انتزع من متعدد وتتراآى فى هذه الاستعارة الصورة الحية للنبات الذى يشب شيئا فشيئا والزارع يتعهده بسقيه عند الاحتياج وحمايته عن الآفات وقلع ما يخنقه من النبات وفى مرآة هذه الصورة تتراآى صورة أخرى وهو صورة تنشئة مريم عليها السلام وشبابها شيئا فشيئا وحفظ الله تعالى إياها عن الشرور والفتن والمهالك.وبما أن المستعارمنه مذكور وهى الصورة الأولى فالاستعارة تصريحية وهى من استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى .ثم التكفيل من ملائمات المستعارله فهى تجريدية. وبماأن محل الاستعارة هو أنبتها وهو مشتق من الإنبات فالاستعارة تبعية'قال صاحب التفسير المنير:" شبه تربيتها الصالحة ونموها بالزرع الذى ينمو شيئا فشيئا على طريق الاستعارة التبعية بحذف المشبه والإتيان بشيئ من لوازمه"[1227] والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى الإنبات هنا نسبة إلى الله تعالى فما ظنك إذا كان المنبت هو الله تعالى بنفسه؟ قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> أي رباها الرب تربية حسنة في عبادة وطاعة لربها قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وفي رواية عنه أنه سوى خلقها فكانت تشب في يوم ما يشب غيرها في عام ، وقيل : تعهدها بما يصلحها في سائر أحوالها ، ففي الكلام استعارة تمثيلية أو مجاز مرسل بعلاقة اللزوم فإن الزارع يتعهد زرعه

بسقيه عند الاحتياج وحمايته عن الآفات وقلع ما يخنقه من النبات[1228]

- مع أن النسبة إلى الله تعالى ماكان أقل قدرا وكان كافيا للإفهام أن ترتبيتها لن تكون تربية عادية بل تربية ذا شأن ولكن قيد ها الله تعالى بالحسن إضافة فى المبالغة فى حسن التربية.
- قدم الله تعالى هذه التربية فى صورة حية بتشبيهها بالإنبات فالمخاطب يستطيع أن يفهم كل أجزاء هذه الصورة بتفكيره حولها.
- الإنبات يكون زريعة للخير والنماء فلاتنتهى قصته بعد الأيناع بل مثله "كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة منه مائة حبة" فيزداد الخير حتى بعد فناء الأصل.
- كما أن الزارع يتعهد زرعه بسقيه عند الاحتياج وحمايته عن الآفات وقلع ما يخنقه من النبات فهكذا ستحفظ مريم عليها السلام من كل الأفات وتعطى كل ما تحتاجه للعيش فى الدنيا.

وصوراللهِ تعالى الأرض فى صورة نائم وبعد إنزال المطر سرت فى أوصالها دبيب حياة وأخرجت من بطنها آثارالحياة فصارت خضرآء فقال تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [1229]

ففى هذه الآية استعارة تمثيلية شبهت هيئة الأرض بهيئة نائم فالمستعارله هوهيئة الأرض المكونة من نومها ونزول المطر عليها فتحركها به ثم إنباتها أشياء مختلفة والمستعارمنه هو هيئة النائم ويقظته وأعماله المختلفة بعد اليقظة'والجامع بينهما هو حصول النفع من شيئ لايُرجى منه النفع' نلاحظ أن المذكور هنا هو المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وهى استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى لأن الهيئة المستعارمنها ولها من الأمور التى تدرك بالحواس الخمسة وأما الجامع فلايدرك إلا بالعقل.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدمت الأرض فى صورة مشاهدة حية أمام الناس فى حياتهم العامة فكأن المخاطب يرى أمامه صورة رجل نائم وهولايرجى النفع من أى جانب

وليس هناك موقظ له ولكن صدفة يأتى الموقظ فيوقظه وهو يتوجه إلى أعماله بسرعة وفى مرآة هذه الصورة هويرى صورة الأرض وهى جدبة وليست عليها أثر الحياة من النبات والأشجار والاخضرار ولكن بعد أن يمطر عليها المطر تسرى فيها آثار الحياة فتخرج الأعشاب والنبات والأشجار من بطنها وتصير خضراء وتؤتى بالمطاعم المختلفة إلى الناس.

- ولاحظنا أن الله تعالى كيف فهّم البعث بعد الموت بطريقة عقلية لأن إحياء الأرض الجدبة من الأمورالتى هى أمام تجارب الناس فلايشك فيه أحد وهكذااليقظة من النوم هوأخواالموت من الأمور المشاهدة لدى الناس فلامجال للشك فيه فبرسم الله تعالى هذه التصاوير صار مسئلة البعث بعد الموت من المسائل السهلة التى كانت صعبة للناس فهمها لأنها من المسائل المعقولة'لأنها غائبة عن عيون الناس فى هذه الدنيا.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> وهذا ارتقاء في الاستدلال على الإحياء بعد الموت بقياس التمثيل لأنه استدلال بحالةٍ مشاهدَة فلذلك افتتح بفعل الرؤية ، بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان فإن مبدأه غيرُ مشاهَد فقيل في شأنه { فإنا خلقناكم من تراب } الآية . ومحل الاستدلال من قوله تعالى : { فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت } ، فهو مناسبُ قولِه في الاستدلال الأول { فإنا خلقناكم من تراب } ، فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان واهتزازُها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت[1230]

وهكذا عبر الله تعالى عن القول باللسان بالقذف فى قوله تعالى:"وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"[1231] والقذف معناه الرمى والرمى لايتحقق فى الأمور المغيبة فقد استعير للتكلم بالأمور الغيبية على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والجامع هو عدم إمكان الرجوع فى كل واحد منهما. وهذا من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى لأن كلا من القذف والتكلم من الأمور المحسوسة بحاسة البصر والسمع. ويمكن أن تُجرى الاستعارة التمثيلية وهو أن يستعارحال من يتكلمون بالأمور المغيبة رجما بالغيب بحال من يرمى شيئا لايراه من مكان بعيد والجامع هو إطلاق شيئ يكون فى خيار المطلق دون أن يكون له علم بالعاقبة. فهى استعارة تمثيلية تصريحية لأن المذكورة هنا هى صورة القذف وهى صورة المستعارمنها وهى من قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- كما مر فى ما سبق أن الخيار فى الرمى لايكون إلا إلى وقت إطلاق الشيئ من اليد فإذا أطلقه من اليد انتهى خياره فيه وهولايستطيع أن يرده إلى يده مرة أخرى ولذامن الضرورى أن يطلق الشيئ من اليد بعد التفكر فى عاقبته ففى استعارة الرمى للقذف إشارة إلى أن الإنسان بالخيار مالم يتكلم فلابد أن يتفكر فى العاقبة ولايتكلم بالمغيبات التى لايحيط المتكلم بها.
- ثم فى الرمى إطلاق الحجارة أوالشيئ الآخر من بعيد دون أن يكون هناك ظن غالب بالإصابة الصحيحة فكذلك فى القذف بالزنا اتباع الظنيات دون أن يكون دليل يقينى على الإصابة الصحيحة ففيه تقبيح للقذف وإشارة إلى أن الإنسان العاقل لاينبغى له أن يتبع الظن لاسيما فى مثل هذه الأمور التى تتسبب لغضب الله تعالى.
- فيه تقبيح حال الكفار الذين تكلموا بأشياء لاتليق بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فى بعد عن المعرفة بذلك

> وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ، ساحر ، كذاب . وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي ، لأنهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شعراً ولا كذباً ، وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله ، لأن أبعد شيء مما جاء به : الشعر والسحر ، وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت : الكذب والزور[1232]

- ومالايخفى أن القذف من مكان بعيد لايأتى بالنتيجة المطلوبة وهذا يدل على سخافة عقل الرامى وأن هذا لايضر إلا الرامى فالكفار لايضرون بمثل هذه الآشياء إلا أنفسهم.

***

المبحث الرابع

المعقول للمعقول بجامع عقلى :

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارمنه والمستعار له والجامع بينهما من الأمور التى لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة بل تدرك بالعقل فهى من الأمور العقلية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

عبر الله تعالى عن حال المسلمين لمّا اشتدّ عليهم البأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدوّ عنهم ، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيّقةً فقال تعالى:"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ"[1233] ففيه استعارة تمثيلية لأن فيه استعارة الهيئة للهيئة فتتراآى أمام الرائى صورة من يكون مضطربا وقلقا وهو لايطمئن إلى شيئ فلا يستطيع أن يجلس فى أى بقعة من بقاع الأرض وفى مرآة هذه الصورة ترى صورة أخرى وهى صورة حال المسلمين المضطربين الذين لم يهتدوا لدفع العدوّ عنهم مسلكا وقد ذكرت الهيئة المستعارمنها فهى تصريحية وكل من اضطراب المسلمين ورؤية الأرض الواسعة ضيقة من الأمور المعقولة والجامع وهوالقلق والاضطراب أيضا من الأمور العقلية فهى من استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- لاحظنا كيف صوراللهِ تعالى الكيفية الداخلية لقلوب المسلمين فى صورة حية التى كشفت الستار عن النواحى الخفية للهيئة المضرة فى قلوب المسلمين وهى قد جعلت المخاطب يتفكر فى الجنى المتعلقة بهذاالتصوير. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> وهذا التركيب تمثيل لحال المسلمين لمّا اشتدّ عليهم البأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدوّ عنهم ، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيّقةً .فالضيق غير حقيقي بقرينة قوله : { بما رحبت } استعير { وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } استعارة تمثيلية تمثيلاً لحال من لا يستطيع الخلاص من شدّة بسبب اختلال قوة تفكيره ، بحال من هو في مكان ضَيِّق من الأرض يريد أن يخرج منه فلا يستطيع تجاوزه ولا الانتقال منه.[1234]

- فيه شرح الحزن واليأس الداخليين ولهذا صرح الله تعالى على وسعة الأرض مع أن سعة الأرض معلومة عند عامة الخلق ولكن ذكرها يؤكد يأسهم وبأسهم وأشار الله تعالى إلى أن سعةالأرض لاتغنى عنهم شيئا فهى ضيقة أمامهم.
- ويفهم من هذا أنه لاسبيل لإزالة همهم وحزنهم لأن الناس إذا ضاقوا فى بقعة من الأرض فهم يتركونها لبقعة أخرى ولكن هى بالنسبة لهم شيئ ضيق لاتتحرك أقدامهم إلى الأمام وكأنهم محصورون فى مكان ضيق فيكونون دائما فى الهم والحزن.
- ضيق الأرض برحبها إشارة إلى أن الضيق من أجل كيفيتهم القلبية لا أن الأرض ضيقة فى الحقيقة ولهذا صرح الله تعالى بسعتها مع ظهور علمها لدى الناس قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" . وفيه استعارة تبعية إما لعدم وجدان مكان يقرون به مطمئنين أو أنهم لا يجلسون في مكان كما لا يجلس في المكان الضيق"[1235]
- بين الله تعالى كيفيتهم الداخلية من الحزن والكآبة وهى من الأشياء المعقولة وهى لاتشرح بسهولة لأن درجات الألم والحزن متفاوتة عند الناس فهم يفهمون من القدر الذى يمرون به بأنفسهم أو لديهم من الصورة المشابهة بها فشبهها بشيئ واضح لدى الناس وهو كون الأرض ضيقة بأهلها فلايهتدون سبيلا إلى النجاة من القلق والاضطراب. ومن المعلوم أن كلا من المستعارمنه وله من الأمورالعقلية ولكن المستعارمنه أقرب فهما إلى أفهام عامة الناس.

ورغب الله تعالى المؤمنين فى الجهاد فى سبيله ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن ولا أبلغ مما في هذه الآية لأنه أبرز في صورة عقد عاقده رب العزة جل جلاله وجعل الثمن له ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وجعل المعقود عليه كونهم مقتولين قاتلين[1236] فقال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[1237] فعبر الله تعالى عن العقد بين الله تعالى والعباد بالبيع والشراء مع أن البيع والشراء لا يتصورفى حق الله تعالى لأن العباد كلهم ملك له أنفسهم وأولادهم وأموالهم والعقد هو أن المؤمنين يقاتلون فى سبيل الله تعالى وهو يجزيهم الجنة ففى كلمة اشترى استعارة تصريحية لذكر المستعارمنه وتبعية لوجود الاستعارة فى الفعل قال صاحب التفسير المنير:" استعارة تبعية شبه بذلهم الأنفس والأموال وإثابتهم عليها بالجنة بالبيع والشراء, ولايجوز أن يشترى الله شيئا فى الحقيقة , أن الله مالك لكل شيئ ولهذا قال الحسن اشترى انفسا هو خلقها و وأموالا هو رزقها"[1238] والاستعارة هنا من المعقول للمعقول بجامع عقلى لأن عقد البيع والشراء ومعاملة الله مع

عباده من الأمور العقلية والجامع وهو مبادلة الشيئ بالشيئ أيضا من الأمور العقلية فهذه الاستعارة من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى.

وبما أن فى هذه الاستعارة تشبيه الهيئة بالهيئة فهى استعارة تمثيلية ففيه تشبيه حال جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه للحصول على الإثابة من الله تعالى ما فيه من الربح والفوز العظيم بحال من يبذل وقته ونفسه وماله فى البيع والشراء للحصول على الربح فى التجارة. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وهو استعارة تمثيلية صور جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه واثابة الله تعالى لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء"[1239] والصورة المذكورة هى صورة البيع والشراء وهى المستعارمنها فالاستعارة تصريحية وكلتا الصورتان من الأمور العقلية والجامع أيضا عقلى كما مر فالاستعارة من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى المعاملة بين الله تعالى وعباده فى صورة حية وهى صورة المشترى وهو يشترى الأشياء ويدفع الثمن وهذه الصورة كافية لاطمئنان قلوب المؤمنين من أن الأنفس والأموال وإن كانت متاحة من الله تعالى وهو يتصرف فيها كما يشاء ولكن مع ذلك هو لا يأخذها مجانا بل فى عوض الجنة وهذا يسهل على المؤمنين المصاعب التى يتحملونها فى سبيل الجهاد فى سبيل الله تعالى. قال العلامة السمرقندى رحمه الله تعالى:

> معناه إنه طلب من المؤمنين أن يعدوا أنفسهم وأموالهم ، ويخرجوا إلى الجهاد والقتال في سبيل الله ، ليثيبهم الجنة . وذكر الشراء على وجه المثل ، لأن الأموال والأنفس كلها لله تعالى ، وهي عند أهلها عارية ، ولكنه أراد به التحريض والترغيب في الجهاد[1240]

- فيه تقديم المعقول فى صورة المعقول ولكن الصورة المستعارمنها متداولة بين الناس وهذاالتداول يسهل الفهم لأن الناس يعرفون البيع والشراء فإذا ألحق به الشيئ المعقول الذى لم يتداول بين الناس عرف بالسهولة بكل تفاصيله.
- فيه إيحاء أن أنفس المؤمنين وأموالهم غالية عند الله تعالى لأن الشيئ المقصود عند المشترى هو المبيع لا الثمن إنما الثمن يكون لحصول الهدف وهو المبيع وليس المبيع هنا إلا أنفس المؤمنين وأموالهم فلها قدر عظيم عند الله تعالى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> ومن الناس من قرر وجه المبالغة بأنه سبحانه عبر عن قبوله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى

وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ، ولم يعكس بأن يقال : إن الله باع الجنة في المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد بالعقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها وسيلة إليها بكمال العناية بهم وبأموالهم[1241]

- فيه ترغيب للمؤمنين قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان حال المتخلفين عنه ، ولا ترى كما نقل الشهاب ترغيباً في الجهاد أحسن ولا أبلغ مما في هذه الآية لأنه أبرز في صورة عقد عاقده رب العزة جل جلاله ، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط بل كونهم قاتلين أيضاً لإعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه سبحانه[1242]

- وفى التعبير بقوله تعالى"بِأَنَّ لَهُمُ الجنة" بدل "بالجنة" مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم لأن التعبير الأول يدل على أن الثمن سيكون موصولا على سبيل اليقين وأما المبيع فيُستسلم بعد دفع الثمن وأما فى التعبير الثانى فلا يوجد معنى دفع الثمن أولا كأنه قيل : بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم .[1243]

وقيل : عبر بذلك مدحاً للمؤمنين بأنهم بذلوا أنفسهم وأموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى مع أن تمام الاستعارة موقوف على ذلك إذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشراء على حقيقته لأنها صالحة للعوضية بخلاف الوعد به[1244]

ورغب الله تعالى عباده فى الأعمال الصالحة وانتهاز الفرصة التى هيأها الله تعالى للعباد وأخبرهم أنه تعالى جعلهم خلائف فى الأرض ليرى أعمالهم فقال تعالى:"ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[1245] ففى هذه الآية تشبيه حال العباد مع الله تعالى بحال رعية مع حاكمها فالاستعارة هنا تمثيلية' قال صاحب التفسير المنير:" فى النظر استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع الله بحال رعيته مع حاكمها , فى إمهالهم للنظر فى أعمالهم, واستعير المشبه به للمشبه للتقريب والتمثيل ."[1246] فالمستعارمنه فى هذه الاستعارة هو حال الرعية مع حاكمها والمستعارله هو حال العباد مع الله تعالى والجامع بينهما هو إمهالهم للنظر فى أعمالهم وكل من المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور العقلية فهى من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. والمذكور

هنا الصورة المستعارلها فهى استعارة تصريحية. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- معاملة العباد مع الله تعالى فى الإمهال والنظر فى أعمالهم وراء الحواس الإنسانية والعلم الإنسانى لأن العباد لم يمروا بهذه التجربة فى الدنيا فالله تعالى يعلم أنه أمهلهم ويراقبهم فى اعمالهم وسيجازيهم عليها فى الآخرة فكل هذه الأشياء لايعرفها إلا الله تعالى وأما معاملة الحاكم برعيته وإن كانت من الأمور العقلية ولكنها ليست وراء العلم الإنسانى فقد تظهر هذه المعاملة فى صورة الجوائز أحيانا وصورة العقوبات أخرى ' ولهذا فهى معلومة لديهم فإذا صارت هذه الصورة مستعارة للصورة الأولى فقربت هى إلى الأذهان أيضا.
- وفى قوله تعالى "لننظر كيف تعملون " إشارة إلى أن الهدف الأصلى من الاستخلاف هو ظهور الأعمال الصالحة والتجنب من الأعمال السيئة فيجازيهم على أعمالهم لأن المراد من النظر هو المعاملة كمعاملة من ينظر ويراقب قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { لِنَنظُرَ } أي لنعاملَ معاملة من ينظُر { كَيْفَ تَعْمَلُونَ } فهي استعارةٌ تمثيلية ، وكيف منصوبٌ على المصدرية بتعملون لا بننظر فإن ما فيه من معنى الاستفهام مانعٌ من تقدم عاملِه عليه أي أيَّ عملٍ أو على الحالية أي على أيّ حالٍ تعملون الأعمالَ اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحُسن كقوله عز وعلا : { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } ففيه إشعارٌ بأن المرادَ بالذات والمقصودَ الأصليَّ من الاستخلاف إنما هو ظهورُ الكيفياتِ الحسنةِ للأعمال الصالحةِ ، وأما الأعمالُ السيئةُ فبمعزل من أن تصدُرَ عنهم لا سيما بعد ما سمِعوا أخبارَ القرون المهلَكه وشاهَدوا آثارَ بعضِها[1247]

وصور الله تعالى نسيان القوم وعدم المبالاة بشريعة الله تعالى باتخازها ملقاة وراء ظهورهم فقال تعالى:" قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ"[1248] والظهرى بكسر الظاء نسبة إلى الظهر والمراد بالظهرى الشيئ المنسى لأن الشيئ الملقى بالوراء ينسى لقلة مشاهدته فاستعير الشيئ المنبوذ للشيئ المنسى بجامع النسيان فى كل منهما. [1249] وقد ذكر المستعارمنه فالاستعارة تصريحية وبما أن الاستعارة فى المشتق فهى تبعية ومن المعلوم أن الشيئ المنبوز وراء الظهور من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر وأما كون الشيئ منسيا فلايدرك بإحدى الحواس الخمسة فهى من الأمور المعقولة والجامع بينهما وهو عدم المبالاة أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ويمكن أن تكون الاستعارة تمثيلية ففيه تشبيه حال شريعة الله تعالى وترك العمل بأحكامها بحال شيئ يكون

ملقاة وراء ظهور الناس فهم لايبالون به بجامع عدم المبالاة فى كل واحد منهما. وترك العمل بأحكام الشريعة من الأمور العقلية لأن العقل هو الفارق بين ترك الأعمال مستقلا والاستراحة بين الأعمال ثم هناك أعمال باطنية لايعلمها إلا الله تعالى. وعدم المبالاة بالشيئ المنبوذ أيضا من الأمور العقلية والجامع أيضامن الأمور العقلية فهى استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. وبما أن المذكورة هى الصورة المستعارمنها فهى استعارة تصريحية. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> و الظهري منسوب إلى الظهر ، وأصله المرمي وراء الظهر ، والكسر من تغييرات النسب كما قالوا في النسبة إلى أمس : أمسي بالكسر . وإلى الدهر دهري بالضم ، ثم توسعوا فيه فاستعملوه للمنسي المتروك ، وذكروا أنه ا حتمل أن يكون في الكلام استعارة تصريحة وأن يكون استعارة تمثيلية.[1250]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- يترشح من الصورة المستعارمنها عدم المبالاة والنسيان لأن الشيئ الموضوع بالوراء ينسى لقلة إتيانه فى مشاهدة الناس فإذااستعيرت هذه الصورة لحال عدم مبالاة الناس بأوامر الله تعالى وشريعته فانتقلت هذه الصورة إلى الصورة المستعارلها بكل أحكامها.
- ونرى فى الصورة المستعارمنها أن الناس يستقبحون حال الشيئ الملقى وراء الظهور فبالإ لحاق بها تُستقبح الصورة المستعارلها وهى صورة نسيان الناس أحكام الله تعالى وشريعته.
- وتزداد قباحة هذه الصورة لأنها قد ذكرت فى مقابلة المبالاة بالرهط مع أنه ليس بين الله تعالى وبين الرهط أية موازنه بل هو الأعلى 'ليس كمثله شيئ فى الأرض ولافى السماء.

ويصف الله تعالى الحالة النفسية للجهنمى وما هو فيه من ألم وعذاب فى نار جهنم فقال تعالى:"مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ"[1251] شبه الموت بإنسان استعارة أصلية مكنية وإثبات الإتيان له تخييل فالاستعارة تخييلية.وبما أن فيها استعارة الهيئة للهيئة ففيها استعارة تمثيلية فقدم قلقه واضطرابه فى نار جهنم فى صورة من يكون محاطا بالموت أى أسبابه من كل جانب فيخيل إليه أن الموت فى كل جانب منه وهجومه عليه متوقع فى كل آن ولكن لن يكون هناك موت فهو عائش فيها أبدا. وهنا الهيئة المستعار لها ومنها والجامع من الأمور المعقولة فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى والمذكور فى الآية الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- صُوِّرت فى هذه الهيئة حالة الخوف والاضطراب المترشح من صورة إحاطة الموت بالإنسان. ثم لايخفى أن الإنسان يحاول كل المحاولة لنجاته بكل وسائل ممكنة ويزداد خوفه واضطرابه إذا علم أن محاولته لا تغنى عنه شيئا لأن حبائل الرجاء كلها منقطعة دونه فهو فى عذاب فوق عذاب الذى يستمر طول العمر فيا للأ مان.
- قد قدم الخوف والقلق اللذان يعانيهما الجهنمى فى صورة مخوفة يراها أهل الدنيا بكل أبعادها فهم يرون فيها الخوف المستمر الذى لاينقطع' ويرون أن هذه الهيئة قد بلغت فى الشدة إلى حد يظن أنه محاط بأسباب الموت وما شيئ أخوف لأهل الدنيا من الموت وأسبابه. ويرون انه فى حالة اليأس من كل شيئ ناج أوشخص ناج كما أنه لا يغنى من الموت شيئ أو أحد من الأقرباء والأصدقاء.
- وتزداد شدة العذاب عند انقطاع الأمل وتضاعف العذاب بمرور الوقت كما أشار الله تعالى إليه بقوله:" ومن ورائه عذاب غليظ" قال العلا مة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" { وَمِن وَرَآئِهِ } ومن بين يديه { عَذَابٌ غَلِيظٌ } أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشدّ مما قبله وأغلظ "[1252]

وعبر الله تعالى عن اضطراب يأجوج ومأجوج وتداخلهم بعضهم فى بعض بتداخل الأمواج بعضها فى بعض فقال تعالى:"وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا"[1253] فهذه استعارة تمثيلية شبهت صورة اضطراب يأجوج ومأجوج وتداخل بعضهم فى بعض بصورة تداخل أمواج البحر بعضها فى بعض قال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى:"أو تركنا بعضَ يأجوجَ ومأجوجَ يموج في بعض آخرَ منهم حين يخرُجون من السد مزد حمين في البلاد"[1254]والمراد من هذاالتموج والاضطراب هو صيرورة فسادهم قاصرا عليهم ودفعه عن غيرهم لأنهم إذا لم يجدوا ما اعتادوه من غزو الأمم المجاورة لهم رجع قويهم على ضعيفهم بالاعتداء .[1255]

قد ذكرت الصورة المستعارلها وهى صورة اضطراب يأجوج ومأجوج فهى استعارة مكنية وكل من هذاالاضطراب وتموج أمواج البحر من الأشياءالمحسوسة والجامع وهوشدة اختلاط الأشياء بعضها فى بعض أيضا من الأمور الحسية فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى.

وفى هذه الآية استعارة تمثيلية أخرى وهى استعارة صورةالجند الذين ينفذون أمر القائد بالنفيرفيسرعون إلى الخروج إذا سمعوا بوق النفير لصورة الداعى المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة.[1256] فالصورة الأولى مستعارمنها والصورة الثانية هى المستعارلها وقدذكرت هنا الصورة

المستعارمنها فالاستعارة تصريحية ونلاحظ أن إسراع الجند إلى الخروج من الصورالحسية وهى دالة على انقياد تام للقائد ولكن الانقياد بنفسه أمر معقول فالصورة من الأمور العقلية وهكذا صورة الداعى والمدعو الكثير من الأمور العقلية والجامع وهو الائتمار الدال على الانقياد التام أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا لبلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى استعارة التموج لكثرة الاختلاط والاضطراب مبالغة فى التداخل والكثرة لأن أمواج البحر من شدة اتصالها بعضها ببعض مثل الموج الكبير الواحد ومن أجل كثرتها صيّرت البحر الكبير ففى مرآة هذه الصورة تتراآى أمام الرائى صورة تداخل يأجوج ومأجوج وكأنهم من شدة اتصالهم بعضهم ببعض جسد واحد ومن كثرة عددهم كوّنوا بحراعظيما من الناس.
- ثم استخدام كلمة " فى" زاد فى هذه المبالغة لأن هذه الأداة تدل على الظرفية وليس هناك ظرف ومظروف فهى تدل أن من شدة التلاصق بعضهم ببعض تترآى أمام المشاهد كأنها صورة مكونة من تداخل بعض الأجزاء فى بعض.
- فى الصورة الثانية قرّب انقياد المدعو بالنفخ بإلحاقه بمطاوعة الجند أميرهم فهى صورة مشاهدة معلومة عند الناس فى حياتهم اليومية فقرب إلى الأفهام فهم هذه الصورة.
- ولايخفى مافى هذين الصورتين من تقديم الأمور فى صورحية مفهومة منكشفة من كل قسم من الإبهام والخفاء.
- وفى اختيار صيغة الماضى فى "تركنا" و"نفخ" إشارة إلى تحقق الفعل فكأنه وقع مع أنه سيقع فى المستقبل.

وعبر الله تعالى عن اختيار ه للمحبة والرسالة والتكريم والتكليم بالاصطناع لنفسه فى قوله تعالى:"وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي"[1257] قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تبعية , شبه اختياره للمحبة والرسالة والتكريم والتكليم بمن يختاره الملك للمهام الجليلة, لمايرى فيه من المقومات والخصال الحميدة لئلا يكون أقرب منزلة منه إليه"[1258] وفى هذه الاستعارة تشبيه هيئة اصطفاء الله تعالى نبيه لتبليغ الشريعة وكرامته إياه بهيئة الملك يختار شخصا فيجعله خاصا له ويفوضه الأمور الجليلة بجامع اختيار أحد للمهام الخاصة' ونلاحظ أن الهيئة المستعارلها هى المذكورة فالاستعارة تصريحية وتمثيلية وكل من المستعارمنه وله والجامع من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى اختياره نبيه فى صورة حية فسهلت تلك الصورة استنباط الأفهام التى يحتاجها المخاطب أوكانت مفيدة له بسهولة فهى أمام عينه يقلب فيها نظرته ويتراآى له أن النبى صلى الله عليه وسلم يحمل كل الفضائل الضرورية للقائد والدليل ولأجل هذه الفضائل يختاره الله تعالى كما أن الملك لايصطفى لأمور مملكته وشئون بلاده إلا شخصا متحليا بالفضائل الضرورية لهذاالمنصب قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> رجوع إلى المقصد بعد المحاورة ، فالجملة بيان لجملة : { اذهب إلى فرعون إنه طغى } ، أو هي استئناف بياني لأن قوله : { واصطنعتُك لنفسي } [طه : 41] يؤذن بأنه اختاره وأعدّه لأمر عظيم ، لأنّ الحكيم لا يتّخذ شيئاً لنفسه إلاّ مريداً جعله مظهراً لحكمته ، فيترقب المخاطب تعيينها[1259]

- إضافة الاصطناع إلى ذات الله تعالى تزيدعظمة نبى الله صلى الله عليه وسلم فى نظر الله تعالى لأن الاختيار للنفس لايكون إلا أن يكون المختار من أقرب الناس إلى القلب.

ورسم الله تعالى صورة لترك الله تعالى المجرمين فى نار جهنم بدون المبالاة فى أحوالهم فصورهم فى صورة من سجن فى مكان ثم نسيه السجان من غير طعام ولاشراب فقال تعالى:"وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ"[1260] ولايحمل النسيان على الحقيقة لأن الله تعالى لاينسى شيئا لأن علمه بكل الأشياء كامل ولايخرج عن إحاطة علمه شيئ قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية , مثل تركهم فى العذاب بمن سبحن فى مكان ثم نسيه السجان من غير طعام ولاشراب ووجه الشبه منتزع من متعدد والمراد نترككم فى العذاب ونعاملكم معاملة الناسى لأن الله تعالى لاينسى" [1261] والصورة المذكورة هنا هى صورة النسيان وهى الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية وهى صورة عقلية غير مدركة بالحواس الخمسة وأما الصورة المستعارلها فلم تذكروهى أيضا صورة معقولة والجامع بينهما هو الإهمال وعدم المبالاة وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى النسيان مبالغة فى الإهمال لأن من لايبالى بشيئ ينساه وهذا يوحى أن الشيئ المتروك لاأهمية له فى قلب التارك قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وأطلق النسيان على الترك المؤبد على سبيل المجاز المرسل لأن النسيان يستلزم ترك الشيء المنسي في محله أو تركه على حالته ، ويجوز أن يكون النسيان مستعاراً للإهمال وعدم المبالاة ، أي فلا تتعلق الإرادة بالتخفيف عنهم وعلى هذين الاعتبارين يفسر معنى النسيان الثاني.[1262]

- قدم الله تعالى معاملته مع عباده فى صورة عقلية التى هى قريبة إلى إفهام الناس لأن معاملة السجان مع المسجون وإن كانت عقلية ولكنها معاملة عادية فى أمور الناس. وهى صورة حية تتراآى أمام الناس صورة مرسومة مشتملة على المعارف الضرورية' فالمشاهد يرى إهمال التارك وسخطه وعدم أهميته فى قلبه وبالتالى فهو يرى إهمال الله تعالى الكفار وسخطه عليهم.
- صيغة الجمع موحى التشديد والمبالغة فى النسيان لأن النسيان يتوقع من الآحاد وأما الناس الكثيرون فإن نسى أحدهم ذكر الآخر فإن نسى الكل فمعنى هذا أنه ليس للمنسى أهمية فى قلب أحد.
- تعبير إعراض الكفار عن الإيمان بالنسيان إشارة إلى أن الآيات الدالة على البعث تقتضى الإيمان به لأن معنى أن الناسى يسلم صداقته ولكن نسيه لأجل الفطرة البشرية. وإنكار الكفار مع هذا المقتضى يزيد فى شدة الموجب لعذاب الله تعالى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

  { كَمَا نَسِيتُمْ } في الدنيا { لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا } أي كما تركتم عدته وهي التقوى والإيمان به أو كما لم تبالوا أنتم بلقائه ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسياً منسياً ، وجوز أن يكون التعبير بنسيانه لأن علمه مركوز في فطرتهم أو لتمكنهم منه بظهور دلائله ففي النسيان الأول مشاكلة" [1263]

وهدد الله تعالى عباده وأخافهم من عذابه يوم القيامة فقال تعالى:"سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ"[1264] ففى هذه الآية يبين الله تعالى توجهه الكامل إلى محاسبة العباد يوم القيامة بالفراغ لها من كل شيئ آخر مع أنه تعالى لايشغله شيئ من شيئ قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية شبه محاسبة الخلائق وجزاءهم يوم القيامة بالتفرغ للأمر والله سبحانه لايشغله شأن عن شأن وإنما ذلك على سبيل المثال إذشبه تعالى ذاته فى المجازاة بحال من فرغ للأمر"[1265] وقد ذكر ت هنا الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- المرء إذا كان مشغولا ببعض الأعمال ويريد ان يتم عملا مغائرا مما شغل به فلايستطيع أن يعالجه بطريقة جيدة وأما إذا تفرغ له من الأعمال الباقية فيعالجه بطريقة كاملة جيدة ففى هذه الاستعارة شبه معالجته لمحاسبة العباد بمن تفرغ لأمروهو يوحى القيام على المحاسبة بطريقة

كاملة شديدة. قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى:"وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدد، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه، لأتفرغنّ لك، وسأتفرّغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك"[1266] وقال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"

> فجعل انتهاء الشؤون المشار إليها بقوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ شَأْنٍ } [الرحمن : 29] يوم القيامة إلى واحد هو جزاء المكلفين فراغاً لهم على سبيل التمثيل لأن من ترك أشغاله إلى شغل واحد يقال : فرغ له وإليه فشبه حال هؤلاء وأخذه تعالى في جزائهم فحسب بحال من فرغ له ، وجازت الاستعارة التصريحية التبعية في { سَنَفْرُغُ } بأن يكون المراد سنأخذ في جزائكم فقط الاشتراك الأخذ في الجزاء فقط ، والفراغ عن جميع المهام إلى واحد في أن المعنى به ذلك الواحد ، وقيل : المراد التوفر في الانتقام والنكاية ، وذلك أن الفراغ للشيء يستعمل في التهديد كثيراً كأنه فرغ عن كل شيء لأجله فلم يبق له شغل غيره فيدل على التوفر المذكور"[1267]

***

المبحث الخامس

المعقول للمحسوس بجامع عقلى

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارمنه ويكون المستعارله من الأمور العقلية وأماالمستعارمنه والجامع بينهما من الأمور التى لا تدرك بإحدى الحواس الخمسة بل تدرك بالعقل فهى من الأمور العقلية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

مثل الله تعالى حال الشعراء من جولانهم فى وديان الخيال وأنواع الموضوعات بحال الهائمين فى أودية كثيرة مختلفة فى قوله تعالى:"وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ "[1268] فاستعير هنا حال الهائمين فى أودية كثيرة لحال الشعراء المتجولين فى أودية الخيال والموضوعات المختلفة قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية , شبه حال الشعراء بإفراطهم فى المديح والهجاء واسترسال الخيال بالتائه فى الصحراء الذى هام على وجهه, فهو لا يدرى أين يسير".[1269] شبهت هنا صورة معقولة بالصورة المحسوسة والصورة المعقولة هى صورة هيام الشعراء وترددهم في كلِّ وادٍ من أوديةِ القيلِ والقالِ وفي كلِّ شِعبٍ من شِعابِ الوهمِ والخيالِ وفي كلِّ مسَلكٍ من مسالك الغَيِّ والضَّلالِ يهيمونَ على وجوهِهم لا يهتدون إلى سبيلٍ مُعيَّنٍ من السُّبلِ بل يتحيرَّون فى الغى واالضلال والسفاهة والمجون.[1270] وأما الصورة المحسوسة فهى صورة الذين يكون مترددين فى الأودية فهم يتجولون هنا وهناك وليس لهم هدف يصلون إليه فلايثبتون على مكان' والجامع هنا هو عدم الاستقرار والثبات على أمر وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمحسوس بجامع عقلى. وقد ذكرت هنا الصورة المستعارمنها فالاستعارة تصريحية. ولكن إذا تأملنا فى صورة المترددين فى الأودية فهى أيضا من الأمور المعقولة لأن المراد ليست ذواتهم بل الكيفية القلبية الحاصلة لهم من قلق واضطراب وهى صورة لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة بل بالعقل فهذه الآية فى الحقيقة داخلة فى قسم استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى صورة هيام الشعراء فى ميدان الشعر فى صورة حية فصورهم فى صورة من هام فى صحراء عريض وهو لايعرف أين منزله فيهيم فى اختيار هدفه ولايقف تجواله بل يستمر كما يدل عليه فعل يهيم لأن الفعل يدل على الحدوث ففى مرآة هذه الصورة المترائية أمام أعين المخاطبين تتراآى صورة هيام الشعراء فقد يسرفون فى المديح إلى

حد يصعد بممدوحه إلى السماء بل يبحثون عن مكان أعلى من السماء ولكن إذا غضبوا لايرضون بمكان أسفل حتى بأسفل السافلين. وهكذا يتجولون فى ميدان الخيال طول أعمارهم.

- أوحت هذه الاستعارة أن الشعراء لاهدف لهم فى الموضوعات سوى الرغبة فى العطاء والجوائز فهم يتلونون فى حصول الموضوعات فيمدحون شخصا فى وقت ويهجوه فى وقت آخرقال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> ومثلت حال الشعراء بحال الهائمين في أودية كثيرة مختلفة لأن الشعراء يقولون في فنون من الشعر من هجاء واعتداء على أعراض الناس ، ومن نسيب وتشبيب بالنساء ، ومدح من يمدحُونه رغبة في عطائه وإن كان لا يستحق المدح ، وذمٍّ من يمنعهم وإن كان من أهل الفضل ، وربما ذمّوا من كانوا يمدحونه ومدحوا من سَبق لهم ذمه.[1271]

الفصل الثانى

الاستعارة المكنية أو بالكناية

سأبين فى هذاالفصل القسم الثانى من الاستعارة التمثيلية وهى الاستعارة المكنية أو بالكناية وهى ما ذكر فيها المستعارله ولم يذكر المستعار منه وهى كما قلت تنقسم إلى خمسة أقسام وهى: المكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع حسى والمكنية من قبيل المحسوس للمحسوس بجامع عقلى والمكنية من قبيل المحسوس للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمعقول بجامع عقلى والمكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى.وسأناقش هذه الأقسام فى المباحث الآتية:

المبحث الأول

المحسوس للمعقول بجامع عقلى

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه من الأمور التى تدرك بإحدى الحواس الخمسة والمستعارله من الأمور المعقولة فلا تدرك بها والجامع أيضا من الأمور المعقولة وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

قد ذكر الله تعالى عدم قبول المنافقين للحق وعبر عنه بختمه تعالى على قلوبهم وسمعهم وكون أبصارهم فى الغشاوة فقال تعالى:"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"[1272]

قد ذكرت التفصيل المتعلق بالاستعارة غير التمثيلية فى موضعه وهناك احتمال أن تكون استعارة تمثيلية

> بأن يقال شبهت حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الاستنفاع بها بحال أشياء معدة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع من ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركباً ولايخفى أن الصورة المذكورة هى صورة المشبه فالاستعارة مكنية والجامع عدم الانتفاع بما أعد له بسبب عروض مانع يمكن فيه كالمانع الأصلي وهو أمر عقلي منتزع من تلك العدة.[1273]

فالقرآن الكريم قدم إعراض المنافقين فى صورة الأوعية المختوم عليها والمغشى عليها.فنرى أن هناك أوعية ومن شأنها أنها تعى الأشياء وصاحبها يريد أن يضع فيها الأشياء المختلفة ولكن إذا جاء وقت استخدام هذه الأوعية انكشف عليه أنها مختوم عليها وهى غير قابلة للاستخدام فيالحسرة هذاالصاحب ونرى فى ظل هذاالتصوير صورة أخرى وهى صورة المنافقين خلق الله تعالى المنافقين ووهب لهم السمع والأبصاروالأفئدة وأعد لهم للانتفاع بدلائل وجود الله تعالى وتوحيده وصدق نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ولكن إذاجاء وقت استخدامها والانتفاع بها لم يستخدموها فى معرفة الحقائق وقبول المواعظ ولن يستخدموها ولم ينتفعوابها ولن ينتفعوا بها فياللخسران والحسرة.

ثم نرى أن هذه استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي لأن فيه تشبيه هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة فالمشبه به محسوس والمشبه معقول والجامع كما مر أيضا من المعقول.[1274] ومن الأسرار البلا غية فى استخدام هذاالأسلوب ما يلى:

- كما ذكر ان فى الاستعارة يطوى ذكر التشبيه فلا يذكر ولايُلحظ فيُنسى من القلوب فكأن المستعير يدعى أنه ليس هناك فرق بين المستعارله والمستعارمنه وهذا يفيد من المبالغة ما لايفيده الكلام العادى حتى أسلوب التشبيه نفسه.ففى قولك رأيت أسدا فى الحمام ادعاء أنه ليس هناك فرق بين الممدوح والأسد فكأن الممدوح أسد وكأن الأسد ممدوح وهذه الفكرة لا يعطيها " رأيت من هو مثل الأسد" لأنه ليس فيه دعوى الاتحاد بين المستعارمنه والمستعارله. فإذا أخذنا هذه الفكرة وجئنا بها إلى ما نحن فيه لنرى أن فى هذاالأسلوب قد طوى ذكر التشبيه فأوحى أن قلوب هؤلاء المنا فقين وأسماعهم مغلقة تماما وهى وصلت فى هذه الصفة إلى أنها تليق أن تسمى باسم الأوعية المختوم عليها وأعينهم وصلت فى هذه الصفة إلى أنها تليق أن تسمى بالأشياء التى التفت فى الغشاوة.
- ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من المبالغة لأن الأشياء المختوم عليها لاينفذها شيئ من الخارج وهكذا الأشياء المغشى عليها مصونة من نفوذالأشياء فهذه الاستعارة توحى أنه ليس من الممكن أن تنفذ الحق فى قلوب هؤلاء الناس ويتراآى أمام أعينهم ويُسمع لآذانهم.
- نسب الله تعالى الختم إليه وهذا يوحى أن الخيار قد سلب عنهم فالآن لايمكن لهم أن يعودوا من زيغهم وإن أرادوا ذلك لأن الله تعالى هو الذى سدلهم طريق الهدية والوصول إلى نور اليقين.
- ومن مزية هذاالأسلوب أن فيه التصوير الفنى فى صورة كونها استعارة تمثيلية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> ولك أن تجعل الختم والغشاوة تمثيلاً بتشبيه هيئة وهمية متخيلة في قلوبهم أي إدراكهم من التصميم على الكفر وإمساكهم عن التأمل في الأدلة كما تقدم بهيئة الختم ، وتشبيه هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوحدانية وصدق الرسول بهيئة الغشاوة.[1275]

ففيه حث المخاطب على التفكر وقطف الأثمار من الشجرة المصورة أمامه. وأيضا يجد لذة حينما يسبح فى بحر المعرفة ويخرج اللآلى من قعره.

وعبر الله تعالى عن إحاطة الذلة والمسكنة ببنى إسرائيل بقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة"فى آية:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ[1276]

فالمستعارمنه هو القبة والمستعارله هو الذلة والمسكنة والجامع بينهماهو الإحاطة بهم واللزوم بالبيت أوالقبة يضربها الساكن ليلزمهاكما أن القبة المضروبة تحيط بالسكان وتحميهم من الحروالبرد والأشياء الأخرى المضرة فهكذا الذلة والمسكنة لاتدع الكرم والفضل يسرى إليهم وهذا فى الحقيقة تشبيه حال بنى إسرائيل بهيئة القبة المضروبة على سكانها فالاستعارة تمثيلية ومن المعلوم أن القبة والبيت من الأشياء المحسوسة أما الذلة والمسكنة فمن الأشياء المعقولة والإحاطة واللزوم ايضامن الأشياء المعقولة ففيه استعارة المحسوس لمعقول بوجه عقلى والمذكور هناهو المستعار له فالاستعارة مكنية ثم نلاحظ أن الضرب من لوازم المستعارمنه فالاستعارة فى الضرب ترشيحية ويجوز أن تكون الاستعارة فى ضربت لأن ضربت مشتق من الضرب فالمستعارمنه هوضرب القبة أوالبيت على السكان والمستعارله هو إحاطة الذلة والمسكنة على اليهود فالاستعارة تبعية قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> ويجوز ان تكون تبعية وليس ثمة مكنية بأن شبه لزوم الذلة والمسكنة لهم ولصوقها بلصوق الطين بالحائط ، ومعنى التبعية أن المنظور إليه في التشبيه هو الحدث والوصف لا الذات بمعنى أن جريان الاستعارة في الفعل ليس بعنوان كونه تابعاً لفاعل كما في التخييلية بل بعنوان كونه حدثاً وهو معنى قولهم أجريت في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر وبه يظهر الفرق بين جعل ضربت تخييلاً وجعله تبعية وهي طريقة في الآية سلكها الطيبي في شرح الكشاف وخالفه التفتازاني وجعل الضرب استعارة تبعية بمعنى الإحاطة والشمول سواء كان المشبه به القبة أو الطين ، وهما احتمالان مقصودان في هذا المقام يشعر بهما البلغاء.[1277]

ومن المزايا البلاغية لأسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايأتى:

- فى هذاالأسلوب مبالغة فى ذل اليهود وهوانهم لأن الإحاطة إنما تكون إذ كان الشيئ الذى يحيط كثيرا فهذا يوحى أن الذلة والهوان محيط لهم ولأحوالهم كلها.

- قرب الله تعالى الشيئ الذى كان وراء الإدراكات الإنسانية بإلحاقه بالشيئ المحسوس لدى عامة الناس فالناس يدركون القبة المضروبة بحاسة البصر.فإذا ألحقت قبة الذل والهوان المتخيلة بالصورة المتحققة صارت مأنوسة لديهم.
- كما أن القبة تحيط بالناس وهى تحميهم مما فى الخارج من الأشياء المضرة فهكذا قبة الذل والهوان تحمى الأشياء النقيضة للكرم والفضل من السراية إليها فلايمكن لهم أن يخرجوا من هذه الكيفية.
- معنى المسكنة هوالفقر وبيانه أن الله تعالى ألزم على اليهود مع ذلتهم الفقر فبدا عليهم سيما الفقروالحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم و لذلك صار الحرص لهم سجية باقية في أعقابهم ’ففى هذاالأسلوب إثبات الفقر لهم بطريق المبالغة كما مرفى إثبات الذل لهم بطريق المبالغة.[1278]
- إثبات لوازم المستعارمنه وهو الضرب للمستعار له وهو الذلة والمسكنة يوحى توثيق ملحوظية المستعارمنه ولولم يذكر فى الظاهر.

ونفس المفهوم مستفاد من الاستعارة فى قوله تعالى:"ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ "[1279] فاستعير فيه هيئة ضرب الخباء على أصحابه لهيئةإحاطة الذلة والمسكنة على بنى إسرائيل ففيه استعارة تمثيلية مكنية تخييلية تبعية ومن قبيل استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى. قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تبعية حيث شبه الذل بالخباء المضروب على أصحابه ثم حذف المشبه به وأتى بشيئ من لوازمه وهو الضرب" [1280] وقال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة أي ذلة هدر النفس والمال والأهل ، وقيل : ذلة التمسك بالباطل وإعطاء الجزية ، قال الحسن : أذلهم الله تعالى فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين وهذا من ضرب الخيام والقباب كما قاله أبو مسلم ، قيل : ففيه استعارة مكنية تخييلية ، وقد يشبه إحاطة الذلة واشتمالها عليهم بذلك على وجه الاستعارة التبعية ، وقيل : هو من قولهم : ضرب فلان الضريبة على عبده أي ألزمها إياه فالمعنى ألزموا الذلة وثبتت فيهم فلا خلاص لهم منها[1281]

وأكتفى بالتفصيل الذى أعطيته فى الآية السابقة من شرح وجه الاستعارة والمزايا البلاغية فى هذاالأسلوب.

وحكى الله تعالى عن إنامة أصحاب الكهف فعبر عن الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها[1282] فقال تعالى:"فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا"[1283] فقد استعير ت صورة

ضرب الخيمة على السكان لصورة ضرب الحجاب على الآذان. فالمستعارمنها هى صورة ضرب الخيمة على السكان وهى غير مذكورة هنا فالاستعارة مكنية والجامع بينهما هو مانعية نفوذ الأثر من الخارج ونلاحظ أن صورة ضرب الخيمة على السكان من الصورالحسية وأما ضرب الحجاب على الآذان من الأمورالعقلية ومانعية نفوذالأثر أيضامن الأمور العقلية فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وبما أن فيها استعارة الهيئة للهيئة فالاستعارة تمثيلية. والمراد من ضرب الحجاب على الآذان عدم التيقظ بالتأثر من الخارج وبالتالى يراد به الإنامة الثقيلة. قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> { فَضَرَبْنَا على ءاذَانِهِمْ } أي أنَمناهم على طريقة التمثيل المبنيِّ على تشبيه الإنامةِ الثقيلةِ المانعةِ عن وصول الأصواتِ إلى الآذان بضرب الحجابِ عليها ، وتخصيصُ الآذان بالذكر مع اشتراك سائرِ المشاعرِ لها في الحجْب عن الشعور عند النومِ لما أنها المحتاجُ إلى الحجب عادة ، إذ هي الطريقةُ للتيقظ غالباً لا سيما عند انفرادِ النائم واعتزالِه عن الخلق[1284]

والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى الضرب على الآذان إشارة إلى أن الموقظات من الخارج لم تصل إلى الآذان لأنه كان هناك عائق عن نفوذ الأصوات التى توقظ الناس فناموا نومة ثقيلة.ثم فى تصوير ضرب الخيمة تلاحظ الأحاطة من كل جانب كما أن الخيمة تحيط من كل جانب بسكانها فهكذا أحاط المانع لنفوذالأصوات الموقظات من كل جانب.
- قدم الشيئ المعنوى وهو عدم نفوذ الموقظ بصورة محسوسة عامة التى سهلت للناس الفهم لكل شيئ لأن صورة ضرب الخيمة على السكان من الصور المفهومة لدى عامة الناس فهذه الصورة رسمت الصورة لعدم التيقظ فصارت أمام أعين المخاطبين فهم قادرون على أن يفهموا كل شيئ بسهولة.
- وقذ خصصت الآذان بالذكر مع ان هناك مشاعر أخرى سوى الآذان فى الحجب عن الشعورعند النوم لأن النفوذ إلى الآذان عادة طريقة للتيقظ غالبا' قال أبوالسعود رحمه الله تعالى:" وتخصيصُ الآذان بالذكر مع اشتراك سائرِ المشاعرِ لها في الحجْب عن الشعور عند النومِ لما أنها المحتاجُ إلى الحجب عادة ، إذ هي الطريقةُ للتيقظ غالباً لا سيما عند انفرادِ النائم واعتزالِه عن الخلق"[1285]
- وهذه الاستعارة من أحسن الاستعارات لأن المقصود فيها هو إمكان البعث بعد الموت فقد استخدم فيها لفظ البعث الدال على المقصود قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وحسن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من

هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان في ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلاً على إمكان البعث وكيفيته"[1286].

ويعبر الله تعالى عن اقتداء الشيطان باتباع خطواته فيقول:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"[1287] والمستعارمنه هو اتباع خطوات من يسير إلى منزله والمستعارله هو اقتداء الشيطان و قد ذكر المستعارله فالاستعارة مكنية

> واتباع الخطوات تمثيلية ، أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك علماً منه بأنه ما سار فيه السائر قبله إلاّ لأنه موصل للمطلوب ، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدي به وهو يظن مسلكه موصلاً ، بالذي يتبع خطوات السائرين[1288]

وبما أن الهيئة قد شبهت بهيئة أخرى فهى استعارة تمثيلية. ففى هذه الاستعارة تتراآى أمامنا صورة من يجرى لهدفه وهو لايعرف الطريق الموصل إلى هدفه فيطلب فى الطريق خطوات السائر فى ذللك الطريق فيجدها ويتبعها ثم فى ظل هذه الصورة نرى صورة من يقتدى بالشيطان فيضع قدمه بالخطوات التى سار بها الشيطان فيضل عن سواء السبيل. والاتباع فىالمستعارمنه من الأشياء التى تدرك بحاسة البصر فالرائى يرى من يتبع خطوات غيره ولكن المستعارله من الأشياء التى لاتدرك إلا بالعقل والجامع بينهما هو الوصول إلى المطلوب فالسائر فى الطريق يصل إلى منزله وصاحب الشيطان يصل إلى هوى نفسه. والوصول إلى المطلوب من الأشياء العقلية فهذامن استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية الكامنة فى هذاالأسلوب ما يلى:

- الجد والكد اللذان يستنبطان من هذاالأسلوب يدلان على خباثة متبع الشيطان فإنه يبذل جهده فى شيئ خسيس وهو الوصول إلى الضلالة مع أنه من المفروض أن يبذل أحد جهده فى حصول الشيئ الثمين كالذى يتبع خطوات غيره فيصل إلى هدفه فيتقى نفسه من هنا وهناك ويسير مستقيما فى طريقه. فعلم من هذا أن متبع الشيطان يرتكب جريمتين: الأولى أنه يستمر فى سفره إلى الهدف الذى لا ينبغى لأحد أن يسير إليه والثانية أنه يبذل جهده فى حصول ذلك الهدف.
- قدقربت شناعة الضالين بتقديمها فى صورة حية وتفويضها إلى فهم الرائى فهو يقطف الثمارمن تلك الصورة بنفسه وهو يرى فى تلك الصورة الحية. وهذا أكثر عونامن أن يبين تفاصيل هذه الشناعة. ففيه كثير من الأثمار فى ألفاظ قليلة مع ما فيه تحريك لفكر المخاطب فهو

يتفكر فى هذه الصورة ويجنى منها ثمرة ثمرة لأن القرآن الكريم بحر لايحاط به علما.

- فى اتباع الخطوات إشارة إلى أن الشيطان لا يأمر وليه المنكر مباشرة بل يمره على الخطوات المختلفة التى تصل نهائيا إلى الهدف فيأمر بالفحشاء شيئا فشيئا حتى يصل إلى الهدف النهائى فمثلا يأمر أن ينظر إلى الفتيات الأجنبيات أولا فالمصافحة ثانيا فالخلوة ثالثا حتى يميلهما على الزنا فهذه هى الخطوات المختلفة الموصلة إلى الهدف النهائى وهو الزنا ولذا نهى الله تعالى عن القرب إليه.
- ولايخفى ما فى ذكر المستعارله وتناسى المستعارمنه من المبالغة' فكأنهما شيئ واحد.

ونفس الاستعارة قد اختيرت فى قوله تعالى:"وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"[1289] ففيه استعارة حال من يريد أن يصل إلى هدفه فيتبع خطوات من سار قبله لحال من يتبع أوامر الشيطان ففيه استعارة مكنية تمثيلية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى والتفصيل قد مر فلا داعى أن أكرره.

وعبر الله تعالى عن الذين يكونون فى شدائد الموت والملائكة فى انتظار خروج أرواحهم كى يذهبوا بها معهم فبسطوا أيديهم إليهم بالشخص الذى يكون فى غمرات الماء فى البحر فالأمواج تتقاذفه هنا وهناك فقال تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ[1290]

ففى هذه الآية استعارة تمثيلية لأن فيها استعارة الهيئة للهيئة فالهيئة المستعارمنها هى صورة الشخص الذى يكون فى لجج ماء البحر تتقاذفه أمواج البحر هنا وهناك إذا تخلص من هنا تلوى هناك حياته وهو لايقدر أن يخرج منها وهو قد يئس عن الحياة فهو ينتظر الموت فى قلق واضطرار إلى أن تقضى الأمواج فيالحسرة قاطرة من هيئة هذاالشخص وهو يتنفس بآخر أنفاسه فى الحياة وأما الهيئة المستعارلها فهى هيئة الظالمين الذين افتروا على الله تعالى كذبا وقد قضوا حياتهم حسب أهواهم نابذين أوامر الله تعالى وراء ظهورهم حتى وصلوا إلى آخر الشطر من حياتهم ورأوا الموت بأعينهم حاملين شدائده وهم فى قلق واضطراب وهذه الشدائد لا تنتهى إلا إلى الشدائد الأخرى. وهذه الاستعارة مكنية لأن المذكورة هى الهيئة المستعارلها وهذه الصورة من الصورالتى لاتدرك بإحدى الحواس الخمسة فهى عقلية وأما الصورة

المستعارمنها فهى صورة حسية و الجامع هو كون كل واحد من الهيئة تتضمن القلق والاضطراب واليأس من الحياة وهذه أشياء عقلية فهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بوجه عقلى.

- قدم الله تعالى صورة فزع الظالمين واضطرابهم فى صورة حية التى جعلت من الممكن أن يلتقط المشاهد المعلومات المتعلقة بأهداب هذه الصورة وهولايحتاج أن يعطى له هذه المعلومات التى تتعلق بالمستعارله لأن صورة المستعارمنه مألوفة عنده ومن الممكن أن يفهم كل التفاصيل بالسهولة فإزعاج المحاط بلجج البحر شيئ معروف ومفهوم لدى المشاهدين فإذا علقت بها صورة أخرى صارت مفهومة أيضا.
- وبالإضافة إلى هذا تُعطى هذه الصورة من اللذة فتحض على التفكر فى التفاصيل فتتاح المعلومات التى ما ذكرت بالصراحة فى النص القرآنى ومن هنا يغوص الغواص فى بحر المعرفة ولايخرج منه إلا ومعه من اللآلى الثمينة.
- فى هذاالأسلوب إدخال الفطرة الإنسانية للإفهام فالإنسان يفهم بسهولة إذا ألحق الشيئ الصعب بالشيئ السهل خاصة إذا ألحق بالصورة الحية كأنها أمام الأعين.
- وفيه تهويل الحال وشدته قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"تهويل الحال والمقصود من هذا الشّرط تهويل هذا الحال ، ولذلك حذف جواب (لو) كما هو الشّأن في مقام التّهويل . ونظائرُه كثيرة في القرآن . والتّقدير : لرأيت أمراً عظيماً"[1291].وفى هذا التشبيه شدة النزع لأن هذاالتشبيه يوحى أنه كما أنه ليس للمغمور مخلصا فهكذا لن ينجو الذى أحيط بشدائد الموت قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" والغمرة بفتح الغين ما يغمُر ، أي يَغُمّ من الماء فلا يترك للمغمور مخلصاً . وشاعت استعارتها للشدّة تشبيهاً بالشدّة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السّيل حتّى صارت الغمرة حقيقة عرفيّة في الشدّة الشّديدة"[1292] ثم فى جمع الغمرة بالغمرات ازدياد المبالغة "في تهويل ما يصيبهم بأنّه أصناف من الشّدائد هي لتعدّد أشكالها وأحوالها لا يعبّر عنها باسم مفرد . فيجوز أن يكون هذا وعيداً بعذاب يلقونه في الدّنيا في وقت النّزع . ولمّا كان للموت سكرات جعلت غمرةُ الموت غمَرات".[1293]
- ثم تزداد الشدة لاستخدام "فى" لأنه للظرفية وهذا يدل على شدّة ملابسة الغمرات لهم حتّى كأنّها ظرف يحويهم ويحيط بهم .[1294]

وعبر الله تعالى عن ذهاب الغضب عن موسى عليه السلام بالسكوت فقال تعالى"وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ"[1295] ففيه تشبيه "الغضب بإنسان ثائريرعد بصوته طالبا الانتقام ثم حذف المشبه به وصرح بشيئ من لوازمه وهو سكت أى اختقى الصوت"[1296] ففيه ذكر المستعارله فالاستعارة مكنية وقد ذكر من لوازم

المستعارمنه وهو السكوت لأن السكوت ضد التكلم فهو يتصور من شخص متكلم فالاستعارة ترشيحية وبما أن السكوت للغضب شيئ يُخيل ولا يتحقق فى الخارج فالاستعارة تخييلية وبما أن الاستعارة فى المشتق السكوت وهو سكت فالاستعارة تبعية ثم الغضب شيئ لايدرك بإ حدى الحواس الخمسة وأما الإنسان الثائر فمدرك بحاسة البصر وأما الجامع فيهما وهوإغراء النفس على أفعال يطفئ بها الثوران فهو أيضا عقلى فالاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. ثم نلاحظ أن هنا تشبيه هيئة الغضب وهو يثير صاحبه على أفعال يطفئ بها ثوران غضبه بهيئة إنسان ثائر يرعد بصوته طالبا الانتقام فهى استعارة تمثيلية.[1297]

والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- إدناء الغضب وهو شيئ معنوى معقول فى صورة الإنسان الثائر وهى صورة محسوسة زريعة لإفهام المخاطبين بسهولة.
- فى تخييل الغضب تقوية للاستعارة لأن الرمز بملائمات المستعارمنه يدل على أن الغضب كالإنسان من كل الوجوه حتى يستساغ له أن يوصف بملائمات الإنسان وهو السكوت.
- ثم نلا حظ أن الإنسان يسكت وفى قلبه من الأثر عن الشيئ المسكوت عنه فهكذا دل السكوت على أن الغضب قد سكت عن الإغراء ولكنه ما انتهى بالكلية. بل ترك الإغراء على الأفعال التى بها ينطفئ الغضب.
- صار ثوران الغضب وإغرائه صاحبه على الأفعال المطفئة للغضب ثم انطفاءه مقدما فى صورة حية فى صورة إنسان ثائر وانطفاءه حتى أمكن للمشاهد أن يفهم بسهولة كل تفاصيل هذه الثورة بنفسه وقد أثارته على أن يفهم كل شيئ بنفسه غير منتظر لإفهام الآخرين.

وعبر الله تعالى عن الذين أعرضوا عن آيات الله تعالى الكونية والنظر فيها بأن أعينهم فى غطاء عن ذكر الله تعالى وهكذا عبر عن عدم مطاوعتهم نفوسهم لشدة كفرهم بعدم استطاعتهم السمع فقال تعالى:"الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا"[1298] ففى هذه الآية استعارة تمثيلية'قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية , شبه إعراضهم من الآيات الكونية وعدم النظر فيها, وبالتالى عدم الإيمان بمن ألقى غطاء على عينه , على سبيل التمثيل"[1299]. والمذكورة هنا الصورة المستعار لها وهى صورة كون الأعين معرضة عن ذكر الله تعالى وعبر عن هذاالإعراض بكونها فى الغطاء فالاستعارة هنا التمثيلية المكنية. ونلاحظ أن صورة الغطاء الملقاة أمام الأعين من الصورالمحسوسة وهى هنا المستعارمنها وصورة الإعراض عن الآيات الكونية من الصور المعقولة والجامع بينهما وهوعدم الانتفاع بالقوة الباصرة أيضا من الصور المعقولة فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

وهكذاالاستعارة فى عدم الاستطاعة للسمع. قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:" وهذا تمثيلٌ لإعراضهم عن الأدلة السمعيةِ كما أن الأولَ تصويرٌ لتعاميهم عن الآيات المشاهَدةِ بالأبصار"[1300]

ومن المزايا ا لبلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قد استعيرت الصورة المحسوسة للصورة المعقولة فقربت تلك الصورة عدم الانتفاع عن آيات الله تعالى الكونية فى صورة مشاهدة مفهومة فالمشاهد يرى صورة من كانت عيناه فى الغطاء فهو لايرى شيئا أمامه وفى مرآة هذه الصورة تتراآى امامه صورة أخرى وهى صورة من لايستخدم القوة الباصرة الموهوبة من عند الله تعالى فأمامها حاجز عن نفوذ الرؤية إلى ما ينفعه فكأنها فى الغطاء.
- ولايخفى مافى هذه الصورة من المبالغة لأن الأعين إذا كانت فى غطاء لاتنتفع بشيئ من المرئيات فثبتت هذه الصفة للصورة المستعارلها بطريق أكمل وأما فى المستعارلها ليست هذه المبالغة إذا أديت بطريقة عادية' بل هى منحصرة فى رؤية دون رؤية.
- وفى أداة " فى " أيضا مبالغة لأنها للظرفية فكما أن الظرف يحيط المظروف فهكذا الغطاء يحيط بالأعين من كل جانب. قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> { الذين كَانَتْ } وهم في الدنيا { أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاء } كثيف وغشاوةٍ غليظة مُحاطةٍ من جميع الجوانب { عَن ذِكْرِى } عن الآيات المؤديةِ لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكري بالتوحيد والتمجيدِ ، أو كانت أعينُ بصائِرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني أو عن القرآن الكريم[1301]

وصور الله تعالى العذاب النازل فى صورة جيش هجم على الناس بغتة فلم ينتصحوا بكلام ناصح ولااستعدوا للدفاع حتى هزمهم وأفناهم[1302] فقال تعالى:"فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"[1303] ففيه استعارة تمثيلية شبهت الصورة بالصورة والمذكورة هى الصورة المستعارلها فالاستعارة مكنية ونلاحظ أن صورة نزول العذاب من الأمور العقلية وأما صورة هجوم الجيش فصورة محسوسة والجامع بينهما هوالاستئصال بعد كون الناس فى الاطمئنان وعدم الخوف. فالاستعارة من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وإسناد النزول إلى العذاب وجعله في ساحتهم استعارة تمثيلية مكنية ، شبهت هيئة حصول العذاب لهم بعد ما أُنذروا به فلم يعبأوا بهيئة نزول جيش عدوّ في ساحتهم بعد أن أنذرهم به النذير العريان فلم يأخذوا أُهبتهم حتى أناخ بهم"[1304] وفي وصفهم ب { الْمُنْذَرِينَ } استعارة تجريدية لأن الإنذار من ملائمات الصورة المستعارلها لأن المشبهين منذرون من الله بالعذاب.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى هيئة العذاب النازل فى صورة حية تتراآى أمام المشاهد صورة هجوم الجيش على الناس بغتة وهؤلاء الناس ماكانوا مستعدين للدفاع عنهم فأفناهم وفى مرآة هذه الصورة تتراآى صورة أخرى وهى صورة من لم يتنبهوا لنصيحة ناصح فعذبهم الله تعالى.
- يترشح اليأس والاضطراب من الصورة المستعارمنها لأن الذى يكون محاطا بهجمات الأعداء يكون واصلا إلى أقصى حد اليأس. وبإلحاق المحاطين بعذاب الله تعالى بهؤلاء المحاطين بهجمات الأعداء ينتقل اليأس والاضطراب إلى الصورة المستعارلها.
- وفى تجريد الاستعارة إشارة إلى سبب نزول العذاب لأنهم لم ينتهوا عن أعمالهم حتى بعد أن أنذروا بعذاب الله تعالى وكان من المفروض أن ينتهوا بعد الإنذار فعدم انتهائهم عن السيئات تسبب لعذاب الله تعالى. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:"شبهت هيئة حصول العذاب لهم بعد ما أنذروا به فلم يعبأوا بهيئة نزول جيش عدوّ في ساحتهم بعد أن أنذرهم به النذير العريان فلم يأخذوا أُهبتهم حتى أناخ بهم"[1305]
- "وهذا التمثيل قابل لتفريق أجزائه في التشبيه بأن يشبه العذاب بالجيش ، وحلوله بهم بنزول الجيش بساحة قوم وما يلحقهم من ضر العذاب بضر الهزيمة ، ووقت نزول العذابِ بهم بتصبيح العدوّ محلة قوم"[1306]

وقدم الله تعالى قدرته على التصرف كيفما شاء وحيثما شاء وأن السموت والأرض أمام قدرته شيئ حقير فى صورة من قبض شيئا عظيما بكفه وطوى السموت بيمينه[1307] فى قوله تعالى:"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"[1308] فى هذه الآيةاستعارة تمثيلية قد ذكرت فيها الصورة المستعارلها وهى صورة قدرة الله تعالى على التصرف على الأمور الصعبة وهى صورة معقولة وأما الصورة المستعارمنها وهى صورة الشخص الذى قبض شيئا عظيما بكفه وطوى السموت بيمينه فهى الصورة المحسوسة والجامع بينهما هوحقارة الشيئ العظيم أمام قدرة أحد وهو أيضا من الأمور المعقولة فالاستعارة مكنية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"والكلام عند كثير من الخلف تمثيل لحال عظمته تعالى ونفاذ قدرته عز وجل وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إليها بحال من يكون له قبضة فيها الأرض جميعاً ويمين بها يطوي السماوات"[1309]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- تقديم المفهوم العقلى فى صورة حية تترشح منها الأفكار الأساسية التى يحتاجها السامع والمشاهد فهو يقتطف من هذه الصورة قدرة الله الكاملة

على التصرف فى الأمور الصعبة التى تتحير فيها العقول وأن الأجرام الفلكية العظيمة التى تعدها العقول عظيمة حقيرة أمام قدرة الله المحيطة وهذا أيضا يدل على قدرة الله تعالى الكاملة.قال العلامة البيضاوى رحمه الله تعالى:" تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل"[1310] وأفادت هذه الصورة أيضا أن غير الله تعالى لايقدرون على التصرف فى مثل هذه الأشياء. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وقال بعضهم : المراد التنبيه على مزيد جلالته عز وجل وعظمته سبحانه بإفادة أن الأرض جميعاً تحت ملكه تعالى يوم القيامة فلا يتصرف فيها غيره تعالى شأنه بالكلية كما قال سبحانه : { الملك يَوْمَئِذٍ للَّهِ } [الحج : 56] والسماوات مطويات طي السجل للكتب بقدرته التي لا يتعاصاها شيء[1311]

- وفيه إشارة إلى سخافة عقول المشركين لأنهم يشركون مع الله تعالى ما هم تحت سلطانه تعالى قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وفيه رمز إلى أن ما يشركونه معه عز وجل أرضياً كان أم سماوياً مقهور تحت سلطانه جل شأنه وعز سلطانه فالقبضة مجاز عن الملك أو التصرف كما يقال : بلد كذا في قبضة فلان ، واليمين مجاز عن القدرة التامة"[1312]

وصورالله تعالى عامل الآخرة ليفوز برضوان ربه وبحصول الجنة والاتقاء من النار فى صورة من يزرع الأرض ليحصل منه الثمرة "مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ"[1313] أى من كان يريد بعمله الآخرة فيعمل لرضوان الرب فيزيد الله تعالى فى عمله الحسن فيجعل له بالواحدة عشرا إلى ماشاء الله من الزيادة فى الثواب ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى ولايسعى للآخرة فيعطه الله من الدنيا ما قسم له.[1314] ففى هذه الآية شبه الله تعالى حال العامل للآخرة للفوز برضا الرب والجنة والنجاة من النار بحال من يزرع الأرض ليحصل منها الثمرة المستمرة غير المنقطعة والصورة المستعارلها هى من الأمور المعقولة وأما الصورة المستعارمنها فهى من الأمور المحسوسة والجامع بينهما هوا ستغلال الشيئ للنتيجة الجيدة وهو أيضا من الأمورالمعقولة فالاستعارة تمثيلية مكنية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى. وهكذا شبه الله تعالى حال العامل للدنيا لحصول المتاع الدنيوى وحصول التسهيلات للحيوة الدنيوية بحال من يزرع الأرض ليحصل منها الثمرة المنقطعة غير المستمرة فالاستعارة هنا أيضا تمثيلية مكنية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- قدم الله تعالى هذاالمفهوم فى صورة حية فهذه الصورة مكنت المشاهد من اقتطاف المفاهيم التى يحتاجها فبأهداب هذه الصورة تتعلق الأسرار البلاغية فيتراآى فى هذه الصورة افتراق طريقى العاملين فهذا يسعى لأخذ المنافع الدنيوية ويضيع فى طريقها مواهبه السنية فلايحصل إلا ما قدر له من الله تعالى وذلك يسعى لأخذ المنافع الأخروية ويبذل فى طريقها مواهبه السنية فيحصل على نتيجة سعيه أضعافا مضاعفة.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ، ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور أي من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها { وَمَن كَانَ يُرِيدُ } بأعماله { حَرْثَ الدنيا } وهو متاعها وطيباتها { نُؤْتِهِ مِنْهَا } أي شيئاً منها حسبما قدرناه له بطلبه وإرادته { وَمَا لَهُ فِى الاخرة مِن نَّصِيبٍ } إذ كانت همته مقصورة على الدنيا[1315]

- وفى هذاالتصوير المرسوم من جانب الله تعالى نلاحظ الموازنة بين نتيجة عمل ساعى الدنيا وبين نتيجة عمل ساعى الآخرة فبين الله تعالى أن ساعى الدنيا يحصل على الحرث الدنيوى الذى أراده وهذا يوحى أنه يعطى له ما سعى له وأما ساعى الآخرة ومريدها فيحصل على مراده أضعافا مضاعفة.
- ومن كلمة الحرث إشارة إلى ان العامل لابد أن يعمل لنفع مستمر فى المستقبل ومستقبل الدنيا لا وجود له على وجه اليقين لأن النفس لاتدرى ماذا تفعل غدا ' فلابد أن يختار الإنسان المستقبل الذى له وجود على وجه اليقين وهو المستقبل الذى بعد الموت.

وصور الله تعالى حال من يقدمون ببدء آراءهم أمام النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة من يسير أمام ملك أو حاكم عظيم وكان عليه أدبا أن يسير خلفه[1316] فقال تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[1317] فهنا استعارة تمثيلية فيه تشبيه الصورة بالصورة والمذكورة من الصورتين الصورة المستعارلها وهى الصورة المعقولة وأما الصورة المستعارمنها فهى لم تذكر وهى الصورة المحسوسة والجامع بينهما هو عدم مراعاة الأدب وهو أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة تمثيلية مكنية من المحسوس للمعقول بجامع عقلى.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- رسم الله تعالى صورة حسية للمفهوم العقلى وهى صورة حية فمكنت للمشاهد أن يتفكر فى مفردات الصورة فيقتطف اللآلى العلمية فهى أمام عينيه فأتاحت هذه الصورة له أن التقدم بالرأى أمام النبى صلى الله عليه وسلم خلاف الأدب كالمشى أمام ملك عظيم واجب الاحترام.
- بينت هذه الصورة شناعة حال من لم ينتظروا حكم النبى صلى الله عليه وسلم وأظهروا آراءهم قبله' لأن الذى يتقدم أمام ملك عظيم مكروه عند الناس عادة. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> ثانيهما استعارة الجملة وهي التقدم بين اليدين استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء ومتابعة لمن يلزم متابعته تصوير الهجنة والشناعة بصورة المحسوس فيما نهوا عنه كتقدم الخادم بين يدي سيده في سيره حيث لا مصلحة ، المراد من لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ الله وَرَسُولِهِ لا تقطعوا أمراً وتجزموا به وتجترؤوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم به ويأذنا فيه ، وحاصله النهي عن الأقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة.[1318]

وأمر الله تعالى المسلمين أن يقاتلوالكفار حتى تضع أهل الحرب السلاح فقال تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ"[1319] قال العلامة البغوى رحمه الله تعالى:"حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب"[1320] عبر الله تعالى عن انتهاء الحرب بوضعها أوزارها'شبه الحرب بالإنسان الذى يحمل حملا على رأسه أوظهره على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية وأثبت له من ملائمات المشبه به وهو وضع الأوزار على سبيل الاستعارة التخييلية ومن المعلوم أن الإنسان والحرب من الأشياء المحسوسة والجامع بينهما هو صلاحية كل منهما لحمل الأشياء المهلكة للناس ووضعها لها. وهو أمر معقول فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.

ويجوز أن تجرى الاستعارة فى تضع استعارة تصريحية تبعية بتشبيه انتهاء الحرب بوضع الأوزار على سبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وهي في الأصل الأحمال فاستعيرت لما ذكر استعارة تصريحية ، ويجوز أن يكون في الحرب استعارة مكنية بأن تشبه بإنسان يحمل حملاً على رأسه أو ظهره ويثبت لها ما أثبت تخييلاً ، وكلام الكشاف أميل إليه"[1321] ويمكن أن تكون استعارة تمثيلية بتشبيه صورة انتهاء الحرب بصورة وضع الإنسان أوزار الحرب على سبيل استعارة مكنية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله

تعالى:" ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمّال أو المسافر أثقاله ، وهذا من مبتكرات القرآن"[1322]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- عبر عن انتهاء الحرب مع المبالغة بطريق أبلغ لأن بعد انتهاء الحرب يبقى إمكان الابتداء ولكن إذا أراد المحارب أن لايعود إلى الحرب مرة أخرى فينبذ الأوزار المستخدمة فى الحرب لأن نبذ الشيئ يوحى الإعراض عن ذلك الشيئ.وتوحى هذه الاستعارة أن الجهاد ستستمر قال صاحب البحر المحيط:" وظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبداً ، وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها ، فجاء هذه ، كما تقول : أنا أفعل كذا وكذا إلى يوم القيامة ، فإنما تريد أنك تفعله دائماً"1323
- ولايخفى أن فى هذه الاستعارة تقديم المفاهيم فى صورة حية وبإمكان المشاهد أن يقتطف مآربه من هذه الصورة فهو يستنبط الإعراض الكامل عن الحرب بوضعها أوزارها وعدم إمكان انقطاع الحرب مع المشركين لتعليقه بشيئ غير ممكن.

وشبه النجوى بالإنسان فى قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [1324] على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة إثبات اليدين له لأن النجوى لايدله وفى إثبات اليدين له استعارة تخييلية.ويمكن أن تكون فى الكلام استعارة تمثيلية قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" وفي الكلام استعارة تمثيلية ، وأصل التركيب يستعمل فيمن له يدان أو مكنية بتشبيه النجوى بالإنسان ، وإثبات اليدين تخييل"[1325] وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:" وهي استعارة تمثيلية جرت مجرى المثل للقرب من الشيء قبيل الوصول إليه . شبهت هيئة قرب الشيء من آخر بهيئة وصول الشخص بين يدي من يرد هو عليه تشبيه معقول بمحسوس"[1326] فالاستعارة هنا إما المكنية التخييلية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى وإما استعارة تمثيلية مكنية من قبيل استعارة المحسوس للمعقول بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى تقديم المعقول فى صورة المحسوس تقريب إلى الأذهان.
- وفى صور ة الاستعارة التمثيلية تقديم الأمر المعنوى فى صورة حية فتشجع السامع على التفكر فى الأمور المعنوية فيلتقطها من التصوير المرسوم.

- وفى التعبير بكون الصدقة بين يدى النجوى إشارة إلى أن الصدقة ينبغى أن تكون قبيل النجوى كما أن الشيئ الذى يكون بين يدى الإنسان يكون قريبا منه.
- ولايخفى أن فى تخييل الاستعارة تقوية للاستعارة لأن إثبات اليدين للنجوى يدل على الصلة القوية بين الإنسان والنجوى لأنه اتصف بصفة الإنسان.قال صاحب التفسير المنير:" وهى استعارة بالكناية حيث شبه النجوى بالإنسان, وحذفه ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو اليدان"[1327]

***

المبحث الثانى

المحسوس للمحسوس بجامع حسى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعارله من الأمورالحسية فلا تدرك بها والجامع أيضا من الأمور الحسية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

يرسم الله تعالى حال الجهنميين فى كونهم محاطين بالنار من كل جانب فيقول تعالى:" لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"[1328] فشبه حالهم بحال من يكون محاطا بالمهاد والغواش قال صاحب التفسير المنير:"استعارة لما يحيط بهم من كل جانب مثل قوله : لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل(الزمر:16)"[1329] فهذه استعارة تمثيلية وهى صالحة للتجزئة فشبه ما هو تحتهم من النار بالمهاد وما هو فوقهم منها بالغواش فهى من أحسن وأروع أقسام الاستعارة التمثيلية. وقد ذكر المستعا لها وهى صورة محسوسة مركبة من الأجزاء المحسوسة وصورة المستعارمنها أيضا محسوسة مركبة من الأجزاء المحسوسة والجامع بينهما هو الإحاطة وهى أيضا من الأ مور التى تدرك بحاسة البصر فهى استعارة مكنية ومن قبيل استعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى هذه الاستعارة مبالغة فى عذاب الجهنميين لأ ن فيها من إحاطة المحيط بالمحاط وهو يوحى بأن جزءا من أجزاء جسم المعذب ليس خارجا من العذاب فهو معذب بأكمله.
- ثم فيهاإنذار الناس من عذاب الله تعالى الذى ليس له حد لمشاهدة المنظر الهائل وهو مصور أمامه كأنهم ينظرون إليه مع ما فيه من الشدة والخوف وإزعاج الذين هم فى داخله.
- وفى ذكر المهاد والغواشى إشارة إلى أن العذاب يكون فى كل وقت من الأوقات حتى فى الأوقات التى تكون مختصة للاستراحة التى تستخدم فيها المهاد والغواشى وهى معدة لإراحة الجسم المتعب طول النهار فإذا كانت الأشياء المعدة للراحة سببا للعذاب فكيف بالأشياء التى خلقت للعذاب.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:

والمِهاد بكسر الميم ما يُمْهَد أي يفرش ، و«غواش» جمع غاشية وهي مَا يغشى الإنسانَ ، أي يغطّيه كاللّحاف ، شبّه ما هو تحتهم من النّار بالمِهاد ، وما هو فوقهم منها بالغواشي ، وذلك كناية عن انتفاء الرّاحة لهم في جهنّم ، فإنّ المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للرّاحة ، فإذا كان مهادهم وغاشيتهم النّار . فقد انتفت راحتهم ، وهذا ذِكر لعذابهم بعد أن ذكر حِرمانهم من الخير .[1330]

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الراحة منتفية من كل الوجوه فالمحيط لايترك شيئا أن يصل إلى محاطه فكذلك النار لاتترك من التسهيلات إلى الناس الذين هم فى داخله.

وعبر عن انتشار الشيب فى الرأس باشتعال النار فى قوله تعالى:"قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا"[1331] ففى هذه الآية يمكن أن تكون استعارة تصريحية أواستعارة مكنية ولكن إذا أجريت الاستعارة فى واحدة منهما امتنع إجراؤها فى الأخرى.

أما الاستعارة التصريحية ففى اشتعل' فالمستعارمنه هو الاشتعال واشتق منه فعل اشتعل على سبيل الاستعارة التبعية والمستعارله هو انتشار الشيب فى الرأس والجامع فيه هو انتشار الشيئ الأبيض فى الشيئ الأسود وذكر من ملائمات المشبه وهو الشيب فالاستعارة فيه تجريدية وكل من المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور المحسوسة فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى.

وأما الاستعارة المكنية ففى شيبا فقد شبه بشواظ النار فالمستعارمنه هو شواظ النار وهو غير مذكور أما المذكور هنا فهو المستعارله وهو الشيب' وقدذكر من ملائمات المشبه به وهو الاشتعال فى الرأس فاشتق منه الفعل ففيه استعارة تبعية تخييلية وهى قرينة للمكنية.

ثم نلاحظ أن فى هذه الاستعارة نزع الجامع من متعدد فهى استعارة تمثيلية قد شبهت صورة انتشار الشيب فى الرأس باشتعال النار فى الحطب بجامع انتشار الشيئ الأبيض فى الشيئ الأسود. والمذكورهنا هى الصورة المستعارلها فالاستعارة مكنية.وكل من المستعارمنه وله والجامع من الأمور المحسوسة فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وشبّه عموم الشّيب شعرَ رأسه أو غلَبَته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود ، تشبيهاً مركباً

تمثيلياً قابلاً لاعتبار التفريق في التشبيه ، وهو أبدع أنواع المركب . فشبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل { اشتَعَل}.[1332]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- فى هذه الاستعارة مبالغة فى انتشار الشيب فى الرأس كما أن اشتعال النار فى الحطب يكون بسرعة فهكذاينتشر الشيب فى الرأس بسرعة.
- وفى تخييل الاستعارة بالاشتعال تتقوى الاستعارة وتتأيد وتتقوى علاقة النار بالشيب لأن بإثبات الاشتعال للشيب الذى هو من ملائمات المشبه به وهو النار يأتى بالمشبه فى إطار المشبه به فكأنهما شيئ واحد لاشيئان.
- تتراآى أمام المشاهد فى صورة الاستعارة التمثيلية صورة انتشار الشيب فى الرأس فى صورة حية فكأنها أمام عينه وهو يستنبط منه كل ما يحتاج إليه من المعلومات فهو يرى سرعة انتشار الشيب فى الرأس وكأن الشيب يتحرك ويبيض كل شعر أسود كما أن النار تبدل هيئة الحطب السود من السواد إلى البياض وتتركها جمرة متوقدة مشتعلة.
- وقد ازدادت المبالغة فى إسناد الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته والإخراج مخرج التمييز.قال العلامة الألوسى رحمه الله تعالى:

وأسند الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته وأخرج مخرج التمييز للمبالغة وإفادة الشمول فإن إسناد معنى إلى ظرف ما اتصف به زمانياً أو مكانياً يفيد عموم معناه لكل ما فيه في عرف التخاطب فقولك : اشتعل بيته ناراً يفيد احتراق جميع ما فيه دون اشتعل نار بيته[1333]

***

المبحث الثالث

المحسوس للمحسوس بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعارله من الأمورالحسية فلا تدرك بها والجامع من الأمور العقلية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

صور الله تعالى حال المنافقين فى عبادتهم وتذبذبهم فيها فى صورة من ينحرف إلى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فقال تعالى:" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ"[1334] فاستعير هيئة من ينحرف إلى طرف الجيش ويكون بين القرار والفرار حسب هزيمة الجيش ونصرته فالاستعارة تمثيلية لأن فيها استعارة الهيئة للهيئة قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:"{ وَمِنَ الناس مَن يَعْبُدُ الله على حَرْفٍ } شروعٌ في بيانِ حالِ المُذبذبين إثرَ بيانِ حالِ المُجاهرين أي ومنهُم من يعبدُه سبحانه وتعالى على طَرَفٍ من الدِّين لا ثباتَ له فيه كالَّذي ينحرفُ إلى طَرَفِ الجيشِ فإنْ أحسَّ بظَفَرٍ قَرَّ وإلا فَرَّ"[1335] والمذكور هنا هى الهيئة المستعارلها فهى من الاستعارة المكنية والصورة المستعارمنها هى المكونة من المحسوس والمعقول لأن قراره وفراره من الأمور المشاهدة ولكن النية التى هى خلف هذاالعمل من الأمور المعقولة فهذه الصورة بأكملهامن الأمور المعقولة والجامع بينهما هو التذبذ ب وهو أيضا من الأمور المعقولة فهذه استعارة من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- أظهر الله تعالى التذ بذب الذى يخفيه المنافق فى قلبه باستعارة له صورة من يلحق فى الجيش وليس معهم من أعماق قلبه بل اشترك ناويا أنه سيستمر فى الحرب إن رآى آثار الظفر وإلاينقلب منهم فباستعارة هذه الصورة وهى صورة المتذ بذب ظهرت نية المنافق فإنه أيضا ينتظر آثار الظفر فإن رآها استمر وإلا فر.
- لاحظنا فى التفصيل السابق أن الله تعالى قدم الشيئ العقلى فى صورة حية فيسهل على المخاطب أن يفهم هدفه بسهولة لأن الصورة عرضت المفاهيم أمام أعين المشاهد فلا يخفى عليه فهمها فالقصة التى تروى فى شأن نزول هذه الآية تاتى إلى منصة الشهود بعد أن كانت مخفية والقصة كما نقلها العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:

رُوي أنَّها نزلتْ في أعاريبَ قدمُوا المدينة وكانَ أحدُهم إذا صحَّ بدنُه وتُنتجتْ فرسُه مُهراً سَرِيًّا وولدتِ امرأتُه ولداً سَوِيًّا وكثُر مالُه وماشيتُه قال : ما أصبتُ منذُ دخلتُ في ديني هذا إلاَّ خَيْراً واطمأنَّ وإن كانَ الأمرُ بخلافِه قال : ما أصبتُ إلاَّ شرًّا وانقلبَ[1336]

ورسم الله تعالى صورة لتعذيب الكفار فى نارجهنم فى قوله تعالى:"النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ"[1337] ففيه استعارة تمثيلية قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم بحال متاع يعرض للبيع وجعل الناركالطالب الراغب فى الكفار"[1338] قدذكرت الصورة المستعارلها وهو عرض الجهنميين على الناروهى صورة حسية وأما الصورة المستعارمنها فلم تذكر وهى صورة عرض متاع يعرض على الناس للبيع وهى أيضا من الصورة الحسية والجامع عرض الشيئ على طالبى ذلك الشيئ. فالاستعارة مكنية من المحسوس للمحسوس بجامع عقلى.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- المتاع يعرض على من هم فى طلب ذلك المتاع فهم يختارونه للبيع أويردونه ففى إلحاق الصورة المستعارلها وهى عرض الجهنميين على النار انتقل وصف الطلب إلى النار فكأن النار فى طلبهم وهذه صورة مروعة لأن العذاب إذا كان فى طلب المعذبين تضاعف الخوف وصار إمكان وجود العذاب مئة فى مئة لأن العذاب يطلب المعذبين بنفسه .
- وحقيقة العرض إظها رشيئ لمن يراه للترغيب أو للترهيب فعرض الناس على نار جهنم يكون الصورة المخوفة للمنذرين قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"العرض حقيقته : إظهار شيء لمن يراه لترغيب أو لتحذير"[1339]
- ونلاحظ أن فى هذه العبارة قلب لأن الشيئ المعروض هو النار لا المعذ بون وهذا القلب يوحى المبالغة فى إحساس العذاب لأن فى عرض العذاب إراءة فقط وأما فى عرض المعذبين لايكون المقصود الإراءة فقط بل التعذيب والإراة كليهما.[1340]
- ولايخفى أن فى العرض تخويف للمخاطبين وعتاب لمن يعرض على النار لأن المالك يخوف عبده العاصى من العاقبة السيئة.

***

المبحث الرابع

المعقول للمعقول بجامع عقلى:

سأناقش فى هذاالمبحث إن شاء الله تعالى الآيات التى تحتوى على الاستعارة التمثيلية التى ذكر فيها المستعارله ويكون المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور العقلية وتكون هذه المناقشة فى ضوء النصوص القرآنية فنقف أمام الحلاوة التى تتعلق بها فنمتصها منها ونشعل أذهاننا ببلاغتها وبالله تعالى التوفيق فهو وليه فنعم المولى ونعم النصير.

يبين الله تعالى الخباثة الأخرى للمنافقين وهى أنهم كانوا يظهرون إيمانهم إذالقوا المؤمنين وينكرون الإيمان إذا خلوا إلى شيطينهم وكأنهم يريدون الخدعة مع المؤمنين وبما أن الله هو القاضى حسب أعمالهم فى الدينا والآخرة فكأنهم يريدون الخدعة مع الله تعالى مع أن الخدعة لايمكن مع الله تعالى بل هذه خدعتهم مع أنفسهم فيقول الله تعالى فى إظهار هذه الحقيقة:" يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُون"[1341] فى هذه الآية شبه حال المنافقين مع ربهم ومع المؤمنين فى إظهار الإيمان وإخفاء الكفر بحال رعية تخادع سلطانها فاستعير حال خدعة الرعية سلطانها لحال خدعةالمنافقين مع ربهم ومع المؤمنين بجامع إظهار الأمور خلاف الواقع .[1342]

نلاحظ أن المستعار منه والمستعارله والجامع من الأمور المعقولة فهى من استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى. والمذكور هنا المستعارله لاالمستعارمنه فالاستعارة مكنية.وبما أن الاستعارة فى المشتق وهو يخادعون ويخدعون وهما مشتقان من الخداع والمخادعة فالاستعارة تبعية. وأيضا نرى أن المستعار منه والمستعارله قد ركب من عدة أمور والجامع قد انتزع من عدة أمور فالاستعارة تمثيلية.الآن أمامنا صورتان صورة المستعارمنه وصورة المستعارله أماالمستعارمنه فهو صورة الرعية أعطاهم سلطانهم القوانين المختلفة وهو يرجو أنهم سينقادون له وهم يظهرون أنهم ينقادونه مع أن الواقع خلاف مايظهرونه وهم يظنون أن سلطانهم قد آمن بما قالوه مع أنه فهم كل ماهو خلف أعمالهم وفى مرآة هذه الصورة نرى صورة أخرى وهى صورة المنافقين فإنهم مكلفون بأن يؤمنوا بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم وهم يظهرون إيمانهم أمام المؤمنين ويظنون أن المؤمنين قد آمنوا بما أظهروه مع أن إظهارهم الإيمان خلاف الواقع والله تعالى يعلم هذه الحقيقة.وهذا فى الحقيقة خداعهم أنفسهم لأنهم يسلون أنفسهم أنهم قدخدعواالله تعالى والمؤمنين مع أن الأمر ليس كذلك.الآن نأتى إلى الأسرار البلاغية التى تتعلق بهذاالأسلوب:

- قد م الله تعالى شناعة المنافقين فى صورة حية ومهد للناس الطريق إلى التفكر فى سبيل طلب الحقيقة والوصول إليها فقدمها فى صورة من يخادعون الملك ظانين أن الملك لايعلم ما يريدونه فهكذا هؤلاء المنافقون يظهرون للمؤمنين خلاف ما فى قلوبهم ظانين أن المؤمنين لايعلمون ما يريدونه مع أن الذى يعلم كل شيئ فى السموت والأرض يوحى إليهم الحقيقة بواسطة نبيه.وهذايدل على شناعتهم وسخافة عقولهم.
- المخادعة من باب المفاعلة وهو يقتضى المشاركة من الجانبين مع أن الخداع من قبل المنافقين لامن قبل الله تعالى والمؤمنين ولكن خداعهم مردود عليهم لأنهم وقعوا بأنفسهم فى الخداع فكأن الخداع من الجانبين.
- وفى خداعهم أنفسهم إشارة إلى أن إقرارهم أنفسهم على النفاق وعدم الإيمان خلاف الفطرة لأنها تقتضى أن تتبع الطريق الموصل إلى الهداية والإيمان بالله تعالى فإذا طلبت من المنافقين أن يتبعوا هذاالطريق فأبوا أن يفعلوا هذا وسلّوها بالمواعيد الكاذبة. وهذا فى الحقيقة خداعهم أنفسهم.قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> فكأنهم لما عصوا نفوسهم التي تدعوهم للإيمان عند سماع الآيات والنذر إذ لا تخلو النفس من أوبة إلى الحق جعل معاملتهم لها في الإعراض عن نصحها وإعراضها عنهم في قلة تجديد النصح لهم وتركهم في غيهم كالمخادعة من هذين الجانبين.[1343]

وحذر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه فقال تعالى:"فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا"[1344] ومعنى الباخع قاتل نفسه بالذبح الأعمق لأنه "مشتق من البِخاع بالباء الموحدة (بوزن كتاب) وهو عرق مستبطن في القفا فإذا بلغ الذابحُ البخاع فذلك أعمق الذبح"[1345] فشبه الله تعالى حال نبيه صلى الله عليه وسلم بحال من هم بإهلاك نفسه من شدة الحزن لأجل مفارقة الأحباب قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية شبه حاله صلى الله عليه وسلم مع المشركين بحال من فارقته الأحباب فهمّ بإهلاك نفسه حزنا عليهم"[1346] وفى معنى هذه الآية احتمالان: الأول أن يكون المعنى: لعلك مهلك نفسك لأجل إعراضهم عنك كما يُعرض السائر عن المكان الذي كان فيه والاحتمال الثانى: أن يكون المعنى تمثيل حال الرسول صلى الله عليه وسلم في شدة حرصه على اتباع قومه له وفي غمه من إعراضهم . وتمثيل حالهم في النفور والإعراض بحال من فارقه أهله وأحبتُه فهو يرى آثار ديارهم ويحزن لفراقهم.[1347]

فالمستعارله هو حال النبى صلى الله عليه وسلم من شدة حزنه على عدم الإيمان من قومه والمستعارمنه هو حال من هم بإهلاك نفسه من شدة الحزن

لأجل مفارقة الأحباب والجامع هو ارتكاب العمل المضر إلى أقصى الحد من شدة الحزن على عدم حصول الشيئ المحبوب. وكل من المستعارله والمستعارمنه والجامع من الأمور المعقولة فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. والمذكور هنا الصورة المستعارلها فالاستعارة مكنية. والمزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية ما يلى:

- استخدام كلمة باخع ولّد المبالغة لأن البخاع مبالغة فى الذبح بإيصال السكين إلى القفا وهوعلامة بذل الجهد المبالغ فى الذبح فنهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة الألم على عدم الإيمان وفيه بيان الكيفية القلبية للرسول صلى الله عليه وسلم.
- قدم الله تعالى حزن النبى صلى الله عليه وسلم المستمر فى صورة حية مشاهدة وهذه الصورة مشاهدة عند عامة الناس وهم يحسون حزن الفاقد أحبابه ويأسه الشديد وشدة الحرص على وصال الحبيب فهكذاالنبى صلى الله عليه وسلم كان يعانى الحزن الشديد من عدم إيمان قومه.
- كلمة "لعل" تستخدم لإنشاء الرجاء والتوقع لا فى الأمر المكروه مع أن إهلاك النفس من الامور المكروهة' فربما فيه إشارة إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حالة الحزن المستمرة كأنه شيئ محبوب يرجى وصاله ففيه التحذير عن هذه الحالة' قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> و (لعل) حقيقتها إنشاء الرجاء والتوقع ، وتستعمل في الإنكار والتحذير على طريقة المجاز المرسل لأنهما لا زمان لتوقع الأمر المكروه .وهي هنا مستعملة في تحذير الرسول عليه الصلاة والسلام من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه . وذلك في معنى التسلية لقلة الاكتراث بهم[1348].

وعبر الله تعالى عن اضطراب يأجوج ومأجوج وتداخلهم بعضهم فى بعض بتداخل الأمواج بعضها فى بعض فقال تعالى:" وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا"[1349] فهذه استعارة تمثيلية شبهت صورة اضطراب يأجوج ومأجوج وتداخل بعضهم فى بعض بصورة تداخل أمواج البحر بعضها فى بعض قال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى:" أو تركنا بعضَ يأجوجَ ومأجوجَ يموج في بعض آخرَ منهم حين يخرُجون من السد مزد حمين في البلاد"[1350]والمراد من هذاالتموج والاضطراب هو صيرورة فسادهم قاصرا عليهم ود فعه عن غيرهم لأنهم إذا لم يجدوا ما اعتادوه من غزو الأمم المجاورة لهم رجع قويهم على ضعيفهم بالاعتداء .[1351]

قد ذكرت الصورة المستعارلها وهى صورة اضطراب يأجوج ومأجوج فهى استعارة مكنية وكل من هذاالاضطراب وتموج أمواج البحر من

الأشياءالمحسوسة والجامع وهوشدة اختلاط الأشياء بعضها فى بعض أيضا من الأمور الحسية فالاستعارة من المحسوس للمحسوس بجامع حسى.

وفى هذه الآية استعارة تمثيلية أخرى وهى استعارة صورةالجند الذين ينفذون أمر القائد بالنفيرفيسرعون إلى الخروج إذا سمعوا بوق النفير لصورة الداعى المطاع وحال المدعو الكثير العدد السريع الإجابة.[1352] فالصورة الأولى مستعارمنها والصورة الثانية هى المستعارلها وقدذكرت هنا الصورة المستعارلها فالاستعارة مكنية ونلاحظ أن إسراع الجند إلى الخروج من الصورالحسية وهى دالة على انقياد تام للقائد ولكن الانقياد بنفسه أمر معقول فالصورة من الأمور العقلية وهكذا صورة الداعى والمدعو الكثير من الأمور العقلية والجامع وهو الائتمار الدال على الانقياد التام أيضا من الأمور العقلية فالاستعارة من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- فى استعارة التموج لكثرة الاختلاط والاضطراب مبالغة فى التداخل والكثرة لأن أمواج البحر من شدة اتصالها بعضها ببعض مثل الموج الكبير الواحد ومن أجل كثرتها صيّرت البحر الكبير ففى مرآة هذه الصورة تتراآى أمام الرائى صورة تداخل يأجوج ومأجوج وكأنهم من شدة اتصالهم بعضهم ببعض جسد واحد ومن كثرة عددهم كوّنوا بحراعظيما من الناس.
- ثم استخدام كلمة " فى" زاد فى هذه المبالغة لأن هذه الأداة تدل على الظرفية وليس هناك ظرف ومظروف فهى تدل أن من شدة التلاصق بعضهم ببعض تترآى أمام المشاهد كأنها صورة مكونة من تداخل بعض الأجزاء فى بعض.
- فى الصورة الثانية قرّب انقياد المدعو بالنفخ بإلحاقه بمطاوعة الجند أميرهم فهى صورة مشاهدة معلومة عند الناس فى حياتهم اليومية فقرب إلى الأفهام فهم هذه الصورة.
- ولايخفى مافى هذين الصورتين من تقديم الأمور فى صورحية مفهومة منكشفة من كل قسم من الإبهام والخفاء.
- وفى اختيار صيغة الماضى فى "تركنا" و"نفخ" إشارة إلى تحقق الفعل فكأنه وقع مع أنه سيقع فى المستقبل.

وعبر الله تعالى عن عدم حزن السماء والأرض على موتهم بعدم بكائهما عليهم فقال تعالى:" فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ"[1353] قال صاحب التفسير المنير:"استعارة تمثيلية,أى لم تحزن على هلاكهم السماء والأرض وهذاأسلوب عربى يقال للتحقير والتهكم بحالهم"[1354] الصورة المستعارمنها هى صورة انتفاء الشخص الحزين والصورة المستعارلها هى صورة انتفاء بكاء السماء والأرض على هلاك المجرمين. والجامع هو التأسف

وكل من المستعارمنه والمستعارله والجامع من الأمور العقلية فهذه الاستعارة تمثيلية مكنية من المعقول للمعقول بجامع عقلى. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- البكاءهو مظهر التأسف على وجه المبالغة وفيه سخرية بهم لأنهم كانوا يستعظمون أنفسهم ومقتضى هذا الاستعظام أن تحزن السماء والأرض على موتهم فتبكى على موتهم ولكنهما مابكت قال ابن عادل رحمه الله تعالى:" وقال الزمخشري : ذكر هذا على سبيل السخرية بهم يعني أنهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون أنهم لو ماتوا لبكت عليهم السماء والأرض ، ولم يكونوا بهذا الحَدِّ ، بل كانوا دون ذلك ، فذكر هذا تهكماً بهم".[1355]
- قدم الله تعالى انتفاء الحزن فى صورة حية التى مكنت المشاهد أن يقتطف مايحتاجها بنفسه مع ما فيه من سرور القلب فى التفكر فى مفاهيم الصورة المرسومة.
- الصورة المعقولة فى المستعارمنه هى قريبة إلى أفهام المخاطبين لأن التأسف والتلهف فى صورة البكاء أقرب فهما من صورة الحزن بدون البكاء مع مافيها من المبالغة.

وعبر الله تعالى عن المنفق بإخلاص بمن يقرض ربه قرضا واجب الوفاء فى قوله تعالى:"مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ"[1356] فاستعيرت صورة المقرض للمنفق فى سبيل الله تعالى بإخلاص فيضاعفه أضعافا كثيرة على سبيل الاستعارة المكنية من قبيل استعارة المعقول للمعقول بجامع عقلى والاستعارة تمثيلية. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وإيّما كان فالكلام إما على التجوز في الفعل فيكون استعارة تبعية تصريحية أو التجوز في مجموع الجملة فيكون استعارة تمثيلية وهو الأبلغ أي من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله تعالى مخلصاً متحرياً أكرمه وأفضل الجهات رجاء أن يعوضه سبحانه بدله كمن يقرضه { إِنَّ لَهُ } فيعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً أضعافاً كثيرة من فضله[1357]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الاستعارة فى هذه الآية مايلى:

- القرض يدل على أن الله تعالى يعطى المنفق بإخلاص عوضا عن ما أنفق فى سبيله تعالى. قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز ، لأنه إذاأعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ } أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً"[1358]

- ومالايخفى أن فى استخدام كلمة القرض من معنى الصيانة لأن القرض يكون حفظه بذمة المقروض فإن ضاع ضاع على المقروض وعليه أن يرده كما اخذه ففيه إشارة إلى أن الله تعالى سيرد المال الذى أنفقه المنفق فى سبيل الله تعالى ففيه حث على الإنفاق فى سبيل الله تعالى. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا } ندب بليغ من الله تعالى إلى الانفاق في سبيله مؤكد للأمر السابق به وللتوبيخ على تركه فالاستفهام ليس على حقيقته بل للحث"[1359]

***

والقسم الخامس من هذه الأقسام هو الاستعارة التمثيلية المكنية من قبيل المعقول للمحسوس بجامع عقلى ولكن لم أجد هذاالقسم فى القرآن الكريم فلم أنا قشه.

***

الباب الخامس

المجاز والكناية

التمهيد:

اعلم أن الباب الخامس يشتمل على المجاز والكناية وأقسام المجاز هى المجاز المستعار والمجاز العقلى والمجاز المرسل أما المجاز المستعار فقد ناقشناه فى البابين الثالث والرابع ففى هذا الباب سنناقش القسمين الآخرين للمجاز وهما المجاز العقلى والمجاز المرسل ولهذا فقد قسمت هذاالباب إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول فى المجاز المرسل والفصل الثانى فى المجاز العقلى والفصل الثالث فى الكناية.

الفصل الأول

المجاز المرسل

اللفظ قد يستعمل فى المعنى الموضوع لذلك اللفظ فيقال إن اللفظ حقيقة فى ذلك المعنى وقد يتجاوز عن معناه الأصلى إلى غير ماوضع له فيقال إن اللفظ مجاز فى ذلك المعنى وتكون العلاقة موجودة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى. ثم هذه العلاقة قد تكون مشابهة وقد لاتكون كذلك فإن كان الأول فالمجاز مستعار وإن كان الثانى فالمجاز مرسل والمجاز المرسل من أقسام المجاز اللغوى كما أن المجاز المستعار من أقسام المجاز اللغوى وهو استعمال اللفظ فى غير ماوضع له لمناسبة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى غير علاقة المشابهة.قال العلامة الجرجانى رحمه الله تعالى:

> المجاز : اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما، كتسمية الشجاع: أسدا، وهو مفعل بمعنى فاعل، من: جاز، إذا تعدى، كالمولى، بمعنى: الوالي، سمي به لأنه متعدٍّ من محل الحقيقة إلى محل المجاز، قوله: لمناسبة بينهما، احترز به عما استعمل في غير ما وضع له لا لمناسبة، فإن ذلك لا يسمى مجازاً بل كان مرتجلاً أو خطأ، والمجاز، إما مرسل، أو استعارة، لأن العلاقة المصححة له، إما أن تكون مشابهة المنقول إليه بالمنقول عنه في شيء، وإما أن تكون غيرها، فإن كان الأول يسمى المجاز: استعارة، كلفظ الأسد إذا استعمل في الشجاع، وإن كان الثاني فيسمى: مرسلاً، كلفظ اليد إذا استعمل في النعمة، كما يقال: جلت أياديه عندي، أي كثرت نعمه لدي، واليد، في اللغة: العضو المخصوص، والعلاقة كون ذلك العضو مصدراً للنعمة، فإنها تصل إلى المنعم عليه من اليد[1360]

والمجاز سواء كان مستعارا أو مرسلا أو عقليا من أحسن الوسائل لإظهار مافى نفس المخاطب من المعانى والأفكار وبه تتسع اللغة ويجعل المتكلم أن يؤدى مقصوده بطريقة جيدة فى ألفاظ قليلة. ولذا نرى أن القرآن الكريم أكثر من استخدام المجاز فى أساليبه ونجد أساليب المجازات بكثرة فى الأحاديث النبوية ونصوص الأدباء.

وقد ناقشت المجاز المستعار وعالجته فى ضوء النصوص القرآنية وسأناقش المجاز المرسل فى هذاالباب باختصارشديد وبالله التوفيق ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

الأسرار البلاغية الكامنة فى أساليب المجاز المرسل:

قد ذكرت الأسرار البلاغية التى تكون فى أسلوب المجاز المرسل فى ضمن شرح علاقاتها فلا داعى أن أكررها هنا.

علاقات المجاز المرسل:

كما قلت إن العلاقة بين المعنى الأصلى والمجازى تكون غير المشابهة وهى تكون كثيرة:

إطلاق اسم الكل على الجزء

منها:إطلاق إسم الكل على الجزء كما فى قوله تعالى:" يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق"[1361] فكلمة الأصابع ليست محمولة على الحقيقة بل المراد هنا هو وضع الأنامل فى آذانهم لا كل الأصابع لأن وضع الأصابع كلها فى الآذان لايمكن. فقد أطلق الكل والمراد منه الجزء على سبيل المجاز المرسل. والمزايا البلاغية فى استخدام هذاالأسلوب هنا ما يلى:

- فيه نسبة الجعل إلى كل الأصابع مع أنه يكون ببعضعها وهذايظهر شدة حرصهم على سد الآذان كى لا يصل إليها شيئ من هذه الأصوات.ففيه مبالغة فى سد آذانهم وبالتالى فهو يكشف عن شدة خوفهم ودهشتهم.
- و أيضا فيه نسبة إلى الأصابع كلها مع أنه يكون بالسبابتين ولايخفى ما فى هذه النسبة من المبالغة والكشف عن قلقهم واضطرابهم وشدة حرصهم على سد آذانهم فكأنهم أدخلوا كل الأصابع مكان السبابتين.
- وفى استخدام الجعل مكان الإدخال مبالغة فى الإحاطة فالمراد الذى يترشح من هذاالأسلوب هو أنهم لفرط الدهشة والخوف كانوا حارصين على أن لايقع شيئ من الأصوات المهيبة فى آذانهم ومما لايخفى أن فى الجعل معنى الإحاطة ماليست فى الإدخال فالجعل يوحى أن الشيئ المجعول محاط من كل الأطراف وأما الإدخال فيوحى أنه محاط من المدخل فقط.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وفي الآية مبالغة في فرط دهشتهم وكمال حيرتهم كما في الفرائد من وجوه . أحدها : نسبة الجعل إلى كل الأصابع وهو منسوب إلى بعضها وهو الأنامل وثانيها : من حيث الإبهام في الأصابع والمعهود إدخال السبابة فكأنهم من فرط دهشتهم يدخلون أي أصبع كانت ولا يسلكون المسلك المعهود وثالثها : في ذكر الجعل موضع الإدخال فإن جعل شيء في شيء أدل على إحاطة الثاني بالأول من إدخاله فيه[1362].

فمن هذاالأسلوب يترشح معنى الخوف والفرار وهذا لايستفاد من الأسلوب العادى.

وكما فى قوله تعالى:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[1363]

فذكر الله تعالى العدة فى هذه الآية والمراد بها بعض من العدة وهو آخر العدة لأنه لو انقضت العدة كلها لما جاز للزوج إمساك الزوجة أما الخيار بين الإمساك والتسريح حاصل له إذا لم تنقض العدة ولكن قرب انقضاءها ومفروض أن يختار أحد الخيارين أما فى أوائل العدة فعنده فترة طويلة للتفكر بين الإمساك والتسريح. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النساء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ أي آخر عدتهن فهو مجاز من قبيل استعمال الكل في الجزء إن قلنا : إن الأجل حقيقة في جميع المدة كما يفهمه كلام الصحاح وهو الدائر في كلام الفقهاء ، ونقل الأزهري عن الليث يدل على أنه حقيقة في الجزء الأخير ، وكلا الاستعمالين ثابت في الكتاب الكريم ، فإن كان من باب الاشتراك فذاك وإلا فالتجوّز من الكل إلى الجزء الأخير أقوى من العكس والبلوغ في الأصل الوصول وقد يقال للدنوّ منه وهو المراد في الآية وهو إمّا من مجاز المشارفة أو الاستعارة تشبيهاً للمتقارب الوقوع بالواقع ليصح أن يرتب عليه[1364]

ومن المزايا البلاغية فى استخدام هذاالأسلوب مايلى:

- كما أنه لاخيار بعد انقضاء العدة فكذلك يسرع انتهاء الخيار قبيل انتهاء العدة وكأنه ليس هناك خيار بالكلية ففى استخدام هذاالأسلوب مبالغة.
- وفيه حث على التفكير فى العاقبة فى اول فرصة لأن الذى لايكون معه وقت طويل للتفكير يكون مضطرا أن يتفكرويختار أحد الطرق المتاحة له بكل سرعة.

وهكذا نرى فى قوله تعالى:" فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" [1365] نرى أن المراد بأنبياء الله تعالى ليس إلا البعض لأنهم ما قتلوا كل الأنبياء

بل بعضهم قال صاحب التفسيرالمنير:"مجاز مرسل حيث أطلق الكل وأريد البعض وكذلك فى قوله وكفرهم بآيات الله مجاز مرسل لأنهم كفروا بالقرآن والإنجيل دون غيرهما". [1366]ومن المزايالبلاغية الموجودة فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- لايخفى ما فى هذا الأسلوب من المبالغة ففيه إشارة إلى أن قتل بعض الأنبياء مثل قتل كل الأنبياء والكفر ببعض آيات الله تعالى مثل الكفر بآيات الله تعالى كلها.
- وبناء على هذه المبالغة فيه توبيخ شديد للذين يرتكبون هاتين الشنيعتين فقد ضوعفت شنيعتهم أضعافا مضاعفة.

وهكذا نرى فى قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" [1367] نرى فى هذه الآية أن الله تعالى أطلق الملائكة على ملك خاص وهو جبرئيل عليه السلام قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

> المسألة الثانية : قالوا المراد بالملائكة ههنا جبريل وحده ، وهذا كقوله يُنَزّلُ الملائكة بالروح مِنْ أمْرِهِ [النحل : 2] يعني جبريل ، وهذا وإن كان عدولاً عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه ، لأن سورة مريم دلت على أن المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام ، وهو قوله فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً{مريم : 17} [1368]

ومن المزايالبلاغية الموجودة فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- ربما فى قول القائلين الكثيرين إشعار فى توكيد ما قالوه وأن المقول لايشوبه من الشك شيئ وأما قول القائل الواحد يشوبه من الشك وزلة اللسان فهذاالأسلوب يوحى أن المقول لاشك فيه والله تعالى أعلم وما أوتينا من العلم إلا قليلا.
- ويمكن أن تكون فيه إشارة إلى تعظيم مرتبة جبرئيل عليه السلام لأنه جعل قوله مثل قول كل الملائكة ' فكأن قوله فى التأكد والصدق وعدم الشائبة مثل قول الملائكة كلها.

وهكذا نرى فى قوله تعالى:" وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ" [1369] فقد أطلق كلمة الرسل على الرسول إذالمراد بالرسل هود عليه السلام قال صاحب التفسير المنير:"المراد عصوا رسولهم هودا من قبيل المجاز المرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض" [1370]

ومن المزايالبلاغية الموجودة فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن عصيان أحد من الأنبياء مثل عصيان كل الأنبياء فهذا كفر وذاك كفر,ولايخفى أن التعليمات الأساسية للأنبياء كلهم هى متساوية فكلهم قد دعوا إلى التوحيد والرسالة والآخرة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة وما إلى ذلك ولهذا فقد بشروا بالقادمين وصدقوا الماضين كما يترشح من وصية عيسى عليه السلام المنقولة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" [1371]

إطلاق الجزء وإرادة الكل

ومنها: عكس الأول تماما أى اطلاق اسم الجزء على الكل كما فى قوله تعالى:" ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام"[1372] فليست كلمة وجه جارية على حقيقتها لأن المستفاد منها أن الباقى فى الجسم هو الوجه فقط مع أن الواقع ليس كذلك بل الباقى هو ذات الله تعالى فعلم أن المراد من الوجه هو ذات الله تعالى على سبيل المجاز المرسل. وهكذا استخدمت كلمة الوجوه فى قوله تعالى:"وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"[1373] فليست كلمة الوجوه جارية على الحقيقة لأن المأمور به ليس تولى الوجوه فقط بل كل الأجساد إلى الكعبة المكرمة قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:"أي ذواتكم إذ الاستقبال يجب بالصدر"[1374], فالمذكور هو الجزء والمراد منه الكل على سبيل المجاز المرسل.والمزايا البلاغية المتعلقة بهذاالأسلوب فى هذه الآية مايلى:

- فى إطلاق الوجه عن الذات إشارة إلى أن الوجه هو أشرف الأعضاء فى الجسم ولهذا عبر الله تعالى عن تنعم الأجساد وخشوعها بتنعم الوجوه وخشوعها فى قوله تعالى:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ.....وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ"[1375] فأطلق عن الأجساد بالوجوه لأنها من أشرف الأعضاء وبها تظهر الخشوع والتنعم.قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:" عبر بالوجوه عن جميع الأجساد لأن التنعم والنصب حاصل بكلها"[1376]

وهكذا أمر الله تعالى بتولية الوجه إلى المسجد الحرام فى الصلاة فى قوله تعالى:"قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ

أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ"[1377] قال صاحب التفسير المنير:" أطلق الوجه وأريد به الذات من قبيل المجاز المرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل" [1378] وقال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وتخصيص التولية بالوجه لما أنه مدار التوجه ومعياره ، وقيل : المراد به جميع البدن وكنى بذلك عنه لأنه أشرف الأعضاء وبه يتميز بعض الناس عن بعض ، أو مراعاة لما قبل"[1379]

فمن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- لايخفى أن الوجه أشرف الأعضاء فى جسم الإنسان فلهذا أطلق به وأراد كل الجسم.
- الوجه معيارالتوجه ومداره.
- فى ذكر الوجه مراعاة لما قبل لأن المذكور فيما قبل هو الوجه.

وهكذا نرى أن الله تعالى أمر نبيه أن يقول لأهل الكتاب المعاندين أنه أسلم وجهه لله تعالى إن حاجوه فى دينه فقال تعالى:

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[1380]

فنسب الإسلام إلى الوجه مع أن المراد الكل قال صاحب التفسير المنير:" أطلق الوجه وأراد الكل فهو مجاز مرسل من إطلاق الجزء وإرادة الكل." [1381] فمن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- كما قلت سابقا أن الوجه أشرف الأعضاء فى جسم الإنسان فلهذا عبر به عن كل الجسم ثم نلاحظ أن فى إسلام ماهو أشرف أعضاء الإنسان لله تبارك وتعالى إشعار أن الإنسان ضعيف أمام هيبة الله تعالى وهو منقاد من كل الوجوه حتى أن أشرف أعضاء جسمه منقاد إلى الله تعالى.

وهكذا نسب الله تعالى أعمال الإنسان إلى أيديه فى قوله تعالى:"ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" [1382] وهكذا فى قوله تعالى:"وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ"[1383] فليس المراد فى هاتين الآيتين الأعمال الصادرة عن الأيدى فقط بل كل الأعمال سواء كانت صادرة عن الأيدى أو الأعين أوالأرجل أو غير ذلك وقد نسبت الأعمال إلى الأيدى على سبيل المجاز المرسل بطريقة الجزئية أى ذكر الجزء والمراد منه الكل.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- فيه إشارة إلى أن معظم الأعمال الإنسانية تصدر عن أيدى الإنسان قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:"أي قدمت وكسبتم ونسب ذلك إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بها"[1384].
- يمكن أن تكون الإشارة إلى أن الأعمال لابد أن تكون موافقة لأوامر الله تعالى ولاينبغى لأحد أن يخالف هذا فكأن مزاولة الأيدى للأعمال السيئة مخالفة الفطرة الإنسانية من الائتمار بأوامر الله تعالى كما يعاقب أحد ويقال له "إن المعاقبة نتيجة لأعمال ولدك السيئة" فهو يوبخ على عدم مراقبة على أعمال ولده وإلا فهو لايهوى أن تكون أعمال ولده كما صدرت.

وهكذا نرى أن الله تعالى أمر عباده بإقامة الركوع مع الراكعين فى قوله تعالى:"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"[1385] ومن الواضح جدا أن الله تعالى لم يأمر بالركوع مع الراكعين فى الحقيقة لأنه ليس من المأمور فى الشريعة بإقامة الركوع بل بإقامة العمل الذى يتضمن الركوع والسجود وما إلى ذلك وهو الصلاة فالمراد بهذه الآية الأمر بإقامة الصلاة مع المصلين أى الصلاة بالجماعة قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { واركعوا مَعَ الركعين } أي صلوا مع المصلين وعبر بالركوع عن الصلاة احترازاً عن صلاة اليهود فإنها لا ركوع فيها وإنما قيد ذلك بكونه مع الراكعين لأن اليهود كانوا يصلون وحداناً فأمروا بالصلاة جماعة لما فيها من الفوائد ما فيها ، واستدل به بعضهم على جوبها . ومن لم يقل به حمل الأمر على الندب أو المعية على الموافقة وإن لم يكونوا معهم .[1386]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- فيه إشارة إلى الجزء الأشرف فى الصلاة وهوالركوع فهو فرض فى الصلاة حتى لاتجوزالصلاة دونها وكأن الركوع هو الصلاة نفسها. وفيه تعريض على اليهود إذهم يصلون دون أداء هذاالركن العظيم.

وهكذا أطلق الله تعالى الرقاب على الجسم كله فى قوله تعالى:

> لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [1387]

ومثله تماما حينما عد الله تعالى مصارف الصدقات فعد منها إنفاقها فى فك الرقاب فى قوله تعالى:"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [1388] ففى هاتين الآيتين عبر الله تعالى عن فك الجسم كله بفك الرقاب مع أن المراد ليس فك الرقاب فقط لأنه لايمكن مع عدم فك باقى الجسم فطبعا المراد به كل الجسم من إطلاق الجزء وإرادة الكل. قا ل العلامة النيسابورى رحمه الله تعالى:

> وسادسهم المكاتبون وأشار إليه بقوله { وفي الرقاب } أي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم . وقيل : في ابتياع الرقاب وإعتاقها . وقيل : في فك الأسارى . والرقاب جمع الرقبة وهو مؤخر أصل العنق . واشتقاقها من المراقبة وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ، ولهذا يقال للمملوك رقبة كأنه يراقب العذاب ولا يقال له عنق [1389]

فمن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- قد ذكر العضو الخاص بمراقبة العذاب وهى الرقبة لأنها تراقب العذاب كما قاله العلامة النيسابورى رحمه الله تعالى. وربما فيه إشارة إلى شدة المطاوعة لأوامر السيد وإلى أنه لاخيار له فى عدم الائتمار وليس فى وسعه أن ينظر إلى الخلف ويسأل سيده بل عليه أن يراقب إلى ما هو أمامه من أوامرسيده فرقبته مفوضة إلى مشيئة السيد فينفذ فيهامن أحكامه مايشاء.

وعبر الله تعالى عن تثبيت المسلمين أمام الكفار بتثبيت أقدامهم فى قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" [1390] لأن المراد بتثبيت الأقدام تثبيت أجسامهم أمام الكفار ففى التفسيرالمنير: " مجاز مرسل ' أطلق الجزء وهو الأقدام وإراد الكل أى يثبتكم وعبر بها لأنها أداة الثبات" [1391] فمن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هاتين الآيتين مايلى:

- إشارة إلى أن لثبات الأقدام دور بارز فى ثبات الأجسام أمام الأعداء فالذين يفرون من المقاتل فهم يستخدمون أقدامهم لهذاالغرض.

ذكر السبب وإرادة المسبب

ومنها ذكر السبب وإرادة المسبب كما فى قوله تعالى:"أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ " [1392] والمراد منه هو قبول الحق

الذى سبب تلقيه السمع فقدذكر السمع وهو سبب للقبول والمراد منه القبول على سبيل المجاز المرسل بطريق ذكر السبب والمراد منه المسبب.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية ما يلى:

- أوحى هذاالأسلوب المبالغة فى عدم قبول هؤلاء المذكورن للحق لأن فى هذه الآية انتفاء الاستطاعة اختيار الطريق الموصل إلى قبول الحق فإذاانتفى الطريق انتفى الإمكان للقبول بالكلية.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"أي أنهم كانوا يستثقلون سماع الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويستكرهونه إلى أقصى الغايات حتى كأنهم لا يستطيعونه ، وهو نظير قول القائل : العاشق لا يستطيع أن يسمع كلام العاذل"[1393]
- ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من الإيجاز فبانتفاء القدرة على السمع انتفى قبولهم للحق فى ألفاظ قليلة ولو كان الأسلوب العام العادى قد استخدم لكان طويلا مع أن المبالغة التى قد وجدت فى هذاالأسلوب لم تكن موجودة.

وهكذا عبر الله تعالى عن الإخبار بالرؤية على سبيل المجاز المرسل على سبيل ذكر السبب وإرادة المسبب فى قوله تعالى:"قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[1394] لأن الرؤية سبب للإخبار قال العلامة البيضاوى رحمه الله تعالى:"قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرض أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السموات أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها ، هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة"[1395] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية ما يلى:

- يمكن أن تكون فى السؤال عن الرؤية إشارة إلى أن من له أدنى صلاحية للرؤية هو يستطيع أن يصل إلى نتيجة أن المعبودات الباطلة لايستطيعون أن يخلقوا شيئا.
- فى انتفاء السبب للإخبار إشارة إلى انتفاء المسبب بالكلية وانتفاء إمكانه لأن الرؤية غير حاصلة لهم فكيف يخبرون عن خلق غير الله تعالى؟

وعبر الله تعالى عن إنزال المطر بإنزال السماء فى قوله تعالى:"أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ" [1396] والمراد إرسال المطر عليهم مدرارا. ولكن لما كان السماء سببا لإنزال المطر فأطلق عليه اسم السماء على سبيل المجاز المرسل على سبيل ذكر السبب وإرادة المسبب. وهذا إذا حمل لفظ السماء على المطر مجازاوقد

يطلق على الحقيقة إذا جعل لفظ السماء حقيقة فى المطر كما قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> والسماء من أسماء المطر ، كما في حديث «الموطأ» من قول زيد بن خالد : صلىّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر سماء ، أي عقب مطر . وهو المراد هنا لأنّه المناسب لقوله : { أرسلنا } بخلافه في نحو قوله : { وأنزلنا من السماء ماء }[1397]

ونفس الأسلوب قد استخدم فى قوله تعالى:" وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ"[1398] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى هذاالأسلوب مبالغة فى إنزال المطر لأن إنزال السبب للمطرإنزال المطر على طريقة كاملة وكأنه ما بقى فى السماء من المطرشيئ.

وعبر الله تعالى عن الألم بالمس فى قوله تعالى :"إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ " [1399] قال صاحب التفسير المنير:"المس مجاز مرسل عن الألم وعلاقته السببية فإن مسها سبب للألم ويراد بالذوق الإحساس" [1400] قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" والمراد بمس سقر ألمها على أنه مجاز مرسل عنه بعلاقة السببية فإن مسها سبب للتألم بها وتعلق الذوق بمثل ذلك شائع في الاستعمال"[1401] وقال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" { مَسَّ سَقَرَ } كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مساً بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم"[1402]ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- يمكن أن تكون الإشارة فى ذكر كلمة "مس" أن ألم عذاب جهنم يكون شديدا لأنه ليس أثرامحضا للنار لأن الأثريتصور بالرؤية ووصول الحر من بعيد فبين الله تعالى أن الألم يكونان بالمس.
- ومن هنا فالألم يكون بمباشرة العذاب لابشيئ آخر وهذا يستلزم القرب فالعذاب والألم يكون بسبب قرب النار منهم.
- وفى ذكر سبب الألم إشعار بأن الألم والعذاب يكونان مستمرين لأن النارتكون مع الجهنمى طول العمر والألم أثره.

ذكر المسبب وإرادة السبب

ومنها ذكر المسبب وإرادة السبب كما فى قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ"[1403] ومن المعلوم أن الله تعالى لم ينزل من السماء رزقا بالصورة التى يعطى للعباد بل أنزل المطر الذى تسبب لحصول الرزق فى صورته النهائية فقد ذكر الله تعالى المسبب وهو الرزق والمراد منه السبب وهو المطر على سبيل المجاز المرسل بطريق المسببية.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وتنزيل الرزق من السماء هو نزول المطر لأن المطر سبب الرزق وهو في نفسه آية"[1404]ومن المزايا البلاغية الموجودة فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية ما يلى:

- فى ذكر الرزق مبالغة فى تسبب المطر للرزق وإلا فله فوائد أخرى سوى الرزق من إزالة الأمراض وغيرذلك من المآرب التى لايعلمها إلا الله تعالى ولكن فى هذه الآية قد جمعت كل المآرب والمقاصد فى مقصد واحد على سبيل المبالغة فكأنه ليس لنزول المطر غرض سوى الرزق.
- وفيه إعلام أن الرزق يستخرج من خزائن الله تعالى التى لاتنفد وقد هيأ الله تعالى الأسباب لهذاالاستخراج وأما سعى الإنسان لحصول الرزق فهو سعى قد ينجح إن شاء الله تعالى وقد يخاب إن لم يشإ الله تعالى إعطاء الرزق بذلك السعى فعلم أن الرزق من الله تعالى لا بسعى العباد.
- التنزيل على وزن التفعيل وفيه معنى التجدد فالتنزيل معناه إعطاء الرزق عباده لا فى وقت واحد بل فى أوقات مختلفة حسب ضرورات الإنسان وهذا من فضل الله تعالى لأن الرزق لوأنزل دفعة واحدة لصعب عليه حفظه فاستخدام كلمة التنزيل تدل على من الله تعالى على عباده.قال ابن عاشوررحمه الله تعالى:"وصيغة المضارع في { يريكم } و { ينزل } تدل على أن المراد إراءة متجددة وتنزيل متجدد"[1405]

وعبرعن إنزال المطر الذى يتسبب لحصول اللباس بإنزال اللباس فقال تعالى:"يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" [1406] فالشيئ المنزل من السماء هو المطرليس اللباس ففيه "مجاز مرسل أى أنزلنا مطرا ينبت القطن والكتان ويقيم البهائم ذات الأصواف والأوبار والأشعار"[1407]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى ذكر اللباس مبالغة فى تسبب المطر للباس كما أن فى ذكر الرزق فى الآية الماضية فله فوائد أخرى سوى اللباس من إزالة الأمراض وغيرذلك من المآرب التى لايعلمها إلا الله تعالى ولكن فى هذه الآية قد جمعت كل المآرب والمقاصد فى مقصد واحد على سبيل المبالغة فكأنه ليس لنزول المطر غرض سوى اللباس.

- ثم فيه إعلام أن الأشياء كلها لايمكن حصولها إلا من خزائن الله تعالى التى لاتنفد وقد هيأ الله تعالى الأسباب لهذاالاستخراج وأما سعى الإنسان لحصول هذه الأشياء فهو سعى قد ينجح إن شاء الله تعالى وقد يخاب إن لم يشإ الله تعالى إعطاءها بذلك السعى فعلم أن اللباس وغيرها من الله تعالى لا بسعى العباد.
- وقد وردت كلمة الإنزال للباس وقد كانت وردت كلمة التنزيل للرزق كما بينت سرها ففى كلمة التنزيل معنى التجدد فالتنزيل معناه إعطاء الرزق عباده لا فى وقت واحد بل فى أوقات مختلفة حسب ضرورات الإنسان كما بينت سابقا وأما هنا فكلمة الإنزال تدل على أن اللباس قد أتيح للإنسان دفعة واحدة فيمكن أن تكون فيه الإشارة إلى أن اختيار اللباس أمر مستمر لايجوز لأحد أن يلبسه حينا وينزعه حينا آخر ثم الأمر المرتب عليه وهو اختيار التقوى يوحى أن التقوى لابد أن يكون من أول يوم بطريقة كاملة وأن يكون مستمرا إلى الخروج من هذه الدنيا."

وعبر الله تعالى عما يوجب مغفرة الله تعالى بالمغفرة نفسها فقال تعالى:"وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" [1408] ففى هذه الآية حث الله تعالى عباده على أن يسارعوا إلى الأعمال الموجبة للمغفرة من الله تعالى ولكن لم يصرح على تلك الأعمال بل صرح بشيئ هو نتيجة ومسبب لتلك الأعمال وهو المغفرة. ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- الأعمال قد لاتكون موجبة للمغفرة لعارض كما أن أحدا يعمل ويشرك فيه غيرالله فى المرضاة فيريد أن يرضى ذلك الشخص فذلك العمل ليس لله تعالى وهكذا عمل المرائى ليس موجبا للمغفرة' ففى هذه الآية إشارة إلى أن العمل لابد أن يكون محلى بالصفات التى تصير موجبة للمغفرة فلابد أن يكون ابتغاء لمرضاة الله تعالى وأن لايشرك فى هذاالوصف غيره تعالى فهو أغنى الشركاء لايحتاج عملا أشرك معه غيره.
- وأشار هذاالأسلوب أن النتيجة لاختيار الأعمال الصالحة التى قد بينها الله تعالى موجبة للمغفرة لامحالة إن لم تكن خالية من الأوصاف التى تجعلها غير مؤثرة كما بينت' لأن الله تعالى عبر عن تلك الأعمال بالمغفرة فكأنها مغفرة بنفسها.
- وأيضا فيه إشارة إلى أن الله تعالى لايحتاج أعمال العباد بل هم يحتاجونه لأنها سببا لمغفرة الله تعالى فهم يعملون لمنافعهم كالذى يعمل فى الإدارات الحكومية ويخدم المواطنين ولكن مطمح نظره هو المنافع التى سيحصلها فى النهاية فى صورة الراتب.
- ولايخفى ما فى هذ االأسلوب من الحث والتحضيض بالأعمال الصالحة لأن الإنسان حريص فى الأمورالتى تكون نافعة له.

وبنفس الطريقة عبر الله تعالى عن أسباب المغفرة بالمغفرة نفسها فقال تعالى:" سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [1409] فَالمراد بالمسابقة إلى المغفرة المسابقة إلى الأعمال الصالحة التى توجب مغفرة الله تعالى ورضوانه قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار إلى أسباب مغفرة عظيمة كائنة { مّن رَّبّكُمْ } والكلام على الاستعارة أو المجاز المرسل واستعمال اللفظ في لازم معناه وإنما لزم ذلك لأن اللازم أن يبادر من يعمل ما يكون سبباً للمغفرة ودخول الجنة لا أن يعمله أو يتصف بذلك سابقاً على آخر[1410]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- المبالغة فى إطلاق المغفرة على أسباب المغفرة.
- تحقق الوجود فكأن من يختارأسباب المغفرة يجد المغفرة دون أى شك وكأن المسابقة إلى أأسباب المغفرة مسابقة إلى المغفرة نفسها.

وقد عبر الله تعالى عن الحجج والبراهين لإبصار الحقائق بالبصائر على سبيل المجاز المرسل من باب تسمية المسبب باسم السبب فى قوله تعالى:"قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ "[1411] ومعناه أن الحجج والبراهين قد أتتكم وهى سبب لإبصار الحقائق. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { قَدْ جَاءكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبّكُمْ } استئناف وارد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فقل مقدرة كما قاله بعض المحققين . والبصائر جمع بصيرة وهي للقلب كالبصر للعين ، والمراد بها الآيات الواردة ههنا أو جميع الآيات ويدخل ما ذكر دخولاً أولياً ، و { مِنْ } لابتداء الغاية مجازاً وهي متعلقة بجاء أو بمحذوف وقع صفة لبصائر ، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال اللطف بهم أي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم إلى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب أو قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم[1412]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى إطلاق البصائر على الحجج والبراهين مبالغة فى كون هذه الحجج سببا لإيصالهم إلى الحق' وكأنها هى بصائر بنفسها.
- فيه إشارة إلى أن من معه أدنى تأمل ينبغى له أن يصل إلى الحق لأن الدلائل على الحق واضحة إلى حد أن اسم البصائر يجوز أن يطلق عليها.

وهكذا أطلق قراءة القرآن على إرادة قراءة القرآن فى قوله تعالى:" فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" [1413] المستفاد من كلمة قرأت أن الاستعاذة تكون بعد قراءة القرآن مع أن الأمر واضح أنه ليس هناك فائدة فى الاستعاذة بعد قراءة القرآن بل هى تكون قبل قراءة القرآن إذا أراد القارئ أن يقرأه فمعنى الكلام فإذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله.قا ل العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:" فَإِذَا قَرَأْتَ القرءان فاستعذ بالله } أي إذا أردت قراءة القرآن فاسأله عز جاره أن يعيذك { مِنْ } وساوس { الشيطان الرجيم } كيلا يوسوسك في القراءة ، فالقراءة مجاز مرسل عن إرادتها إطلاقاً لاسم المسبب على السبب"[1414]
ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى إطلاق القراءة على الإرادة إشارة إلى أن الإرادة تكون متأكدة كأنه ما أراد فقط بل قرأ القرآن ففيه إشارة إلى توكيد الإرادة.
- ثم لايخفى أن إطلاق المسبب على السبب يوحى أن الإرادة المحضة غير مرادة هنا بل الإرادة المتلوة بعمل القراءة وهذه الإرادة تكون كأنها قراءة نفسها.

وهكذا عبر الله تعالى عمن فى موجبات الدخول إلى النار بمن هو داخل فى النار فقال تعالى:"أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ" [1415] فليس المراد به إنقاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من النار نفسها بل المراد إخراجهم من الأعمال الموجبة للناروهى الأعمال السيئة من الكفر والشرك والضلال. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> وفائدة هذا الإظهار تهويل حالتهم لما في الصلة من حَرف الظرفية المصوِّر لحالة إحاطة النار بهم ، أي أفأنت تريد إنقاذهم من الوقوع في النار وهم الآن في النار لأنه محقق مصيرهم إلى النار ، فشبه تحقق الوقوع في المستقبل بتحققه في الحال[1416].

وقال رحمه الله تعالى:

> والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم تهويناً عليه بعض حرصه على تكرير دعوتهم إلى الإسلام ، وحزنَه على إعراضهم وضلالهم ، وإلا فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم

بالذي يظن أنه ينقذهم من وعيد الله ، ولذلك اجتلب فعل الإنقاذ هنا تشبيهاً لحال النبي صلى الله عليه وسلم في حرصه على هدْيهم وبلوغ جهده في إقناعهم بتصديق دعوته ، وحالِهم في انغماسهم في موجبات وعيدهم بحال من يحاول إنقاذ ساقط في النار قد أحاطت النار بجوانبه استحقاقاً قضى به من لا يُردّ مرادُه ، فحالهم تشبه حال وقوعهم في النار من الآن لتحقق وقوعه[1417]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- تحقق الوقوع فكأن من فى الأعمال الموجبة للنار فى النار حقيقة.
- ولايخفى أن الإنقاذ من النار ليس فى وسع أحد إلا الله تعالى. ففيه إشارة إلى أن إخراج الكفار من ضلالهم وكفرهم ليس فى وسع أحد وأن هذاالإخراج مثل الإخراج من النار تماما فكما أن الإخراج من النار صعب وليس فى وسع أحد فهكذا الإخراج من الأعمال الموجبة للنار.
- ومن الواضح أن فى هذاالتعبير من المبالغة.

ذكر الحال وإرادة المحل

ومنها ذكر الحال وإرادة المحل كما فى قوله تعالى:"وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [1418] فالمراد بالرحمة محل الرحمة وهو الجنة فمعنى الآية أن الله تعالى سيدخلهم فى الجنة. [1419] قال العلامة ابوالسعودرحمه الله تعالى:

{ سَيُدْخِلُهُمُ الله فِى رَحْمَتِهِ } وعدٌ لهم بإحاطة رحمتِه الواسعةِ بهم وتفسيرٌ للقربة كما أن قوله عز وعلا : { والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ } وعيدٌ للأولين عَقيبَ الدعاءِ عليهم والسينُ للدلالة على تحقق ذلك وتقررِه البتة وقوله تعالى : { إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ } تعليلٌ لتحقق الوعدِ على نهج الاستئنافِ التحقيقيّ[1420]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- إشارة إلى ما فى الجنة من النعيم فهى كلها رحمة من الله تعالى وفيه تشويق إلى دخول الجنة فإنها محل الرحمة من الله تعالى وحث وتحضيض على الأعمال الموجبة لدخول الجنة ' لأنها وإن كانت صعبة ولكن مآلها مريح.
- لاحظنا ما فى هذاالتعبيرمن الإيجاز فإنه أفاد الخبر مافى الجنة وتشويق المخاطبين وحضهم على الأعمال الموجبة لها فى ألفاظ قليلة.

- وهذاالتعبير يدل على الاستيعاب أى إنهم سيكونون مستوعبين بالرحمة من كل جانب لأن كلمة فى للظرفية فيترشح منه أنهم سيكونون محاطين برحمة الله تعالى كما أن المظروف يكون محاطا بالظرف من كل الأطراف ولايكون مكشوفا للأشياء المزعجة.ولايخفى ما فيه من معنى الصيانة.

وهكذا عبر الله تعالى عن الجنة بالرحمة فى قوله تعالى:"يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [1421] لأن المراد بالرحمة هنا الجنة فمعنى أنهم سيكونون فى الجنة وهى محل للرحمة.

ذكر المحل وإرادة الحال

ومنها عكسه أى ذكر المحل وإرادة الحال قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:

> الرابع عشر عكسه نحو فليدع نادية أي أهل ناديه أي مجلسه ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو بيده الملك وبالقلب عن العقل نحو لهم قلوب لا يفقهون بها أي عقول وبالأفواه عن الألسن نحو يقولون بأفواههم وبالقرية عن ساكنيها نحو واسأل القرية[1422]

فعبر الله تعالى عن أهل النادية بالنادية نفسها فى قوله تعالى:" فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ"[1423] فمعنى الكلام فليدع أهل المجلس قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

> المسألة الأولى : قد مر تفسير النادي عند قوله : { وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المنكر } [العنكبوت : 29] قال أبو عبيدة : ناديه أي أهل مجلسه ، وبالجملة فالمراد من النادي أهل النادي ، ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله ، وسمي نادياً لأن القوم يندون إليه نداً وندوة ، ومنه دار الندوة بمكة ، وكانوا يجتمعون فيها للتشاور ، وقيل : سمي نادياً لأنه مجلس الندى والجود ، ذكر ذلك على سبيل التهكم أي : اجمع أهل الكرم والدفاع في زعمك لينصروك[1424]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى هذاالتعبير إشارة إلى الاستيعاب فهذا يدل على دعاء كل أهل المجلس للدفاع والنصرة ويترشح منه تعجيز الخصم على الطريقة الكاملة.

- وفيه تهكم بالخصم والاستهزاء بهم لأن الخصم إذا خير أن يدع للمعارضة كل شيئ ميسر وممكن ومع ذلك هو لايستطيع أن يخلص نفسه فهو تعجيز من كل الوجه ومن هنا فصار محلا للتهكم.

وقد عبر الله تعالى عن القدرة باليد فى قوله تعالى:" تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [1425] فالمراد باليد قدرته تعالى قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:"أما قوله : { بِيَدِهِ الملك } فاعلم أن هذه اللفظة إنما تستعمل لتأكيد كونه تعالى ملكاً ومالكاً ، كما يقال : بيد فلان الأمر والنهي والحل والعقد ولا مدخل للجارحة في ذلك" [1426]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فى اختيار هذاالأسلوب إشارة إلى تأكد الملك لله تعالى بأن الملك ثابت لله تعالى فكأنه مأخوذ فى اليد فلايتخلص منها.
- ثم فى اختيار الجارحة للملك تنزيل الشيئ المعنوى فى الصورة المحسوسة فكأن الملك شيئ يرى ويحس بالأعين والتنزيل فى الصورة المحسوسة مؤثر فى الإفهام.

وهكذا نرى فى الآيات القرآنية الأخرى من المزايا البلاغية فنرى فى قوله تعالى:" ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" [1427] أن الله تعالى عبر عن مياه الأنهار بالأنهار لأن الأنهارلاتجرى بل مياهها تجرى. ففى هذاالإطلاق يرى كثرة جريان المياه فهى من كثرة جريانها وملأ أنهارها كأن الأنهار هى التى تجرى ففيه مبالغة فى سيلان المياه بكثرة.ونرى فى قوله تعالى:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [1428]

أن الله تعالى أسند الموت إلى القرية مع أن الموت لاتأتى على القرية بل على أهلها. ففيه مبالغة فى الموت لأن القرية إذا ماتت لايمكن أن يحيى أحد لأن القرية محل للسكان. ولو أسند الموت إلى السكان فكان من الممكن أن مات أكثر السكان أو نصفهم أو أو أو. وإطلاق القرية على أهلها شائع فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى:" وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ"[1429] وفى قوله تعالى:" وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ"[1430] وفى قوله تعالى:" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"[1431] وفى قوله تعالى:"وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا" [1432]ونرى فى قوله تعالى:" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" [1433] أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أن ينذر أم القرى مع أن فريضة النبى صلى الله عليه وسلم أن ينذر الساكنين فى القرى لا القرى نفسها لعدم تصور التكليف فيها. وهذاالأسلوب أيضا يرشح الاستيعاب والمبالغة فى الإنذار فكأنه سينذر أم القرى بكل ما فيها من الساكنين ولايترك منهم أحد. ونرى فى قوله تعالى:" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" [1434] أن الله تعالى أمر بأخذ الزينة عند كل مسجد فالمراد بالمسجد هنا الطواف والصلاة لأنه لما كان المسجد مكان الصلاة والطواف فأطلق عليهما اسم المسجد. قال العلامة السيوطى رحمه الله تعالى:"وقد إجتمع هذا النوع وما قبله في قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد فإن أخذ الزينة غير ممكن لأنها مصدر فالمراد محلها فأطلق عليه إسم الحال وأخذها للمسجد نفسه لا يجب فالمراد الصلاة فأطلق إسم المحل على الحال"[1435] ومن الواضح جدا أن هنا مبالغة فى الحرص على الزينة فكأن الزينة ليست بفرض للصلاة والطواف فقط بل لمحلهما أيضا.وهكذا نرى فى قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"[1436] أن الله تعالى أطلق اسم الصدور لما فى الصدور من إطلاق المحل وإرادة الحال أى شفاء للقلوب التى فى الصدور. وهكذا نرى فى قوله تعالى:" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ" [1437] أن المراد بالقرن أهل القرن لأن القرن لايهلك بل أهله يهلك. ولكن أطلق اسم القرن على أهله لإفادة الاستيعاب والمبالغة.

ذكر الملزوم وإرادة اللازم

ومنها ذكر الملزوم وإرادة اللازم كما فى قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ"[1438] فمعنى لايستحى:لايترك فعبر بالحياء عن الترك لأن الترك من ثمرات الحياء ومن استحيى من فعل شيئ تركه [1439] قال العلامة الزمخشرى رحمه الله تعالى:" أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارته" [1440] فعلم أن هنا إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- المستفاد من هذاالأسلوب أن ضرب المثل بالبعوضة فما فوقها ليس مخالف الحياء وبالتالى فهو ليس أمر معيب وإلا فالله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردّهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً كما هو مستفاد من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم.
- فى هذاالأسلوب إيجاز لأنه أحاط الأمور الكثيرة فى ألفاظ معدودة.وهى أن ضرب المثل بالبعوضة فما فوقها ليس أمر معيب. وأن هذاالضرب ليس مخالفا لكون ضاربه خاليا عن الحياء. وأن الله تعالى حيي كريم.

ذكر اللازم وإرادة الملزوم

ومنها عكسه وهوذكر اللازم وإرادة الملزوم كما فى قوله تعالى:"إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ "[1441] فالمراد باستطاعة إنزال المائدة من السماء فعل الإنزال فمعنى الكلام: هل يفعل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء لأن الاستطاعة لازمة للفعل.[1442] ويمكن أن يقال فى هذه العلاقة أنها سببية هنا من قبيل ذكر السبب وإرادة المسبب.قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> فقيل : إن معنى { هَلْ يَسْتَطِيعُ } هل يفعل كما تقول للقادر على القيام : هل تستطيع أن تقوم مبالغة في التقاضي . ونقل هذا القول عن الحسن . والتعبير عن الفعل بالاستطاعة من التعبير عن المسبب بالسبب إذ هي من أسباب الايجاد . وعلى عكسه التعبير عن إرادة الفعل بالفعل تسمية للسبب الذي هو الإرادة باسم المسبب الذي هو الفعل.[1443]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- هذاالأسلوب يستخدم للإصرار البالغ على الفعل كما أراد أحد من آخر أن يعمل له عملا فيقول له هل تستطيع أن تفعل كذا وهو يريد أن يحثه على ذلك العمل.
- وفيه إشارة إلى أن المانع من العمل هو عدم الاستطاعة فى مثل هذه الأمور لا الجواز وعدمه فإن كان المخاطب يستطيع أن يفعل ذلك فهو لايمتنع من ذلك العمل لأنه عمل مستساغ فإن كان المخاطب يستطيعه فالمفروض أن يفعله.

وهذاالتفصيل فيما إذا كانت القراءة يستطيع فى صيغة الغائب والفاعل هو ربك وأما إذا كانت القراءة بصيغة الخطاب فالفاعل هو عيسى عليه السلام وتقدير الكلام " هل تستطيع أن تسأل ربك"قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كانوا أعلم بالله من أن يقولوا هل يستطيع وإنما قالوا هل تستطيع أن تسأل ربك . وعن معاذ بن جبل : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم { هَلْ تَسْتَطِيعَ } بالتاء { رَبَّكَ } بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك برفع الباء وبالإظهار فأما القراءة الأولى فمعناها : هل تسطيع سؤال ربك؟ قالوا وهذه القراءة أولى من الثانية لأن هذه القراءة توجب شكهم في استطاعة عيسى ، والثانية توجب شكهم في استطاعة الله ، ولا شك أن الأولى أولى ، وأما القراءة الثانية ففيها إشكال[1444]

ذكر الخاص وإرادة العام

ومنها ذكر الخاص وإرادة العام كما فى قوله تعالى:

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" [1445]

موضع الاستدلال فى هذه الآيات هو كلمة رسول لأنها تدل على الخاص ولكن المراد به العام. قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:

ووحد الرسول هنا ، ولم يثنه كما في قوله : { إِنَّا رَسُولاَ رَبّكَ } [طه : 47] ؛ لأنه مصدر بمعنى : رسالة ، والمصدر يوحد ، وأما إذا كان بمعنى المرسل ، فإنه يثنى مع المثنى ، ويجمع مع الجمع ، قال أبو عبيدة : رسول بمعنى رسالة ، والتقدير على هذا : إنا ذوا رسالة ربّ العالمين... ويجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع ، تقول العرب : هذا رسولي ووكيلي ، وهذان : رسولي ووكيلي ، وهؤلاء رسولي ووكيلي ، ومنه قوله تعالى : { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي } [الشعراء : 77] وقيل معناه : إن كل واحد منا رسول رب العالمين ، وقيل : إنهما لما كانا متعاضدين متساندين في الرسالة كانا بمنزلة رسول واحد[1446]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن الرسالة واحدة وهدف الرسالة واحد والمرسل إليه واحد وهو قوم موسى فإنهما وإن كانا اثنين باعتبار العدد ولكنهما مثل شخص واحد فى الأمور المذكورة حتى يجوز عليهما إطلاق رسول واحد.

وهذا التفصيل جار لو كان الرسول أريد به رسولين على طريقة المجاز كما بين وأما إن كان المراد بهما اثنان على طريق الوضع كما بين أن العرب تقول : هذا رسولي ووكيلي ، وهذان : رسولي ووكيلي ، وهؤلاء رسولي ووكيلي. أو المراد به رسولان على تأويل كل واحد منهما فليس هناك مجاز فى هذه الصور.

وهكذا عبر الله تعالى عن الأعداء بالعدو فى قوله تعالى:" قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ"[1447] فموضع الاستدلال فى هذه الآيات هى كلمة عدو لأن المراد به الأعداء بقرينة إرجاع ضمير الجمع إليه فى "فإنهم" قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"وإفراد العدو مع أنه خبر عن الجمع إما لأنه مصدر في الأصل فيطلق على الواحد المذكر وغيره أو لاتحاد الكل في معنى العداوة أو لأن الكلام بتقدير فإن كلاً منهم أو لأنه بمعنى النسب أي ذو كذا فيستوي فيه الواحد وغيره كما قيل"[1448]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أن كل واحد منهم متحدون فى العداوة فكأنهم فى وحدة هدفهم مثل الجسد الواحد وليس فيهم فرق فى قوة العداوة وضعفهم بل كلهم سواء فى العداوة. وهذا التفصيل جار لو كان عدو أريد به الأعداء على طريقة المجاز كما بين وأما إن كان المراد بهما اثنان على طريق الوضع كما بين أن العرب تقول : هذا رسولي ووكيلي ، وهذان : رسولي ووكيلي ، وهؤلاء رسولي ووكيلي. أو المراد به أعداء على تأويل كل واحد منهما ' أوالتأويلات الأخرى فليس هناك مجاز فى هذه الصور.

ذكر العام وإرادة الخاص

ومنها عكسه أى ذكر العام وإرادة الخاص كما فى قوله تعالى:" أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا"[1449] فالمراد بالناس المحسودين نبينا محمداصلى الله عليه وسلم' ففى التفسير المنير: مجاز مرسل فى كلمة (الناس) يراد بها محمد صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق العام على الخاص"[1450] وقال العلامة الآلوسى

رحمه الله تعالى:"والحسد على هذا مجاز لأن اليهود لما نازعوه في نبوته صلى الله عليه وسلم التي هي إرشاد لجميع الناس فكأنما حسدوهم جميعا" [1451]

فمن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- هذاالأسلوب يشير إلى أن الحسد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حسد مع سائر الناس لأن النبوة لإرشاد الناس كلهم وليست مفيدة للنبى صلى الله عليه وسلم فقط
- فإذا حسدواالنبى صلى الله عليه وسلم فكأنهم حسدواالناس كلهم.
- كما أن فيه إشارة إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم جامع لخصال الخير كلها التى تكون موجودة متفرقة فى الناس كلهم فكأنه هو الناس كلهم بماأنه صلى الله عليه وسلم جمع خصال كل الناس. قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

> المسألة الثانية : في المراد بلفظ «الناس» قولان : الأول : وهو قول ابن عباس والأكثرين انه محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لأنه اجتمع عنده من خصال الخير ما لا يحصل إلا متفرقا في الجمع العظيم ، ومن هذا يقال : فلان أمة وحده ، أي يقوم مقام أمة ، قال تعالى : { إنَّ إبراهيم كَانَ أُمَّةً قانتا } [النحل : 120].[1452]

وهكذا أطلق كلمة أهل الكتاب على النصارى فى قوله تعالى:

> يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا"[1453]

فالمراد بأهل الكتاب هنا النصارى فقط دون اليهود بدليل قوله بعده (ولاتقولوا ثلاثة) لأنهم قائلون بالتثليث. قال العلامة أبوالسعود رحمه الله تعالى:" {يا أهْلَ الكتاب}تجريدٌ للخطاب وتخصيصٌ له بالنصارى زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال"[1454]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- يمكن أن تكون فى التصريح بكلمة الكتاب إشارة إلى أن مقتضى كون هؤلاء الناس متبعى الكتاب السماوى أن يتبعوا أوامرالله تعالى ولايغلوا

فى أمورالدين لأن الكتاب هداية ونور وهو يقتضى أن يفيد صاحب النور بنوره ويهتدى بالهداية التى أتيحت له.

وهكذا أطلق الله تعالى الطعام على الذبائح فى قوله تعالى :"

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[1455]

والطعام في كلام العرب ما يطعَمه المرء ويأكله ، وإضافته إلى أهل الكتاب للملابسة ، أي ما يعالجه أهل الكتاب بطبخ أو ذبح . قال ابن عطية : الطعام الذي لا محاولة فيه كالبُرّ والفاكهة ونحوهما لا يغيّره تملّك أحد له ، والطعام الذي تقَع فيه محاولة صنعته لا تعلّق للدين بها كخَبز الدقيق وعصر الزيت . فهذا إن تُجنِّبَ من الذميّ فعلى جهة التقذّر . والتذكية هي المحتاجة إلى الدّين والنية ، فلمَّا كان القياس أن لا تجوز ذبائحهم رخص الله فيها على هذه الأمّة وأخرجها عن القياس . وأراد بالقياس قياس أحوال ذبائحهم على أحوالهم المخالفة لأحوالنا ، ولهذا قال كثير من العلماء : أراد الله هنا بالطعام الذبائح ، مع اتّفاقهم على أنّ غيرها من الطعام مباح ، ولكن هؤلاء قالوا : إنّ غير الذبائح ليس مراداً ، أي لأنّه ليس موضع تردّد في إباحة أكله . والأولى حمل الآية على عمومها فتشمل كلّ طعام قد يظن أنَّه محرّم علينا إذ تدخله صنعتهم ، وهم لا يتَوَقَّوْنَ ما نتوقّى ، وتدخله ذكاتهم وهم لا يشترطون فيها ما نشترطه . ودخل في طعامهم صيدهم على الأرجح.[1456]

فبناء على القول بأن غيرذبائح أهل الكتاب لايحرم على المسلمين أريد بالطعام الذبائح لأن غير الذبائح لاتردد فى أكله للمسلمين.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- إطلاق الطعام على الطعام الخاص - وهو الذى لصنعهم فى حله وحرمته دخل وهو الذبائح- يشير إلى أن الذبائح هى التى تليق أن تنسب إلى أهل الكتاب فهى طعامهم وأما بقية الأشياء فلا تختلف من ملك إلى ملك فهى هى مهما كان الملك.

تسمية الشيئ باسم ماكان

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه كما فى قوله تعالى: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"[1457] قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:"

> الخطاب في هذه الآية بقوله : { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ } وبقوله : { فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ } إما أن يكون للأزواج ، ويكون معنى العَضْل منهم أن يمنعوهنّ من أن يتزوجن مَنْ أردْن من الأزواج بعد انقضاء عدّتهنّ لحمية الجاهلية ، كما يقع كثيراً من الخلفاء ، والسلاطين غيرة على من كنّ تحتهم من النساء أن يصرن تحت غيرهم؛ لأنهم لما نالوه من رياسة الدنيا ، وما صاروا فيه من النخوة ، والكبرياء ، يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بني آدم إلا من عصمه الله منهم بالورع ، والتواضع؛ وإما أن يكون الخطاب للأولياء ، ويكون معنى إسناد الطلاق إليهم أنهم سبب له لكونهم المزوّجين للنساء المطلقات من الأزواج المطلقين لهنّ... وقوله : { أزواجهن } إن أريد به المطلقون لهنّ ، فهو مجاز باعتبار ما كان ، وإن أريد به من يردْن أن يتزوّجنه ، فهو مجاز باعتبار ما سيكون" [1458]

فموضع الاستدلال فى كلمة الأزواج إذا أرجع الضمير فى إذا طلقتم وفى لاتعضلوهن إلى الأولياء والأوصياء لأن المراد إذا الرجال المطلقون لأنهم هم الذين كانوا أزواجا فى الزمن الماضى وأما إذا إرجع الضمير إلى الأزواج السابقين فليس فيه موضع الاستدلال لأن المراد بالأزواج هم الذين سيكونون أزواجا فى المستقبل.ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه تأكيد أن الزوج الأول وإن كان قد طلقها ولم يبق لها زوجا ولكن للعلاقة الزوجية الأولى ولأنها سيكون زوجا لها فى المستقبل فكأنه زوج له من الأن.
- وفيه إثبات الأحقية بالنكاح معهم وضرورة الإحساس بأن العصبية الجاهلية منافية للمنافع الإنسانية فالذى لايدع المطلقة من أقربائه أن تنكح بالزوج السابق لأنه طلقها يعضلها من المنافع التى تحصل لها فى صورة النكاح مع الزوج الأول لأنها سكنت معها وهى تعرف كل منافعها فى جواره وأما الطلاق فشيئ عارض ربما يطرأ لشدة الغضب الغالب على عقله فهو يفعل ما هو خلاف مصالحه ولكن سرعان ما يرتد إليه عقله فيندم على ما فعله ويريد أن يرجع إلى الحياة الزوجية الأولى. والزوجة المطلقة تفهم كل هذه الحقائق, فهى تستطيع أن تتفكر لمستقبلها, فأنها إن شاءت أن ترد إلى الحياة الزوجية الأولى فمعنى هذا أن تلك الحياة كانت حياة منعمة عندها وهى تريدها فليس لأحد أن يمنعها منها.

- وفيه إشارة إلى أن المنع من الأزوج المطلقين مثل المنع من نكاح الأزواج لأن القرآن الكريم جعلهم أزواجا لهن والنسوة بطبيعتهن يردن أن تكون مع أزواجهن.

وعبر الله تعالى عن من مات أبوه وهو صغير ثم كبر باليتيم فى قوله تعالى:"وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا"[1459] مع أن اليتيم من هو فاقد الأب فى حالة الصغر فإذا كبر وبلغ الحلم لم يبق يتيما,قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى:

> واشتقاق اليتيم من الإنفراد ، ومنه الدرّة اليتيمة أي المنفردة بالحسن ، وفعله من باب ضرب وهو قاصر ، وأطلقه العرب على من فُقد أبوه في حال صغره كأنّه بقي منفرداً لا يجد من يدفع عنه ، ولم يعتدّ العرب بفقد الأمّ في إطلاق وصف اليتيم إذ لا يعدم الولد كافلة ، ولكنّه يعدم بفقد أبيه من يدافع عنه وينفقه . وقد ظهر ممّا راعَوه في الاشتقاق أنّ الذي يبلغ مبلغ الرجال لا يستحقّ أن يسمّى يتيماً إذ قد بلغ مبلغ الدفع عن نفسه ، وذلك هو إطلاق الشريعة لا سم اليتيم ، والأصل عدم النقل .وقيل : هو في اللغة من فُقد أبوه ، ولو كان كبيراً ، أو كان صغيراً وكَبر ، ولا أحسب هذا الإطلاق صحيحاً . وقد أريد باليتامى هنا ما يشمل الذكور والإناث وغُلب في ضمير التذكير في قوله : { أموالهم } .وظاهر الآية الأمر بدفع المال لليتيم ، ولا يجوز في حكم الشرع أن يدفع المال له ما دام مطلقاً عليه اسم اليتيم ، إذ اليتيم خاصّ بمن لم يبلغ ، وهو حينئذ غير صالح للتصرّف في ماله" [1460]

فإطلاق هذاالاسم بالذى فقد أباه فى حالة الصغرثم بلغ الحلم باعتبار ماكان عليه.

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى أنه ينبغى أن يعامل معاملة اليتامى فيستحق أن يرحم ويختار التقوى فى كل الأمور المتعلقة به فلايخان فى ماله.
- اسم اليتامى يولد الرحمة والشفقة فى قلوب المسلمين ويحثهم على تقوى الله تعالى فى كل الأمورالمتعلقة باللذين كانوا يتامى فى الزمن الماضى.

وهكذا عبر الله تعالى عن الذين كانوا يجرمون فى الدنيا بالمجرم وهو أمام الله تعالى مع أنه ليس هناك إمكان الجرم أما م الله تعالى فقال تعالى:" إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى"[1461] قال العلامة السيوطى

رحمه الله تعالى:"من يأت ربه مجرما سماه مجرما باعتبار ما كان في الدنيا من الإجرام"[1462]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- المجرم من يتصف بصفةالجرم وهو الذى مات على الكفر والشرك كما قال البيضاوى رحمه الله تعالى:" { مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً } بأن يموت على كفره وعصيانه"[1463] فمعنى الكلام من يأت ربه فى حالة اتصافه بالجرم.
- وهذاالأسلوب يوحى التسلسل فى الجرم فالمعنى أن من أجرم ولم يزل فى جرمه حتى مات ولم ينفك عن جرمه فأتى الله تعالى فى حالة اتصافه بذلك الجرم.

تسمية الشيئ باسم مايؤل إليه

ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤل إليه ومعنى هذاالكلام أن المسمى باسم لايتصف بذلك الوصف فى ذلك الوقت بل سيؤل إليه فى الزمن المستقبل كما فى قوله تعالى:" وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"[1464] فعبر الله تعالى عن العنب بالخمر لأن الشيئ الذى يعصر هوالعنب لاالخمر بل الخمر تؤخذ من العنب قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:"{ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا } أي : رأيتني ، والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة . والمعنى : إني أراني أعصر عنباً ، فسماه باسم ما يئول إليه لكونه المقصود من العصر"[1465] ومن المزايا البلاغية فى أسلوب المجاز المرسل فى هذه الآية مايلى:

- فيه إشارة إلى المقصود بالعنب فالمقصود به اتخاذ الخمر فكأن العنب هوالخمر.

وهكذا عبر الله تعالى عن أولاد الكفار بالفجرة الكفرة فى قوله تعالى:"وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا"[1466] مع أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه ولكن الله تعالى أطلق عليه اسم الكفرة الفجرة من أول يوم لأنهم يؤلون إلى هذاالوصف فى المستقبل. والسرالبلاغى فيه هو تحقق الوقوع فى المستقبل فيصير إلى الكفر والفجور فى المستقبل كأنهم متصفون بهذاالوصف من يوم الولادة.

وعبر الله تعالى عمن سيكون زوجا فى المستقبل بسبب النكاح بالزوج فى قوله تعالى:" فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" [1467] لأن الرجل لايكون زوجا إلا بعد النكاح وأما قبل النكاح فليس بزوج وإلا فما معنى النكاح. فالسر البلاغى فيه تحقق وجود الزوجية بين الزوجين فى المستقبل وكأنه زوج لها من الآن.

وهكذا وصف الله تعالى غلاما بالحلم حين البشارة فى قوله تعالى:" فبشرناه بغلام حليم"[1468]وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم فالاتصاف بالحلم يكون بعد الولادة أما حين البشارة فماكان إلا غلاما محضا غير متصف بأى صفة ولكن لما كان وقوع هذاالوصف متحققا فى المستقبل وصفه به حتى من أول يوم.قال العلامة البيضاوى رحمه الله تعالى:"

> { فبشرناه بغلام حَلِيمٍ } بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم ، فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليماً وأي حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال { سَتَجِدُنِي إن شَاء الله مِنَ الصابرين } وقيل ما نعت الله نبياً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام ، وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه". [1469]

تسمية الشيئ باسم آلته

ومنها تسمية الشيئ باسم آلته فتذكر الآلة التى تستخدم لذلك العمل كما فى قوله تعالى:"واجعل لي لسان صدق في الآخرين"[1470]

> قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"{ واجعل لّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الاخرين } أي اجعل لنفعي ذكراً صادقاً في جميع الأمم إلى يوم القيامة . وحاصله خلد صيتي وذكري الجميل في الدنيا وذلك بتوفيقه للآثار الحسنة والسنن المرضية لديه تعالى المستحسنة التي يقتدي بها الآخرون ويذكرونه بسببها بالخير وهم صادقون . فاللسان مجاز عن الذكر بعلاقة السببية واللام للنفع أي ثناء حسنا لأن اللسان آلته[1471]

فالمراد باللسان فى هذه الآية الذكرالحسن واللسان آلة للذكر الحسن كما أنه سبب للذكر وتفصيل ذكر السبب وإرادة المسبب فيما ذكر.

وهكذا عبر الله تعالى عن اللغة باللسان فى قوله تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [1472] فالمراد باللسان هنا هو اللغة ولاشك أن اللسان آلة للغة وفى ذكرالآلة مبالغة لأن اللغة قدتكون موجودة وقد لاتكون ولكن إذا كانت الآلة موجودة فصلاحية اللغة موجودة فى كل حين.وهكذا الذكر الحسن موجود إذا

تكلم به أحد ولايكون موجودا إن لم يتطق به أحد ولكن إذا كانت الآلة موجودة فصلاحية الذكر الحسن موجود فى كل حين.

التعلق الاشتقاقى

ومنها التعلق الاشتقاقى وهو إقامة صيغة مقام صيغة أخرى كإقامة المصدر مقام اسم الفاعل كما فى قوله تعالى:"هدى للمتقين" فالمراد بالمصدر هنا الهادى وهذاالاستخدام يوحى المبالغة فى الهداية فكأن القرآن الكريم ليس الهادى فحسب بل هو الهداية بنفسه.وهكذا عكس هذا وهو إقامة صيغة اسم الفاعل مكان المصدر كما فى قوله تعالى "ليس لوقعتها كاذبة" فالمراد هنا تكذيب وفيه أيضا مبالغة فى انتفاء التكذيب لأن التكذيب يوجد بوجود من يكذب فإذا انتفى وجود من يكذب انتفى وجود التكذيب وإمكانه.

***

الفصل الثانى

المجاز العقلى

اعلم أن من يريد أن يقضى فى أن الأمر من الحقيقة أو المجاز لابد أن ينظر إلى الجملة المحكوم عليها بأنها من الحقيقة أو المجاز من وجهين: الأول أن ينظر إلى الإثبات أهو فى موضعه أم زال عن موضعه فإن كان فى موضعه فهى حقيقة وإن جاوز من موضعه فهو مجاز كما فى قول الشاعر: شيّب أيام الفراق مفارقى ففيه إثبات الشيب لأيام الفراق وهو ليس فى موضعه لأن الله تعالى هو الذى يأتى بالتغيرات فى جسم الإنسان وأما أيام الفراق فهى سبب له.

والثانى أن ينظر إلى المعنى المثبت هل هو فى موضعه أم زال عنه إلى غيره كما فى قول الله عز وجل: " أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ"[1473] ففى هذه الآية جُعل العلمُ والهُدَى والحكمة حياة للقلوب،فالمجاز في المُثْبَت وهو الحياة، فأما الإثبات فواقع على حقيقته وليس فيه مجاز لأنه ينصرف إلى أن الهدى والعلم والحكمة فَضْلٌ من اللّه وكائنٌ من عنده،

وقد يكون المجاز فى كل من الإثبات والمثبت كقول الرجل لصاحبه أحيَتْني رؤيتُك، يريد آنسَتْني فقد جعل الأُنس والمسرَّة الحاصلة بالرؤية حياةً أوَّلاً، ثم جعل الرؤية فاعلةً لتلك الحياة وفى كل واحد منهما مجاز. وقد يكون فى أحدهما كما هو ظاهر مماذكر.

ثم إذا وقع المجاز في الإثبات فهو متلقى من العقل، وإذا عرض في المُثْبَت فهو متلقّى من اللغة. قال العلامة الجرجانى رحمه الله تعالى:

> وإذ قد تقرَّرتْ هذه المسائل، فينبغي أن تعلم أن من حقك إذا أردت أن تقضي في الجملة بمجاز أو حقيقة، أن تنظر إليها من جهتين: إحداهما أن تنظر إلى ما وقع بها من الإثبات، أهو في حقه وموضعه، أم قد زال عن الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه والثانية أن تنظر إلى المعنى المُثْبَت أعني ما وقع عليه الإثبات كالحياة في قولك أحيا اللّه زيداً، والشيب في قولك أشابَ اللّه رأسِي، أثابتٌ هو على الحقيقة، أم قد عُدِل به عنها. وإذا مُثِّل لك دخول المجاز على الجملة من الطريقين، عرفت ثَبَاتُها على الحقيقة منهما، فمثالُ ما دخله المجاز من جهة الإثبات دون المُثْبَت قوله: " وَشَيَّبَ أيّامُ الفِرَاق مَفارِقِي وأنْشَزْنَ نَفْسي فوق حَيْثُ تكونُ " وقوله: " أشَابَ الصغيرَ وأفْنَى الكبيرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِي " المجاز واقعٌ في إثبات

الشيب فعلاً للأيام ولكرّ الليالي، وهو الذي أُزيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه، لأن من حق هذا الإثبات، أعني إثبات الشَّيب فعلاً، أن لا يكون إلا مع أسماء الله تعالى، فليس يصحّ وجود الشيب فعلاً لغير القديم سبحانه، وقد وُجِّه في البيتين كما ترى إلى الأيام وكرّ الليالي، وذلك ما لا يُثبت له فعلٌ بوجهٍ، لا الشيبُ ولا غيرُ الشيب، وأما المُثبَت فلم يقع فيه مجاز، لأنه الشيب وهو موجود كما ترى وهكذا إذا قلت سرَّني الخبر وسرَّني لقاؤك، فالمجاز في الإثبات دون المثبَت، لأن المثبَت هو السرور، وهو حاصل على حقيقته، ومثال ما دخل المجازُ في مُثبته دون إثباته، قوله عز وجل: " أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ " " الأنعام: 221 " ، وذلك أن المعنى - والله أعلم - على أن جُعل العلمُ والهُدَى والحكمة حياة للقلوب، على حدِّ قوله عز وجل: " وَكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا " " الشورى: 25 " ، فالمجاز في المُثبَت وهو الحياة، فأما الإثبات فواقع على حقيقته، لأنه ينصرف إلى أن الهدى والعلم والحكمة فَضْلٌ من الله وكائنٌ من عنده، ومن الواضح في ذلك قوله عز وجل: " فَأحْيَيْنَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا " " فاطر:9 " ، وقوله: " إنَّ الَّذِي أحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى " " فصلت: 39 " ، جعل خُضرة الأرْض ونَضْرتها وبَهْجتها بما يُظهره اللّه تعالى فيها من النَّبات والأنْوار والأزْهار وعجائب الصنع، حياةً لها، فكان ذلك مجازاً في المُثبَت، من حيث جعل ما ليس بحياةٍ حياةً على التشبيه، فأما نفس الإثبات فمحضُ الحقيقة، لأنه إثباتٌ لما ضرب الحياة مثلاً له فعلاً للّه تعالى، لا حقيقة أحقّ من ذلك، وقد يُتَصوَّر أن يدخل المجاز الجملة من الطريقين جميعاً، وذلك أنْ يُشبَّه معنًى بمعنًى وصفةٌ بصفةٍ، فيستعار لهذه اسمُ تلك، ثم تُثبَت فعلاً لما لا يصحّ الفِعْل منه، أو فعلُ تلك الصفة، فيكون أيضاً في كل واحد من الإثبات والمثبَت مجازٌ، كقول الرجل لصاحبه أحيَتْني رؤيتُك، يريد آنسَتْني وسَرَّتْنِي ونحوه، فقد جعل الأُنس والمسرَّة الحاصلة بالرؤية حياةً أوَّلاً، ثم جعل الرؤية فاعلةً لتلك الحياة، وشبيهٌ به قول المتنبي:

وتُحيي لَهُ المالَ الصَّوارِمُ والقَنَا ... ويقتلُ ما تُحيي التَّبسُّمُ والجَدَا

جعل الزيادة والوفور حياةً في المال، وتفريقه في العطاء قتلاً، ثم أثبتَ الحياة فعلاً للصوارم، والقتل فعلاً للتبسم، مع العلم بأنَّ الفعل لا يصحُّ منهما، ونوع منه أهْلَكَ النَّاسَ الدينارُ والدرهمُ، جعل الفتنة هلاكاً على المجاز، ثم أثبت الهلاك فعلاً للدينار

والدرهم، وليسا مما يفعلان فاعرفه. وإذ قد تبيّن لك المنهاج في الفرق بين دخول المجاز في الإثبات، وبين دخوله في المثبَت، وبين أن ينتظمهما عرفتَ الصورة في الجميع، فاعلم أنه إذا وقع في الإثبات فهو متلقى من العقل، وإذا عرض في المُثْبَت فهو متلقّى من اللغة، فإن طلبتَ الحجّة على صحة هذه الدَّعوى، فإنَّ فيما قدّمتُ من القول ما يُبيّنها لك، ويختصر لك الطريق إلى معرفتها

وذلك أن الإثبات إذا كان من شرطه أن يقيَّد مرَّتين كقولك: إثبات شيء لشيء، ولزم من ذلك أن لا يحصل إلا بالجملة التي هي تأليف بين حديث ومحدَّث عنه، ومسنَد ومُسنَد إليه، علمتَ أن مأخذَه العقل، وأنه القاضي فيه دون اللغة، لأن اللغة لم تأت لتحكُمَ بحُكم أو لتُثبت وتنفي، وتَنْقُض وتُبرم، فالحكم بأن الضَّرب فعل لزيد، أو ليس بفعل له، وأن المرضَ صفةٌ له، أو ليس بصفة له، شيءٌ يضعه المتكلم ودَعْوى يدَّعيها، ومَا يعترض على هذه الدعوى من تصديق أو تكذيب، واعتراف أو إنكار، وتصحيح أو إفساد، فهو اعتراض على المتكلّم، وليس اللغة من ذلك بسبيل، ولا منه في قليلٍ ولا كثيرٍ. وإذا كان كذلك كان كلُّ وصف يستحقُّه هذا الحكمُ من صحة وفَساد، وحقيقة ومجاز، واحتمال واستحالة، فالمرجع فيه والوجهُ إلى العقل المحض وليس للغة فيه حظٌّ، فلا تُحْلى ولا تُمِرُّ، والعربيّ فيه كالعجميّ، والعجميّ كالتركيّ، لأن قضايا العقول هي القواعدُ والأُسُس التي يُبنى غيرها عليها، والأصولُ التي يُرَدُّ ماسواها إليها، فأما إذا كان المجاز في المُثْبَت كنحو قوله تعالى: " فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ " [1474] فإنما كان مأخذُه اللغة، لأجل أنّ طريقة المجاز بأنْ أُجْرِيَ اسمُ الحياة على ما ليس بحياة، تشبيهاً وتمثيلاً، ثم اشتُقّ منها - وهي في هذا التقدير - الفِعْلُ الذي هو أحيا، واللغة هي التي اقتضتْ أن تكون الحياة اسماً للصِّفة التي هي ضدُّ الموت، فإذا تُجُوّز في الاسم فأُجري على غيرها، فالحديثُ مع اللغة فاعرفه". [1475]

فالحقيقة كل لفظ استعمل فى معناه الموضوع له وهو واضح لايحتاج إلى الأمثلة فإذا نقل من معناه الموضوع له إلى غيره فهو مجاز ثم الكلمة إذا استخدمت فى معنى غير الأصلى فإن كان المرجع فيه لغة فالمجاز لغوى وإن كان المرجع فيه عقل فالمجاز عقلى ثم فى المجاز اللغوى إن كانت العلاقة مشابهة فالمجاز مستعار وإن كانت غير المشابهة فالمجاز مرسل أما المجاز المستعاروالمرسل فقدناقشتهما بالتفصيل ففى هذاالفصل سأناقش المجاز العقلى إ ن شاء الله تعالى.

> فالمجاز العقلي ويسمى مجازاً حكميا، ومجازاً في الإثبات، وإسناداً مجازياً، وهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له، أي غير الملابس الذي ذلك الفعل أو معناه له، يعني غير الفاعل فيما بني للفاعل، وغير المفعول فيما بني للمفعول، بتأول متعلق بإسناده. وحاصله أن تنصب قرينة صارفة للإسناد عن أن يكون إلى ما هو له، كقولنا: في عيشة راضية، فيما بني للفاعل وأسند إلى المفعول به، إذ العيشة مرضية، وسيل مفعم، في عكسه، اسم مفعول من: أفعمت الإناء: ملأته، وأسند إلى الفاعل.[1476]

ففى المجاز العقلى إثبات الفعل إلى غير القادر لأن فى أنبت الربيع البقل إثبات الإنبات إلى الربيع والربيع غير قادر على الإنبات وإثبات الفعل لغير القادرلا يصحُّ في قضايا العقول، إلاّ أن يكون على سبيل التأوُّل، ففى عُرف الناس أن يجعلوا الشيء، إذا كان سبباً أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله، كأنه فاعل، فلما أجرى اللّه سبحانه العادةَ أن تنبت البقل في زمان الربيع، صار يُتوهَّم في ظاهر الأمر ومجرى العادة، كأنّ لوجود هذه الأشياء حاجةً إلى الربيع، فأسند الفِعلَ إليه على هذا التأوُّل. وهكذا أسند الله تعالى إخراج الأثقال إلى الأرض مع أن الأرضُ لا تُخرج الكامن في بطنها من الأثقال، بل تحدث فيها الحركةُ بقدرة اللّه تعالى. [1477]

ومعنى هذاالتأول أن المتكلم لايريد المعنى الأصلى للكلام فقول الكفار " وما يهلكنا إلا الدهر "[1478] ليس من المجاز العقلى لأنهم كانوا يريدون ذلك وما كانوا يريدون نسبة الهلاك إلى الدهر على طريق المجاز.

وجواز الحكم على الجملة مشروط بأحدِ أمرين: فإمَّا أنه يكون الشيء الذي أُثبت له الفعل مما لا يدّعي أحدٌ من المحقّين والمبطلين أن مما يصحّ أن يكون له تأثيرٌ في وجود المعنى الذي أُثبت له، وذلك نحو قول الرجل: محبَّتُك جاءَتْ بي إليك، فهذا ما لا يشك فيه احد أنّه مجاز. وإمَّا أنه يكون قد عُلم من اعتقاد المتكلّم أنه لا يُثبت الفعل إلا للقادر، وأنه ممن لا يعتقد الاعتقادات الفاسدة، كقول المسلم قد علمنى الزمان ما كنت جاهلا عنه لأن المسلم لايزعم أن الزمان هو المعلم وأما نسبة المشركين نسبة الهلاك إلى الدهر فليس من المجاز لأن المشركين ينسبون الهلاك إلى الدهر حسب اعتقاداتهم الفاسدة فهو مبنى على الحقيقة لا على المجاز العقلى.[1479] قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك أنبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة

الكعبة وهزم الأمير الجند وبنى الوزير القصر وإنما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون أن أقول خلاف ما عند العقل لئلا يمتنع طرده بما إذا قال الدهري عن اعتقاد جهل أو جاهل غيره أنبت الربيع البقل رائيا إنبات البقل من الربيع فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازا وإن كان بخلاف العقل في نفس الأمر ولذلك لا تراهم يحملون نحو:"أشاب الصغير وأفنى الكبير " " كر الغداة ومر العشي "على المجاز ما لم يعلموا أو يغلب في ظنهم أن قائله ما قاله عن اعتقاد" [1480]

وهكذا فى التقييد بضرب من التأويل احترازعن الكذب فإنه لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيداً خلاف ما عند المتكلم.

صور المجاز العقلى:

واعلم أن للمجاز العقلى أربع صور:

الصورة الأولى: أن يكون المحكوم به والمحكوم له حقيقتين وضعيتين كما فى قولك أنبت الربيع البقل فالمحكوم له وهو الربيع من الحقيقة الوضعية مستعملة فى مكانها الوضعى لأن المراد بالربيع ليس سوى الربيع ونسب إليه الإنبات' والمحكوم به وهو إنبات البقل أيضا من الحقيقة الوضعية مستعملة فى مكانها الوضعى لأن المراد بإنبات البقل ليس إلا إنباته.

والصورة الثانية: أن يكون المحكوم به والمحكوم له مجازين وضعيين كما فى قولك أحيا الأرض شباب الزمان فكل من إحياء الأرض وهو المحكوم به من المجاز الوضعى لأن الأرض لاتحيى ولاتموت و شباب الزمان وهو المحكوم له أيضا من المجاز الوضعى لأن الزمان لايوصف بالشباب ولاالشيخوخة.

والصورة الثالثة: أن يكون المحكوم له مجازا وضعيا والمحكوم به حقيقة وضعية كما فى قولك أنبت البقل شباب الزمان فإنبات البقل وهوالمحكوم به من الحقيقة الوضعية لأن البقل تنبت فى الحقيقة وأما شباب الزمان وهو المحكوم له من المجاز الوضعى لأن الزمان لايوصف بالشباب والشيخوخة.

والصورة الرابعة: أن يكون المحكوم به مجازا وضعيا والمحكوم له حقيقة وضعية كما فى قولك أحيا الربيع الأرض فإحياء الأرض وهوالمحكوم به من المجاز الوضعى لأن الأرض لاتحيى ولاتموت بل النضرة حياتها وعدم

النضرة موتها'وأما كلمة الأرض فهى حقيقة وضعية لأنها قد استعملت فى مكانها الوضعى .[1481]

من بلاغة المجاز العقلى:

فى النسبة إلى غير ما صدر منه الفعل إشارة إلى أن للمحكوم له أثر عظيم فى الشيئ الذى أسند إليه الفعل, كما فى قوله تعالى:"كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ"[1482] فقد أسند الإنبات إلى الحبة مع أن الله تعالى هو المنبت لكل الزروع والأشجار والأثمار وغيرها إشارة إلى أن للحبة أثر عظيم فى تضاعف الحبات ولولم تكن الحبة موجودة لما أظهر الله تعالى قدرته فى الإنبات وعلى التالى ففى تضاعف الحبات أثر للحبة الملقاة فى الأرض لأن الدنيا دار الأسباب ولايوجد الله تعالى شيئا إلا تحت نظامه الموجود فى العالم.وسأشرح الآية بعض التفصيل فى السطور الآتية إن شاء الله تعالى.

وهكذا فى إسناد الفعل إلى غير ما هو منه مبالغة كما نرى الإسناد إلى الزمان فى قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" [1483] نرى أن فى هذاالإسناد مبالغة فى جعل النهار الناس صالحين أن يبصروا الأشياء للضوء الموجود فى النهار فالنهار من شدة إتاحة الناس الفرصة للبصر فيه كأنه هو المبصر وإليك بعض التفصيل فى السطورالآتية إن شاء الله تعالى.

شدة الاهتمام بالفعل المنسوب.كما فى قوله تعالى:" كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا" [1484] ففى هذه الآية إسناد الشيئ إلى سببه لأن الله تعالى يأمر الملائكة بالكتابة وهم يكتبون ما يأمرهم الله تعالى ولكن الله تعالى أسند الكتابة إلى نفسه لشدة اهتمامه بها وإشعارا أن الله تعالى ليس غافلا عن أفعال العباد وبالتالى فهو يجازيهم بأعمالهم.

وأيضا فى هذاالإسناد إشارة إلى تعظيم شأن المحكوم له كما فى قوله تعالى:"خافضة رافعة"[1485] فإسناد الخفض والرفع إلى القيامة مجاز عقلى لأن الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى وأما القيامة فهى مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وصفاته تعالى, فإسناده إلى القيامة مشعر بأن القيامة لها شأن عظيم وفيها تظهر قدرة الله تعالى وصفاته وهى تليق أن يخافها الناس.

القرآن الكريم والمجاز العقلى:

واعلم أن المجاز العقلى قد وقع فى القرآن الكريم بكثرة وقد زين الله تعالى بالمزايا المتعلقة به فقال الله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا

رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ"[1486] ففى هذه الآية إسناد الربح إلى التجارة مع أن الربح يكون حاصلا لأصحاب التجارة لا للتجارة نفسها فمعنى هذاالكلام أنهم لم يربحوا فى تجارتهم فالإسناد إلى التجارة إسناد إلى غير ماله. قال العلامة ابن عا شوررحمه الله تعالى:

> وإنما أسند الربح إلى التجارة حتى نفي عنها لأن الربح لما كان مسبباً عن التجارة وكان الرابح هو التاجر صح إسناده للتجارة لأنها سببه فهو مجاز عقلي وذلك أنه لولا الإسناد المجازي لما صح أن ينفى عن الشيء ما يعلم كل أحد أنه ليس من صفاته لأنه يصير من باب الإخبار بالمعلوم ضرورة ، فلا تظنن أن النفي في مثل هذا حقيقة فتتركه ، إن انتفاء الربح عن التجارة واقع ثابت لأنها لا توصف بالربح [1487]

وإسناد الربح إلى التجارة لشدة ملابسة الربح بالتجارة فكأنه لاربح إلا بالتجارة وربح التاجر غير متصور بدون التجارة فكأن الرابحة هى التجارة نفسها. ولايخفى ما فيه من الإشارة إلى أن الخسران فى عمل المنافقين الذى جعل كالتجارة فهم لايستطيعون أن يصلوا إلى هدفهم مهما كان سعيهم لأن الطريق لا يساعدهم. وفى هذه الآية كل من المحكوم له وهو التجارة والمحكوم به وهو الربح من المجاز الوضعى لأن المراد بالتجارة ليست تجارة حقيقية بل صنيع المنافقين فى ترك الهدى واختيار الضلالة وهكذا ليس المراد بالربح ربحا حقيقيا بل مجازيا فافهم.وقال تعالى:

> وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ"[1488]

وموضع الاستدلال فى هذه الآية هو نسبة الإنبات إلى الأرض فى قوله تعالى:" مما تنبت الأرض" لأن الإنبات لايكون بالأرض بل الله تعالى هو الذى ينبت فإسناد الإنبات إلى الأرض ليس مبنيا على الحقيقة بل وهو على سبيل المجاز العقلى. قال صاحب التفسير المنير:" أضاف الإنبات إلى الأرض على سبيل المجاز العقلى وعلاقته السببية لأن الأرض سبب للإنبات".[1489] وقال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"ونسبة الإنبات إلى (الأرض) مجاز من باب النسبة إلى القابل . وقد أودع الله تعالى في الطبقة الطينية من الأرض أو فيها قوة قابلة لذلك".[1490] وربما فى إسناد الإنبات إلى الأرض إشارة إلى أن الأشياء المرادة تتعلق بالأرض وأما الأشياء المتاحة فتتعلق بالسماء فهى منزلة من لدن حكيم

خبير ولاشك أن الأشياء المتاحة كانت جيدة بكثير من الأشياء المسئولة ولذا قال الله تعالى أنهم يستبدلون الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ. وهكذا أسند الله تعالى الإنبات إلى الحبة فى قوله تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [1491]ففى هذه الآية أسند الإنبات إلى الحبة مع أن الله تعالى هو الذى ينبت السنابل من الحبة , قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:"إسناد الإنبات إلى الحبة مجاز لأنها سبب للإنبات والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس" .[1492] وفى إسناد الإنبات إلى الحبة إشارة إلى أن الحبة هو الشيئ الأساسى فى تضاعف الحبوب فكأنها هى المنبة بنفسها ونتيجة لهذا تثبت الفضيلة للإنفاق فى سبيل الله تعالى فله دور أهم فى تضاعف الحسنات فكأنه هو المضعف مع أن المضعف هو الله تعالى فى الحقيقة. ونرى فى هذين المثالين أن المحكوم له والمحكوم به كلاهما من الحقيقة الوضعية فإنبات البقول والسنابل من الحقيقة الوضعية وهما محكوم بهما وأما الأرض والحبة أيضا من الحقيقة الوضعية وهما محكوم لهما.

وهكذا نلاحظ أن الله تعالى أسند كتابة أعمال العباد إلى نفسه فى قوله تعالى:" لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"[1493] مع أن الله تعالى لايكتب بنفسه ولايحتاج إليها لأن الكتابة لحفظ الأشياء وصيانتها عن النسيان والله تعالى مبرأ منه فلايحتاج الحفظ بل كل هذا للعباد فيأمر ملائكته أن يكتبها, قال صاحب التفسير المنير:" ألله لايكتب وإنما يأمر بالكتابة ملائكته فأسند الفعل إليه من قبيل المجاز العقلى".[1494] ولايخفى أن فى إسناد الكتابة إلى الله تعالى من التهديد والتوبيخ ما ليس فى النسبة إلى الملائكة لأن الكتابة تدل على شدة الاهتمام بشيئ فمن يهتم بشيئ يكتبه كى لاينساه ففى هذه النسبة إشارة إلى أن الله تعالى مهتم بأفعال العباد القبيحة فهو رقيب عليها فيجازيهم بها, بخلاف من سلم أمرأ إلى أحد ولايراقبه فهو قليل الاهتمام به أو عديم الاهتمام به. ولاحظنا أيضا أن المحكوم به وله فى هذه الآية من الحقيقة الوضعية.

ونلاحظ أن الإسناد قد يكون إلى زمان الناس الذى يسكنون فيه كما أن الله تعالى أسند الأكل إلى السنين فى قوله تعالى :" ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ"[1495] مع أن الأكل لايصدر عن السنين فالمراد به الناس الذين هم فى ذلك الزمان قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:"وأطلق الأكل في قوله : يأكلن على الإفناء ، كالذي في قوله : ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم [1496]. وإسناده بهذا الإطلاق إلى السنين إسنادُ مجاز عقلي ، لأنهن زمن وقوع الفناء"[1497] وربما تكون فى هذاالإسناد إشارة إلى شدة القحط فكأن السنين بنفسها تأكل من الزروع والثمار. وفى هذه الآية أيضا حمل المحكوم له

وبه على الحقيقة الوضعية كما لايخفى. وهكذا نرى الإسناد إلى الزمان فى قوله تعالى:" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" [1498] ففى هذه الآية اسند الشيئ إلى زمانه لأن النهار لايبصر بل يرى فيه فالنهار زمان للبصر وقد أسند إليه البصر على سبيل المجاز العقلى.[1499] ولايخفى أن فى هذاالإسناد إثبات الشيئ على سبيل المبالغة فالمعنى أن النهار جعل الناس مبصرين فهم يرون فيه كل شيئ فكأن النهار من شدة إتاحة صلاحية الرؤية للناس مبصرا بنفسه. ومثل هذاالإسناد قد أثبت الإبصار للناقة فى قوله تعالى:" وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" [1500] مع أن الناقة لاتكون مبصرة بل كانت سببا لإبصار الحق والهدى فنسب إليها الإبصار على سبيل المجاز العقلى. [1501]

وقديسند إلى مكان الشيئ كما فى قوله تعالى:

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ.[1502]

لأن المراد بسيلان الأودية سيلان مياه الأودية على سبيل المجاز فقد أسند الفعل وهو السيل إلى الأودية مع أنه مكان للمياه التى تسيل فيها لا أن الأودية هى تسيل. والوجه البلاغى فى مثل هذاالأسلوب هو المبالغة أى تسيل فيها المياه فكأنها من شدة ملأها وتدفقها وكثرة مياهها تسيل بأنفسها. ومن الواضح جدا أن الأودية وهو المحكوم لها من الحقيقة الوضعية إذاالمرادبها نفس الأودية لاشيئ أخر. وهكذا السيلان أيضا من الحقيقة الوضعية.

ومن الآيات الأخرى التى جاء فيها المجاز العقلى قوله تعالى:"هدى للمتقين" أسند فيه الهدى إلى الكتاب مع أن الهادى هو الله تعالى وأما الكتاب فهو سبب للهداية ولكن الله تعالى جعله كاملا ومكملا بحيث لايبقى الاحتياج إلى شيئ آخر فكأنه يهدى الصراط المستقيم بنفسه , فهذا إسناد الشيئ إلى سببه على سبيل المجاز العقلى. ومنها قوله تعالى:"بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ" [1503] قد نسب الإهانة إلى العذاب مع أن العذاب ليس مهينا بل هو سبب للإهانة وإنما الله تعالى يهين الناس بسبب العذاب فهذا" من قبيل إسناد الأشياء إلى أسبابها"[1504] ولايخفى مافى هذاالإسناد من المبالغة لأن فيه إشعار أن الله تعالى قد فوض صلاحية الإهانة إلى العذاب وإذاكانت الصلاحية مفوضة إلى الشيئ الذى هو سبب للعمل فهو لا يغفل عن فرضه كما أن المبرمج يثبت أى برنا مج فى الكمبيوبر فهو يصرف فيه بنفسه دون أن يكون للمبرمج

فيه دخل. فيوحى هذاالإسناد أن للعذاب شأن كبير فى إهانة الكفار. قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

> المسألة الثانية : العذاب في الحقيقة لا يكون مهيناً لأن معنى ذلك أنه أهان غيره وذلك مما لا يتأتى إلا فيما يعقل ، فالله تعالى هو المهين للمعذبين بالعذاب الكثير إلا أن الإهانة لما حصلت مع العذاب جاز أن يجعل ذلك من وصفه ، فإن قيل : العذاب لا يكون إلا مع الإهانة فما الفائدة في هذا الوصف؟ قلنا : كون العذاب مقروناً بالإهانة أمر لا بد فيه من الدليل ، فالله تعالى ذكر ذلك ليكون دليلاً عليه.[1505]

وهكذا نرى أن الله تعالى "أسند الإحاطة للزمان الذى هو اليوم مع أنه ليس بجسم والعذاب فيه"[1506] فقال تعالى:" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ "[1507] قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:" البحث الثاني : أنه تعالى توعدهم بعذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد ، والمحيط من صفة اليوم في الظاهر ، وفي المعنى من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله :"هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ "[1508]. ومنها قوله تعالى:" قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ"[1509] فموضع الاستدلال فى هذه الآيات هو قوله تعالى إلا امرأته قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغابرين. ففيه إسناد فعل التقدير إلى الملائكة لأن المقدِّر هو الله تعالى لا الملائكة ولكن لما كان للملائكة قرب شديد من الله تعالى أستسيغ إسناد الفعل إليهم على طريق المجاز. قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:" وإسناد التقدير إلى ضمير الملائكة لأنهم مُزمعون على سببه . وهو ما وكلوا به من تحذير لوط عليه السلام وآله من الالتفات إلى العذاب ، وتَرْكِهم تحذير امرأته حتى التفتت فَحل بها ما حل بقوم لوط ".[1510] ومنها قوله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ"[1511] ففى هذه الآية أسند الأمن إلى الحرم مع أن المراد هو أهل الحرم وفى هذاالإسناد إشارة إلى أن الأمن مخيم على أهل الحرم إلى حد كأن الحرم كله مغطى بالأمن.

***

الفصل الثالث

الكنـاية

الكناية من أكثرأساليب البيان حسنا وبلاغة فقد تناوله البلاغيون والأدباء فى نصوصهم وقد أكثر القرآن الكريم من استخدامه قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه دلائل الإعجاز:

> هذا فنٌ من القول دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ وهو أنَّا نراهم كما يصنعون في نفسِ الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكنايةِ والتعريضِ . كذلك يذهبون في إثباتِ الصفة هذا المذهبَ . وإذا فعلوا ذلك بدَتْ هناك محاسنُ تملأ الطرف وَدقائقُ تُعجزُ الوصفَ . ورأيتَ هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغةً لا يكمل لها إلاّ الشاعرُ المُفلِقُ والخطيب المِصْقَعُ . وكما أنَّ الصفة إذا لم تأتك مُصرَّحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكنْ مدلولاً بغيرها كان ذلك أفخمَ لشأنها وألطفَ لمكانِها . كذلك إثباتُك الصفة للشيءِ تثبتُها له إذا لم تُلقِه إلى السامع صريحاً وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارة كان له من الفضلَ والمزية ومن الحُسْنِ والرونَقِ ما لا يقلُّ قليلُه لا يُجْهلُ موضعُ الفضيلة فيه وتفسيرُ هذه الجملةِ وشرحُها أنهم يرومون وصفَ الرجل ومدحَه وإثباتَ معنًى من المعاني الشريفة له فَيدَعون التَّصريحَ بذلك ويُكَنّون عن جعلِها فيه بجعلِها في شيءٍ يشتَمِلُ عليه ويتلبَّسُ به . ويتوصَّلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات لا من الجهةِ الظاهرةِ المعروفة بل من طريقٍ يَخفَى ومسلكٍ يَدِقُّ"[1512]

فعلم من هذاالنص الأفكار الآتية:

- الكناية أبلغ من التصريح.
- الكناية تحتوى على الأسرار والمحاسن التى تعجز اللسان عن الوصف.
- من دأب العرب أنهم يأتون إلى مرامهم لا عن الطريقة العادية بل عن طريق الكناية فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه بجعلها فى شيئ يشتمل عليه.

ولايخفى أن فى الكناية إثبا ت الدعوى بالدليل وهذا أبلغ من إثبات الدعوى بدون الدليل فلا مجال للمخاطب سوى قبول الدعوى فإثبات الكرم بإثبات كثرة الرماد إثبات الدعوى بالدليل لأن كثرة الرماد تدل على كثرة النيران وهى تدل على الكرم لأن قولك زيد كثير الرماد ادعاء منك أنه كريم لأن أمام

بيته رماد بسبب كثرة مجيئ الضيوف عنده. قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر والسبب في أن المجاز أبلغ من الحقيقة هو ما عرفت أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم على اللازم فأنت في قولك رعينا الغيث ذاكرا الملزوم الغيث مريدا به لازمه بمنزلة مدعي الشيء ببينه فإن وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لأداء انفكاكه عنه على كون الشيء ملزوما غير ملزوم باعتبار واحد، وفي قولك رعينا النبت مدعى للشيء لا ببينه وكم بين ادعاء الشيء ببينه وبين ادعائه لا بها، والسبب في أن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه أمران: أحدهما أن في التصريح بالتشبيه اعترافا بكون المشبه به أكمل من المشبه في وجه الشبه على ما قررت في باب التشبيه. والثاني في ترك التصريح بالتشبيه على الاستعارة التي هي مجاز مخصوص الفائدة التي سمعت في المجاز آنفا من دعوى الشيء ببينه، والسبب في أن الكناية عن الشيء أوقع من الإفصاح بذكره نظير ما تقدم في المجاز بل عينه، يبين ذلك أن مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم على ملزوم معين ومعلوم عندك أن الانتقال من اللازم على ملزوم معين يعتمد مساواته إياه لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين فيصير الانتقال من اللازم إلى الملزوم إذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم على اللازم فيصير حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببينة ومع إفصاح بالذكر مدعى لا ببينه[1513]

مفهوم الكناية:

كلمة الكناية مصدر وهى تأتى من بابين: ضرب يضرب ونصر ينصر ومعنا ه عدم التصريح بشيئ وفى مفهومه معنى الستر فكأن المعنى المراد قديستر تحت اللفظ الآخرقال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> وسمي هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح ودلالة كني على ذلك لأن ك ن ى كيفما تركبت دارت مع تأدية معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكنى إذ لم يصرح به ومنه الكنى وهو أبو فلان وابن فلان وأم فلان وبنت فلان سميت كنى لما فيها من إخفاء وجه التصريح بأسمائهم الأعلام[1514]

وقال أبوالهلال العسكرى:" وهو أن يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرح"[1515] فأهل البيان قدعرفها بأنها لفظ أريد به لازم معناه.[1516] وتفصيله أن الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك كما يقال:

> إنفلانة نئوم الضحى لينتقل منه على ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة على السعي بنفسها في إصلاح المهمات وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك[1517]

الفرق بين المجاز والكناية:

من المعلوم أن كلا من المجاز والكناية غير مستخدمين فى المعانى الموضوعة بل تتجاوز الألفاظ منها إلى المعانى والمفاهيم الأخرى فتتحدان فى هذاالوصف ولكن بينهما فرق وهذاالفرق

> يظهر من وجهين أحدهما أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يتمنع في قولك فلان طويل النجاد أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأويل مع إرادة طول قامته وفي قولك فلانة نئومة الضحى أن تريد أنها تنام ضحى لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع إرادة كونها مخدومة مرفهة والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث أن تريد معنى الغيث وفي نحو قولك في الحمام أسد أن تريد معنى الأسد من غير تأويل وأنى والمجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء. والثاني أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم على الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم على اللازم[1518]

وهكذا إذا تأملنا فى قوله تعالى "أو لامستم النساء" لنرى أن المعنى الحقيقى والمعنى المجازى التى قد ستر فى المعنى الحقيقى كلاهما يصحان قال صاحب المثل الثائر:

> واعلم أن الكناية مشتقة من الستر، يقال: كنيت الشيء، إذا سترته وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة، فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا، ألا ترى إلى قوله تعالى: " أو لامستم النساء " فإنه إن حمل على الجماع كان كناية لأنه ستر الجماع بلفظ اللمس الذي حقيقته

مصافحة الجسد الجسد، وإن حمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة، ولم يكن كناية، وكلاهما يتم به المعنى[1519]

وإنما قلت إن المجاز يستر فى الحقيقة لأن الذهن يتبادر أولا إلى الحقيقة ثم يتجاوز منها إلى المجازلأن الحقيقة تفهم أولا، ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز، لأن دلالة اللفظ عليها وضعية، وأما المجاز فلا يتسارع إليه الذهن أولا بل بعد فهم الحقيقة ولايتبادر إليه الذهن إلا بعد الفكر والكدوهو يحتاج إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر، والمجاز أخفى، وهو مستور بالحقيقة، فإذا تفكرنا فى نفس الأية القرآنية أى: " أو لامستم النساء " فإن الفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي مصافحة الجسد الجسد، وأما المجاز الذي هو الجماع فإنه يفهم بالنظر والفكر، ويحتاج الذاهب إليه إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ.[1520]

الكناية بين الحقيقة والمجاز:

الكناية هل هى من الحقيقة أو المجاز؟ قد ذهب العلماء إلى أربعة مذاهب:

أحدها:أنها حقيقة لأنها قد استعملت فى المعنى الحقيقى وإن كان المراد به الدلالة على غير المعنى الموضوع له فكثرة الرماد قد استعملت فى المعنى الموضوع لها وإن كان المراد بها الكرم وهذاهو الوجه الفارق بين المجاز والكناية كما مر.

وثانيها:أنها مجاز لأن المراد ليس هو المعنى الموضوع له وإن كان قد استعمل فى المعنى الموضوع له. فكأنه تجاوز عن المعنى الموضوع له إلى مالم يوضع له.

وثالثها:أنها لاحقيقة ولامجاز لأن المراد غير المعنى الموضوع له فليست حقيقة ولم يستعمل فى المعنى غير الموضوع له فليست مجازا.

ورابعها:أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز فإن استعملت اللفظ في معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له.[1521]

الفرق بين الكناية والتعريض:

اعلم أن الكناية هى اللفظ الدال على الشيئ بالوضع إما بالوضع الحقيقى وإما بالوضع المجازى

> فحد الكناية الجامع لها هو:أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز.والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال:كنيت بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به، وعلى ما أردته من غيرهوأما التعريض فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا بالمجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب:والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب، لا حقيقة ولا مجازا، إنما دل عليه من طريق المفهوم، بخلاف دلالة اللمس على الجماع[1522]

وبما أن التعريض يدل على المعنى والفكرة الموجودة فى ذهن المتكلم لا عن طريق اللفظ بل عن طريق إرادة المفهوم فهو أخفى من الكناية لأن المخاطب يتفاوت فهما فمنهم من يفهم بسرعة ومنهم من لايفهم إلا بعد إفهام طويل وفى المثل الثائر:" والتعريض أخفي من الكناية، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنما سمي التعريض تعريضا من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي"[1523]

والقرينة فى الكناية تكون لفظية ووضعية لأن فى الكناية تكون الدلالة من جهة وضع الألفاظ وأما فى التعريض فتكون حاليةلأن الدلالة فيه لاتكون من جهة وضع الألفاظ بل من جهة المفهوم. ثم الفرق بينهما من حيث اشتمالهما على اللفظ المفرد والألفاظ المركبة

> أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا تارة أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد ألبتة، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب[1524]

ومن أغراض التعريض:

أحدها تلويح بالغير كما فى قوله تعالى:"بل فعله كبيرهم"[1525] ففيه نسبة الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب لأجل عبادة ما لاتليق للعبادة ففيه تلويح لعابدى هذه الأصنام بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا

نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزا ففيه توبيخ العابدين بهذه العبادة.

وثانيها التلطف واحتراز عن المخاشنة كما فى قوله تعالى: "وما لي لا أعبد الذي فطرني"[1526] أي ومالكم لا تعبدون الله الذى فطركم ففيه تلطف بالمخاطبين واحتراز عن المخاشنة والمجادلة التى تخالف الحكمة المأمورة بها فى الدعوة إلى دين الله الحنيف.[1527]

وثالثهاإستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم كما فى قوله تعالى:" لئن أشركت ليحبطن عملك" ففيه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد منه غير النبى صلى الله عليه وسلم لأن الشرك محال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم لأن الأنبياء معصومون من كل أنواع الذنوب والشرك أكبر الكبائر فالمقصود بالخطاب غيره صلى الله عليه وسلم.

ورابعها الذم كما فى قوله تعالى:" إنما يتذكر أولوا الألباب"[1528] ففيه تعريض بذم الكفار لأنهم لايتذكرون والتذكر قد خص بأولى الألباب ويقابلهم غير أولى الألباب فمعنى هذاالكلام أن الكفار لايتذكرون فهم خارجون عن زمرة أولوالألباب وهم فى حكم البهائم الذين لايتذكرون. فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون.

وخامسها الإهانة والتوبيخ كما فى قوله تعالى:"وإذا الموء ودة سئلت بأي ذنب قتلت"[1529] فإن سؤالها لإهانة قاتلها وتوبيخه وليس المراد بالسؤال استخبار لأن الله تعالى علام الغيوب وهو يعلم كل شيئ صادر عن قاتلى الموءودات بل المراد بالسؤال إثبات أن هذاالعمل ما كان ينبغى لهؤلاء الناس.[1530]

وسادسها الاستهزاء وإقامة الحجة على الغير كما فى نفس الآية التى تقدمت أى بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون. لأن الغرض بهذاالقول استهزاء على فعلهم بأنهم يعبدون الأصنام التى لاتنفع ولاتضر ولاتتكلم ففيه حثهم على التفكير حول هذه الحقيقة. وأيضا فيه إقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به من عجز كبير الاصنام عن الفعل مستدلا على ذلك بعدم اجابتهم اذا سئلوا ولم يرد بقوله بل فعله كبيرهم هذا نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم فدلالة هذا الكلام عجز كبير الاصنام عن الفعل.[1531]

وسابعها حمل المخاطب على العدل إذا تفكر فى الامر كما فى قوله تعالى:" وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين"[1532]حيث ردد الضلال بينهم وبين نفسهم والمراد انا على هدى وانتم في ضلال قال السكاكي ويسمى هذا النوع الخطاب المنصف أي لانه يوجب ان ينصف المخاطب اذا رجع الى نفسه ويصل إلى الحقيقة أنهم فى ضلال مبين وأن المؤمنين على هدى مستقيم.[1533]

الفرق بين الكناية والإرداف:

كما ذكرنا سابقا أن الكناية غير مستخدمة فى المعانى الموضوعة بل تتجاوز منها إلى المعانى والمفاهيم الأخرى وإما الإرداف فأيضا غيرمستخدم فى المعانى الموضوعة بل يتجاوز منها إلى المعانى والمفاهيم الأخرى فتتحدالكناية مع الإرداف فى هذاالوصف ولكن بينهما فرق وهذاالفرق يظهر فى أن الكناية هى أن يريد المتكلم معنى ويعبر عنه باللفظ فيتجاوز اللفظ من المعنى الموضوع إلى المعنى غير الموضوع له وأما الإرداف فهو أن يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى: "وقضي الأمر"[1534] والأصل وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته. وهذاالعدول يكون لوجوه بلاغية كثيرة:

منها: أن فيه من الإيجاز ففى الآية السابقة قد عدل عن الأسلوب المعروف العادى وهو كان أسلوبا طويلا من أسلوب الإرداف.

ومنها: الإشارة إلى أمر زائد عن المعلومات المتاحة فى الأسلوب العادى كما فى الأية السابقة قدعدل عن الأسلوب المعروف إلى لفظ الإرداف وفيه تنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع وقضاء من لا يرد قضاؤه والأمر يستلزم آمرا فقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وقهره وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الآمر ولا يحصل ذلك كل هذه المعلومات من اللفظ الخاص. وهكذا نلاحظ فى آية: "واستوت على الجودي"[1535] أن كلمة استوت تعطى معنى جلست وعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه لما في الإستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس.

ومنها: ما قال بعض العلماء أن الفرق بين الكناية والإرداف أن الكناية إنتقال من لازم إلى ملزوم والإرداف من مذكور إلى متروك.[1536]

أنواع الكناية:

اعلم أن للكناية تقسيمين باعتبارين مختلفين: أما الاعتبار الأول فهو اعتبار المطلوب بالكناية فبهذاالاعتبار لها ثلاثة أقسام وهى الكناية عن الصفة والكناية عن الموصوف والكناية عن النسبة قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> وإذ قد سمعت أن الكناية ينتقل فيها من اللازم على الملزوم فاسمع أن المطلوب بالكناية لا يخرج عن أقسام ثلاثة: أحدها طلب نفس الموصوف. وثانيها طلب نفس الصفة. وثالثها

> تخصيص الصفة بالموصوف والمراد بالوصف هاهنا كالجود في الجواد والكرم في الكريم والشجاعة في الشجاع وما جرى مجراها[1537]

فالقسم الأول من الأقسام الثلاثة هو الكناية عن الصفة والمراد بالصفة الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وما إلى ذلك وهى على نوعين وهما الكناية القريبة والكناية البعيدة أما القريبة فما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة بل مباشرة ثم هي إما تكون واضحة كقولهم طويل النجاد كناية عن طويل القامة ففى انتقال الذهن إلى المكنى عنه لايوجد أى إبهام بل هى واضحة وإما تكون خفية كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا فإن عرض القفا إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة ولكن انتقال الذهن إلى المكنى عنه فيه شيئ من الغموض وهو يحتاج التفكير وأماالبعيدة فما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الأبله عريض الوسادة فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى المقصود.[1538] قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> القسم الثاني: في الكناية المطلوب بها نفس الصفة أن الكناية في هذا القسم أيضا تقرب تارة وتبعد أخرى، فالقريبة هي أن تنتقل على مطلوبك من أقرب لوازمه إليه مثل أن تقول فلان طويل نجاده أو طويل النجاد متوصلا به على طول قامته أو مثل أن تقول فلان كثير أضيافه أو كثير الأضياف متوصلا به على أنه مضياف.واعلم أن بين قولنا طويل نجاده وقولنا طويل النجاد فرقا وهو أن الأول كناية ساذجة والثاني كناية مشتملة على تصريح فتأمل واستعن في درك ما قلت بالبحث عن تذكير الوصف في نحو فلانة حسن وجهها وعن تأنيث فلانة حسنة الوجه وباستحضار ما تقدم لي في " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "[1539] في باب التشبيه وأن هذا النوع القريب تارة يكون واضحا كما في المثالين المذكورين وتارة خفيا كما في قولهم عريض القفا كناية عن الأبله وفي قولهم عريض الوسادة كناية عن هذه الكناية، وأما البعيدة فهي أن تنتقل على مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة مثل أن تقول كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد على كثرة الجمر ومن كثرة الجمر على كثرة إحراق الحطب تحت القدور ومن كثرة إحراق الحطب على كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ على كثرة الأكلة ومن كثرة الأكلة على كثرة الضيفان ثم من كثرة الضيفان على أنه مضياف فانظر بين الكناية، وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم [1540]

والقسم الثانى من الأقسام الثلاثة هو الكناية عن الموصوف والكناية فى هذاالقسم قدتكون قريبة وقد تكون بعيدة مثال الأول كقولنا المضياف كناية عن زيد فزيد موصوف بصفة المضيافية فقد كنى عنه بهذه الصفة لأن اختصاص هذه الصفة قريب خال من التكلف ومثال الثانى كناية الحى مستوى القامة عريض الأظفار عن الإنسان ففى اختصاص هذاالوصف بالإنسان تكلف قال العلامة السكاكى رحمه الله تعالى:

> القسم الأول: في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد أخرى فالقرينة هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكرها متوصلا بها على ذلك الموصوف مثل أن تقول جاء المضياف وتريد لعارض اختصاص للمضياف بزيد والبعيدة هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم على لازم آخر وآخر فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ماعدا مقصودك فيه مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان حي مستوي القامة عريض الأظفار[1541]

والقسم الثالث من هذه الأقسام الثلاثة هو الكناية عن النسبة كما فى قول الشاعر: (إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج) فإنه حين أراد أن لا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبيها بذلك على أن محلها ذو قبة وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ونظيره قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه.[1542]

وأما باعتبار الوسائط فتنقسم إلى أربعة أقسام: وهى تعريض وتلويح ورمز وإشارة. أما التعريض فهو أن تتكلم بكلام ويكون لذلك الكلام معنى صريح ولكن مراد المتكلم يكون شيئا آخر الذى يدل عليه السياق كقول النبى صلى الله عليه وسلم:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" فمعنى هذاالكلام عام لكل مسلم ولكن إذا تكلمت بهذاالحديث فى حضور من يؤذى المسلمين ففيه تعريض على ذلك المؤذى فمراده أن من شأن المسلم أن لايؤذى مسلما آخر وأنت تؤذى المسلمين فأنت لست مسلما.

وأما التلويح فهو أن يكون بين الكناية والمكنى عنه وسائط كثيرة كما فى قولك فلان كثير الرماد والمراد به جوده وكرمه فهنا وسائط كثيرة وهى أن كثرة الرماد تدل على كثرة النيران وكثرة النيران تدل على كثرة الطبخ وكثرة الطبخ تدل على كثرة الضيوف وهى تدل على الكرم.

وأما الرمز فهو أن لاتكون بين الكناية والمكنى عنه وسائط أو كانت موجودة ولكنها خفية ولاتعريض فيه كما فى قولك فلان عريض القفا إذا كنيت عن البلاهة.

وأما الإشارة فهى إذا كانت بين الكناية والمكني عنه وسائط قليلة ويكون اللزوم بينهما واضحا ولايكون فيه التعريض.قال الخطيب القزوينى رحمه الله تعالى:

> قال السكاكي الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة فإن كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثرة الرماد وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحا لأن التلويح هو أن يشير إلى غيرك عن بعد وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزا لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية .....وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة[1543]

بلاغة الكناية:

- الكناية طريق من طرق الفرار عن الفحش فى الكلام كما يأتى فى كنايات الجماع إن شاء الله تعالى.
- فيها إثبات الصفة بالدليل كما فى"فلان كثير الرماد" إثبات كرمه بالدليل لأن كثرة الرماد تدل على كثرة الطبخ وهى على كثرة الضيوف وهى على الكرم.
- وللكناية أثر فى نفس السامع ماليس للإفصاح.
- فيها إثبات الأهداف العظيمة بألفاظ قليلة.
- والكناية أكثر مبالغة من الإفصاح فى إثبات صفة.
- وفى الكناية تقديم المعانى المجردة فى صورة الأشياء المحسوسة فهى تجعل المخاطب أن يرى الصور المرسومة أمامه ولاشك أن الصور أكثرفهما من المعانى المجردة وهى لاتحتاج إلى الخوض الكثير فى التفكر للفهم بل يفهم المشاهد بكل سهولة ' بل فى بعض الأحيان تقدم المعانى التى يعجز المتكلم عن التعبير عنه.

اسباب الكناية

للكناية أسباب كثيرة: فمنها التنبيه على عظم القدرة ومنها إشارة إلى فطنة المخاطب ومنها ترك اللفظ إلى ماهو أجمل منه ومنها أن يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عن الطبع ومنها تحسين اللفظ ومنها قصد البلاغة ومنها

قصد البلاغة فى التشنيع ومنها التنبيه على مصيره ومنها قصد الاختصار ومنها ان يعمد الى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر فياخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة او المجاز فتعبربها عن مقصودك[1544]

أما التنبيه على عظم القدرة كما فى قوله تعالى:"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[1545] فالمراد بنفس واحدة آدم عليه السلام قد كنى الله تعالى بنفس واحدة عنه للتذكير بهذه الحالة العجيبة الدالة على عظم القدرة وسعة العلم قال العلامة ابن عاشوررحمه الله تعالى:

> ووصفت النفس بواحدة على أسلوب الإدماج بين العبرة والموعظة ، لأن كونها واحدة أدعى للاعتبار إذ ينسل من الواحدة أبناء كثيرون حتى ربما صارت النفس الواحدة قبيلة أو أمّة ، ففي هذا الوصف تذكير بهذه الحالة العجيبة الدالة على عظم القدرة وسعة العلم حيث بثه من نفس واحدة رجالاً كثيراً ونساء[1546]

ومن المزايا البلاغية الموجودة فى أسلوب الكناية فى هذه الآية ما يلى:

- فيه إظهار لقدرة الله تعالى العظيمة لأن نسل الناس من نفس واحدة أمرعجيب حتى صاروا أقواما وقبائل كثيرة.

وأما فطنة المخاطب كما فى قوله تعالى في قصة النبي صلى الله عليه وسلم وزيد "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[1547] فالمخاطب يفطن أن المراد بالرجال زيد رضى الله تعالى عنه لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان قد تبناه وكان الناس ينسبونه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ففى تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بزوج متبنيه خشية الاتهام من قبل الناس أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج بزوج ابنه فنفى الله تعالى هذه الخشية بقوله أن النبى صلى الله عليه وسلم ليس أبا لأحد من رجالكم ومن المعلوم أن المقصود بالذات هو زيد رضى الله تعالى عنه وهو معلوم لدلالة السياق عليه فما كان النبى صلى الله عليه وسلم أبا له لابالولادة ولابالرضاع ولابالتبنى التي زعموا ترتب أحكام الأبوة الحقيقية عليها بنظم ما خفي في سلك ما لا خفاء فيه أصلاً لأنه مشروط بشرائط .قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ } رد لمنشأ خشيته صلى الله عليه وسلم الناس المعاتب عليها بقوله تعالى : { وَتَخْشَى الناس والله أَحَقُّ أن تخشاه } [الأحزاب : 7 3] وهو قولهم :

إن محمداً عليه الصلاة والسلام تزوج زوجة ابنه زيد بنفي كون زيد ابنه الذي يحرم نكاح زوجته عليه الصلاة والسلام على أبلغ وجه ....والأب حقيقة لغوية في الوالد على ما يفهم من كلام كثير من اللغويين ، والمراد بالأبوة المنفية هنا الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقية اللغوية من الإرث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بتبني من يولد مثله لمثله وهو مجهول النسب فحيث نفي كونه صلى الله عليه وسلم أبا أحد من رجالهم بأي طريق كانت الأبوة ، ومن المعلوم أن زيداً أحد من رجالهم تحقق نفي كونه عليه الصلاة والسلام أبا له مطلقاً ، أما كونه صلى الله عليه وسلم ليس أباً له بالولادة فمما لا نزاع فيه ولم يتوهم أحد خلافه ، ومثله كونه عليه الصلاة والسلام ليس أبا له بالرضاع ، وأما كونه صلى الله عليه وسلم ليس أباً له بالتبني مع تحقق تبنيه عليه الصلاة والسلام فلأن الأبوة بالتبني التي نفيت إنما هي الأبوة الحقيقية الشرعية وما كان من التبني لا يستتبعها لتوقفها شرعاً على شرائط ، منها كون المتبني مجهول النسب وذلك منتف في زيد فقد كان معروف النسب فيما بينهم ، وقد تقدم لك أنه ابن حارثة ، وتعميم نفي أبوته صلى الله عليه وسلم لأحد من رجالهم بحيث شمل نفي الأبوة بالولادة والأبوة بالرضاع والأبوة بالتبني مع أنه لا كلام في انتفاء الأوليين وإنما الكلام في انتفاء الأخيرة فقط إذ هي التي يزعمها من يقول : تزوج محمد عليه الصلاة والسلام زوجة ابنه للمبالغة في نفي الأبوة بالتبني التي زعموا ترتب أحكام الأبوة الحقيقية عليها بنظم ما خفي في سلك ما لا خفاء فيه أصلاً ".[1548]

ومن المزايا البلاغية فى أسلوب الكناية فى هذاالأسلوب فى هذه الآية ما يلى:

- فيه مبالغة فى انتفاء الأبوة لزيد ابن حارثة رضى الله تعالى لإلحاقه بالرجال الآخرين لأنه عليه السلام ماكانت له علاقة الأبوة مع الناس سوى زيد ابن حارثة رضى الله تعالى عنه بالكلية لا بالولادة ولا بالرضاع ولا بالتبنى فإذا ألحق رضى الله تعالى عنه بهم مع أنه كان له معه صلى الله عليه وسلم أبوة بالتبنى انتفت الأبوة من كل الوجوه لأن الأبوة بالتبنى ماكانت مانعة للنكاح مع زوجته.

وأما ترك اللفظ الى ما هو اجمل منه كما فى قوله تعالى:

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى

دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ[1549]

فموضع الاستدلال فى هذه الآيات هو استخدام كلمة نعجة وهى كناية عن المرأة ومن عادة العرب انهم يكنون بالنعجة عن المرأة قال العلامة الطبرى رحمه الله تعالى:" وإنما كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة، والعرب تفعل ذلك"[1550] وقبل أن نكشف الستار عن استخدام هذاالأسلوب وعن المزايا البلاغية فى استخدامه أريد أن أوضح أقاويل المفسرين التى يتوقف عليها كشف المحاسن فى هذاالأسلوب فأقول إن فى تفسير هذه الآية ثلاثة أقوال للمفسرين ففى القول الأول هذه القصة تدل على صدور الكبيرة عنه وفى القول الثانى هى تدل على الصغيرة وفى القول الثالث هى لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة.

فأما القول الأول فحاصل كلامهم فيها؛ أن داود عشق امرأة رجل اسمه أوريا ، فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته ، وعرضا تلك الواقعة عليه . فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ، ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة. ولكن رد هذاالتفسير العلامة الرازى رحمه الله تعالى فقال:

والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه الأول : أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه الثاني : أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته أما الأول : فأمر منكر قال صلى الله عليه وسلم : « من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » وأما الثاني : فمنكر عظيم قال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وإن أوريا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه والثالث : أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ، ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة ، وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.[1551]

وأما القول الثاني فهو أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه ثم خطبها داود فأثره أهلها ، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني : قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب ألبتة ، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب ، وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً لأن هذا الميل ليس في وسعه ، فلا يكون مكلفاً به بل لما اتفق أن قتل زوجها لم يتأذ تأذياً عظيماً بسبب قتله لأجل أنه طمع أن يتزوج بتلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهى خطيئة صغيرة وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل والثالث : أنه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقيل له هذا وإن كان جائزاً في ظاهر الشريعة ، إلا أنه لا يليق بك ، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين[1552]

وأما القول الثالث فهو أنه روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام ، وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه ، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذباً ، فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض إلى آخر القصة [1553]

فبعد أن فسرت الآية وبينت فيها أقوال المفسرين فأقول إن فى هذه الآية كنى بالنعجة عن المرأة وهى كلمة تستحسن عند العرب فقد تركت الكلمة لماهى أحسن عند المخاطبين. فمن الأسرار البلاغية فى هذاالأسلوب هنا مايلى:

- استخدام الكلمة التى تعد جميلة لدى الناس فكلمة النعجة تعد جميلة لدى المخاطبين كما قلت.
- ربما فى استخدام إشارة إلى أن النسوة لاتجعل كالأنعام فيأخذها إذا شاء وكيف شاء حتى إذا رآها فى ملك الغير نقلها إلى ملكه لأن النسوة محترمات ولها دورها فى الحياة كما أن لها فرائض وحقوق.

وأما الكناية لتحسين اللفظ فكما فى قوله تعالى:"وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ"[1554] فان العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض قال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:

> المكنون في اللغة المستور يقال كننت الشيء وأكننته ، ومعنى هذا التشبيه أن ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة ، فإذا كان مكنوناً كان مصوناً عن الغبرة والقترة ، فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا يسمون النساء بيضات

الخدور.[1555]

فكلمة البيض هى كلمة تعدها العرب من أحسن الكلمات المستخدمة فى وصف حسن المرأة. وربما الفرق بين هذاالسبب والسبب الثانى أن فى الثانى حسن الكلمة بالنسبة إلى الكلمة التى كنى بها عنها كحسن كلمة النعجة إلى المرأة ' وأما فى هذاالسبب فالحسن بالنسبة إلى الكلمات التى تكنى بها عن المكنى عنها ' كالبيض بالنسبة إلى الغزال وليكن فى أذهاننا أن حسن الكلمة بالنسبة إلى كلمة أخرى باعتبار كونها فى السياق الذى استخدم فيه لتكون مطابقة لمقتضى الحال وإلا فالكلمات المستخدمة فى القرآن الكريم فى قمة من الحسن والفصاحة.

وأما الكناية عما يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عن الطبع قال الجاحظ:"ويقال لموضع الغائط: الخَلاء، والمذْهب، والمخْرَج، والكنيفُ والحُشُّ، والمرحاض، والمِرْفق.وكل ذلك كناية واشتقاق، وهذا أيضًايدلك على شدة هربهم من الدناءة والفُسولة، والفحْش والقذَع"[1556] فكما نرى فى كنايات الجماع فقال صاحب البرهان:" ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس والملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن قال تعالى "فالآن باشروهن"[1557] فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين وقوله تعالى: "اولامستم النساء"[1558] إذ لا يخلوا الجماع من الملامسة"[1559] فالقرآن الكريم قد أخفى المعانى التى يفحش ذكره فى السمع فى كيان الكناية فقال تعالى:

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[1560]

موضع الاستدلال فى هذه الآية هى كلمة الرفث فالرفث أصله قول الفحش كما فى قوله تعالى: { فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ }[1561] ففى مختار الصحاح:" رف ث الرُفَثْ الفَحُش من القَوْل وقد رَفَثَ يَرْفُث رَفَثاً مثل طَلَب يَطْلُب طَلَباً وأرْفَثَ أيضاً" [1562]

ثم جعل ذلك اسما لما يتكلم به عند النساء من معاني الإفضاء ، ثم جعل كناية عن الجماع وعن كل ما يتبعه. وقد كنى بهذه الكلمة عن الجماع مع أن هذه الكلمة دالة على معنى القبح لأنهم كانوا يستقبحون هذاالعمل والأمور المقربة إليه فأجيزوا أن يجامعوا بما كان من الكلمات المؤدية التى كانوا

يستقبحونها.[1563] وربما كانت فيه إشارة إلى أن الجماع مع الزوجة لا عيب فيه لأن الشيئ إذا أبيح بشيئ أقبح أبيح من كل الوجوه, والله تعالى أعلم وعلمه أتم.

ومن كنايات الجما ع فى قوله تعالى: "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"[1564] فالإفضاء كناية عن الجماع فكلمة الإفضاء قريبة من الحياء وهى بعيدة من الكلمة التى يفحش ذكره على السمع. على أن هناك أسرار بلاغية أخرى كاستفادة لزوم المهر فى الخلوة الصحيحة ولذا فاختلف المفسرون فى مراد هذه الكلمة فقيل المراد بها الجماع وقيل المراد بها الخلوة الصحيحة.[1565]

ومنها فى قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[1566] فكنى بالتغشى عن الجماع. قال العلامة القرطبى رحمه الله تعالى:" ثم ابتدأ بحالة أخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما فقال: (فلما تغشاها) كناية عن الوقاع"[1567] وقال العلامة الرازى رحمه الله تعالى:"الغشيان إتيان الرجل المرأة وقد غشاها وتغشاها إذا علاها ، وذلك لأنه إذا علاها فقد صار كالغاشية لها ، ومثله يجللها ، وهو يشبه التغطي واللبس"[1568] وهذاالأسلوب يفيد أن السر لابد أن يكون بين الزوجين موجودا لأن كلمة التغشى يتضمن معنى الستر وإليه أشير بقوله تعالى: "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"[1569].

ومنها فى قوله تعالى:

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [1570]

فملامسة النساء كناية عن الجماع.

ومنها فى قوله تعالى:"لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ" [1571] فمس الأزواج كناية عن الجماع.

ومنها فى قوله تعالى:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا[1572]

فالدخول بهن كناية عن الجماع.

ومنها فى قوله تعالى:"نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[1573] كنى الله تعالى عن جواز الجماع بالزوجة بكونها حرث للأزواج ويجوز لصاحب الحرث أن يأتى إلى حرثه بأى طريق شاء قا ل العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ } قال ابن عباس: الحرث موضع الولد { فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } أي: كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صِمام واحد، كما ثبتت بذلك الأحاديث.قال البخاري: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا سفيان عن ابن المنْكَدر قال: سَمعت جابرًا قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } ورواه داود من حديث سفيان الثوري به[1574].

ومنها فى قوله تعالى:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا[1575]

فالاستمتاع هنا كناية عن الجماع.

ومنها فى قوله تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[1576] فعدم قربهن كناية عن الجماع.

وهكذا كنى الله تعالى عن البول والغائط بأكل الطعام لأن أكل الطعام سبب للبول والغائط." لكن استقبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه"[1577] ولايخفى أن خطابات القرآن جاءت مطابقة لمقتضى الحال فقد صرح بكلمة الغائط فى قوله تعالى:" أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ"[1578] لأن المراد فى هذه الآية تعريف الأحكام فصرح به مطابقا لخطاب العرب وما يالفون فكان لا بد من التصريح به

على ان الغائط أيضا كناية عن النجو وانما هو في الاصل اسم للمكان المنخفض من الارض وكانوا اذا ارادوا قضاء حاجتهم ابعدوا عن العيون الى منخفض من الارض فسمى منه لذلك ولكنه كثر استعماله في كلامهم فصار بمنزلة التصريح.[1579]

وهكذا كنى الله تعالى عن الفروج بالجلود فى قوله تعالى:"وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[1580] فالمراد بالجلود فى هذه الآية الفروج قال أبوالسعود رحمه الله تعالى:

> عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما أنَّ المرادَ بشهادةِ الجلودِ شهادةُ الفروجِ وهو الأنسبُ بتخصيصِ السؤالِ بَها في قولِه تعالى { وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا } فإن ما تشهدُ به من الزنا أعظمُ جنايةً وقبحاً وأجلبُ للخِزي والعقوبةِ مما يشهدُ به السمعُ والأبصارُ من الجناياتِ المكتسبةِ بتوسُّطِهما[1581]

ولايخفى أن الله تعالى صرح بلفظ الفرج فى قوله تعالى:"وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" [1582] فكما قلنا إن خطابات القرآن مطابقة لمقتضى الحال فصرح بشيئ فى بعض المقام وكنى عنه فى مقام آخر على أن صاحب البرهان ذهب إلى أن هذا ليس تصريحا بل هى كناية, فقال:" فإن قيل فقد قال الله تعالى والتي احصنت فرجها فصرح بالفرج قلنا اخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي وانما هو من لطيف الكنايات واحسنها وهي كناية عن فرج القميص أي لم يعلق ثوبها ريبة فهي طاهرة الاثواب "[1583]

وأما الكناية لقصد البلاغة فكما فى قوله تعالى:"وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ"[1584] فموضع الاستدلال فى هاتين الآيتين هو التنشيئة فى الحلية وهو الكناية عن النساء بأنهن ينشأن فى الترفه والتزين.[1585] وأفادت هذه الكناية تحميق المشركين فى جعلهم لله تعالى شريكا من هم فى قمة من العجز فى الإبانة عن ما فى نفسها بالدلائل' قال العلامة الشوكانى رحمه الله تعالى:

> والمعنى : أو جعلوا له سبحانه من شأنه أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يقوم بأمور نفسه ، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه؟ قال المبرد : تقدير الآية : أو يجعلون له من ينشأ في الحلية ، أي : ينبت في الزينة؟[1586]

فعدم الإبانة دليل العجز وهكذا الاحتياج إلى الحلية دليل النقصان فى حسنهن أو أن مدار حياتها الجيدة موقوفة على حسنهن وهذا ما نراه فى حياتنا اليومية أن المرأة القبيحة الصورة لا تنكح' بل تنكح الجميلات منهن. ولننظر إلى ما قاله الإمام الرازى رحمه الله تعالى:

> التنبيه على نقصانها ، وهو أن الذي يربى في الحلية يكون ناقص الذات ، لأنه لولا نقصان في ذاتها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية ، ثم بيّن نقصان حالها بطريق آخر ، وهو قوله { وَهُوَ فِى الخصام غَيْرُ مُبِينٍ } يعني أنها إذا احتاجت المخاصمة والمنازعة عجزت وكانت غير مبين ، وذلك لضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها ، ويقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بما كان حجة عليها ، فهذه الوجوه دالة على كمال نقصها ، فكيف يجوز إضافتهن بالولدية إليه1587.

نلاحظ أن هذه الأهداف لاتكون حاصلة بالتعبير بالأسلوب العادى غير الكناية.

وأما الكناية لقصد المبالغة في التشنيع فكما فى قوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله تعالى :

> وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ[1588]

نرى فى هذه الآية أن اليهود نسبوا البخل إلى الله تعالى لأن غل اليد بالنسبة إلى الله تعالى مجاز عن البخل لأن الله تعالى لايوصف بأعضاء الجسم كما هى ثابتة لنا ولكن أصل هذاالكلام كناية عن البخل. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعكرمة والضحاك قالوا : إن الله تعالى قد بسط لليهود الرزق فلما عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم / كف عنهم ما كان بسط لهم ، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء رأس يهود قينقاع ، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما النباش بن قيس {يَدُ الله } عز وجل { مَغْلُولَةٌ } وحيث لم ينكر على القائل الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة إلى الكل ، ولذلك

> نظائر تقدم كثير منها ، وأرادوا بذلك لعنهم الله تعالى أنه سبحانه ممسك ما عنده بخيل به تعالى عما يقولون علواً كبيراً فإن كلاً من غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ، أو كناية عن ذلك[1589]

ومن الواضح أن فى الوصف بغل اليد كناية عن البخل مبالغة فى البخل فكأنه تعالى لايقدرعلى الكرم وإن شاء لأن المغلول اليد لايقدر على الإنفاق وإن شاء ففيه إثبات صفة البخل على المبالغة والكمال.

وأما التنبيه على مصيره فكما فى قوله تعالى:"تبت يدا ابي لهب"[1590] فهذه الكناية تشير إلى مصير أبى لهب بأنه صاحب اللهب بمعنى أنه سيصير إلى لهب جهنم كما دلت عليه الآية الآتية وهى "سيصلى نارا ذات لهب" [1591]قا ل العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> أو لجعله كناية عن الجهنمي فكأنه قيل تبت يدا جهنمي وذلك لأن انتسابه إلى اللهب كانتساب الأب إلى الولد يدل على ملابسته له وملازمته إياه كما يقال هو أبو الخير وأبو الشر وأخو الفضل وأخو الحرب لمن يلابس هذه الأمور ويلازمها وملازمته لذلك تستلزم كونه جهنمياً لزوماً عرفياً فإن اللهب الحقيقي هو لهب جهنم فالانتقال من أبي لهب إلى جهنمي انتقال من الملزوم إلى اللازم أو بالعكس على اختلاف الرأيين في الكناية فإن التلازم بينهما في الجملة متحقق في الخارج والذهن إلا أن هذا اللزوم إنما هو بحسب الوضع الأول أعني الإضافي دون الثاني أعني العلمي وهم يعتبرون في الكنى المعاني الأصلية فأبو لهب باعتبار الوضع العلمي مستعمل في الشخص المعين وينتقل منه باعتبار وضعه الأصلي إلى ملابس اللهب وملازمه لينتقل منه إلى أنه جهنمي فهو كناية عن الصفة بالواسطة وهذا ما اختاره العلامة الثاني فعنده كناية بلا واسطة لأن معناه الأصلي أعني ملابس اللهب ملحوظ مع معناه العلمي واحق مع العلامة لأن أبا لهب يستعمل في الشخص المعين والمتكلم بناء على اعتبارهم المعاني الأصلية في الكنى ينتقل منه إلى المعنى الأصلي ثم ينتقل منه إلى الجهنمي ولا يلاحظ معه معناه الأصلي وإلا لكان لفظ أبي لهب في الآية مجازاً سواء لوحظ معه معناه الأصلي بطريق الجزئية أو التقييد لكونه غير موضوع للمجموع[1592]

وهكذا نرى فى قوله تعالى:"وامرأته حمالة الحطب"[1593] قد كنى عن زوجة أبى لهب بكونها حمالة الحطب وفى مصداقها أقوال ولاتهمنا هذاالاختلاف بل كل ما يهمنا هو أن نبين قولا يفى بمرامنا وهو أنها كانت تحمل

حزمة من الشوك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله كى يتأذى بها وكانت كثيرة العداوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب ، لأجل أن تلقيه في طريق رسول الله. [1594]

لاحظنا أن هذه الكنايات ما أثبتت الحكم المسوق له الكلام فى الظاهر فقط بل أثبتت مع ذلك الأحكام الأخرى فمنها: أن حسن ظاهر الحال فى الدنيا مثل حسن أبى لهب لايغنى إذاكان المصير هو لهب جهنم. ومنها تسلية أهل الإيمان أن خير العاقبة لهم لا للمشركين وإن كانوا أسوأحال فى الدنيا.وتسبب حمل الحطب لإزعاج النبى صلى الله عليه وسلم لكونها حطبا لنارجهنم.

وأما الكناية لقصد الاختصار فكما فى قوله تعالى:" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[1595] ففى هذه الآية كنى الله تعالى عن كل ما يفعله من المنكرات بقوله تعالى:"ما كانوا يفعلون" والمراد بالمنكر الذى ماكانوا يتناهون عن فعله هو إما صيد السمك يوم السبت ، وإما أخذ الرشوة في الحكم ، وإما أكل الربا وأثمان الشحوم ، والأولى أن يراد به نوع المنكر مطلقاً [1596] ومهما كان الأمر فقدكنى من كل ماذكر بألفاظ قليلة مع ما فيها من الأغراض البلاغية الأخرى ومنها البلاغة فى ذم كل ما فعلوه على سبيل الاستيعاب فكأنهم ما فعلوا أمرا يعدحسنا.

وهكذا فى قوله تعالى:"فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ": [1597] فكنى بعدم استطاعة الفعل عن عدم استطاعة الإتيان بكلام فى مقابلة القرآن الكريم حتى بمعاونة الشهداء.ولايخفى ما فى هذاالتعبير من الإيجاز مع ما فيه من الحسن الكامن فى أسلوب الكناية. قال العلامة الآلوسى رحمه الله تعالى:

> وقيل : أطلق الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال ، أو على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة إليها حذراً من التكرير ، والظاهر أن فيما عبر به إيجازاً وكناية وإيهام نفي الإتيان بالمثل وما يدانيه بل وغيره ، وإن لم يكن مراداً[1598]

وأما الكناية لأن يعمد الى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة او المجاز فتعبربها عن مقصودك فكما فى قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" [1599] لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك ، جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير

البتة ، وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤدّاه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر" [1600] وكما فى قوله تعالى:" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"[1601] فالقبضة هنا كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين الى جهتين [1602]

***

الخاتمة

نتائج البحث

بدأت السفر واستمررت فيه لمدة خمس سنوات مريداالتقاط المحاسن الكامنة فى الأسلوب القرآنى وبما أن محتويات بحثى هى المباحث البيانية وقفت أمام أسلوب التشبيه لبرهة من الدهر والتمست أن يرشح بعض المحاسن التى كمنت فى ردائه فى نصوص القرآن الكريم فرشح من محاسنه حسب علمى وفهمى فما انتهت محاسنه بل انقطعت عنى لما وصلت إلى حدود فهمى وعلمى. فمن هذه المزاياما يلى:

- نجد فى هذاالأسلوب المعانى العالية الكثيرة فى الألفاظ القليلة ويسمى إيجازا فى علوم البلاغة وهو يتسبب لمزايا البلاغية الأخرى فهو يحض المخاطب على التفكر كى يصل إلى النتيجة ولايخفى ما فى هذاالتفكر من اللذة واكتشاف الحقائق.ويزداد هذه اللذة فى الأسلوب التمثيلى لأنه يقدم المعلومات الكثيرة فى صورة مرسومة أمام المخاطب وهو يشاهد الحقائق فى تلك الصورة فيلتقطها منها.
- ونجد فى هذاالأسلوب من تقديم الأشياء المعنوية فى صورة الأشياء الحسية كما فى قوله تعالى" كأنما خرمن السماء"[1603] فهذه الصورة أعطت كثيرا من المعلومات فى صورة مرسومة أمام أعين المخاطب فهو يعرف الأشياء الكثيرة ببحثه وتفكره ولاينحصر على خبر المتكلم وشرحه.
- ولانستطيع أن ننكرالمبالغة التى أعطاها التشبيه وخاصة فى أسلوب التشبيه البليغ ففيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به وكأنه لافرق بينهما' فيتولد من هذه المبالغة المزايا البلاغية الكثيرة ومنها شدة الحرص على فعل الشيئ أوتركه وانبعاث النفرة فى القلوب كما فى "قل هو أذى فاعتزلواالنساء فى المحيض"[1604].
- وبه يحصل الأنس للنفس لأن هذه الأساليب تخرج الأشيآء الخفية من الخفاء إلى الظهورو تبديل الأشيآء غير المألوفة فى صورها المألوفة والأشيآء المعقولة فى صورها المحسوسة فتكون النفس مأنوسة معها فأحيانا نحن نعبر عن المعنى بعبا رة نؤديه ونبا لغ فيه بأسلوب عادى ولكن السامع لايتلذذ به تلذذه بأسلوب التشبيه وربما لا يفهمه.
- ففيه توضيح المعانى لأن الشيئ الخفى إذا شبه بالشيئ الجلى يتبين فتتضح الأشياء المعقولة والأشياء الخفية إذا شبهت بالأشياء المحسوسة' فهى تكون أمام أعين المخاطب وهو يلتقط من ذلك الشيئ المحسوس مايحتاجه بنفسه فعلمه يكون على وجه البصيرة.

- وبه يثبت الخيال فى النفس إذا قدمت صورة المشبه به ويقرب المعنى إلى ذهن المخاطب فيرغب فى المشبه إذا شبه بالشيئ المرغوب وينفر عن المشبه إذا شبه بالشيئ القبيح. ويقبل النفس الحقيقة التى تلقى إليه على وجه اليقين والبصيرة. وهناك كثيرا من المزاياالبلاغية التى تترتب على هذه النقاط التى ناقشناها وقددرسناها أثناء دراستنا للنصوص القرآنية.

وإذا بحثنا عن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب الاستعارة لنرى مايلى:

- بما أن الاستعارة تبنى على التشبيه فهى تحمل المزايا البلاغية بوجه أتم ففيها اتضاح غير الواضح وتقديم الأشياء العقلية فى صورة الأشياء الحسية وبه يحصل الأنس فى قلوب السامعين وما إلى ذلك.
- وفى الاستعارة مبالغة أكثر من التشبيه البليغ وغير البليغ لأن فى الاستعارة دعوى الاتحادبين المشبه والمشبه به ولذا طوى ذكر التشبيه ولايذكر المشبه والمشبه به معالالفظا ولاتقديرا فكأن المشبه هو المشبه به وقدتحلى بسمات المشبه به. وأما ما درسناه فى التشبيه البليغ أن فيه دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به فليس ذلك الاتحاد مثل الاتحاد فى الاستعارة لأن ذكر المشبه لايطوى على الاطلاق بل سماه أولا ثم أطلق عليه اسم المشبه به وهذايدل على ان ذكر المشبه ملحوظ فيه.
- ولايخفى أن للاستعارة من التأثير ما ليس لغير الاستعارة من الكلام العادى حتى وللتشبيه البليغ والتمثيلى ويزداد أثرها إذا وقفنا أمام صورة مرسومة فى الاستعارة التمثيلية ونرى فى المستعارله صفات المستعارمنه المعلومة لدى المشاهد وكأنها للمستعارله وليس هناك فرق بين المستعارله والمستعارمنه.

وإذا بحثنا عن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب المجاز المرسل لنرى فيه مايلى:

- الدلالة على المبالغة كما فى إطلاق الكل على الجزء فى"جعلوا أصابعهم فى آذانهم"[1605] فإن فيه مبالغة فى سد الآذان فكأنهم سدوها بالأصابع كلها مع أن الذى يجعل فى الآذان هى الأنامل وهى جزء من الأصابع. ولايخفى أن فيه كثيرامن المزايا البلاغية تتعلق بالمبالغة مثل شدة الحرص فى الشاهد المذكور مع شناعة المنافقين وحماقتهم والدلالة على كيفية قلوبهم الداخلية من قلقهم واضطرابهم وما إلى ذلك.
- ونلاحظ ما فى هذاالأسلوب من الاهتمام البالغ بالمذكور كما فى نسبة الأعمال الإنسانية إلى أيديهم لأن الجزء العامل الأهم من الأعضاء الإنسانية هى اليد.

- ولايخفى ما فى هذاالأسلوب من الإيجاز لأن وجود الشيئ على طريق المبالغة يقتضى أن يصر عليه المتكلم بألفاظ كثيرة لأن كثرة الألفاظ تدل على كثرة المعانى ولكن هنا يثبت للسبب كل ما ثبت للمسبب وبالعكس والمحل والحال ولايحتاج ذلك الإثبات إلى ألفاظ أخرى.
- وهناك مزايا ومحاسن كثيرة لهذاالأسلوب ولكن الخاتمة عاجزة عن تحملها وقدحمّلت الأبواب المتعلقة إياها.

وإذا بحثنا عن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب المجاز العقلى لنرى فيه مايلى:

- فى النسبة إلى غير ما صدر عنه الفعل إشارة إلى أن للمحكوم له أثر عظيم فى الشيئ الذى أسند إليه الفعل, كما فى قوله تعالى:"كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ"[1606] فقد أسند الإنبات إلى الحبة مع أن الله تعالى هو المنبت لكل الزروع والأشجار والأثمار وغيرها إشارة إلى أن للحبة أثر عظيم فى تضاعف الحبات ولولم تكن الحبة موجودة لما أظهر الله تعالى قدرته فى الإنبات لأن الدنيا دار الأسباب ولايوجد الله تعالى شيئا إلا تحت نظامه الموجود فى العالم.
- وهكذا فى إسناد الفعل إلى غير ما هو منه مبالغة كما نرى الإسناد إلى الزمان فى قوله تعالى:" فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً " [1607] نرى أن فى هذاالإسناد مبالغة فى جعل النهار الناس صالحين أن يبصروا الأشياء للضوء الموجود فى النهار فالنهار من شدة إتاحة الناس الفرصة للبصر فيه كأنه هو المبصر..
- وفيه أيضا شدة الاهتمام بالفعل المسند كما فى قوله تعالى:" كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا" [1608] ففى هذه الآية إسناد الشيئ إلى سببه لأن الله تعالى يأمر الملائكة بالكتابة وهم يكتبون ما يأمرهم الله تعالى ولكن الله تعالى أسند الكتابة إلى نفسه لشدة اهتمامه بها وإشعارا أن الله تعالى ليس غافلا عن أفعال العباد وبالتالى فهو يجازيهم بأعمالهم.
- وأيضا فى هذاالإسناد إشارة إلى تعظيم شأن المحكوم له كما فى قوله تعالى:"خافضة رافعة"[1609] فإسناد الخفض والرفع إلى القيامة مجاز عقلى لأن الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى وأما القيامة فهى مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى وصفاته تعالى, فإسناده إلى القيامة مشعر بأن القيامة لها شأن عظيم وفيها تظهر قدرة الله تعالى وصفاته وهى تليق أن يخافها الناس.

وإذا بحثنا عن المزايا البلاغية الكامنة فى أسلوب الكناية لنرى فيه مايلى:

- من حسن الكلام هوالاحتراز عن التكلم بما هو مستفحش لدى الناس ففى الكناية طريق من طرق الفرار عن الفحش فى الكلام كما درسناه فى كنايات الجماع.
- وفيها إثبات الصفة بالدليل كما فى"فلان كثير الرماد" إثبات كرمه بالدليل لأن كثرة الرماد تدل على كثرة الطبخ وهى على كثرة الضيوف وهى على الكرم.فثبت الكرم بالدليل وهو مستحسن فى كلام الناس.
- وللكناية أثر فى نفس السامع ماليس للإفصاح .
- وفيها إثبات الأهداف العظيمة بألفاظ قليلة.
- والكناية أكثر مبالغة من الإفصاح فى إثبات صفة.
- وفى الكناية تقديم المعانى المجردة فى صورة الأشياء المحسوسة فهى تجعل المخاطب أن يرى الصور المرسومة أمامه ولاشك أن الصور أكثرفهما من المعانى المجردة وهى لاتحتاج إلى الخوض الكثير فى التفكر للفهم بل يفهم المشاهد بكل سهولة ' بل فى بعض الأحيان تقدم المعانى التى يعجز المتكلم عن التعبير عنه.

فجمعت هذه المحاسن من بين المحاسن القرآنية ووقفت أمام الإعجاز القرآنية وبحثت عن وجوهه فى ضمن هذه المحاسن والمزايا فاكتشفت أن القرآن الكريم منزل من لدن حكيم خبير على خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو ليس من عمل صاحبه. وليس فى وسع أحد أن يكشف الستار عن الأسرار الكامنة فى القرآن الكريم إلا من نزله. وكل من بحث فى استخراج أسراره والكشف عن مزاياه وبلاغته فطبقا لمواهبه المتاحة من الله تعالى ولايعلم الحقيقة الأصلية وراء هذه الآيات إلا رب الآيات.ومهما كان الأمر فالأثرالمودع فى آيات القرآن الكريم أمر لايستطيع أحد أن ينكره فهذا عمر رضى الله عنه يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق إليه صلى الله عليه وسلم إذا صودف بسماع آيات من القرآن فدلفت من الأذنين إلى القلب فيبدل إرادة القتل ويبدلها بإرادة الإسلام.

والذى وصلت إليه أثناء بحثى هذا هو أن الإعجاز والمزايا البلاغية هى سر من أسرار الله تعالى فهى وراء الزينة التى ترى فى النظم القرآنى على أن النظم القرآنى ومحتوياته المعنوية شيئ لاينكر فهى تدل على الأسرار والحسن القرآنى ولكن بأى ناحية أعجز القرآن الكريم الخلق كافة؟ شيئ محجوب ولذا نرى كثيرا من الأقوال المختلفة فى هذاالمجال والقول الفاصل عندى ما قاله العلامة السكاكى رحمه الله تعالى حيث قال:

> واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق

طول خدمة هذين العلمين، نعم للبلاغة وجوه ملتثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلي عليك. أما نفس وجه الإعجاز فلا[1610]

وأن القرآن الكريم استخدم الأساليب المختلفة بعضها أرفع فى البلاغة من البعض الآخر فهل نقول إن الأجزاء التى تتضمن الأساليب التى هى أقل بلاغة قليلة الشأن فى البلاغة والحسن كلا'بل الحسن فى النظم العام للمحتويات القرآنية فى سلك واحد كما أن سلك الخرزات تجمع بين صغيرة وكبيرة ومتلألأة وأقل التلألأ فلايحكم فى حسن الخرزات المنفردة عن الآخربل يحكم فى السلك المنظوم من هذه الخرزات. هكذا يحكم فى حسن القرآن من وراء هذه البلاغات.

والأمر الثانى أن القرآن الكريم استخدم الوجوه البلاغية حسب مطابقتها لمقتضى الحال ففيه تشبيه تمثيلى وغير تمثيلى وبليغ وغير بليغ واستعارة تمثيلية وغير تمثيلية وترشيحية وتجريدية ومطلقة مع أن الكل ليست متساوية فى الحسن والبلاغة فالحسن فى كونها مطابقة لمقتضى الحال.وإلا فهذه الأساليب قد استخدمت فى كلام البشر كما استخدمت فى كلام رب العالمين ولكنها مختلفة تماما من كلام البشر بحسب السياق والمقام.

الاقتراحات والتوصيات

وفى الأخير أنا أقترح فى ضوء ما شعرت به أثناء البحث الأشياء الآتية:

- أرجوكل من يقرأ هذه السطور أن يُذوِّق طلاب اللغة العربية خاصة والمسلمين عامة المحاسن الكامنة فى أساليب محتويات علم البيان فإنها تهدى صاحبها إلى الاهتداء إلى الصراط السوىِّ بعلم اليقين.
- فى القرآن الكريم إشارات كافية إلى أسرار الكون التى تُظهر قدرات الله تعالى وكبرياءه ولذا دعا الله تعالى إلى التفكر فى الدلائل الأنفسية والآ فاقية فللباحث مجال واسع فى استخراج المحاسن المتعلقة بالعلوم الطبيعية والأرضية والبيولوجية وغيرها من العلوم التى لايعلمها كل واحد فأرجو البحث من العلماء الذين يعرفون منخفضات هذه العلوم ومرتفعاتها فيأتو بالمعارف القيِّمة التى تتسبب لهداية القارئين وفوز الباحثين فى الدنيا والآخرة وما ذلك على الله بعزيز. وأشرت إلى هذه الحقيقة معترفا بعجزى فى المبحث الثانى من الاستعارة المصرحة التمثيلة فقلت:"ربما فى تغشية الليل النهار إشارة إلى إعجاز علمى متعلق ببيان الفطرة ولعلماء الطبيعة مجال واسع فى اكتشاف اللدرر المكنونة فى بحر المعرفة المستنبطة من القرآن الكريم وأنا كطالب الدرر المتعلقة بأهداب الصور البيانية ومفرداتها أعيد الاعتراف بقلة علمى فى المجال المتعلق بوصف الفطرة وأترك هذاالمجال لأصحابها موصِّيهم أن لايتركوا هذه الخزائن مغشية كتغشية الليل النهار بل يخرجوها ويقسموها فى مستحقيها".
- القرآن وحدة متكاملة والإعجاز فى تكامل هذه الوحدة فللمسلمين مجال واسع للمحاولة فى كشف الستار عن هذه الناحية على أن هذا طريق وعر ولكن من جاهدوا فى الله تعالى ليهدينهم سبله وإن الله مع المتقين.
- نظرا لحسن القرآن الكريم يجب على المسلمين أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى التى لاتساويها نعمة من النعم التى أغدقها الله تعالى على الأمم السابقة حتى ولولم تكن نعمة من الله تعالى على هذه الأمة سواها لكفت هذه' فهو يحمل الزينة والعلوم الدينية والدنيوية وأسرار الكون وما إلى ذلك حتى اضطر من خالفوه إلى ان يقول والله ما هذا قول البشر. ولم يستطيعوا أن يأتوابمثله مع أن

> الأسباب الباعثة على المعارضة كانت موفورة متضافرة وأى شيئ أقوى فى استثارة حمية خصمك من ذلك التقريع البليغ المتكرر الذى توجهه إليه معلنا فيه عجزه عن مضاهاة عملك؟ إن هذاالتحدى كاف وحده فى إثارة حفيظة الجبان وإشعال همته للدفاع عن نفسه بما تبلغه طاقته فكيف لو كان الذى تتحداه مجبولا على الأنفة والحمية؟ وكيف لو كان العمل الذى تتحداه

به هو صناعته التى بها يفاخر[1611]

فأسلوب القرآن أسلوب لايساويه أسلوب الناس فجعل كل شيئ فى موضعه وهو يشتمل على المفردات المختارة والكلام المختار للمعنى المختار بطريقة مختارة.

***

الرقم المسلسل	فهرست الآيات القرآنية	رقم الصفحة
1.	أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ	3
2.	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	3
3.	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ص:	3
4.	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	3
5.	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	4
6.	قل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيما"	5
7.	سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	5
8.	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ	5
9.	إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	5
10.	وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ	5
11.	لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"	7
12.	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ	7
13.	جعلواأصابعهم فى آذانهم	10
14.	واشتعل الرأس شيبا	11
15.	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلً	12

16.	خافضة رافعة	12
17.	وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام	16
18.	كرما د اشتدت به الريح فى يوم عا صف	16
19.	كأنه رءوس الشيا طين	16
20.	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح	17
21.	يحسبه الظمآن مآء"	17
22.	يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى	17
23.	مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر	17
24.	" والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبُه الظّمآن ماءً	20
25.	إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السّماء ... إلى قوله: كأنْ لم تغنَ بالأمس	21
26.	وجنةٍ عرضُها السّموات والأرض	21
27.	ولهُ الجوار المنشآتُ في البحر كالأعلام	21
28.	أفمن يخلق كمن لا يخلق	23
29.	"مثل نوره كمشكاة"	23
30.	والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	24
31.	مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح	24
32.	هن لباس لكم وأنتم لباس لهن	25
33.	مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون	27
34.	مثلهم كمثل الذى استوقد نارا	28
35.	وهي تمر مر السحاب أي مثل مر السحاب	28
36.	الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح	28
37.	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا	32
38.	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا	33

39. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ	34
40. كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ	35
41. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها	35
42. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ	36
43. تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر	37
44. إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر	38
45. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ *وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ 38	38
46. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ	39
47. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	40 41
48. ثُمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ	
49. يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	42
50. كأمثال اللؤلؤ المكنون	43
51. كأنهن بيض مكنون	43
52. ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	44
53. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا	45
54. وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	45
55. وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ	46

56. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ	47
57. أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ	48
58. يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ	49
59. وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	50
60. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور	51
61. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	51
62. ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام	52
63. وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام	53
64. إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ *كالمهل يغلي في البطون *كغلي الحميم	53
65. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون	53
66. فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون	54
67. وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ	55
68. فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ	56
69. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج	56
70. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص	57
71. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ	58
72. كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا	59
73. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	60

74. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	62
75. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم	62
76. وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم	63
77. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	63
78. وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ	63
79. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا	64
80. وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	65
81. طلعها كأنه رؤوس الشياطين	66
82. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	66
83. كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ	67
84. وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ	68
85. كذ لِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا	69
86. يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور	70
87. قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ	70
88. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ	

فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ	71
89. كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم	72
90. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم.	74
91. كأنهم أعجاز نخل منقعر	74
92. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أوأشد قسوة	74
93. مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح	74
94. قل هو أذى	76
95. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ	77
96. وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	79
97. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	80
98. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ	81
99. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون	82
100. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ	82
101. لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ	83
102. وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	84
103. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا	85
104. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ	85
105. لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ	85
106. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	86

107.	وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا	87
108.	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا	87
109.	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا *وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	88
110.	لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون	89
111.	الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون	90
112.	فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان	91
113.	أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا	92
114.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	92
115.	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا	93
116.	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ	94
117.	يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ	95
118.	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا	96
119.	وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا	97
120.	وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا	98
121.	خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ	98
122.	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	100
123.	وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ	101

يُؤْمِنُونَ	
124. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	102
125. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	102
126. وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	103
127. ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ	106
128. وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	107
129. اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ	108
130. وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون	109
131. يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	109
132. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن	109
133. قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ	110
134. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	112
135. أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ	113
136. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا	113
137. :"فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ	135
138. مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	136
139. وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ	

أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا	138
140. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ	140
141. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون	142
142. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ	143
143. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ	145
144. أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا	146
145. يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ*" خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ	147
146. مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد	148
147. وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ	149
148. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ	150
149. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ	152
150. مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون	155
151. كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	158

152. إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا	160
153. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	163
154. وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	165
155. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَاخَالِدُونَ	167
156. وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	168
157. لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ	170
158. أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ	172
159. وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	174
160. محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا	175

الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما	
161. اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور	176
162. مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	178
163. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ	180
164. مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	181
165. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ	182
166. مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	183
167. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ	185
168. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ	187
169. أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ	188
170. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	192
171. ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور	196
172. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	198
173. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ	

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	199
174. أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ	200
175. اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	201
176. أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ	203
177. يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ	205
178. إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ	206
179. واشتعل الرأس شيبا	217 226
180. أومن كان ميتا فأحييناه	
181. ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا	227
182. وآية لهم الليل نسلخ منه النهار	228
183. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	231
184. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم	235
185. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	237
186. وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا	238

يَشْتَرُونَ	
187. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	238
188. صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ	240
189. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	241
190. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ	242
191. لكن الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا	243
192. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَاتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	244
193. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ	245
194. وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	246
195. فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا	247
196. ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	248
197. فبما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا	249
198. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ	

اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	249
199. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ	250
200. وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	251
201. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	252
202. إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ	253
203. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	254
204. فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	255
205. وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ	256
206. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ	256
207. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ	257
208. فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	258 259
209. إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	
210. رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ	259

211. وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ	260
212. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	261
213. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا	262
214. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	263
215. وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	263
216. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى	264
217. وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ	265
218. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	266
219. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ	267
220. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى	268
221. وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ	270
222. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ	271
223. إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	271
224. أَنَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	271
225. فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	271
226. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ	272

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ	
227. هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ	272
228. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ	273
229. إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ	275
230. إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ	276
231. وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ	278
232. وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	278
233. قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ	279
234. فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ	280
235. ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ	280
236. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	281
237. أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	283
238. وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا	284
239. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ	285
240. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ	286
241. إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ	286

الجنة	
242. وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى	287
243. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا	287
244. إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ	288
245. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ	289
246. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	290
247. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ	291
248. وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ 291	291
249. إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	292
250. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	294
251. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	295
252. الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ	298
253. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	299
254. مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا *خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا	300
255. وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	301
256. وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ	302
257. وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا	

عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ	304
258. وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	304
259. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ	304
260. أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	305
261. وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ	306
262. أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	308
263. إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	309
264. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ	311
265. إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ	312
266. وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ	313
267. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا	313
268. لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	314
269. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ	315
270. شِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ	

أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا	315
271. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ	316
272. وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ	318
273. وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ	333
274. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	334
275. وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ	335
276. وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	335
277. وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ	336
278. أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	336
279. قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ	339
280. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى جاءتهم الساعة بغتة قالوا يحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما يزرون	340
281. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ	
282. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ	340 341
283. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ	342
284. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ	343

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	
285. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ	345
286. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	346
287. يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ	347
288. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ	348
289. لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ	349
290. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	351
291. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا	351
292. قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ	352
293. وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ	354
294. هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ	354
295. وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	355
296. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا	356
297. وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا	358
298. فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ	359
299. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ	360
300. وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ	360

301. بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ	361
302. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ	362
303. إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا	362
304. إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ*وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ	364
305. اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	365
306. يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ	366
307. أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	367
308. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	369
309. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ	370
310. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ	371
311. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ	372
312. وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ	373
313. لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ	375

314. إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	376
315. ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	378
316. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ	379
317. مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ	380
318. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا	381
319. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي	382
320. وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ	383
321. سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ	384
322. وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ	386
323. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم	389
324. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ	391
325. ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ	392
326. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا	393
327. يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	394

328. وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	395
329. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ	395
330. ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ	397
331. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا	398
332. فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ	399
333. وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	400
334. مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ	401
335. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	402
336. فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ	403
337. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	404
338. لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ	405
339. قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا	406
340. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ	408
341. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ	

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	409
342. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	410
343. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا	411
344. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا	412
345. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ	414
346. مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ	414
347. يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق	425
348. وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	426
349. فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا	427
350. وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ	427
351. وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ	428
352. وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ	428
353. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	428
354. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ.....وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ	429
355. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا	

اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ	429
356. إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ	429
357. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	430
358. وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ	430
359. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ	430
360. لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ	431
361. إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	431
362. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ	432
363. أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ	432
364. قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	432
365. أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ	433
366. وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ	433
367. إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ	433

عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ	
368. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ	434
369. يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	435
370. وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	435
371. سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ	436
372. قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ	436
373. فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	437
374. أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ	438
375. وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	438
376. يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	439
377. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ	440
378. تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	440
379. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	441
380. أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	441
381. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا	441

لَصَادِقُونَ	
382. وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ	441
383. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	441
384. وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا	441
385. وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ	441
386. يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	441
387. يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ	442
388. أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ	442
389. إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ	442
390. إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ	442
391. وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ	444
392. :" قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ	444

* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ	
393. أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا	445
394. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا	446
395. الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ	446
396. وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	447
397. وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا 448	448
398. إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى	449
399. وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ	450
400. وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا	450
401. فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	450
402. فبشرناه بغلام حليم	450
403. واجعل لي لسان صدق في الآخرين	451
404. وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	451
405. هدى للمتقين	451

406.	ليس لوقعتها كاذبة	451
407.	أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	453
408.	أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	454
409.	وَكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا	454
410.	فَأحْيَيْنَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	454
411.	إنَّ الَّذِي أحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى	454
412.	وما يهلكنا إلا الدهر	456
413.	كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ	458
414.	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا	458
415.	كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا	458
416.	خافضة رافعة	458
417.	أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ	459
418.	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ	459
419.	مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	460
420.	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ	460
421.	ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ	460
422.	ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم	461
423.	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ	

النَّهَارَ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا	461
424. وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا	461
425. أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ	461
426. هدى للمتقين	461
427. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ	461
428. وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ	462
429. هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ	462
430. قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ	462
431. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ	462
432. أو لامستم النساء	465 468
433. بل فعله كبيرهم	468
434. وما لي لا أعبد الذي فطرني	
435. لئن أشركت ليحبطن عملك	468
436. إنما يتذكر أولوا الألباب	468 468
437. وإذا الموء ودة سئلت بأي ذنب قتلت	
438. بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون	468
439. وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين	469
440. وقضي الأمر	469
441. واستوت على الجودي	469

442. حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر	470
443. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ	473
444. مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا	473
445. وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ	475
446. وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ	477
447. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	477
448. وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	478
449. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ	478
450. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا	479
451. لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ	479
452. حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ	

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	479
453. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا	479
454. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	480
455. أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ	480
456. وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	480
457. وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ	480
458. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ	481
459. وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	481
460. تبت يدا ابي لهب	482
461. سيصلى نارا ذات لهب	482
462. وامرأته حمالة الحطب	483
463. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	483
464. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	484
465. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	484
466. وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا	

	يُشْرِكُونَ	484
467.	كأنما خرمن السماء	492
468.	قل هو أذى فاعتزلواالنساء فى المحيض	492
469.	جعلوا أصابعهم فى آذانهم	493
470.	كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ	494
471.	فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً	494
472.	كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا	494
473.	خافضة رافعة	494

المصادروالمراجع

1. القرآن الكريم

2. البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد مصدر الكتاب : موقع التفاسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل http://www.altafsir.com

3. البغوى'أبو محمد الحسين بن مسعود [المتوفى 516 هـ] معالم التنزيل المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 معدد الأجزاء : 8

4. البقاعى'إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

5. التفتازانى'سعد الدين 'شرح المختصرعلى تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى فى المعانى والبيان والبديع تر تيب و تعليق عبد المتعال الصعيدى المدرس بالمعاهد الدينية الإسلا مية.

6. التبريزى ' الخطيب' ديوان أبى تمام دار الكتاب العربى بيروت لبنان 1425هـ 2005م

7. الثعالبي فقه اللغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

8. الثعالبى أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف'المتوفى 875هـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

9. الثعالبي'المتوفى: 429هـ الإعجاز والإيجازمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

10. الجاحظ عمروبن بحر,المتوفى: 150هـ - 255هـ البيان والتبيين مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

11. الجاحظ ' عمروبن بحر'الحيوان مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

12. الجرجاني أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل،دلائل الإعجاز مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

13. الجرجاني أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل، أسرار البلاغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

14. جرجى زيدان' تاريخ آداب اللغة العربية ' منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان الطبعة الثانية 1978م

15. الجرجاني'السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجانى، المتوفى سنة 816 هـ التعريفات مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com 'دلائل الإعجاز مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

16. الجمحى'ابن سلام 'طبقات فحول الشعراء'مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

17. الجوهري 'الصحاح في اللغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

18. الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر 'المتوفى 725هـ لباب التأويل في معاني التنزيل مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

19. خيمردكتور محمد أحمد عثمان 'علم البيان دراسة بلا غية و نقدية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين جامعة الأزهر الطبعة الأولى 1418هج-1997م

20. دراز محمد عبد الله النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن دار القلم كويت الطبعة الثالثة 1394هـ 1974م

21. الدينورى ابن قتيبة الشعر والشعراء مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

22. الذهبي 'شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،العبر في خبر من غبر مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

23. الرازي 'زين الدين'مختار الصحاح مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

24. الرازى فخر الدين 'أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي المتوفى 544هـ 604هـ 'مفاتيح الغيب' مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

25. الرافعى مصطفى صادق الرافعى إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تحقيق عبدالله المنشاوى مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر' الطبعة الأولى 1417هـ 1997م.

26. الرضى الشريف' أبوالحسن محمد بن الحسين ولد فى بغداد سنة 359هـ وتوفى ودفن فى داره بالكرخ' تلخيص البيان فى مجازات القرآن تحقيق وتقديم الدكتور على محمود مقلد منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان'1986

27. الزركشى للامام بد ر الدين محمد بن عبد الله الزركشي البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الاول الطبعة الاولى 1376ه - 1957 م دار أحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

28. الزركلى'خير الدين الزركلي ' الأعلام' الجزء الاول دار العلم للملايين ص. ب 1085 – بيروت الطبعة الخامسة (مايو) 1980

29. الزرقانى محمد عبد العظيم، مناهل العرفان فى علوم القرآن ، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربى – بيروت.

30. الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،المتوفى 467هـ 538هـ الكشاف مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

31. الزهيلى وهبه التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ' دار الفكر المعاصر بيروت لبنان الطبعة الأولى 1411هـ - 1991هـ

32. السكاكي' أبويعقوب يوسف' مفتاح العلوم مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

33. السَّمَرْقَنْدي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بحر العلوم مصدر الكتاب : موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com.

34. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر' الكتاب'مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

35. سيد قطب' في ظلال القرآن مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

36. السيوطي الإتقان مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

37. السيوطي'جلال الدين 'عبد الرحمن بن أبي بكر'الدر المنثور في التأويل بالمأثور مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

38. السيوطي جلال الدين 'عبد الرحمن بن أبي بكر طبقات المفسرين مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

39. الشعراوى'الشيخ محمد متولى'معجزة القرآن المختارالإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ص ا ب 1707- القاهرة الطبعة الأولى 1398- 1978م

40. السعدى عبدالرحمن بن ناصربن السعدى' تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشرمؤسسةالرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م عدد الأجزاء:1

41. الشوكاني'محمد بن على بن محمد المتوفى 1250هـ فتح القديرمصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

42. الصابونى محمد على صفوة التفاسير' دار القرآن الكريم بيروت

43. الصاوى' الدكتور أحمد عبد السيد 'فن الاستعارة دراسة تحليلية فى البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلى' الهيئة المصرية العامة لكتاب فرع الأسكندرية 1979م.

44. الطبرى'أبوجعفر' محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،جامع البيان في تأويل القرآن [224 - 310 هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م عدد الأجزاء : 24

45. طنطاوي سيد محمد التفسير الوسيط مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

46. الفاخورى حنا'الموجز فى الأدب العربى وتاريخه دارالجيل بيروت لبنان الطبعة الثانية.

47. الفراهيدى'أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد 100 - 175 . كتاب العين ' تحقيق الدكتور مهدى المخزومي الدكتور ابراهيم السامرئي الجزء الاول الناشر: مؤسسة دار الهجرة الطبعة: الثانية في ايران تاريخ النشر: 1409ه

48. الفيروزآبادي القاموس المحيط مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

49. القرطبى لابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي الجامع لاحكام القرآن عدد الأجزاء:20 أعاد طبعه دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان 1405 ه - 1985 م

50. القزويني جلال الدين الخطيب'المتوفى 739هـ الإيضاح في علوم البلاغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

51. قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم' الفوزالكبير فى أصول التفسير قديمى كتب خانه آرام باغ كراجى نمبر1 ص:70-71

52. القونوى' عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفى المتوفى 1195هـ حاشية القونوى على تفسير الإمام البيضاوى دارالكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422 هـ 2001م

53. الكتبى محمد بن شاكر' فوات الوفيات' المحقق إحسان عباس' دار صادر بيروت' الطبعة الأولى.

54. كحالة عمر رضا معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية الناشر مكتبة المثنى - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت

55. لجنة من علماء الأزهر تفسير المنتخب مصدر الكتاب : موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com

56. الماوردي أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،النكت والعيون مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

57. المحلي والسيوطي تفسير الجلالين مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

58. المرتضى الزبيدى أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،المتوفى 816هـ تاج العروس من جواهر القاموس مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com وتتمة الكتاب من ملفات وورد على ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com

59. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير مصدر الكتاب : موقع الإسلام http://www.al-islam.com

60. النسفى'عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات مدارك التنزيل وحقائق التأويل مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

61. النيسابورى'الحسن بن محمد 'المشتهر بنظام النيسابورى'تفسير النيسابورى مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

62. الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد الوجيز في تفسير الكتاب العزيزمصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

63. الآلوسى'شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني'روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

64. الأبشيهي المتوفى 854هـ المستطرف في كل فن مستظرف مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

65. ابن الجوزى'أبو الفرج المتوفى :297'زاد المسيرمصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

66. ابن دريد 'جمهرة اللغةمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

67. الخفاجي ابن سنان سر الفصاحة مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

68. ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراءمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

69. ابن عادل'تفسير اللباب مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

70. ابن عاشورالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التحرير والتنوير مصدر الكتاب : موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com

71. ابن عجيبة تفسيرالبحرالمديد مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

72. ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعى الدمشقي المتوفى سنة 751 ه أبو حذيفة ابراهيم بن محمد'الأمثال في القرآن 'الطبعة الاولى

1406 ه - 1986 م مكتبة الصحابة بطنطا بجوار محطة القطار - خلف المعهد الازهرى شارع الجنبية الغربي

73. ابن المعتز طبقات الشعراءمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

74. ابن منظور'محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري 'لسان العرب 'الناشر : دارصادر – بيروت الطبعة الأولى عدد الأجزاء : 15

75. ابن الأثير الكاتب' المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر' مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

76. ابن فارس'أبو الحسين أحمد بن فارس'الصاحبى'فقه اللغة. مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

77. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسى 'المتوفى654هـ -754هـ البحر المحيط مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

78. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ] 'تفسير القرآن العظيم المحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م عدد الأجزاء : 8

79. أبوموسى دكتورمحمد التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان دار التضامن للطباعة القاهرة. الطبعة الأولى 1980م.

80. أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي'المتوفى :951هـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com

81. أبو هلال العسكري 'الحسن بن عبد الله بن سهل' الصناعتين المؤلف : مصدر الكتاب : موقع الوراق[http://www.alwarraq.com

82. الأزهرى 'تهذيب اللغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

***

التعديلات بعد المناقشة

1. حوالة التراجم: (قد غيرت فى االهوامش فى موضعها.)

1. هوأبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل وهو إمام فى البلاغة وله كتابان مشهوران فى البلاغة:دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة . انظر: العبر فى أخبار من غبر:1-218
2. هوأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكرى المتوفى 395م تلقى العلم فى بغداد والبصرة وإصبهان وهو غير أبى أحمد العسكرى اللغوى وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله انظر: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان:1-594
3. هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى 255هـ انظر:العبر فى أخبار من غبر: 1-86
4. هوالزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،هو إمامفى اللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث ولد فى زمخشر من بلاد خوارزم سنة 467هـ المتوفى 538هـ انظر:جرجى زيدان:1-47
5. هومحمد بن محمد بن مصطفى العمادي'المتوفى :951هـ 982 هـ انظر: الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia http://www.mawsoah.neوانظر: موسوعة الأعلام: 1-268
6. هوالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1296 - 1393 ه = 1879 - 1973 م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. وله تفسير القرآن الكريم المسمى بالتحريروالتنوير انظر:الزركلى' الأعلام: 6-174
7. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى تحقيق عبد الله المنشاوى مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر الطبعة الأولى 1417هـ - 1997 ص:20
8. هو من شعراء العصر العباسى ولد فى المعرة سنة 363هـ وتوفى 449هـ انظر: جرجى زيدان ' تاريخ آداب اللغة العربية:1-569 وانظر: الفاخورى 'الموجز:2-481 هو محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري جمال

الدين ولد سنة 630هـ وتوفى بالقاهرة سنة 711هـ وله كتاب مشهور فى المعاجم اسمه لسان العرب انظر: موسوعة الأعلام 2-30 المصدر : موقع وزارة الأوقاف المصريةhttp://www.islamic-council.com وانظر كحالة معجم المؤلفين: 12-46

9. هو شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشهى'المحلى توفى سنة 850هـ أشتهر بكتابه " المستطرف فى كل فن مستظرف" وهو من الموسوعات الأدبية. انظر جرجى زيدان تاريخ أداب اللغة العربية 2-143 منشورات دار مكتبة الحيات بيروت لبنان الطبعة الثانية 1978م.
10. هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد ولد سنة 100 هـ– وتوفى سنة 175 هـ هو إمام فى النحو واللغة.انظر: كحالة معجم المؤلفين: 4-112
11. هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى ولد فى خوارزم وتوفى فيها سنة 626هـ انظر: جرجى زيدان 1-49
12. هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمرى الدهلوى ولقبه قطب الدين وكانت ولادته ليمو الأربعاء 14 شوال سنة 1114ه 1704م ببلدة دهلى وتوفى بها سنة ست وسبعين ومائة وألف واشتهر بشاه ولى الله. انظر حياة المؤلف فى كتاب:"الفوز الكبير فى أصول التفسير" ص:5
13. هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى الثعالبى وله مؤلفات كثيرة منها يتيمة الدهر ولطائف المعارف وفقه اللغة والإعجاز والإيجاز. انظرجرجى زيدان تاريخ أداب اللغة العربية 1-586 و 595 وانظر الموجز لحنا الفاخورى 2-14
14. هو أبوالفضل محمد بن مكرم بن على الإفريقى المصرى جمال الدين ولدسنة 630 هـ وتوفى سنة 711هـ انظرجرجى زيدان تاريخ اللغة العربية.
15. هو الإمام أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى المتوفى 898-982 هـ انظر: الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia http://www.mawsoah.ne وانظر: موسوعة الأعلام: 1-268
16. هو عبد الرحمن بن الكمال بن أبى بكر بن محمد ولد سنة 849هـ وتوفى سنة 911هـ كان عالما كبير وله مؤلفات كثيرة فى التاريخ والأدب واللغة والدين انظر:جرجانى زيدان:1- 239 و244.
17. هو ابن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الإمام في الأدب؛ له تصانيف حسنة في الأدب، وشعره رائق، عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، رحمه الله.انظر:الكتبى محمد شاكر الكتبى فوات الوفيات:2-364
18. هوأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي الأديب أبو هلال العسكري. وكان عالماً عفيفاً يتبزَّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل،وكان الغالب عليه الأدب والشعر، مات بعد الأربعمائة. انظر:السيوطي طبقات المفسرين ص : 6 مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

19. هوالقزويني جلال الدين الخطيب'المتوفى 739هـ علي بن ابراهيم بن علي بن احمد بن دلف العجلي، القزويني، الشافعي، ويعرف بخطيب دمشق فقيه، اصولي، محدث، اديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان، شاعر، مشارك في علوم اخرى، من القضاة، والخطباء. انظر: كحالة معجم المؤلفين:ص: 10-144
20. هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجانى النحوى صاحب التصانيف الكثيرة وكان شافعيا أشعريا قيل إنه توفى سنة أربع وسبعين.انظر: الذهبى فى خبر من غبر ج1ص218
21. كان بشاراشاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء وكانت وفاته سنة سبع، وقيل: ثمان وستين ومائة في أيام المهدي.انظر: ابن المعتز طبقات الشعراءمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com وانظر: الفاخورى'حنا' الموجز:2-285
22. اسم هذه الشاعرة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء خطبها الشاهر دريد بن العمة فردته فخطبها رواحة بن عبد العزى السلمى فولدت له عبد الله المعروف بابى الشجرة وقد أسلمت فى آخر حياتها وأخلصت لدينها الجديد' ومن أشعارها فى مرثية أخيها هذاالشعر. انظر: ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراءمصدر الكتاب : موقع لوراقhttp://www.alwarraq.com وانظر الفاخورى'الموجز:1-288
23. هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى المتوفى 231هـ انظر: ديوان أبى تمام الخطيب التبريزى دار الكتاب العربى بيروت لبنان 1425هـ _2005 م
24. هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر قد عده ابن السلام الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء انظر: طبعات فحول الشعراء:1-7
25. هو ربيعة بن سعد بن مالك، ويقال: بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة انظر:الدينورى ابن قتيبة الشعروالشعراء:1-37 مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com
26. هو أبو عبا دة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد البحترى 205-284هـ - 820- 897م انظرالفاخورى' الموجز : 2-3501

***

2. الاعجاز البيانى فى ضوء الفوزالكبير

(قدزيد فى الباب الأول فى بيان وجوه الإعجاز فليراجع هناك)

وقد عدَّ الشاه ولى الله رحمه الله تعالى من وجوه الإعجاز التلون فى أنواع المخاصمة مع الفرق الباطلة حسب مناسبته مع السورة التى وقعت فيها فقال

> إن سألوا عن إعجاز القرآن : من أى وجه هو؟ قلنا : المحقق عندنا أنه لوجوه كثيرة: منها الأسلوب البديع.... وأيضا نعلم من الغرابة فيه أنه يلبس المعانى من أنواع التذكير والمخاصمة فى كل موضع لباسا يناسب أسلوب السورة ' وتقصر يد المتطاول عن ذيله وإن كان أحد لا يفهم هذاالكلام ' فليتأمل إيراد قصص الأنبياء فى سورة " الأعراف" و" هود " و " الشعراء " ثم لينظر تلك القصص فى " الصافات" ثم فى " الذاريات " ليظهر له الفرق ' وكذلك ذكر تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين ' فإنه يذكر فى كل مقام بأسلوب جديد ' ويذكر مخاصمة أهل النار فى كل مقام بصورة على حدة ' والكلام فى هذا يطول. وأيضا نعلم أنه لايتصوررعاية مقتضى المقام الذى تفصيله فى فن المعانى والاستعارات والكنايات التى تكفل بها فن البيان مع رعاية حال المخاطبين الأميين الذين لايعرفون هذه الصناعات أحسن مما يوجد فى القرآن العظيم ' فإن المطلوب ههنا أن يذكر فى المخاطبات المعروفة التى يعرفها كل من الناس نكتة رائقة للعامة مرضية عند الخاصة.

3. الاقتراحات والتوصيات (قد زيدت فى الخاتمة)

وفى الأخير أنا أقترح فى ضوء ما شعرت به أثناء البحث الأشياء الآتية:

- أرجوكل من يقرأ هذه السطور أن يُذوِّق طلاب اللغة العربية خاصة والمسلمين عامة المحاسن الكامنة فى أساليب محتويات علم البيان فإنها تهدى صاحبها إلى الاهتداء إلى الصراط السوىِّ بعلم اليقين.
- فى القرآن الكريم إشارات كافية إلى أسرار الكون التى تُظهر قدرات الله تعالى وكبرياءه ولذا دعا الله تعالى إلى التفكر فى الدلائل الأنفسية والآ فاقية فللباحث مجال واسع فى استخراج المحاسن المتعلقة بالعلوم الطبيعية والأرضية والبيولوجية وغيرها من العلوم التى لايعلمها كل واحد فأرجو البحث من العلماء الذين يعرفون منخفضات هذه العلوم ومرتفعاتها فيأتو بالمعارف القيِّمة التى تتسبب لهداية القارئين وفوز الباحثين فى الدنيا والآخرة وما ذلك على الله بعزيز. وأشرت إلى هذه الحقيقة معترفا بعجزى فى المبحث الثانى من الاستعارة المصرحة التمثيلة فقلت:"ربما فى تغشية الليل النهار إشارة إلى إعجاز علمى متعلق ببيان الفطرة ولعلماء الطبيعة مجال واسع فى اكتشاف اللدرر المكنونة فى بحر المعرفة المستنبطة من القرآن الكريم وأنا كطالب الدرر المتعلقة بأهداب الصور البيانية ومفرداتها أعيد الاعتراف بقلة علمى فى المجال المتعلق بوصف الفطرة وأترك هذاالمجال لأصحابها موصِّيهم أن لايتركوا هذه الخزائن مغشية كتغشية الليل النهار بل يخرجوها ويقسموها فى مستحقيها".
- القرآن وحدة متكاملة والإعجاز فى تكامل هذه الوحدة فللمسلمين مجال واسع للمحاولة فى كشف الستار عن هذه الناحية على أن هذا طريق وعر ولكن من جاهدوا فى الله تعالى ليهدينهم سبله وإن الله مع المتقين.
- نظرا لحسن القرآن الكريم يجب على المسلمين أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى التى لاتساويها نعمة من النعم التى أغدقها الله تعالى على الأمم السابقة حتى ولولم تكن نعمة من الله تعالى على هذه الأمة سواها لكفت هذه' فهو يحمل الزينة والعلوم الدينية والدنيوية وأسرار الكون وما إلى ذلك حتى اضطر من خالفوه إلى ان يقول والله ما هذا قول البشر. ولم يستطيعوا أن يأتوابمثله.

***

4. فهرست الآيات القرآنية

قد أضفت فهرست الآيات القرآنية بعد الخاتمة فليراجع هناك.

الحواشى

---

[1] هوأبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارسي الأصل وهو إمام فى البلاغة وله كتابان مشهوران فى البلاغة:دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة . انظر: العبر فى أخبار من غبر:1-218

2 هوأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكرى المتوفى 395م تلقى العلم فى بغداد والبصرة وإصبهان وهو غير أبى أحمد العسكرى اللغوى وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله انظر: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان:1-594

3 هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى 255هـ انظر:العبر فى أخبار من غبر: 1-86

4 هوالزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،هو إمامفى اللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث ولد فى زمخشر من بلاد خوارزم سنة 467هـ المتوفى 538هـ انظر:جرجى زيدان:1-47

5 هومحمد بن محمد بن مصطفى العمادي'المتوفى :951هـ 982 هـ انظر: الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia http://www.mawsoah.neوانظر: موسوعة الأعلام: 1-268

6 هوالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1296 - 1393 ه = 1879 - 1973 م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. وله تفسير القرآن الكريم المسمى بالتحريروالتنوير انظر:الزركلى' الأعلام: 6-174

7 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى تحقيق عبد الله المنشاوى مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر الطبعة الأولى 1417هـ - 1997 ص:20

8 هو من شعراء العصر العباسى ولد فى المعرة سنة 363هـ وتوفى 449هـ انظر: جرجى زيدان ' تاريخ آداب اللغة العربية:1-569 وانظر: الفاخورى 'الموجز:2-481

9 هو محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري جمال الدين ولد سنة 630هـ وتوفى بالقاهرة سنة 711هـ وله كتاب مشهور فى المعاجم اسمه لسان

العرب انظر: موسوعة الأعلام 2-30 المصدر : موقع وزارة الأوقاف المصرية http://www.islamic-council.com وانظر كحالة معجم المؤلفين: 12-46

10 ابن المنظور ’لسان العرب:8-419

11 انظر:الجاحظ’البيان والتبيين:1-27

12 انظر:القزوينى’الإيضاح:1-3 و 4 وانظر:السكاكى’ مفتاح العلوم:1-181

13 انظر: القزوينى’الإيضاح:1-3

14 انظر:ابن الأثير’المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر:1-26

15 ابن سنان الخفاجى’سر الفصاحة:1-20

16 أبوهلال العسكرى’ كتاب الصناعتين:1- 1

17 هو شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشهى’المحلى توفى سنة 850هـ أشتهر بكتابه " المستطرف فى كل فن مستظرف" وهو من الموسوعات الأدبية. انظر جرجى زيدان تاريخ أداب اللغة العربية 2-143 منشورات دار مكتبة الحيات بيروت لبنان الطبعة الثانية 1978م.

18 الأبشهى’المستطرف في كل فن مستظرف:1-38و39

19 هو أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد ولد سنة 100 هـ– وتوفى سنة 175 هـ هو إمام فى النحو واللغة.انظر: كحالة معجم المؤلفين: 4-112

20 الخليل ابن أحمد الفراهيدى’كتاب العين:1-215

21 الطور:33- 34

22 هود:13

23 البقرة:23

24 هو الإمام بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشى . ولد بالقاهرة 745 – 794 انظر: البرهان :1-3 وانظر: الزركلى ’ الأعلام: 6-60

25 الإسراء: 88

26 الزركشى’البرهان: 2-91

27 الشعراوى’ محمد متولى معجزة القرآن’ المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ’القاهرة ’ الطبعة الأولى 1398هـ _ 1978م ج:1 ص:10

28 الإسراء: 88

29 الفتح: 16

30 القمر: 45

31 هود: 49

32 آل عمران: 122

33 الأنفال:7

34 هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى ولد فى خوارزم وتوفى فيها سنة 626هـ انظر: جرجى زيدان 1-49

35 السكاكى’مفتاح العلوم:1-181

36 الحشر: 21

37 الزمر: 23

38 فكرة وجوه إعجاز القرآن قد أخذتها بتصرف من كتاب البرهان للزركشى: من ص:93 إلى ص: 107 وكتاب مناهل العرفان من ص 24 والصفحات بعدها. ومن كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى من ص: 120 إلى ص:129ومن دلائل الإعجازلعبد القاهر الجرجانى.

39 البرهان:2-122

40 هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمرى الدهلوى ولقبه قطب الدين وكانت ولادته ليمو الأربعاء 14 شوال سنة 1114ه 1704م ببلدة دهلى وتوفى بها سنة ست وسبعين ومائة وألف واشتهر بشاه ولى الله. انظر حياة المؤلف فى كتاب:"الفوز الكبير فى أصول التفسير" ص:5

41 قطب الدين أحمد بن عبد الرحيم' الفوزالكبير فى أصول التفسير قديمى كتب خانه آرام باغ كراجى نمبر1 ص:70-71

42 هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى الثعالبى وله مؤلفات كثيرة منها يتيمة الدهر ولطائف المعارف وفقه اللغة والإعجاز والإيجاز. انظرجرجى زيدان تاريخ أداب اللغة العربية 1-586 و 595 وانظر الموجز لحنا الفاخورى 2-14

43 الثعالبى'الإعجاز والإيجاز:1-2

44 هو أبوالفضل محمد بن مكرم بن على الإفريقى المصرى جمال الدين وله مصنف شهير لسان العرب' ولدسنة 630 هـ وتوفى سنة 711هـ انظرجرجى زيدان تاريخ اللغة العربية.

45 ابن منظور'لسان العرب: 13-62

46 الإيضاح: 1-69

47 السكاكى'مفتا ح العلوم:1-147

48 هوجلال الدين الخطيب'المتوفى 739هـ وستأتى ترجمته مفصلة

49 القزوينى'الإيضاح:1- 69

50 الجرجانى'عبد القاهر'أسرار البلا غة : 137

51 أنظر: خيمر'دكتور محمد أحمد عثمان'علم الييان دراسة بلا غية و نقدية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين جامعة الأزهر الطبعة الأولى 1418هج-1997م.ص:18

52 الإسراء: 12

53 الواقعة:3

54 العسكرى ' أبو هلال 'كتاب الصناعتين' الجزء الأول :1-74

55 هو الإمام أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى المتوفى 898-982 هـ انظر: الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encyclopedia http://www.mawsoah.ne وانظر: موسوعة الأعلام: 1-268

56 أبو السعود' محمد بن محمد العمادي' تفسير أبى السعود الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء : 9 ج:1 ص:50

57 محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري هو

58 ابن منظور ’محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري لسان العرب 13-503 الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى’عددالأجزاء:15الجزء:13 ص:503

59 الفيروزآبادى’ محمد بن يعقوب’ القاموس المحيط عدد الأجزاء :1ص:161

60 هو عبد الرحمن بن الكمال بن أبى بكر بن محمد ولد سنة 849هـ وتوفى سنة 911هـ كان عالما كبير وله مؤلفات كثيرة فى التاريخ والأدب واللغة والدين انظر:جرجانى زيدان:1- 239 و244.

61 هو ابن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر المشهور الإمام في الأدب؛ له تصانيف حسنة في الأدب، وشعره رائق، عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، رحمه الله.انظر:الكتبى محمد شاكر الكتبى فوات الوفيات:2-364

62 السيوطى’ عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ’الإتقان في علوم القرآن عدد الأجزاء :2 الجزء:2 ص:114

63 انظر:السكاكى’ مفتاح العلوم ’ مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com]. ص: 148.ج:1

64 هوأبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي الأديب أبو هلال العسكري. وكان عالماً عفيفاً يتبرَّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل،وكان الغالب عليه الأدب والشعر، مات بعد الأربعمائة. انظر:السيوطي طبقات المفسرين ص : 6 مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

65 الرحمن: 24

66 أبو هلال العسكري’ كتاب الصناعتين’ ج1 ص:73 مصدر الكتاب : موقع الوراق[http://www.alwarraq.com

67 إبراهيم:18

68 الصافات:65

69 أ نظرالتفتازانى’سعدالدين’:شرح المختصر2 - 33

70 هوالقزويني جلال الدين الخطيب’المتوفى 739هـ علي بن ابراهيم بن علي بن احمد بن دلف العجلي، القزويني، الشافعي، ويعرف بخطيب دمشق فقيه، اصولي، محدث، اديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان، شاعر، مشارك في علوم اخرى، من القضاة، والخطباء. انظر: كحالة معجم المؤلفين:ص: 10-144

71 الكهف:45

72 القزوينى ’ جلال الدين الإيضاح في علوم البلاغة مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com ج: 1 ص:-122 -123 وانظر:الإتقان ج:2,ص:114

73 النور: 39

74 أنظر:السيوطى’الإتقان:ج:2ص:115

75 أنظر السيوطى’الإتقان:ج 2,ص: 114

76 أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكى المتوفى سنة: 626هـ عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغير ذلك.
أنظر:معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية الجزء الاول تأليف عمر رضا كحالة الناشر مكتبة المثنى - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت 13-282
77 أنظر:القزوينى'الإيضاح:ج1ص249\ 250 والسكاكى' مفتا ح العلوم:1-157 &156
78 هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجانى النحوى صاحب التصانيف الكثيرة وكان شافعيا أشعريا قيل إنه توفى سنة أربع وسبعين.انظر: الذهبى فى خبر من غبر ج1ص218
79 الجرجانى 'أسرار البلا غة:1-42
80 أنظر: الآلوسى' محمود أبو الفضل 'روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء : 30تحت تفسيره لآية البقرة:17
81 القزوينى'الإ يضاح:ج:1 ص:203
82 القزوينى'الإيضاح:1-205
83 أنظر'الجرجانى' أسرار البلا غة:1-44
84 أنظر :ابن الأثير الكاتب' المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com ج1,ص138
85 العسكرى' أبو الهلال'الصنا عتين:249
86 الجرجانى'أسرار البلا غة : 137
87 انظر:خيمر'دكتور محمد أحمد عثمان علم البيان دراسة بلا غية و نقدية'كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنين جامعة الأزهر الطبعة الأولى 1418هج-1997م.ص:18
88 ابن الأثير'المثل السائر: 1-138
89 انظر:الجرجانى'أسرار البلا غة:1-43
90 النور:39
91 يونس:24
92 انظر:العسكرى' أبو الهلال'الصناعتين:1-73
93 الرحمن:24
94 انظر: العسكرى'الصنا عتين:1-74
95 الجرجانى'أسرار البلا غة: 1-64
96 انظر: السكاكى' مفتاح العلوم:1-152 وانظر: القزوينى' الإيضاح:1-124
97 انظر: القزوينى'ألإيضاح:1-226
98 انظر: السكاكى'مفتاح العلوم: 1-153
99 النحل:17
100 انظر:السيوطى'الإتقان:2-118
101 النور:35
102 انظر:السيوطى'الإتقان:2-119

103 يس:39
104 إبراهيم:18
105 انظر: السكاكى'مفتا ح العلوم:1- 148 وانظر القزوينى' ألإيضاح-207- 1
106 البقرة:187
107 انظر:القزوينى'الإيضاح:229- 1
108 القزوينى'الإيضاح:230-1
109 كان بشاراشاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء وكانت وفاته سنة سبع، وقيل: ثمان وستين ومائة في أيام المهدي.انظر: ابن المعتز طبقات الشعراءمصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com وانظر: الفاخورى'حنا' الموجز:2-285
110 انظر:ألإيضاح:231-1
111 اسم هذه الشاعرة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء خطبها الشاهر دريد بن العمة فردته فخطبها رواحة بن عبد العزى السلمى فولدت له عبد الله المعروف بابى الشجرة وقد أسلمت فى آخر حياتها وأخلصت لدينها الجديد' ومن أشعارها فى مرثية أخيها هذاالشعر. انظر: ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراءمصدر الكتاب : موقع لوراقhttp://www.alwarraq.com وانظر الفاخورى'الموجز:1-288
112 هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائى المتوفى 231هـ انظر: ديوان أبى تمام الخطيب التبريزى دار الكتاب العربى بيروت لبنان 1425هـ _2005 م
113 هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر قد عده ابن السلام الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء انظر: طبعات فحول الشعراء:1-7
114 هو ربيعة بن سعد بن مالك، ويقال: بل هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة انظر:الدينورى ابن قتيبة الشعروالشعراء:1-37 مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com
115 انظر:القزوينى' ألإيضاح:1-233
116 هو أبو عبا دة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد البحترى 205-284هـ - 820- 897م انظرالفاخورى' الموجز : 2-350
117 : القزوينى'الإيضاح:1- 234
118 السكاكى' مفتا ح العلوم:1-153
119 البقرة:17
120 انظر:القزوينى' الإيضاح:1-235
121 انظر:القزوينى'ألإيضاح:1-235
122 انظر:القزوينى'ألإيضاح:236-1
123 انظر:السكاكى'مفتاح العلوم:1- 154 وانظر: القزوينى'الإيضاح:1-234
124 البقرة:17

125 انظر:التفتازانی'سعد الدین 'شرح المختصرعلی تلخیص المفتاح للخطیب القزوینی فی المعانی والبیان والبدیع الجزء الثانی ص:53-54 ترتیب و تعلیق عبد المتعال الصعیدی المدرس بالمعاهد الدینیة الاسلا مية وانظر: الإتقان:2-117

126 أنظر:القزوینی'ألإیضاح:-248-1 وانظر:التفتازانی'شرح المختصر:2 -37-49-50

127

128 انظر:ابن الأثیر'المثل الثائر:1-146

129 انظر:القزوینی'الإیضاح:ج1ص249\ 250

130 32

131 (انظر: البغوی 'تفسیر البغوی:6-348)

132 انظر:الآلوسی' روح المعانی':16-97

133 الکهف:29

134 انظر:المنتخب:1-492

135 التفسیرالمنیر: 15-238

136 ابن عاشور'التحریر والتنویر:8-366

137 المرسلات: (32)

138 انظر:الطبری' تفسیر الطبری:24 -139

139 المرسلات:(33)

140 ابن عاشور'التحریر والتنویر:6-431

141 انظر:ابن عاشور'التحریر والتنویر:6-431)

142 ابن عاشور'التحریر والتنویر:6-431

143 الأحزاب: (69

144 أبو السعود' تفسیر أبی السعود:5-354

145 الحاقة:(7)

146 انظر:المنتخب:3-2

147 انظر: الآلوسی'روح المعانی:21-210

148 انظر:الآلوسی' روح المعانی: 21-210

149 انظرابن کثیر'تفسیرابن کثیر:8-224:وانظر' ابن عاشورالتحریروالتنویر: 277-15

150 القمر: (20)

151 الزمخشری'الکشاف:6- 453

152 ابن کثیر'تفسیر ابن کثیر:7-479

153 انظر: الثعالبی' تفسیره:4-22

154 الآلوسی'روح المعانی :20-74

155 الثعالبی تفسیره:4-22

156 القمر:31

157 انظرابن عاشور' التحریر والتنویر:14-249

158 ابن کثیر' تفسیره:7-480

159 ابن عاشورالتحرير والتنوير:14-249
160 انظر: ابن عاشور'التحرير والتوير:14-249
161 أبو موسى'التصوير لبيانى:30
162 انظر:ابن عاشور' التحرير والتنوير:14-249
163 المعارج:8-9
164 انظر'ابن كثير'تفسيرابن كثير:8-224
165 القارعة:4-5
166 الزمخشرى'الكشاف:7-320
167 انظرالزمخشرى' الكشاف:7-320
168 انظرالزهيلى 'وهبه: التفسير المنير:30-376
169 ابن عاشور'التحريروالتنوير:16-373
170 انظر:أبوموسى' التصوير البيانى:30
171 أبو موسى'التصوير البيانى:30
172 انظرأبو موسى'التصوير البيانى:30 وانظر: الماوردى'النكت والعيون :4-448
173 البقرة:72-73-74
174 انظر:الشوكانى الدر المنثورتحت تفسير هذه الآية.
175 انظر:السيد قطب'فى ظلال القرآن تحت تفسير هذه الآية.
176 الزهيلى 'وهبة'التفسير المنير:1-187
177 انظرأبوالسعود' تفسير أبوالسعود تحت تفسير هذه الأية.
178 انظر:أبو السعود'تفسيره 'تحت تفسير هذه الأية
179 انظر أبو السعود'تفسيره' تحت تفسير هذه الأية
180 انظر أبو السعود 'تفسيره'تحت تفسير هذه الأية
181 اأنظرالزمخشرى' الكشاف' تحت تفسير هذه الأية
182 انظر:أبو السعود'تفسيره' تحت تفسير هذه الأية
183 انظر:الخازن'تفسير الخازن: تحت تفسير هذه الأية
184 الأعراف:187
185 انظر:الزمخشرى'الكشاف:2-319
186 انظر:الزمخشرى'الكشاف:2-319
187 الواقعة: (23
188 انظر السمرقندى'تفسيره':4-240
189 الرازى15'تفسيره'-138
190 انظر: الرازى15'تفسيره'-138
191 الصافات: 49
192 انظر:أبى السعود'تفسيره':5-439
193 انظر:أبى السعود'تفسيره':5-439
194 انظر:الرازى'تفسير الرازى: 13-124
195 انظر: السمرقندى'تفسيره':3-489

196 الطور: 24
197 انظر:الآلوسی'روح المعانی':-19-445
198 انظر: الآلوسی'روح المعانی':-19-445
199 انظر:الرازی' تفسیر الرازی: 14-357
200 انظر:الآلوسیتفسیره:-19-445
201 انظر: الآلوسی:-19-445
202 الإنسان19
203 انظر الطبری'تفسیر الطبری:24-111
204 النسفی'تفسیره': 3-496
205 انظر:الطبری'تفسیره:24-111
206 سورة الطور:24
207 النسفی'تفسیره:3-496
208 انظر: أبو حیان'البحر المحیط:10-407
209 النسآء:129
210 انظر:النیسابوری'تفسیر النیسابوری: 3-89
211 انظر:الماوردی' النکت والعیون: 1-330
212 الأعراف:179
213 انظرالشوکانی' فتح القدیر:3-123
214 .انظرالشوکانی' فتح القدیر:3-123
215 انظر: الشوکانی'فتح القدیرفی تفسیرهذه الآیة. 3-123
216 أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 3-70
217 ابن عاشور'التحریر والتنویر:6-18
218 انظر: أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 3-70
219 الأنفال:21-22
220 انظر:ابن عاشور' التحریر والتنویر: 6-11
221 انظر ابن عاشور'التحریر والتنویر:6-112
222 انظر: ابن عاشور'التحریر والتنویر: 6-11
223 الرعد:19
224 ابن عاشور'التحریر والتنویر:7 -362
225 انظر:أبو السعود' تفسیرأبی السعود:3-496
226 انظر:أبو السعود تفسیر أبی السعود: 3-496
227 انظر:أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 3-496
228 الأنبیاء: 104
229 ابن عاشورالتحریر والتنویر 9_215
230 انظر:الطبری تفسیر الطبری :18-543
231 انظر:الطبری' تفسیر الطبری:18-544
232 383-5انظرابن کثیر'تفسیره:
233 انظر:الزمخشری'الکشاف:4-264

234 الآلوسی’روح المعانی’ 12-479
235 النحل:77
236 الآلوسی روح المعانی:10-349
237 انظر: الآلوسی’روح المعانی :10-350
238 انظر: الآلوسی’روح المعانی :10-349
239 سبأ: 13
240 انظر: أبو السعود’تفسیرأبی السعود:5-363
241 الآلوسی’روح المعانی:16-272
242 انظر:الآلوسی’روح المعانی:16-272
243 یس: 39
244 المنتخب:2-265
245 الزهیلی’وهبة’التفسیر المنیر:23-10
246 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر: 12-40
247 انظر:أبو موسی’التصویر البیانی:26
248 نفس المرجع والصفحة.
249 الشوری: 32
250 انظر :الرازی’تفسیر الرازی:13-440
251 انظر:الرازی’ تفسیر الرازی: 13-440
252 نفس المرجع والصفحة
253 الرحمن: 24
254 الدخان:43-44-45-46
255 انظر:ابن عاشور’ التحریروالتنویر:13-293 وأبی حیان’البحر المحیط:10-30
256 ابن عاشور’التحریروالتنویر: 13-293
257 الحجرات:2
258 انظر:(ابن عاشور’التحریروالتنویر:14-2)
259 انظر أبو السعود تفسیرأبی السعود:6-181
260 الذاریات: (59
261 انظر:الآلوسی’روح المعانی:19-416
262 انظر: الآلوسی روح المعانی: 19-416
263 انظر: السمرقندی’تفسیره:4-199
264 انظر: الآلوسی روح المعانی: 19-416
265 الزمخشری’الکشاف:6-427
266 الشعراء:(63)
267 انظر: الآلوسی’روح المعانی:14-227
268 انظر:الزهیلی وهبة’ التفسیر المنیر:19-156
269 النمل:42
270 انظر:ابن کثیر’تفسیره: 6-186

271 انظر:أبو السعود تفسير أبى السعود:5-192
272 انظر:أبى السعود' تفسيره:5-192
273 ق :11
274 ابن عاشور'التحرير والتنوير:14-55
275 انظر:ابن عادل'تفسير اللباب لابن عادل: 14-345
276 انظر'ابن عاشور' التحرير والتنوير:14-55
277 انظرابن عاشور'التحرير والتنوير:14-55
278 انظر:ابن عاشورالتحريروالتنوير:14-55
279 الصف:4
280 ابن عاشور'التحريروالتنوير:15-54
281 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:28-160
282 انظر:الرازىتفسيره:15-335
283 تفسير الرازى'تفسيره:15-335
284 الفيل:5
285 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:16-394
286 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:16-394
287 انظر: أبو موسى التصوير البيانى:31
288 انظر أبو موسى'التصوير البيانى:31
289 النازعات:46)
290 الرازى'تفسير الرازى:16-351
291 الرازى'تفسير الرازى: 16-351
292 البقرة:(146)
293 انظر البيضاوى'تفسيره:1-184
294 أنظر: الزمخشرى'الكشاف:فى تفسير هذه الآية
295 انظر:الآلوسى روح المعانى:فى تفسير هذه الآية.
296 انظر:الزمخشرى 'الكشاف فى تفسير هذه الآية.
297 انظر الآلوسى روح المعانى:فى تفسير هذه الآية.
298 انظر: روح المعانى: فى تفسير هذه الآية
299 انظر:النيسابورى'تفسير النيسابورى:1-266
300 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:2-18
301 انظر: الزمخشرى'الكشاف. فى تفسير هذه الآية.
302 انظر: الجرجانى'أسرار البلاغة:1-44
303 انظر:الجرجانى' أسرار البلاغة:1-44
304 انظر: الآلوسى'روح المعانى فى تفسير هذه الآية.
305 أنظر:الآلوسى' روح المعانى'فى تفسير هذه الآية.
306 الأنعام : (20)
307 الجاثية:8
308 انظر:أبى السعود'تفسيره:6-123

309 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 13-305
310 انظر:أبى السعودتفسيره: 6-123
311 لقمان :7
312 البقرة: 183
313 أنظر: الألوسى:2-121 وانظر:الماوردى' النكت والعيون 1-127
314 أنظر: الألوسى:2-121
315 انظر:النيسابورى' تفسير النيسابورى:1-427
316 البقرة:219
317 انظر المنتخب:1-57
318 الزهيلى'التفسير المنير:2-269
319 2-286 أنظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير
320 النسآء: 77
321 ابن عاشور'التحرير والتنوير:3-474
322 أنظر:الماوردى' النكت والعيون:1-314
323 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 3-474
324 يونس: 27
325 انظر:المنتخب: 1-336
326 انظر: ابن عاشور'التحرير والتنوير: 6-468
327 الصافات: 65
328 الرازى'تفسير الرازى:13-128
329 يوسف:(6)
330 انظر:ابن عاشور' التحريروالتنوير: 7-232
331 أبو السعود'تفسيرأبى السعود:3-405
332 الرعد: 30
333 انظر:ابن عاشور' التحريروالتنوير:7-372
334 انظر :أبو حيان'البحر المحيط:7-115
335 انظر:أبو حيان'البحر المحيط:7-115
336 الرعد: 37
337 انظر: أبوحيان'البحر المحيط: 7-124
338 طه: 99
339 أنظر: المنتخب:2-32
340 أنظر: أبو السعود'تفسير أبى السعود: 4-383
341 أنظر:ابن عاشور'التحريرو التنوير:9-93
342 الممتحنة: 13
343 ابن عاشور'التحرير والتنوير:15-51
344 القصص:(63)
345 المنتخب: 2-185
346 ابن عاشور'التحريروالتنوير:10-423

347 العنكبوت:10
348 انظر: أبى السعود ’تفسيره: 5-251
349 ابن عاشور’التحريروالتنوير:10-466
350 انظر:ابن عاشور’التحريروالتنوير:10-466
351 الشورى: 3
352 انظر: أبو السعود تفسيرأبى السعود:6-70
353 انظر: أبو السعود’تفسيرأبى السعود:6-70
354 انظر: أبو السعود تفسيرأبى السعود:6-70
355 انظر: أبو السعود’تفسيرأبى السعود:6-70
356 انظر:الرازى’تفسير الرازى: 13-408
357 السيوطى’الإتقان:1-277
358 البقرة: 222
359 البقرة:(18)
360 البيضاوى تفسيره:1-39
361 أنظر:الطبرى’ أبو جعفر’محمد بن جرير بن يزيد ين كثير بن غلب الآملى ’جامع البيان في تأويل القرآن فى تفسير الآية المذكورة.
362 البيضاوى تفسيره:1-39
363 انظر: الزمخشرى’الكشاف’ فى تفسير الآية المذكورة.
364 ابن عاشور’التحرير والتنوير:1-144
365 انظر القونوى حاشيته على البيضاوى: 2-270
366 أبو السعود’تفسيرأبى السعود:1-63
367 ابو السعود’تفسيرأبى السعود:1-63
368 ابو السعود’تفسيرأبى السعود:1-63
369 آل عمران: 133
370 انظر: ابن عاشور’التحرير والتنوير:3- 216
وانظر:الزهيلى’التفسيرالمنير:4-81
371 انظر:الزمخشرى’الكشاف: 1-324
372 انظر:الزمخشرى’ الكشاف: 1- 324
373 البقرة: 222
374 انظر:الزهيلى’ التفسير المنير:2-297
375 انظر البقاعى ’إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر’نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:1-342 مصدر الكتاب : موقع التفاسير ص: 1-342 http://www.altafsir.com
376 انظر:ابن عاشور’ التحرير والتنوير:2-298
377 انظر:ابن عاشور’التحرير والتنوير:2-298
378 البقرة: 223
379 الزهيلى’التفسير المنير:2-297
380 انظر النسفى تفسيره:1-112

381 انظر: السيوطى'الدر المنثور:2-38
382 انظر:أبوسعود تفسيرأبى السعود:1-282
383 انظر: النسفى'تفسيره: 1-112
384 ص:2-45
385 النسفى'تفسيره: 1-112
386 أبوسعود'تفسير أبى السعود:1-282
387 الحجرات:10
388 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:14-20
389 ابن عاشور'التحريروالتنوير:14-20
390 المائده:20
391 أنظر: البغوى'أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي 'معالم التنزيل ، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م عدد الأجزاء : 8 ج:3, ص35 وانظر:الآلوسى'تفسير الألوسى:4-440
392 الأعراف 41
393 انظر:ابن عاشور' التحرير والتنوير:5-300
394 التوبة:61
395 انظر:أبو السعود' تفسير أبى السعود:3-181
396 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:6-319
397 الكهف: 96
398 انظر:الواحدى'الوجيز للواحدى:1-481
399 انظر:الزهيلى'التفسير المنير:16-20
400 الأنبياء:(15)
401 انظر :السعدى'عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي' تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م عدد الأجزاء : 1
402 انظرابن عاشور' التحرير والتنوير:9-134
403 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:9- 134
404 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:9- 134
405 المؤمنون:41
406 انظر :شوكانى'فتح القدير:5-156وأبى السعود'تفسيره:4-499
407 (انظر:الطبرى' تفسير الطبرى:19-32
408 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:18-40
409 الفرقان:23
410 انظر: .المنتخب:2-119
411 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:19-43
412 انظر:الزهيلى'التفسير المنير:19-43
413 انظر: ابن كثير' تفسير إبن كثير: 6-103
414 انظر:ابن كثير'تفسير إبن كثير: 6-103.

415 الأحزاب: 6
416 انظر:جلالين السيوطى والمحلى'تفسير الجلالين: 8-38
417 انظر التفسير المنير:21-243والكشاف:5-311
418 الأحزاب: 45-46
419 انظر: جلالين السيوطى والمحلى'تفسير الجلالين:8-77
420 ابن عاشور'التحرير والتنوير:11-282
421 انظر: ابن عاشور'التحريروالتنوير: 11-282
422 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 11-282
423 انظر:ابن عاشور' التحرير والتنوير:11-282
424 يس: 75
425 انظر:البغوى'تفسير البغوى:7-28
426 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:23-42
427 الزخرف: 10
428 انظر التفسير الرازىتفسيره:13-460
429 انظر:الآلوسى'روح المعانى:18-326
430 انظر:الرازى'تفسير الرازى: 13-460
431 انظر:الرازى'تفسير الرازى: 13-460
432 الرحمن: 37
433 الرازى'تفسير الرازى: 15-92
434 انظر:الرازى'تفسير الرازى: 15-92
435 النبأ:6-7
436 انظر:الزهيلى' التفسير المنير:30-7&8
437 انظر ابن كثير'تفسيره:8-302
438 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 16-30
439 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 16-30
440 انظر:أبو السعود'تفسير أبى السعود: 6-436
441 التوبة:28
442 انظر:المنتخب: 1-304
443 انظر:أبو السعود' تفسير أبى السعود:3-158
444 انظر:الزهيلى'التفسير المنير:10-165
445 انظر: البيضاوى' تفسير البيضاوى:2-432
446 انظر:أبو السعود' تفسير أبى السعود:3-158
447 انظر: تفسيرابن عاشور' التحرير والتنوير:6-258
448 الأحزاب:(33
449 انظر:الثعالبى'تفسيره:3-216
450 انظر:الآلوسى' روح المعانى:16-104
451 النمل:(88)
452 انظر:المنتخب:2-171

453 انظر: الآلوسی’روح المعانی:15-60
454 انظر: الآلوسی’روح المعانی:15-60
455 الحج:2
456 انظر:أبو السعود’تفسیر أبی السعود:4-445
457 الفرقان: 47
458 انظر: ابن عاشور’ التحریر والتنویر:10-95
459 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:10-95
460 انظر:ابن عاشور’ التحریروالتنویر:10-95
461 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:10-96
462 انظر: ابن عاشور’التحریروالتنویر: 16-34
463 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:10-96
464 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:10-96
465 النبأ:19
466 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر: 16-43
467 انظر: الزهیلی’ التفسیر المنیر:30-15
468 الطبری’تفسیرالطبری: 24-158
469 الرازی’تفسیر الرازی: 16-292
470 النبأ:20
471 الرازی’تفسیر الرازی: 16-293
472 المطففین:26
473 النیسابوری’ تفسیره:7-309
474 نظر: النیسابوری’تفسیره: 7-309
475 انظر:الزهیلی’ التفسیرالمنیر:30-125
476 انظر: النیسابوری’تفسیره :7-309
477 انظر:ابن عاشور’ التحریر والتنویر:16-165
478 آل عمران:64
479 انظر المنتخب:1-95
480 انظر:الشوکانی’فتح القدیر: 1-476
481 انظر:الشوکانی’فتح القدیر: 1-476 والآلوسی’ روح المعانی: 2-82
482 الأعراف: 203
483 انظر:الواحدی الوجیز:1-258
484 الطبری’تفسیرالطبری : 13-343
485 انظر: أبو السعود’تفسیر أبی السعود: 3-89
486 ابن عاشور’التحریر والتنویر 6-61
487 القصص: 43
488 انظر:الزمخشری’ الکشاف:5-146وانظر: ابن کثیر’تفسیر ابن کثیر:6-239
489 الزهیلی’التفسیر المنیر:20-106
490 تفسیره:10-399

491 انظر:أبو السعود'تفسير أبى السعود:10-399
492 التوبة: (103)
493 انظر: ابن عاشور'التحرير والتنوير:1-376
494 الزهيلى'التفسير المنير:11-26
495 يونس: (11)
496 أبو السعود'تفسيرأبى السعود:3-239
497 أبو السعود تفسيرأبى السعود:3-239
498 الحج: 30
499 الفيروزآبادى'القاموس المحيط:2-86
500 الطبرى'تفسير الطبرى: 18-618
501 الزمخشرى'الكشاف:4- 288
502 الأنعام:32
503 انظر:ابن عاشور' التحرير والتنوير:4-406
504 انظر:الزهيلى'التفيسر المنير:7-176
505 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:4-406
506 انظر: .ابن عاشور'التحريروالتنوير:4-406
507 الرعد:(26)
508 انظر:الآلوسى'روح المعانى: 9-261
509 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:13-161
510 انظر: البغوى تفسيره تحت الآية المذكورة.
511 انظر:الماوردى'النكت والعيون: 2-311
512 العنكبوت:64
513 الأعراف:26
514 انظر:البيضاوى'تفسيره: 2-249
515 الزهيلى'التفسير المنير:8-168
516 ابن عاشور'التحرير والتنوير:5-265
517 انظر: الزمخشرى'الكشاف 2-219
518 انظر:ابن عاشور' التحرير والتنوير:5-265
519 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:5-265
520 يوسف 44
521 انظر: أبوالسعود'تفسيره:3-441 وانظر: الخازن'تفسيره:4-22
522 الزهيلى' التفسيرالمنير:12-274
523 انظر:الزهيلى' التفسير المنير:12-274
524 انظر:أبو السعود'تفسيرأبى السعود: 3-441
525 انظر:الزمخشرى'الكشاف: 3- 176
526 البقرة 275
527 الزمخشرى'الكشاف:1-246
528 انظر:الزمخشرى'الكشاف:1-246

529 الآلوسی’روح المعانی:21-185
530 القلم: 35
531 الزهیلی’التفسیر المنیر:29-66
532 النبأ:(13)
533
534 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر: 16-37
535 انظر:القزوینی’الإیضاح:ج1ص249\ 250
536 النسفی’تفسیر النسفی:1-103
537 البقرة: 200
538 السمرقندی’تفسیر السمرقندی:1-18
539 ابن عاشور’التحریر والتنویر:2-206
540 الزهیلی’التفسیر المنیر:2-210
541 ابن عاشور’التحریر والتنویر:2-206
542 السید قطب’في ظلال القرآن لسید قطب:1-178
543 هود:24
544 انظر:الزهیلی’التفسیر المنیر: 12-44
545 انظر الطبری’تفسیره:15-291
546 أبو السعود’ تفسیرأبی السعود:3-335
547 انظر:أبی السعود’تفسیره:3-335
548 الزمخشری’الکشاف:4- 12
549 الکهف:32-36
550 الرازی’تفسیر الرازی :10-205
551 الوسیط:1-2713
552 انظر:الزمخشری’الکشاف:4-13
553 البقرة:171
554 انظر:الآلوسی’روح المعانی:2-97
555 ابن عاشور’التحریر والتنویر:2-95
556 انظر:الآلوسی’روح المعانی:2-97
557 انظر:القرطبی’تفسیرالقرطبی:2-214
558 ص:2-95
559 ابن عاشور’التحریر والتنویر:2-97
560 المنافقون: 4
561 انظرالرازی’تفسیر الرازی:15-357
562 الآلوسی’روح المعانی :21-23
563 أنظر:الرازی’ تفسیرالرازی: 15-357
564 انظر: الآلوسی’روح المعانی :21-23
565 الآلوسی’روح المعانی :21-23
566 الحج: 31

567 ابن عاشور'التحريروالتنوير:9-268
568 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 9-269
569 انظر نفس المرجع والصفحة.
570 القمر7
571 انظر:النسفى'تفسيره:3-377
572 النسفى' تفسيره:3-377
573 ابن عاشور'التحرير والتنوير:14-229
574 انظرابن عاشور' التحريروالتنوير:14-228
575 ابن عاشور'التحريروالتنوير:14-228
576 انظر: ابن عاشور'التحرير والتنوير:14-228
577 أبو موسى'التصوير البيانى:29
578 الأحزاب: 19
579 انظر:الآلوسى'روح المعانى:16-64
580 الماوردى'النكت والعيون :3-365
581 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:21-257
582 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:11-225
583 المعارج: 43-44
584 انظر:ابن كثير'تفسيره تحت تفسير هذه الآية.
585 الزهيلى'التفسير المنير:29-127
586 الآلوسى'روح المعانى:21-299
587 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 15-326
588 انظر:ابن عاشور' التحريروالتنوير: 15-326
589 إبراهيم:18
590 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 7-421
591 البغوى'تفسير البغوى:4-342\343
592 ابن عاشور'التحرير والتنوير:7-421
593 ابن عاشور'التحرير والتنوير:7-421
594 الماوردى'النكت والعيون:2-327
595 النمل : 10
596 انظرالسمرقندى'تفسيرالسمرقندى:3-281
597 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:10-249
598 انظر:أبو السعود'تفسيرأبى السعود:5-173
599 القصص:31
600 البقرة 264
601 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-452
602 انظر:أبوالسعود' تفسير أبى السعود:1-322
603 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-453
604 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-452

605 ابن عاشور’التحرير والتنوير:2 -452
606 الأنفال 5
607 الأنفال : 1
608 الرازى’تفسير الرازى:7-366
609 ابن عاشور’التحرير والتنوير:6- 80
610 الأنفال
611 البقرة: 17
612 انظر:تفسير أبى السعود:تحت تفسير الآية المذكورة’ وانظر: الصابونى محمد على صفوة التفاسير: 1-39 دار القرآن الكريم بيروت.
613 المنافقون: 3
614 البقرة: 8 .
615 انظر:ابن كثير’ تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحت تفسيرالآية المذكورة.
616 الزهيلى’التفسير المنير:ص90-1
617 الطبرى’تفسير الطبرى تحت تفسيرالآية المذكورة.
618 الحشر 15
619 الحشر:16
620 انظر:الآلوسى’روح المعانى:20-437
621 انظر:ابن عاشور’التحرير والتنوير:15-8
622 ابن عاشور’التحريروالتنوير:15-8
623 انظر: ابن عاشور’التحريروالتنوير:15-9
624 ابن عاشور’التحرير والتنوير:15-9
625 الأحزاب:10
626 ابن عاشور’التحرير والتنوير :11-213
627 الزهيلى’التفسيرالمنير:21-258
628 ابن عاشور’التحرير والتنوير:11-213
629 الرازى’تفسيرالرازى:12-333
630 البقرة :19-20
631 أنظرالنسفى’ تفسير النسفى:1-24وانظر التصوير البيانى ص:87
632 الزهيلى’التفسير المنير :ص 90 وانظر: الصابونى’ صفوة التفاسير:139
633 انظر:الثعالبى تفسير الثعالبىتحت تفسيرالآية المذكورة.
634 الزمخشرى’الكشّاف تحت الآية المذكورة.
635 أبو موموسى’التصوير البيانى ص88&89
636 السيد قطب’فى ظلال القرآن تحت الآية ا لمذكورة.
637 انظر:أبو موسى’التصوير البيانى ص:87
638 انظر:أبو موسى’التصوير البيانى ص:87
639 أبو السعود’تفسير أبى السعود تحت تفسير الآية المذكورة.
640 البقرة: 265
641 ابن عاشور’التحرير والتنوير:2 -455

642 انظر أبو موسى'التصوير البيانى:ص:101
643 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-454
644 ابو السعود'تفسيرأبى السعود:1-323
645 البقرة 275
646 الشوكانى'فتح القدير:1-401
647 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-477
648 انظر:أأبو موسى'لتصوير البيانى:94-95
649 الأعراف :175& 176
650 انظر:الشوكانى' فتح القدير:3-120
651 ص:9-161
652 ابن عاشور'التحرير والتنوير:6-13
653 الرعد:(14)
654 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير: 13- 12
655
656 أبوالسعود'تفسيرأبى السعود: 3-490
657 الزمخشرى'الكشاف:3-293
658 أبو السعود'تفسيرأبى السعود: 3-490
659 الرعد:17
660 السمرقندى'تفسيره: 2- 410&411
661 الطبرى'تفسير الطبرى:16-409&410
662 .(انظرالماوردى' النكت والعيون:2-392
663 النحل:(92)
664 ابن عاشور'التحرير والتنوير:8-118
665 الطبرى'تفسير الطبرى :17-286
666 الآلوسى'روح المعانى:10-285
667 الفتح: (29)
668 ابن عاشور'التحريروالتنوير:13-497
669 الحديد: 20
670 ابن عاشور'التحرير والتنوير:14-412
671 انظر:السعدى'تفسير السعدى:1-841
672 العنكبوت: 41
673 الزهيلى'التفسير المنير:20-243
674 الخازن'تفسير الخازن:5-124
675 الخازن'تفسير الخازن:5-124
676 المدثر:50-51
677 الزهيلى'التفسير المنير: 29-241
678 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 15-428
679 آل عمران 117

680 انظر:ابن عاشور ’التحريروالتنويرتحت الآية المذكورة.
681 انظر:البحرالمديد’تحت الآية المذكورة.
682 أبو السعود تفسيرأبى السعود:1-441
683 أبو السعود تفسيرأبى السعود:1-441
684 انظر:ابن عاشور’ التحرير والتنوير: 3-195
685 انظر: ابن عاشور’التحرير والتنوير: 3-195
686 انظر: البحر المديد: 1-325
687 الأنفال:6
688 البغوى’تفسير البغوى:3-328
689 انظر:ابن عاشور’ التحريروالتنوير:6 -83
690 ابن كثير’تفسيره:4-16
691 ابن عاشور’التحريروالتنوير:6-83
692 البقرة: 261
693 انظر المنتخب : 1-73
694 انظر: البغوى’تفسير البغوى1-324
695 انظر:ابن عاشور’ التحرير والتنوير:2-447
696 إبراهيم: 24-26
697 انظر:أبو السعود’تفسيرأبى السعود:4-32
698 الآلوسى’تفسير روح المعانى:9-361
699 انظر:الرازى’تفسير الرازى9-242_45
700 انظر:الثعالبى تفسيره:2-303
701 الماوردى’النكت والعيون:2-330
702 النور: 39
703 ابن عاشور’التحرير والتنوير:9-498
704 انظر:ابن عاشور’التحرير والتنوير:9-498
705 ابن كثير’تفسير ابن كثير:6-70
706 انظرابن عاشور’ التحريروالتنوير:9-498
707 النور: 40
708 ابن عاشور’التحريروالتنوير:10-2
709 انظر:الأمثال فى القرآن:1-18
710 ابن عاشور’التحريروالتنوير:10-1
711 انظر: الرازى’تفسير الرازى:11-348
712 انظر:نفس المرجع والصفحة. 348
713 الأنعام: 39
714 انظر: البيضاوى’ تفسيره: 2-146
715 انظر:البيضاوى’تفسيره:2-146
716 انظر: البيضاوى’تفسيره :2-146
717 أبو السعود’تفسيرأبى السعود: 2-360

718 البقرة:7
719 أبو السعود'تفسيرأبى السعود: 2-360
720 الإتقان:1-277
721 لقمان: 22
722 المنتخب:2-218
723 انظر: الزهيلى'التفسير المنير: 21-162
724 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 11-136
725 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير: 11-136
726 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير:11-136
727 الزمخشرى'الكشاف:5-284
728 انظر:ابن عاشور' التحريروالتنوير:2-436
729 البقرة:256
730 انظر:ابن عاشور' التحريروالتنوير:2-436
731 انظر:نفس المرجع والصفحة.
732 البقرة 275
733 الزمخشرى'الكشاف:1-246
734 انظر:الزمخشرى'الكشاف:1-246
735 الآلوسى' روح المعانى:21-185
736 القلم:35
737 الزهيلى'التفسير المنير:29-66
738 انظر :السيوطى'الإتقان:1-277
739 النور: (35)
740 البغوى'تفسيرالبغوى:6-48
741 البغوى'تفسيرالبغوى:6-48-49
742 السيوطى'الإتقان: 1-277
743 انظر: البغوى'تفسير البغوى:6-46
744 انظر: البغوى'تفسير البغوى:6-46
745 انظر: البغوى'تفسير البغوى:6-47
746 انظر: البغوى'تفسيرالبغوى:6-47
747 البقرة:266
748 البغوى'تفسيرالبغوى:1-329
749 ابن عاشور'التحريروالتنوير:2-456
750 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-456
751 انظر:أبو موسى' التصوير البيانى:102
752 الحج:73
753 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 9-320
754 الأعراف40
755 الزهيلى'التفسير المنير:8-204

756 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 5-298
757 انظر: ابن عاشور'التحرير والتنوير: 5-298
758 الماوردى'النكت والعيون:-484

759 السيوطى'الإتقان:2-125
760 انظر: نفس المرجع والصفحة
761 هو محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (1732-1791م) انظر:كحالة عمر: معجم المؤلفين: 11-282
762 الزبيدى'تاج العروس:1-3258
763 الثعالبى'فقه اللغة:1-51
764 الجرجانى'أسرار البلاغة:1-10
765 انظر:الصاوى'فن الاستعارة:21
766 الجرجانى'أسرار البلا غة:1-116
767 الصاوى'فن الاستعارة:ص:20
768 انظر:السيوطى'الإتقان :2-126
769 انظر:السيوطى'الإتقان:2-127
770 انظر الزركشى'البرهان:3-435
771 الصاوى'فن الاستعارة:ص18
772 الجرجانى'أسرار البلاغة:1-10
773 انظر:الصاوى'فن الاستعارة:ص:21
774 انظر:السيوطى'الإتقان:2-119
775 انظر:السيوطى'الإتقان:2-119
776 السيوطى'الاتقان:2- 120
777 الزركشى'البرهان:435-3
778 السكاكى'مفتاح العلوم:1-165
779 انظر:العسكرى'أبو هلال 'الصناعتين:1-81
780 انظر: الجرجانى'أسرار البلا غة:1-117
781 انظر:القزوينى'الإيضاح:1-298
782 انظر:القزوينى'الإيضاح:1-298
783 الصاوى'فن الاستعارة:29
784 انظر:الصاوى' فن الاستعارة:29
785 انظر: السكاكى'مفتاح العلوم:1-165
786 انظر: الصاوى'فن الاستعارة:29
787 السكاكى'مفتاح العلوم:1-166
788 هوزهير بن أبي سلمى زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر(609 م) : حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الادب من يفضله على شعراء العرب كافة. انظر: الزركلى ' الأعلام: 3-52
789 الصاوى'فن الاستعارة :32

790 السكاكی’مفتاح العلوم:1-166
791 انظر:السكاكی’ مفتاح العلوم:1-164
792 انظر:السكاكی’مفتاح العلوم:1-164
793 السكاكی’مفتاح العلوم:1-165
794 السكاكی’مفتاح العلوم:1-165
795 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:44
796 السكاكی’مفتاح العلوم:1-169
797 السكاكی’مفتاح العلوم:1-169
798 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:42
799 : الصاوی’فن الاستعارة:42
800 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:46
801 انظر:السكاكی’مفتاح العلوم:1-169
802 السيوطی’الإتقان:122-2
803 السكاكی’مفتا ح العلوم:1-168
804 الأنعام:122
805 السيوطی’الإتقان:124-2 والقزوينی’الإيضاح:1-270,271
806 السيوطی’الإتقان:124-2 والقزوينی’الإيضاح:1-270,271
807 انظر نفس المرجع
808 انظر: القزوينی’الإيضاح:1-272
809 طه: 131
810 انظر الصاوی’فن الاستعارة:68-69
811 انظر الصاوی’فن الاستعارة:67
812 السكاكی’مفتاح العلوم1-171
813 انظر نفس المرجع والصفحة وانظرالسيوطی’الإتقان:2-121
814 انظرالسيوطی’الإتقان:2-121
815 يس:52
816 انظرالسيوطی’الإتقان:2-121
817 انظرالمرجع السابق والصفحة
818 نظرالمرجع السابق والصفحةا
819 السكاكی’مفتاح العلوم:1- 165
820 الصاوی’فن الاستعارة:97
821 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:103-104
822 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:104
823 انظر:الصاوی’فن الاستعارة:104-105
824 انظر:السيوطی’الإتقان:2-125
825 انظر:السيوطی’فن الاستعارة:ص:38
826 انظر: الصابونی’ محمد علی صفوة التفاسير: 1-39
827 انظر:السيوطی’الإتقان:2-125

828 البقرة:7
829 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:1-77
830 الطبرى'تفسيره:1-258
831 هو أبو الحسن محمد بن الحسين ولد فى بغداد سنة 359هـ وتوفى فى داره بالكرخ سنة 406هـ انظر:حنا ' الفاخورى' الموجز 2-465
832 الشريف الرضى'تلخيص البيان فى مجازات القرآن:28
833 القونوى' عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفى المتوفى 1195هـ حاشية القونوى على تفسير الإمام البيضاوى 2- 47 دارالكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422 هـ 2001م
834 ابن عاشورالتحريروالتنوير:1-95
835 البقرة:74
836 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:1-186 وانظر:الزمخشرى'الكشاف:1-103
837 الزمخشرى'الكشاف:1-147
838 انظر:المرجع السابق ونفس الصفحة.
839 آل عمران:187
840 الزهيلى'التفسير المنير:4-197
841 البقرة: 93
842 انظرابن عاشور'التحرير والتنوير:1-187
843 الآلوسى'روح المعانى:1-415
844 انظر:الزهيلى'التفسير المنيرتحت تفسير الآية المذكورة.
845 انظر:الرازى'تفسير الرازى:2-224
846 انظر:الآلوسى'روح المعانى:1-415
847 النيسابورى'تفسير النيسابورى:1-270
848 انظر: ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-1
849 البقرة:138
850 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2-1
851 الزهيلى'التفسيرالمنير:1-328
852 البقرة: 257
853 انظر:عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي الدر المنثور في التأويل بالمأثور مصدر الكتاب : موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com 2-167
854 ابو السعود'تفسير أبى السعود:1-313
855 الزمخشرى'الكشاف:1-228
856 أبو السعود'تفسير أبى السعود:1-313
857 آل عمران: 7
858 ابن عاشور'التحريروالتنوير:3-37
859 النساء 162
860 آل عمران: 27

861 ابن عاشور’التحرير والتنوير:3-74
862 نفس المرجع والصفحة
863 نفس المرجع والصفحة
864 آل عمران: 103
865 انظر الطبرى’تفسير الطبرى :7-70 وانظرالقرطبى’ تفسيره :4-159
866 الطبرى’تفسير الطبرى:7-70
867 الزهيلى’التفسير المنير:4-45
868 أبو السعود’ تفسيرأبى السعود:1-429
869 آل عمران:118
870 الزهيلى’التفسيرالمنير:4-54
871 ابن عاشور’التحرير والتنوير:3-196
872 النساء:21
873 القرطبى’تفسيرالقرطبى:5-103
874 ابن عاشور’التحريروالتنوير:3-370
875 النساء: 65
876 النساء:94
877 انظر:الزهيلى’التفسيرالمنير:5-214
878 النساء 155
879 البقرة رقم:27
880 الزهيلى’المنير:6-15
881 البقرة:
882 ابن عاشور’التحرير والتنوير: 4-79
883 البقرة:
884 أبو السعود’تفسيرأبى السعود:2-177
885 المائدة: 48
886 الزهيلى’التفسيرالمنير:6-214
887 ابن عاشور’التحرير والتنوير:4-216
888 المائدة:66
889 ابن عاشور’التحرير والتنوير:4-238
890 ابن عاشور’التحرير والتنوير:4-238
891 المائدة: 71
892 ابن عاشور’التحرير والتنوير:4-255
893 البغوى’تفسير البغوى: 3-82
894 الأعراف: 157
895 الآلوسى’روح المعانى:6-391
896 الآلوسى’روح المعانى:9-458
897 الأنفال: 42
898 انظرالبغوى’ تفسير البغوى: 3-363

899 الأنفال:46
900 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:10-22
901 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 6-166
902 التوبة: 5
903 الجوهرى'الصحاح فى اللغة: 1-325
904 الشوكانى'فتح القدير:3-220
905 الآلوسى'روح المعانى: 7-156
906 يس:37
907 الزهيلى'التفسيرالمنير:23-10
908 التوبة: 32
909 الآلوسى'روح المعانى:7-212
910 الآلوسى'روح المعانى:7-212
911 التوبة:125
912 الفراهيدى'العين: 1-465
913 الطبرى'تفسيرالطبرى:14-578
914 100
915 :125
916 الأحزاب:33
917 الزهيلى'التفسيرالمنير:22-6
918 هود:56
919 ابن عاشور'التحريروالتنوير:7-158
920 إبراهيم: 37
921 الزهيلى'التفسيرالمنيرتحت الآية المذكورة.
922 النحل:94
923 الآلوسى'روح المعانى: 10-288
924 انظر:نفس المرجع والصفحة
925 النحل:112
926 انظر:الآلوسى' روح المعانى:10-322
927 الآلوسى'روح المعانى:10-320
928 الآلوسى'روح المعانى:10-320
929 الكهف:14
930 الزهيلى'التفسيرالمنير:15-211
931 الآلوسى'تفسير روح المعانى: 11-170
932 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 8-342
933 الآلوسى'تفسير روح المعانى: 11-170
934 القصص: 10
935 تفسير ابن كثير: 6-223
936 الزمخشرى'الكشاف: 5-124

937 النور:4
938 الزهيلى'التفسيرالمنير:18-140
939 أبو السعود'تفسير أبى السعود:5-27
940 طه:81
941 الزهيلى'التفسيرالمنير:16-253
942 ص:45
943 ابو السعود'تفسير أبى السعود: 5-482
944 الزمخشرى'الكشاف: 6-26
945 الزمخشرى'الكشاف: 6-26
946 الزمر: 63
947 الزهيلى'التفسيرالمنير:24-45
948 الآلوسى'روح المعانى: 18-10
949 ابن عادل'تفسير اللباب: 13-445
950 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 12-376
951 الفجر: 13
952 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 16-248
953 الزهيلى'التفسير المنير:30-222
954 البقرة: 16
955 انظر:الزهيلى' التفسيرالمنير:1-86
956 محمد على الصابونى 'صفوة التفاسير:1-39
957 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:1-132
958 انظر:الزمخشرى'الكشاف:1- 41
959 الزمخشرى'الكشاف:1-42
960 المرجع السابق مع نفس الصفحة
961 البقرة: 41
962 انظر:الزمخشرى'الكشاف:1-84
963 البقرة : 16
964 البيضاوى'تفسيره:1-78
965 البقرة. 175
966 آل عمران: 77
967 آل عمران:177
968 النساء: 74
969 ابن عاشور'التحرير والتنوير:3-472
970 البقرة: 187
971 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:2-147
972 انظر:ابن عادل' تفسير اللباب: 13-382
973 ص55-56
974 الأنفال: 7

975 المصباح المنير:5-112
976 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:9-252
977 القرطبى'تفسير القرطبى: 7-369
978 الآلوسى'روح المعانى:7-22
979 الأنعام: 36
980 الزهيلى'التفسيرالمنير:7-189
981 أبو السعود'تفسير ابى السعود:2-358
982 أبو السعود'تفسير ابى السعود:2-358
983 ابن عاشور'التحرير والتنوير:4-417
984 النمل:80-81
985 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 10-325
986 الآلوسى'روح المعانى: 15-38
987 انظر نفس المرجع والصفحة
988 الأنعام:92
989 انظر:الزهيلى' التفسيرالمنير:7-286
990 ابن عاشور'التحريروالتنوير:5-35
991 الأعراف:57
992 الزهيلى'التفسيرالمنير:8-243
993 هود: 80
994 انظر ابن عاشور'التحريروالتنوير:8-320
995 الذاريات: 39
996 ابن عادل'تفسير اللباب:14-394
997 هود: 100
998 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 7-194
999 يس:40
1000 الآلوسى'روح المعانى:16-484
1001 الآلوسى'روح المعانى:16-485
1002 آل عمران: 162
1003 ابن عاشور'التحرير والتنوير:3-270
1004 النساء: 32
1005 الزهيلى'التفسيرالمنير:5-41
1006 الآلوسى'روح المعانى:4-35
1007 المائدة:32
1008 الزهيلى'التفسيرالمنير:6-152
1009 الآلوسى'روح المعانى:4-460
1010 الآلوسى'روح المعانى:4-460
1011 المؤمنون:
1012 التوبة : 111

1013 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 9-338
1014 ابن عادل'تفسير اللباب11-472
1015 طه:82
1016 البقاعى'نظم الدرر: 5-259
1017 الأحقاف : 13
1018 الأحزاب:23
1019 الأزهرى'تهذيب اللغة: 2-139
1020 المصباح المنير:9-178
1021 فاطر:29
1022 الآلوسى'روح المعانى: 16-395
1023 الزهيلى'التفسيرالمنير:22-258
1024 يس:52
1025 انظر:أبو السعود'تفسير أبى السعود:5-418
1026 أبو السعود'تفسير أبى السعود:5-418
1027 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:23-109
1028 الصافات:84
1029 الآلوسى'روح المعانى:17-150
1030 نفس المرجع والصفحة.
1031 الصافات:140
1032 ابن دريد'جمهرة اللغة: 2-76
1033 ق:19
1034 الزهيلى'التفسيرالمنير:26-292
1035 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 14-63
1036 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 14-63
1037 الفتح: 10
1038 انظر الزهيلى'التفسير المنير:26-160
1039 الآلوسى'روح المعانى:19-192
1040 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 13-457
1041 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 13-457
1042 الزمر:74
1043 الزمخشرى'الكشاف:6-89
1044 انظر: الآلوسى'روح المعانى: 18-32
1045 يوسف:31
1046 السمرقندى'بحر العلوم: 2-376
1047 البيضاوى'تفسير البيضاوى: 3-146
1048 البقرة:27
1049 انظر: الزهيلى'التفسير المنير:1-109
1050 الآلوسى'روح المعانى:1-242

1051 البقرة: 81
1052 الزهيلى'التفسيرالمنير:1-202
1053 أبو السعود' تفسيرأبى السعود:1-155
1054 الرازى'تفسير الرازى: 2-174
1055 انظر:النيسانورى' تفسيره:1-254
1056 طه: 101
1057 صفحة:16-278
1058 الأنعام:25
1059 الطبرى'تفسير الطبرى:11-305
1060 انظر نفس المرجع والصفحة.
1061 ابن عاشور'التحرير والتنوير:4-395
1062 ابن عاشور'التحرير والتنوير:4-395
1063 الأنعام:59
1064 ابن عاشور'التحريروالتنوير:4-463
1065 الزمخشرى'الكشاف:2-128
1066 ابن عاشور'التحريروالتنوير:4-463
1067 لقمان:24
1068 سيبويه'الكتاب: 1-341
1069 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 11-138
1070 الأحزاب: 7
1071 الزهيلى'التفسيرالمنير21-243
1072 ص: 12
1073 الفيروزآبادى'القاموس المحيط: 1-328
1074 الآلوسى'روح المعانى: 17-299
1075 القرطبى'تفسير القرطبى: 15-155
1076 محمد:24
1077 ابن عاشور'التحريروالتنوير:13-423
1078 الآلوسى'روح المعانى: 19-155
1079 ابن الجوزى'زاد المسير 5-378
1080 فصلت:51
1081 البيضاوى'تفسير البيضاوى:5-145
1082 البقرة: 259
1083 الزهيلى'التفيسرالمنير:3-32
1084 يونس:24
1085 أبو حيان'تفسير البحر المحيط:6-287
1086 الزهيلى'التفسيرالمنير:11-147
1087 ابن عاشور'التحرير والتنوير: 6-464
1088 الزخرف:11

1089 الآلوسی’روح المعانی: 18-327
1090 یوسف:4
1091 البقاعی’نظم الدرر:4-224
1092 السمرقندی’تفسیر السمرقندی:2-363
1093 الذاریات: 41
1094 ابن عاشور’التحریروالتنویر:14-110
1095 الآلوسی’روح المعانی: 19-395
1096 الکهف:77
1097 الآلوسی’روح المعانی: 11-357
1098 أبو السعود’تفسیر أبی السعود: 3-278
1099 أبو السعود’تفسیر أبی السعود: 3-278
1100 المؤمنون: 62
1101 ابن عادل’تفسیر اللباب: 12-7
1102 الآلوسی’روح المعانی: 13-242
1103 الزهیلی’التفسیرالمنیر:18-63
1104 الآلوسی’روح المعانی: 13-242
1105 ابن عاشور’التحریر والتنویر:9-379
1106 النمل: 76
1107 الزهیلی’التفسیر المنیر:20-27
1108 الأحزاب:19
1109 ابن درید’جمهرة اللغة" 1-475
1110 الفراهیدی’کتاب العین: 5-76
1111 التکویر: 18
1112 الآلوسی’روح المعانی: 22-228
1113 الزهیلی’التفسیر المنیر:30-87
1114 الآلوسی’روح المعانی: 22-228
1115 الحج:55
1116 الشوکانی’فتح القدیر:5-130
1117 البقرة: 250
1118 الزهیلی’التفسیر المنیر:2- 426
1119 البقرة: 256
1120 ابن عاشور’التحریر والتنویر:2- 47
1121 ابن عاشور’التحریروالتنویر:2-437
1122 انظرالزهیلی’ التفسیر المنیر:3- 19
1123 لقمان: 22
1124 آل عمران: 103
1125 التفسیر المنیر: 4- 25
1126 تفسیر أبی السعود: 1-429

1127 آل عمران: 144
1128 الآلوسی'روح المعانی: 3- 240
1129 آل عمران: 149
1130 الأنعام: 122
1131 ابن عاشور'التحریروالتنویر:5- 109
1132 ابن عاشور'التحریروالتنویر:5- 110
1133 الأنعام: 164
1134 انظر:الزهیلی' التفسیرالمنیر:8-122
1135 ابن عاشور'التحریروالتنویر:5- 217
1136 الأنعام 32
1137 ابن عاشور'التحریروالتنویر:4- 405
1138 الأعراف: 16
1139 الأعراف: 17
1140 ابن عاشور'التحریروالتنویر:5- 247
1141 الأنفال: 24
1142 انظر:الآلوسی'روح المعانی:7- 53
1143 الآلوسی'روح المعانی:7- 54
1144 التوبة: 109
1145 الزهیلی'التفسیرالمنیر:11- 39
1146 الآلوسی'روح المعانی: 7- 364
1147 ابن عاشور'التحریروالتنویر:6-385
1148 التوبة:47
1149 الآلوسی'روح المعانی: 7- 251
1150 الزهیلی'التفسیرالمنیر:10-236
1151 الآلوسی'روح المعانی: 7- 251
1152 ابن عاشور'التحریروالتنویر: 6- 299
1153 هود: 56
1154 انظر:الزهیلی'التفسیرالمنیر:12- 87
1155 هود: 98
1156 الزهیلی'التفسیرالمنیر:12- 137
1157 الآلوسی'تفسیر روح المعانی: 8- 359
1158 الآلوسی'تفسیر روح المعانی: 8- 359
1159 الزهیلی'التفسیرالمنیر:14- 20
1160 الحجر: 21
1161 ابن عاشور'التحریر والتنویر: 7- 471
1162 الزهیلی'التفسیرالمنیر:14-20
1163 الحجر: 88
1164 ابن عاشور'التحریروالتنویر:8- 2

1165 ابن عاشور'التحريروالتنوير:8- 2
1166 ابن عاشور'التحريروالتنوير:8- 1
1167 ابن عاشور'التحريروالتنوير:8- 2
1168 الشعراء 215
1169 الإسراء: 24
1170 ابن عاشور'التحريروالتنوير:8-210
1171 النحل: 26
1172 الزهيلى'التفسيرالمنير:14-111
1173 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 8- 33
1174 النسفى'تفسير النسفى: 2- 156
1175 الأنبياء: 93
1176 الزمخشرى'الكشاف:4- 258
1177 الحج: 19
1178 الزهيلى'التفسيرالمنير:17- 180
1179 الآلوسى'روح المعانى: 13- 32
1180 المائدة: 64
1181 الإسراء: 29
1182 الزهيلى'التفسيرالمنير:15- 50
1183 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 4- 189
1184 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 8- 219
1185 ابن عادل'تفسير اللباب: 10- 284
1186 الإسراء 64
1187 الزهيلى'التفسيرالمنير:15- 114
1188 انظر:ابن عاشور'التحريروالتنوير: 8- 265
1189 الآلوسى'روح المعانى:11- 12
1190 المؤمنون: 54
1191 الآلوسى'روح المعانى: 13- 232
1192 العنكبوت: 12
1193 العنكبوت: 13
1194 الأنبياء: 18
1195 الزهيلى'التفسيرالمنير:17- 23
1196 الآلوسى'روح المعانى:12- 343
1197 يس:71
1198 الزهيلى'التفسيرالمنير:23- 42
1199 ابن عاشور'التحريروالتنوير:12- 74
1200 ابن عاشور'التحريروالتنوير:12-74
1201 الأحزاب: 72
1202 انظر:ابن عاشور'التحرير والتنوير:11- 337

1203 انظر: المرجع السابق:11- 338
1204 ابن عادل'تفسير اللباب:13- 114
1205 يس:8-9
1206 الآلوسى'روح المعانى : 16- 429
1207 الزهيلى'التفسيرالمنير:22- 291
1208 الآلوسى'روح المعانى : 16- 429
1209 انظر:الآلوسى'روح المعانى:16- 431
1210 الحديد: 17
1211 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 14- 403
1212 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 14- 403
1213 الصف: 8
1214 الآلوسى'روح المعانى: 20- 486
1215 الزمخشرى'الكشاف:7- 52
1216 الملك: 22
1217 الزهيلى'التفسير المنير:29- 30
1218 ابن كثير'تفسير ابن كثير: 8- 181
1219 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 6- 356
1220 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 6-356
1221 الرعد: 3
1222 القمر: 11
1223 الزهيلى'النفسيرالمنير:27- 154
1224 الآلوسى'روح المعانى: 20- 62
1225 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 14- 232
1226 آل عمران: 37
1227 الزهيلى'التفسير المنير:3- 210
1228 الآلوسى'تفسير روح المعانى:3- 7
1229 الحج: 5
1230 ابن عاشور'التحرير والتنوير:9- 237
1231 سبأ: 53
1232 الزمخشرى'الكشاف:5- 396
1233 التوبة: 25
1234 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 6- 254
1235 الآلوسى'روح المعانى: 7- 196
1236 انظر:الآلوسى' تفسير روح المعانى:7- 370
1237 التوبة: 111
1238 الزهيلى'التفسيرالمنير:11- 51
1239 الآلوسى'روح المعانى:7- 370
1240 السمرقندى'بحر العلوم: 2- 268

1241 الآلوسی’روح المعانی:7- 370
1242 الآلوسی’روح المعانی:7-370
1243 انظر نفس المرجع والصفحة
1244 الآلوسی’روح المعانی:7- 371
1245 یونس 14
1246 الزهیلی’التفسیرالمنیر:11- 124
1247 أبو السعود’تفسیر أبی السعود:3- 242
1248 هود: 92
1249 انظر:ابن عاشور’ التحریروالتنویر:7- 189
1250 الآلوسی’تفسیر روح المعانی: 8- 347
1251 ابراهیم: 17
1252 الزمخشری’الکشاف:3- 274
1253 الکهف: (99
1254 أبو السعود’تفسیر أبی السعود: 4- 290
1255 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:8- 435
1256 انظر:ابن عاشور’التحریروالتنویر:8- 435
1257 طه: 41
1258 الزهیلی’التفسیرالمنیر:16- 206
1259 ابن عاشور’التحریروالتنویر:9-47
1260 الجاثیة: 34
1261 الزهیلی’التفسیرالمنیر:25- 289
1262 ابن عاشور’التحریروالتنویر: 13- 337
1263 الآلوسی’روح المعاني: 19- 36
1264 الرحمن: 31
1265 الزهیلی’التفسیرالمنیر:27- 212
1266 الطبری’تفسیر الطبری: 33- 41
1267 الآلوسی’روح المعانی:20- 145
1268 الشعراء: 224- 225
1269 الزهیلی’التفسیر المنیر:19- 2490
1270 الآلوسی’انظرروح المعانی:14- 393
1271 ابن عاشور’التحریروالتنویر:10- 238
1272 البقرة: 7
1273 الآلوسی’روح المعانی:1-129
1274 انظرأبوالسعود’تفسیر أبی السعود:1-41وانظر:ابن عاشور’التحریر والتنویر:1-95
1275 ابن عاشور’التحریروالتنویر:1-95
1276 البقرة: 61
1277 ابن عاشور’التحریروالتنویر:1- 319

1278 ابن عاشورالتحريروالتنوير:1-319
1279 آل عمران: 112
1280 الزهيلى'التفسير المنير:4-38
1281 الآلوسى'روح المعانى: 3-174
1282 انظر أبو السعود'تفسير أبى السعود:4- 238
1283 الكهف: 11
1284 أبو السعود'تفسير أبى السعود:4- 238
1285 أبو السعود'تفسير أبى السعود:4- 238
1286 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 8- 340
1287 البقرة: 168
1288 ابن عاشور'التحرير والتنوير:2- 88
1289 الأنعام: 142
1290 الأنعام:93
1291 التحرير والتنوير:5- 38
1292 نفس المرجع والصفحة
1293 نفس المرجع والصفحة
1294 نفس المرجع والصفحة
1295 الأعراف:154
1296 التفسيرالمنير:9-109
1297 انظرابن عاشور'التحريروالتنوير:5- 471
1298 الكهف: 101
1299 الزهيلى'التفسيرالمنير:16-34
1300 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 4- 290
1301 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 4- 290
1302 انظرالزهيلى' التفسيرالمنير 23-156
1303 الصافات: 177
1304 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 12- 183
1305 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 12- 183
1306 نفس المرجع والصفحة
1307 انظر:الزهيلى'التفسيرالمنير:24-46
1308 الزمر: 67
1309 الآلوسى'تفسير روح المعانى:18- 17
1310 البيضاوى'تفسير البيضاوى:5-118
1311 الآلوسى'تفسير روح المعانى:18- 17
1312 الآلوسى'تفسير روح المعانى:18- 17
1313 الشورى: 20
1314 انظر:الطبرى' تفسير الطبرى: 21-521
1315 الآلوسى'روح المعانى: 18-257

1316 انظرالزهیلی' التفسیرالمنیر:26- 214
1317 الحجرات: 1
1318 الآلوسی'روح المعانی:19- 245
1319 محمد: 4
1320 انظر: البغوی'تفسیر البغوی:7- 279
1321 الآلوسی'روح المعانی:19- 103
1322 ابن عاشور'التحریروالتنویر:13- 395
1323 ابن حیان'البحر المحیط:10- 66
1324 المجادلة: 12
1325 الآلوسی'روح المعانی: 20- 391
1326 ابن عاشور'التحریروالتنویر 14- 462
1327 الآلوسی'التفسیرالمنیر:28- 44
1328 الأعراف: 41
1329 الزهیلی'التفسیرالمنیر:8- 204
1330 ابن عاشور'التحریروالتنویر:5-300
1331 مریم: 4
1332 اابن عاشور'التحریروالتنویر: 8- 447
1333 الآلوسی'روح المعانی: 11- 440
1334 الحج: 11
1335 أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 4- 453
1336 أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 4- 453
1337 الزمر:46
1338 الزهیلی'التفسیرالمنیر:24- 126
1339 ابن عاشور'التحریروالتنویر: 12- 448
1340 انظر: ابن عاشور'التحریروالتنویر: 12- 448
1341 البقرة: 9
1342 انظر:الزهیلی'التفسیرالمنیر:1-80
1343 ابن عاشور'التحریر والتنویر:1- 114
1344 الکهف: 6
1345 ابن عاشور'التحریروالتنویر: 8- 330
1346 الزهیلی'التفسیرالمنیر:15-202
1347 انظرابن عاشور'التحریروالتنویر: 8- 330
1348 ابن عاشور'التحریروالتنویر: 8- 330
1349 الکهف: 99
1350 أبو السعود'تفسیر أبی السعود: 4- 290
1351 انظر:ابن عاشور'التحریروالتنویر:8- 435
1352 انظر:ابن عاشور'التحریروالتنویر:8- 435
1353 الدخان: 29

1354 الزهیلی’التفسیرالمنیر:25- 218
1355 ابن عادل’تفسیر اللباب: 14- 169
1356 الحدید: 11
1357 الآلوسی’روح المعانی: 20- 317
1358 الزمخشری الکشاف: 6- 493
1359 الآلوسی’روح المعانی: 20- 317
1360 الجرجانی’التعریفات:1- 65
1361 البقرة: 19
1362 الآلوسی’روح المعانی: 1- 191
1363 البقرة: 231
1364 الآلوسی’روح المعانی: 2- 251
1365 النساء: 155
1366 الزهیلی’التفسیر المنیر:6- 15
1367 آل عمران: 42
1368 الرازی’تفسیر الرازی: 4- 201
1369 هود: 59
1370 الزهیلی’التفسیرا لمنیر:12- 87
1371 الصف: 6
1372 الرحمن: 27
1373 البقرة: 150
1374 السیوطی’الإتقان:2- 99
1375 الغاشیة:2- 8
1376 السیوطی’الإتقان:2- 99
1377 البقرة: 144
1378 الزهیلی’التفسیر المنیر:2- 18
1379 الآلوسی’روح المعانی: 2- 46
1380 آل عمران: 19- 20
1381 الزهیلی’التفسیرالمنیر:3- 177
1382 الحج: 10
1383 الشوری: 30
1384 السیوطی’الإتقان:2-99
1385 البقرة: 43
1386 الآلوسی’روح المعانی:1- 296
1387 البقرة: 177
1388 التوبة: 60
1389 النیسابوری’تفسیر النیسابوری:1- 409
1390 محمد: 7
1391 الزهیلی’التفسیر المنیر:26- 83

1392 هود: 20
1393 الآلوسی'روح المعانی:8- 201
1394 الأحقاف: 4
1395 البیضاوی'تفسیر البیضاوی:5- 185
1396 الأنعام: 6
1397 البیضاوی'التحریروالتنویر:4- 363
1398 هود: 52
1399 القمر:47- 48
1400 الزهیلی'التفسیر المنیر:27-179
1401 الآلوسی'روح المعانی: 20-102
1402 الزمخشری'الکشاف:6- 458
1403 غافر: 13
1404 ابن عاشور'التحریروالتنویر:12- 410
1405 ابن عاشور'التحریروالتنویر:12- 410
1406 الأعراف: 26
1407 الزهیلی'التفسیر المنیر:8- 168
1408 آل عمران: 133
1409 الحدید: 21
1410 الآلوسی'روح المعانی: 20- 336
1411 الأنعام: 104
1412 الآلوسی'روح المعانی: 5-468
1413 النحل: 98
1414 الآلوسی'روح المعانی:10- 297
1415 الزمر: 19
1416 ابن عاشور'التحریروالتنویر:12- 312
1417 ابن عاشور'التحریروالتنویر:12-313
1418 التوبة: 99
1419 انظر:الزهیلی'التفسیرالمنیر:11- 12
1420 أبو السعود'تفسیر أبی السعود:3- 203
1421 آل عمران: 106- 107
1422 السیوطی'الإتقان:2- 101
1423 العلق: 17-18
1424 الرازی'تفسیر الرازی: 17- 121
1425 الملك: 1
1426 الرازی'تفسیر الرازی:15-392
1427 البقرة: 74
1428 البقرة: 259
1429 یوسف: 82

1430 الحجر: 4
1431 النحل: 112
1432 الطلاق: 8
1433 الشورى: 7
1434 الأعراف:31
1435 السيوطى'الإتقان:2- 100
1436 يونس: 57
1437 الأنعام: 6
1438 البقرة: 26
1439 انظر:الزهيلى'التفسير المنير:1- 109
1440 الزمخشرى'الكشاف:1- 70
1441 المائدة :112- 113
1442 الإتقان:2-102
1443 الآلوسى'روح المعانى: 5-186
1444 الرازى'تفسير الرازى:6-196
1445 الشعراء:10- 17
1446 الشوكانى'فتح القدير:5-303
1447 الشعراء:75-77
1448 الآلوسى'روح المعانى: 14-248
1449 النساء: 54
1450 الزهيلى'التفسيرالمنير:5-108
1451 الآلوسى'روح المعانى:4-92
1452 الرازى'تفسير الرازى:5-237
1453 النساء: 171
1454 أبو السعود'تفسير أبى السعود:2-189
1455 المائدة: 5
1456 الآلوسى'التحريروالتنوير:4- 144
1457 البقرة:232
1458 الشوكانى'فتح القدير :1- 327
1459 النساء: 2
1460 ابن عاشور'التحريروالتنوير:3-316
1461 طه: 74
1462 السيوطى'الإتقان:2-102
1463 البيضاوى'تفسير البيضاوى:4-127
1464 يوسف: 36
1465 الشوكانى'فتح القدير:4-31
1466 نوح:26-27
1467 البقرة:230

1468 الصافات :101
1469 البيضاوی’تفسیره:5- 75
1470 الشعراء:84
1471 الآلوسی’روح المعانی:14-255
1472 إبراهیم: 4
1473 الأنعام: 221
1474 سورة فاطر: 9
1475 الجرجانی’أسرار البلاغة:1-135 –136-137
1476 الجرجانی’التعریفات للجرجانی:1-65
1477 أنظر: الجرجانی’أسرار البلاغة:1-143
1478 الجاثیة: 24
1479 انظر: الجرجانی’اسرار البلاغة:1-144
1480 السکاکی’مفتاح العلوم:1-172
1481 انظر السکاکی’مفتاح العلوم:1- 175 وانظر:السیوطی’ الإتقان:2-97
1482 البقرة: 61
1483 الإسراء: 12
1484 مریم: 79
1485 الواقعة:3
1486 البقرة:16
1487 ابن عاشور’التحریروالتنویر:1-133
1488 البقرة: 61
1489 الزهیلی’التفسیر المنیر:1-172
1490 الزهیلی’روح المعانی: 1-340
1491 البقرة: 261
1492 الآلوسی’روح المعانی:2-347
1493 آل عمران: 181
1494 الزهیلی’التفسیر المنیر:4-184
1495 یوسف: 48
1496 سورة النساء : 2
1497 ابن عاشور’التحریروالتنویر:7-278
1498 الإسراء: 12
1499 انظر: الزهیلی’التفسیرالمنیر:15-31
1500 الإسراء: 59
1501 انظر:الزهیلی’ التفسیر المنیر:15-104
1502 الرعد: 17
1503 البقرة: 90
1504 الزهیلی’التفسیر المنیر:1-223
1505 الرازی’تفسیر الرازی: 2-219

1506 الزهيلى'التفسير المنير:12-123
1507 هود: 84
1508 هود : 77
1509 الحجر: 57-60
1510 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 2-487
1511 العنكبوت: 67
1512 أسرار البلاغة'دلائل الإعجاز:1-235
1513 السكاكى'مفتاح العلوم: 1- 180
1514 السكاكى'مفتاح العلوم: 1- 176
1515 العسكرى'الصناعتين:1- 112
1516 انظرالسيوطى'الإتقان:2- 128
1517 السكاكى'مفتاح العلوم: 1- 176
1518 المرجع السابق مع نفس الصفحة
1519 ابن الأثير'المثل السائر:1- 223
1520 انظر:ابن الأثير'المثل السائر:1- 223
1521 السيوطى'انظرالإتقان:2-111 - 112
1522 ابن الأثير'المثل الثائر:1- 222- 223
1523 ابن الأثير'المثل الثائر:1- 224
1524 نفس المرجع والصفحة
1525 الأنبياء:63
1526 يس :
1527 السيوطى'الإتقان:2- 132
1528 البقرة: 269
1529 التكوير:8-9
1530 انظرالسيوطى'الإتقان:2-133
1531 انظر:الزركشى' البرهان2- 311
1532 سبأ: 24
1533 الزركشى'البرهان:2-313-314
1534 هود: 44
1535 هود:44
1536 السيوطى'الإتقان:2- 231
1537 السكاكى'مفتاح العلوم: 1- 176
1538 انظر:القزوينى' ألإيضاح:302-203- 1
1539 البقرة: 187
1540 السكاكى'مفتاح العلوم :1-176& 177
1541 السكاكى'مفتا ح العلوم:1-176
1542 أنظرالقزوينى'الإيضاح:306- 1
1543 القزوينى'ألإيضاح:- 309- 1

1544 انظر:الزركشى'البرهان:2- 301إلى 2- 309
1545 ألأعراف:189
1546 ابن عاشور'التحريروالتنوير: 6- 38
1547 الأحزاب: 40
1548 الآلوسى'روح المعانى:16-136
1549 ص:21'22' 23
1550 الطبرى'تفسير الطبرى:21-180
1551 الرازى'تفسير الرازى:13-173
1552 انظر:الرازى'تفسير الرازى: 13- 177
1553 انظر:نفس المرجع والصفحة .
1554 الصافات 49
1555 الرازى'تفسيرالرازى:13- 124
1556 الجاحظ'الحيوان:1- 454
1557 البقرة:187
1558 النساء:43
1559 الزركشى'البرهان:2-303
1560 البقرة: 187
1561 البقرة : 197
1562 الجوهرى'مختار الصحاح:1-122
1563 انظر:الرازى' تفسيرا لرازى:3-119
1564 النساء: 21
1565 انظر تفسير الآلوسى'روح المعانى:3- 486
1566 الأعراف: 189
1567 القرطبى'تفسيرا لقرطبى: 7-337
1568 الرازى'تفسير الرازى: 7- 332
1569 البقرة:187
1570 النساء: 43
1571 البقرة: 236
1572 النساء: 23
1573 البقرة: 223
1574 ابن كثير'تفسير ابن كثير:1- 588
1575 النساء: 24
1576 البقرة: 222
1577 الزركشى'البرهان:2- 304
1578 النساء :43
1579 الزركشى'البرهان :2- 304
1580 فصلت: 21
1581 أبو السعود'تفسير أبى السعود: 6- 56

1582 الأنبياء: 91
1583 الزركشی'البرهان:2-305
1584 الزخرف:17-18
1585 انظرالزركشی'البرهان:2- 307
1586 الشوكانی'فتح القدير:6-397
1587 الرازی'تفسير الرازی:13-466
1588 المائدة:64
1589 الآلوسی'روح المعانی:5-49
1590 المسد:1
1591 المسد:3
1592 الآلوسی'روح المعانی:23- 169
1593 المسد: 4
1594 انظر:الرازی'تفسيرالرازی:17-279
1595 المائدة: 79
1596 الآلوسی'روح المعانی:5-96
1597 البقرة:24
1598 الآلوسی'روح المعانی:1-223
1599 طه: 5
1600 الزمخشری'الكشاف:4-128
1601 الزمر:67
1602 الزركشی'البرهان:2-310
1603الحج : 31
1604 البقرة: 222
1605 نوح :7
1606 البقرة: 61
1607 الإسراء: 12
1608 مريم: 79
1609 الواقعة:3
1610 السكاكی'مفتاح العلوم:1-181
1611 دراز'النبأ العظيم: 86